www.old-criticism.blogspot.com

المجامع المسكونية والكبرى
٢

المجمع المسكوني الأول

نيقيا الأول (٣٢٥)

الأب ميشال أبرص
الأب أنطوان عرب

www.old-criticism.blogspot.com

المجمع المسكوني الأول

نيقيا الأول (٣٢٥)

www.old-criticism.blogspot.com

سلسلة
تاريخ المجامع المسكونية
والكبرى
٢

المجمع المسكوني الأول

نيقيا الأول (٣٢٥)

الأب ميشال أبرص

الأب أنطوان عرب

١٩٩٧

صورة الغلاف : أيقونة بيزنطية من القرن السابع عشر تمثل مجمع نيقيا الأول
(كنيسة الروم الأرثوذكس – حلب)

www.old-criticism.blogspot.com

Volume publié avec le concours de:
- l'Archidiocèse de Munich et de Freising (Allemagne)
- l'Institut de Missiologie Missio e.V., (Allemagne)

طبعة أولى

١٩٩٧

*

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين

*

توزيع المكتبة البولسية
شارع لبنان – بيروت – ص.ب : ٤٤٥٩ – ١١ لبنان
هاتف : ٤٤٤٩٧٣ – ٤٤٨٨٠٦ – ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس – جونيه – ص.ب: ١٢٥ لبنان
هاتف : ٩١١٥٦١ – ٩٣٣٠٥٢

الفهرس

الفهرس ____ ٥
الاختصارات والشعارات ____ ١٢
المراجع والمصادر ____ ١٤
تقديم ____ ٢٣
مقدمة ____ ٢٧
١) اللاهوت والحياة المسيحية في القرون الثلاثة الأولى ____ ٢٨
٢) لمحة تاريخية عن نهايات القرن الثالث وبدايات الرابع ____ ٣٩
٣) نتائج الاضطهادات وانتصار المسيحية ____ ٤٥
٤) قسطنطين الملك والأزمة الآريوسية ____ ٤٧
الفصل الأول: جذور الآريوسية: الأخطاء اللاهوتية السالفة حول "اللوغوس" ____ **٥٥**
أولاً- الأبيونية ____ ٥٩
ثانياً- مركيون ____ ٦٠
ثالثاً- فيلون الإسكندري ____ ٦١
رابعاً- افلوطين والأفلاطونية الحديثة ____ ٦٣
خامساً- الغنوصية ____ ٧٢
سادساً- المظهراتية ____ ٨٦
سابعاً- المونارخية ____ ٨٧
١) التبنوية ____ ٩٠
٢) صابيليوس ____ ٩٢
٣) الشكلانية ____ ٩٤

www.old-criticism.blogspot.com

٤) بولس السميساطي ٩٥
ثامناً- اوريجانوس ٩٩
تاسعاً- ديونيسيوس الإسكندري ١٠٨
عاشراً- لوكيانوس الأنطاكي ١١٢
الفصل الثاني: أسباب الدعوة إلى أول مجمع مسكوني ١١٧
أولاً- بداية النزاع الآريوسي ١١٨
ثانياً- أوجه التباين بين آريوس والكسندروس ١٢٠
١) من هو آريوس وما هي أفكاره؟ ١٢١
٢) الكسندروس أسقف الإسكندرية ١٢٧
٣) مجمع الإسكندرية (٣٢٠/٣٢١؟) ١٣٠
٤) مجمع نيقوميديا (٣٢١-٣٢٣؟) ١٣٢
ثالثاً- قضية عيد الفصح ١٣٦
الفصل الثالث: المجمع المسكوني الأول (٣٢٥) ١٤٣
أولاً- تدخل قسطنطين الإمبراطور والدعوة إلى المجمع ١٤٤
ثانياً- مجمع أنطاكية (٣٢٥) يسبق نيقيا في إدانة آريوس ١٤٧
ثالثاً- مجريات المجمع وأعماله ١٤٩
١) آباء المجمع ١٤٩
٢) النقاشات السابقة لبدء المجمع ١٥٣
٣) افتتاح المجمع ١٥٥
٤) أعمال المجمع ١٥٦
آ) الجدال حول الآريوسية ١٥٧
ب) قضية تاريخ عيد الفصح ١٦١
ج) انشقاق ملاتيوس ١٦٢
د) موضوع عزوبية الإكليروس ١٦٤
رابعاً- قوانين المجمع وتحديداته ١٦٤

١) قانون إيمان نيقيا ١٦٥
آ) أهمية رمز نيقيا: أول تحديد عقائدي ١٦٧
ب) الابن مولود من الآب ١٧٠
ج) الابن غير مخلوق ١٧٣
د) الاوموسيوس: الابن مساوٍ للآب في الجوهر ١٧٤
٢) القوانين الإدارية والتنظيمية ١٧٧
آ) قوانين نيقيا وعددها ١٧٨
١ً) هيكلية الكنيسة (ق.ق. ٤-٧، ١٥-١٦) ١٨٠
٢ً) كرامة الإكليروس (ق.ق. ١-٣، ٩-١٠، ١٧) ١٨٧
٣ً) التوبة العلنية (ق.ق. ١١-١٤) ١٩٢
٤ً) قبول المنشقين والهراطقة (ق.ق. ٨، ١٩) ١٩٤
٥ً) ترتيبات ليتورجية (ق.ق. ١٨، ٢٠) ١٩٦
ب) الرسالة المجمعية إلى مصر ١٩٨
خامساً- اختتام المجمع ونتائجه ١٩٩
الفصل الرابع: مجمع نيقيا علامة تناقض ٢٠١
أولاً- مؤتمرات ضد نيقيا حتى وفاة قسطنطين الكبير (٣٣٧) ٢٠٢
١) مجمع أنطاكية (٣٣٠) ٢٠٥
٢) ملاحقة اثناسيوس ٢٠٦
٣) عودة آريوس ٢٠٩
٤) مجمع صور (٣٣٥) ٢١٠
٥) مجمع القسطنطينية (٣٣٥) ٢١٣
٦) مجمع أورشليم (٣٣٥) ٢١٤
٧) مجمع القسطنطينية (٣٣٥ أو ٣٣٦؟) ٢١٥
٨) وفاة آريوس (٣٣٦) ٢١٦
٩) وفاة قسطنطين الملك (٢٧٠؟-٣٣٧) ٢١٧

www.old-criticism.blogspot.com

ثانياً- الصراعات حول نيقيا أيام حكم كونستانس الثاني (٣٣٧-٣٦١) ٢١٧
١) شن حرب جديدة ضد نيقيا وضد اثناسيوس ٢١٩
آ) عودة اثناسيوس من المنفى ٢١٩
ب) مجمع الإسكندرية (٣٣٨) ٢٢٠
ج) إعادة الحرب ضد اثناسيوس ومجمع روما (٣٤٠) ٢٢٠
د) مجمع أنطاكية للتدشين (٣٤١) ٢٢٢
هـ) مجمعا سرديقيا (٣٤٣) وفيليبوبوليس المضاد (٣٤٣) ٢٢٣
٢) هدنة بين النيقاويين وغير النيقاويين (٣٤٣-٣٥٠) ٢٢٦
آ) مجمع أنطاكية (٣٤٤) ٢٢٧
ب) مجمع ميلانو (٣٤٥) ٢٢٩
ج) عودة اثناسيوس ٢٢٩
٣) التيارات والشخصيات المتنازعة ٢٢٩
آ) اثناسيوس الإسكندري ٢٣٠
ب) مركلوس الانقيري ٢٣٦
ج) فوتينوس ٢٤٢
د) افستاثيوس الأنطاكي ٢٤٣
هـ) باسيليوس الانقيري ٢٤٦
و) الفئات الآريوسية ٢٤٧
١ً) فريق الأنومية ٢٤٨
٢ً) فريق الاوميووسية ٢٤٨
٣ً) فريق الأومية ٢٤٩
ز) اوسابيوس النيقوميدي ٢٥٠
ح) اوسابيوس القيصري ٢٥١
ط) ايتيوس ٢٦٠
ي) افنوميوس ٢٦٠

٤) الحملات الأخيرة على نيقيا: شرارات الآريوسية الأخيرة (٣٥٠-٣٦١) ٢٦٣
آ) مجمع سيرميوم الأول (٣٥١) ٢٦٤
ب) مجمع آرل (٣٥٣) ٢٦٦
ج) مجمع ميلانو (٣٥٥) ٢٦٧
د) مجمع سيرميوم الثاني (٣٥٧) ٢٦٩
هـ) مجمع أنطاكية (٣٥٨) ٢٧٢
و) مجمع انقيرة (٣٥٨) ٢٧٢
ز) مجمع سيرميوم الثالث (٣٥٨/٣٥٩) ٢٧٣
ح) مجمعا ريميني وسلوقيا (٣٥٩) ٢٧٤
١ً) مجمع ريميني (٣٥٩) ٢٧٥
٢) مجمع سلوقيا (٣٥٩) ٢٧٦
ط) مجمع القسطنطينية (٣٦٠) ٢٧٧
ي) وفاة كونستانس الثاني وأجواء جديدة حول نيقيا ٢٨٧
خلاصة ٢٨١
ملحق: وثائق مجمع نيقيا الأول ٣٢٥ **٢٩٥**
١. آباء مجمع نيقيا ٢٩٧
٢. قانون إيمان مجمع نيقيا ٣١١
٣. قوانين مجمع نيقيا ٣١٣
٤. رسالة مجمع نيقيا إلى كنائس مصر ٣١٨
٥. مرسوم مجمع نيقيا حول الفصح ٣٢٠
٦. رسالة الدعوة إلى مجمع نيقيا الأول ٣٢٠
٧. رواية حفل افتتاح مجمع نيقيا ٣٢١
٨. كلمة الإمبراطور الافتتاحية ٣٢١
٩. رسالة قسطنطين إلى الغائبين عن المجمع، بخصوص تعييد الفصح ٣٢٢
١٠. رسالة الكسندروس الإسكندري إلى جميع الأساقفة ضد آريوس (٣١٩) ٣٢٤

www.old-criticism.blogspot.com

١١.رسالة آريوس إلى اوسابيوس النيقوميدي (نحو ٣٢٠) ٣٢٧
١٢.رسالة آريوس إلى الكسندروس أسقف الإسكندرية (نحو ٣٢٠) ٣٢٩
١٣.مقاطع من كتاب آريوس "المأدبة" ٣٣٢
١٤.رسالة اوسابيوس القيصري إلى كنيسته حول رمز نيقيا ٣٣٣
١٥.صورة دستور إيمان اوسابيوس القيصري ٣٣٨
١٦.قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٢٥) ٣٣٩
١٧.رسالة اوسابيوس النيقوميدي إلى قسطنطين الملك (٣٢٧) ٣٤٠
١٨.رسالة آريوس إلى قسطنطين الملك (٣٣٤) ٣٤١
١٩.رسالة قسطنطين إلى أساقفة مجمع صور (٣٣٥) ٣٤٣
٢٠.قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤١): الصيغة الأولى ٣٤٤
٢١.قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤١): الصيغة الثانية ٣٤٥
٢٢.قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤١): الصيغة الثالثة ٣٤٨
٢٣.قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤١): الصيغة الرابعة ٣٤٩
٢٤.قوانين مجمع أنطاكية (٣٤١) الإدارية ٣٥١
٢٥.قوانين مجمع سرديقيا (٣٤٣) ٣٥٦
٢٦.قانون إيمان الغربيين في سرديقيا (٣٤٣) ٣٦٢
٢٧.رسالة مجمع فيليبوبوليس (٣٤٣) ٣٦٥
٢٨.العرض الطويل، أو قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤٤) ٣٦٧
٢٩.قانون إيمان كنيسة أورشليم (٣٥٠) ٣٧١
٣٠.إبسالات قانون إيمان مجمع سيرميوم الأول (٣٥١) ٣٧٢
٣١.رسالة البابا ليبيريوس إلى مجمع ميلانو (٣٥٥) ٣٧٤
٣٢.صيغة إيمان مجمع سيرميوم الثاني (٣٥٧) ٣٧٥
٣٣.رسالة مجمع انقيرة (٣٥٨) ٣٧٦
٣٤.مقتطفات من رسالة مجمع سيرميوم الثالث (٣٥٩) ٣٨٥
٣٥.رسالة البابا ليبيريوس إلى الشرقيين (٣٥٩) ٣٨٥

٣٦.قانون الإيمان المؤرخ (٣٥٩) ٣٨٦
٣٧.قانون إيمان مجمع القسطنطينية (٣٦٠) ٣٨٦
٣٨.مقاطع من أعمال مركلوس الأنقيري ٣٨٨
٣٩.قانون إيمان الرسل ٣٨٩
٤٠.قوانين الرسل القديسين ٣٩٠
٤١.رسالة مجمع أنطاكية (٢٦٨) إلى جميع الأساقفة ضد بولس السميساطي ٤٠٣
٤٢.مرسوم التسامح للإمبراطور غاليانوس (٢٦٠) ٤٠٦
٤٣.مرسوم اضطهاد مكسيمينوس دايا (٣٠٥) ٤٠٧
٤٤.مرسوم الإمبراطور مكسيمينوس في مصلحة المسيحيين ٤٠٩
٤٥.الأمر الملكي الصادر سنة ٣١١ ٤١٠
٤٦.مرسوم ميلانو (٣١٣) ٤١١
٤٧.مرسوم قسطنطين لصالح الكنيسة ٤١٣
٤٨.رسالة الإمبراطور قسطنطين إلى البابا لعقد مجمع في روما ٤١٣
٤٩.رسالة الإمبراطور قسطنطين إلى خريستوس لعقد مجمع ٤١٤
٥٠.رسالة قسطنطين إلى سيسيليانوس القرطاجي في إعطاء أموال إلى الكنائس ٤١٦
٥١.رسالة قسطنطين إلى انولينوس، لإعفاء رؤساء الكنائس من الواجبات السياسية ٤١٦
٥٢.رسالة مجمع آرل (نحو ٣١٤) إلى البابا سلفستروس وقوانينه ٤١٧
٥٣.قوانين مجمع انقيرة (نحو ٣١٤) ٤٢١
٥٤.قوانين مجمع قيصرية الجديدة (٣١٥-٣٢٥؟) ٤٢٦
٥٥.قوانين مجمع غنغرة (منتصف القرن الرابع) ٤٢٨
٥٦.قوانين مجمع لاذقية فريجيا (٣٤١-٣٨١؟) ٤٣١
* الإطار التاريخي لمجمع نيقيا ٤٣٩

www.old-criticism.blogspot.com

Q Quasten J., Patrologia, Roma
RevB Revue Bénédictine, Maredsous
RevSR Revue des Sciences Religieuses, Strasbourg
RHE Revue d'Histoire Ecclésiastique, Louvain
RPh Revue de Philologie, de Littérature et d'Histoire Ancienne, Paris
RSLR Rivista di Storia e Litteratura Religiosa, Torino
RSPT Revue des Sciences Philosophiques et Théologiques, Paris
RSR Recherches de Science Religieuse, Paris
RTAM Recherches de Théologie Ancienne et Médiévale, Louvain
SC Sources Chrétiennes, Paris
SE Sciences Ecclésiastiques, Paris
SJT Scottish Journal of Theology, Edinburgh-London
SMSR Studi e Materiali di Storia delle Religioni, Roma
SP Studia Patristica (TU), Berlin
Sq Suivant(s)
VC Vigiliae Christianae, Amestrdam
ZKG Zeitschrift für Kirchengeschichte, Gotha-Stuttgart
ZNW Zeitschrift für die Neutestamentlichen Wiessenschaft und die Kunde der älteren Kirche, Giessen
م.ش.ك حنانيا كساب، مجموعة الشرع الكنسي

SIGLES ET ABREVIATIONS الاختصارات والشعارات

AA-VV Autori Vari, plusieurs auteurs
Aug Augustinianum, Roma
BJR Bulletin of John Rylands Library, Manchester
BLE Bulletin de Littérature Ecclésiastique, Toulouse
Bz Byzantion, Bruxelles
Cf Confère
COD Conciliorum Œcumenicorum Decreta, Bologna
DACL Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, Paris
DTC Dictionnaire de Théologie Catholique, Paris
EO Echo d'Orient, Paris
EThL Ephemerides Theologicae Lovanienses, Gembloux-Louvain
F-M Fliche-Martin., Histoire de l'Eglise, Paris
GLE Grand Larousse Encyclopédique, Paris
Gr Gregorianum, Roma
H-L Héfélé-Leclercq., Histoire des conciles d'après les documents originaux, Paris
HThR Harvard Theological Review, Cambridge
Ib Ibidem, la même place, au même endroit
Id Idem, le même; la même personne
IThQ The Irish Theological Quarterly, Maynooth
JThSt Journal of Theological Studies, London
Mansi Sacrorum Conciliorum nova et amplissima Collectio, Florence-Venise; ou Paris-Leipzig-Arnhem; ou Graz
MC Miscellanea Comillas, Santander-Comillas
MSR Mélanges de Science Religieuse, Lille
NGWG Nachrichten der Gesellschaft der Wissenchaften zu Göttingen, Göttingen
OCP Orientalia Christiana Periodica, Roma
PG Patrologie Grecque, Paris
PL Patrologie Latine, Paris
POC Proche Orient Chrétien, Jérusalem; Beyrouth

www.old-criticism.blogspot.com

BATIFFOL P., Les sources de l'histoire du concile de Nicée: EO 24 (1925). 385-402; 26 (1927). 5-17.

Id., LA passion de St. Lucien d'Antioche. Les comptes rendus du deuxième congrès scientifique des catholiques. Paris 1891.

BAUER W., Orthodoxy and Heresy in Earlist Christianity. London 1972.

BELLINI E., Alessandro e Ario. Milano 1974.

BERNOULLI C., Das Konzil von Nicœa. Leipzig 1921.

BETTENSON H., Documents of the Christian Church. Oxford 1963.

BIHLMEYER K - TUECHLE H., Storia della Chiesa. 4 volumes. Roma 1972.

BOULARAND E., Les débuts d'Arius: BLE 65 (1964). 175-203.

Id., Denys d'Alexandrie et Arius: BLE 67 (1966). 161-169.

Id., L'hérésie d'Arius et la "Foi" de Nicée. Paris 1972-1973.

BOUYER L., Omoousios. Sa signification historique dans le symbole de la foi: RSPT 30 (1941-42). 52-62.

BOYER C., Il concilio di Nicea e il dogma della santissima Trinità: Divinitas 5 (1961). 218-227.

BRAUN O., De S. Nicœna synodo, syrische Textee. 1898.

BREAM H-N., On a Preposition in the Nicene Creed: Lutheran Quarterly 9 (1957). 250-253.

BREHIER E., Les idée philosophiques et religieuses de Philon d'Alexandrie. Paris 1950.

BREKELMANS A., Professione di fede nella Chiesa antica. Origine e funzione: Concilium 7 (1971). 48-58.

BROUNOFF N., L'église de Sainte-Sophie de Nicée: EO 24 (1925). 471-481.

BRUYNE (DE) D., Deux lettres inconnues de Théognius l'évêque arien de Nicée: ZNW 28 (1928). 106-110.

BURN A-C., The Council of Nicea. London 1925.

CAMELOT P-Th., "Symbole de Nicée" ou "Foi de Nicée"?: OCP 13 (1947). 425-433.

CAMELOT P-Th. - MARAVAL P., Les conciles œcuméniques. Le premier millénaire. Paris 1988.

CARPENTER H-J., Creeds and Baptismal Rites in the first four Centuries: JTS 44 (1943). 1-11.

CASTRITIUS H., Studien zu Maximinus Daia. Kallmunz 1969.

CATANDELLA Q., Intorno al terzo canone di Nicea: Atti dell'Accademia delle Scienze di Torino 103 (1969). 397-421.

BIBLIOGRAPHIE المراجع والمصادر

AA-VV., Arianism. Historical and Theological Reassessments. Philadephia 1985 (with ample Bibliography).

AA-VV., Conciliorum Œcumenicorum Decreta. Bologna 1991 (avec ample bibliographie).

AA-VV., Nuova storia della Chiesa. 5 volumes. Torino 1970 sq.

AA-VV., Politique et théologie chez Athanase d'Alexandrie. Paris 1974.

ALBERIGO G., Storia dei concili ecumenici. Brescia 1990.

Id., Les conciles œcuméniques. 3 volumes. Paris 1994.

ALES (D') A., Le lendemain de Nicée: Gr 6 (1925). 489-536.

Id., Le dogme de Nicée. Paris 1926.

ARNOU R., Arius et la doctrine des relations trinitaires: Gr 14 (1933). 268-272.

AUBINEAU M., Les 318 serviteurs d'Abraham (Gen. 14/14) et le nombre des Pères au concile de Nicée: RHE 61 (1966). 5-43.

BADCOCK F-J., The "catholic" baptismal Creed of fourth Century: RB 45 (1933). 292-311.

BARDY G., Le symbole de Lucien d'Antioche et les formules du synode In Encaeniis (341): RSR 3 (1912). 139-155.

Id., La Thalie d'Arius: RPh 53 (1927). 211-233.

Id., La politique religieuse de Constantin après le concile de Nicée: RevSR 8 (1928). 516-551.

Id., Le souvenir d'Arius dans le Prœdestinatus: RevB 40 (1928). 256-261.

Id., Fragments attribués à Arius: RHE 26 (1930). 253-268.

Id., Saint Lucien d'Antioche et son école: les collucianistes: RSR 22 (1932). 437-462.

Id., La réitération du concile de Nicée (327): RSR 23 (1933). 430-450.

Id., Recherches sur Saint Lucien d'Antioche et son école. Paris 1936.

Id., L'Occident en face de la crise arienne: Ir 16 (1936). 385-424.

Id., L'Occident et les documents de la contreverse arienne: RSR 20 (1940). 28-64.

Id., Saint Athanase. Paris 1925.

BARNARD L-W., The antecedents of Arius: VC 24 (1970). 172-188.

Id., Two Notes on Athanasius: OCP 41 (1975). 344-356.

www.old-criticism.blogspot.com

CAYRE A., Patrologie et histoire de la Théologie. 2 volumes. Paris 1945.

CHADWICK H., Les 318 Pères de Nicée: RHE 61 (1966). 801-811.

Id., Faith and Order at the Council of Nicaea. A Note on the Background of the Sixth Canon: HTHR 61 (1960). 171-195.

CLERCQ (DE) V-C., Osius of Cordova. Washington 1954.

CREEHAN J., Early Christian and the Creed. A study in antenicene Theology. London 1950.

CROSS F-L., The council of Antioche in 325 A.D.: Church Quarterly Review 128 (1939). 49-76.

CROUZEL H., Les "digamoi" visés par le concile de Nicée dans son canon 8: Aug 18 (1978). 533-546.

Id., Le remerciement à Origène de saint Grégoire le Thaumaturge. Son contenu doctrinal: SE 16 (1964). 59-91.

CULLMANN O., Les premières confessions de foi chrétienne, en la Foi et le culte de l'Eglise primitive. Neuchâtel 1936. 47-88.

DALMAU J-M., El Homoousios en el concilio de Antioquia del año 268: MC 34 (1960). 323-340.

DANIELOU J., Message évangélique et culture hellénique aux II-IIIème siècles. Paris 1961.

Id., Théologie du Judéo-Christianisme. 3 volumes. Paris 1958-1978.

Id., Philon d'Alexandrie. Paris 1958.

DAUMAS F., Œvres de Philon. Paris 1964.

DAUNOY F., La question pascale au concile de Nicée: EO 24 (1925). 424-444.

DAVIS L-D., The First Seven Ecumenical Councils (325-787). Their History & Theology. Collegville 1990.

DENZINGER H - SCHÖNMETZER A., Enchiridion Symbolorum definitionum et declarationum de Rebus Fidei et Morum. Roma 1973.

DESTERNES S., Petite histoire des conciles. Paris 1962.

DEVRESSE R., Le patriarcat d'Antioche depuis la paix de l'Eglise jusqu'à la conquête arabe. Paris 1945.

DICTIONNAIRE DE DROIT CATHOLIQUE.

DICTIONNAIRE DE THEOLOGIE CATHOLIQUE.

DOMINICIS M., Un intervento legislativo di Costantino in materia religiosa: Revue internationale des droits de l'antiquité 10 (1963). 199-211.

DORRIES H., Das Selbstzeugnis Kaiser Konstantius. Göttingen 1954.

DOSSETTI G-L., Il simbolo di Nicea e di Costantinopoli. Edizione critica. Roma-Freiburg 1967.

DUMEIGE G., Textes doctrinaux du Magistère de l'Eglise sur la foi catholique. Paris 1991.

DUPONT C., Les privilèges des clercs sous Constantin: RHE 62(1967). 729-752.

DURAND M., Un document sur le concile de Nicée: RSPT 50 (1966). 615-627.

DURENGUES A., Le livre de saint Phébade contre les Ariens. Agen 1927.

DUVAL Y.M., Une traduction latine inédite du Symbole de Nicée et une condamnation d'Arius à Rimini: RB 82 (1972). 1-25.

DVORNIK F., Histoire des conciles (de Nicée à Vatican II). Paris 1961.

ENCYCLOPEDIE CATHOLIQUE.

EUSEBE DE CESAREE., Histoire de l'Eglise. SC 31, 41, 55, 73.

FERRUA A., Antichità cristiana. Gli anatemi dei padri di Nicea: Civittà cattolica 4 (1957). 379-387.

FLICHE A - MARTIN V., Histoire de l'Eglise. Depuis les origines jusqu'à nos jours. Paris 1934 sq.

FORDEVILLA J., Ideas trinitarias y cristologicas de Marcelo de Ancira. Madrid 1953.

GALTIER P., Les canons pénitentiels de Nicée: Gr 29 (1948). 288-294.

GAUDEMET J., La législation religieuse de Constatin: Revue d'Histoire Ecclésiastique de France 33 (1947). 25-61.

GEERARD M., Clavis Patrum Græcorum. Turnhaut 1980.

GELZER H., Patrum Nicœnorum nomina. Lipsiæ 1898.

GESCHE A., L'âme humaine de Jésus dans la christologie du IVème siècle: RHE 54 (1959). 385-425.

GIGLI G., L'ortodossia, l'arianesimo e la politica di Costanzo II (337-361). Roma 1950.

GREGG R-C - GROH D-E., Early Arianism. A View of Salvation. Philadelphia 1981.

GRILLMEIER A., Gesù il Cristo nella fede della Chiesa. 2 volumes. Brescia 1982.

GRUMEL V., Le siège de Rome et le concile de Nicée, convocation et présidence: EO 24 (1925). 411-423.

Id., Le problème de la date pascale au III° et IV° siècle: Bz 18 (1960). 163-178.

GWATKIN H-M., Studies of Arianism. Cambridge 1900.

HAASE F., Die Koptischen Quellen zum Konzil von Nicæa. Paderborn 1920.

www.old-criticism.blogspot.com

HALLEUX (DE) A., La réception du symbole œcuménique, de Nicée à Chalcédoine: EThL 61 (1985). 5-47.

HARL M., Origène et la fonction révélatrice du Verbe Incarné. Paris 1958.

HAURET C., Comment le "défenseur de Nicée" a-t-il compris le dogme de Nicée? Rome 1936.

HEES H., The Canons of the Council of Sardica A.D. 343. A Landmark in the Early Development of Canon Law. Oxford 1958.

HEFELE C-J - LECLERCQ H., Histoire des conciles, d'après les documents originaux. Paris 1907 sq.

HERGENRÖTHER G., Storia universale della Chiesa. 7 volumes. Firenze 1907-1911.

HOLLAND S-J., Constantin the Great. London 1971.

HONIGMANN E., Recherches sur les listes des Pères de Nicée et de Constantinople: Bz 11 (1936). 429-449.

Id., Sur les listes des évêques participant aux conciles de Nicée et de Constantinople: Bz 12 (1937). 323-347.

Id., La liste originale des Pères de Nicée: Bz 14 (1939). 17-76.

Id., The original lists of the members of the council of Nicæa; the Robber Synod & the council of Chalcedon: Bz 16 (1942-43). 20-28.

Id., Une liste inédite des Pères de Nicée: Bz 20 (1950). 63-71.

JANIN R., Etude historique et topographique de Nicée: EO 24 (1925). 482-490.

JOANNOU P-P., La législation impériale et la christianisation de l'empire romain. Rome 1972. 311-476.

JONAS H., La religione gnostica. Torino 1973.

JUGIE M., La dispute des philosophes païens avec les Pères de Nicée: EO 24 (1925). 403-410.

KALSBACH A., Die altchristliche Einrichtungen der Diakonissen. Freiburg 1926.

KANNENGIESSER Ch., Logos et Nous chez Athanase d'Alexandrie: SP 11 (1972). 199-202.

KELLY J., Early christian Creeds. London 1967.

Id., Initiation à la doctrine des Pères de l'Eglise. Paris 1968. 93-261.

Id., I simboli di fede della Chiesa antica. Napoli 1987.

Id., I simboli cristiani primitivi. Roma 1988.

KOCH H., Lo stile delle antiche formule di fede: Ricerche Religiose 5 (1929). 50-59.

LEBON J., Le sort du consubstantiel nicéen: RHE 47 (1952). 485-529; 48(1953). 632-682.

LEBRUN F., Les grandes dates du Christianisme. Paris 1989.

LECLERCQ H., Nicée: DACL 12 (1935). 1179-1232.

Id., Pâques: DACL 13 (1936). 1521-1553.

LEROUX J-M., Athanase et la seconde phase de la crise arienne (345-373): Politique et Théologie chez Athanase. Paris 1974. 145-156.

LEROY-MOLINGHEN A., La mort d'Arius: Bz 38 (1968). 105-111.

LIETZMANN H., Symbolstudien XIII: ZNW 24 (1925). 193-202.

LONGOSZ S., La tradizione nella controversia ariana (318-362). Roma 1979.

LUIBHEID C., Eusebius of Caesarea and the Nicene Creed: IThQ 39 (1972). 299-305.

MAGNIN J-M., Notes sur l'ébionisme: POC 23 (1973). 233-265; 24 (1975). 245-274; 25 (1976). 293-318; 26(1977). 250-276.

MANSI J-D., Sacrorum Conciliorum nova et amplissima Collectio. Florence-Venise 1757-1798.

MARROU H-I., L'arianisme comme phénomène alexendrin: Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres. Paris 1973. 533-542.

MENARD J., La Gnose de Philon d'Alexandrie. Paris 1987.

MESLIN M., Les Ariens d'Occident (335-430). Paris 1968.

Id., Réflexion actuelle sur l'arianisme: Lumière et Vie 20 (1971). 88-103.

METZ R., Histoire des conciles. Paris 1968.

MURRAY J-C., The Status of Nicene Creed as Dogma. Washington 1965.

ORBE A., Hacia la primera teologia de la procession del Verbo. Roma 1958.

Id., Il Cristo. vol. I. Testi teologici e spirituali dal I al IV secolo. Vicenza 1987.

PIETRI Ch., La question d'Athanase vue de Rome (338-360): Politique et Théologie chez Athanase. Paris 1974. 93-126.

PINCHERLE A., Ancora sull'arianesimo e la chiesa africana nel IV secolo: SMSR 29 (1968). 169-182.

POLLARD T-E., LOGOS and Son in Origen, Arius and Athanasius: SP 2 (1957). 282-287.

Id., The Creeds of A.D. 325: Antioch, Caesarea, Nicaea: SJT 13 (1960). 278-300.

Id., The Exegesis of Scripture and the Arian Controversy: BJR 41 (1958). 414-429.

PRESTIGE G-L., Dio nel pensiero dei Padri. Bologna 1969.

QUASTEN J., Patrologia. 3 volumes. Roma 1983.

www.old-criticism.blogspot.com

RASNEUR G., L'Homoiousisme dans ses raports avec l'orthodoxie: RHE 4 (1903). 189-206; 411-431.

REVILLONT E., Le concile de Nicée d'après des textes coptes. Paris 1899.

RICHARD M., Malchion et Paul de Samosate: ETL 35 (1959). 325-338.

Id., Saint Athanase et la psychologie du Christ selon les Ariens: MSR 4 (1947). 5-54.

RICKEN F., Les actes du procès de Paul de Samosate.Etude sur la Christologie du III et IVème siècles. Fribourg 1952.

RIVIERE J., "Trois cent dix-huit". Un cas de symbolisme arithmétique chez S.Ambroise: RTAM 6 (1934). 349-367.

RYRIE C-C., The place of women in the Church. New York 1958.

ROLDANUS J., Le Christ et l'homme dans la théologie dAthanase d'Alexandrie. Etude de la conjonction de sa conception de l'homme avec sa christologie. Leiden 1968.

SALAVILLE S., La fête du concile de Nicée et les fêtes des conciles dans le rit byzantin: EO 24 (1925). 445-470.

SANSTERRE J.M., Eusèbe de Césarée et la naissance de la théorie "césaropapiste": Bz 42 (1972). 131-195; 532- 593.

SAULNIER Ch., La Persécution des chrétiens et la théologie du pouvoir à Rome (I-IV s): RSR 58 (1984). 251-279.

SCHWARTZ E., Acta Conciliorum Œcumenicorum. Berlin 1914 sq.

Id., Das Nicæanum und Konstantinapolitanum auf der Synode von Chalkedon: ZNW 25 (1926). 38-88.

Id., Zur Geschichte des Athanasius: NGWG 29 (1928). 380-386.

Id., Über die Bischoflisten der Synoden von Chalkedon, Nicæea und Konstantinopel. München 1937.

SEEBERG E., Die Synode von Antiochien im Jahre 324-325. Berlin 1913.

SEECK O., Untersuchungen zur Geschichte des nicänischen Konzils: ZNW 17 (1896). 1-71.

SIMONETTI M., La crisi ariana nel IV secolo. Roma 1975.

Id., Il Cristo. vol. II. Testi teologici e spirituali in lingua greca dal IV al VII secolo. Vicenza 1986.

Id., Le origini dell'arianesimo: RSLR 7 (1971). 317-330.

Id., Studi sull'arianesimo. Roma 1965.

Id., La tradizione nella controversia ariana: Augustinianum: 12 (1972). 37-50.

Id., Teologia alessandrina e teologia asiatica al Concilio di Nicea: Augustinianum 13 (1973). 369-398.

SOZOMENE., Histoire de l'Eglise I-II. SC 306.

STEAD G-C., The Platonism of Arius: JThSt 15 (1964). 16-31.

Id., Eusebius and the Council of Nicaea: JThSt 24 (1973). 85-100.

Id., Divine Substance. Oxford 1977.

Id., The Thalia of Arius and the Testimony of Athanasius: JThSt 29 (1978). 20-52.

STUDER B., Dio salvatore nei Padri della Chiesa. Trinità-Cristologia-Sotereologia. Roma 1986.

SZYMUSIOK J-M., Un portrait d'Athanase d'Alexandrie: RSR 35 (1948). 464-468.

TILLEMONT., Mémoires pour servir à l'histoire ecclésiastique des six premiers siècles. Paris. 1701-1709

TIZZANI V., Les conciles généraux. 4 volumes. Paris 1867-1869.

TUILLIER A., Le sens du terme "homoousios" dans le vocabulaire théologique d'Arius et de l'école d'Antioche: SP 3 (1961). 421-430.

TURNER C-H., The history and use of Creeds in the Early Centuries. London 1906.

URBINA (DE) O., La politica di Costantino nella controversia ariana: Studi Bizantini e Neoellenici 5 (1936). 284-288.

Id., Nicée et Constantinople. Paris 1963.

Id., La Pasqua nel pensiero teologico primitivo: OCP 36 (1970). 443-453.

Id., El simbolo niceno. Madrid 1947.

VRIES (DE) W., Orient et Occident. Les structures ecclésiales vues dans l'histoire des sept premiers conciles œcuméniques. Paris 1974.

WALKER G-S., Osius of Cordova and the Nicene Faith: SP 9 (1966). 316-360.

WILES M-F., In Defence of Arius: JThSt 13 (1962). 339-347.

WOLFSON H-A., La filosofia dei Padri della Chiesa. Brescia 1978.

WYSS B., La Thalia di Ario: Dioniso 37 (1963). 241-254.

ZEILLER J., Arianisme et religions oriontales dans l'Empire romain: RSR 18 (1928). 73-86.

www.old-criticism.blogspot.com

اثناسيوس الكبير، الشهادة لألوهية المسيح (ضد الآريوسيين) المقالة الأولى. تعريب صموئيل كامل ونصحي عبد الشهيد. القاهرة ١٩٨٤.

اثناسيوس الكبير، المقالة الثانية ضد الآريوسيين (الشهادة لألوهية المسيح). تعريب صموئيل كامل عبد السيد ونصحي عبد الشهيد. القاهرة ١٩٨٧.

اثناسيوس الكبير، المقالة الثالثة ضد الآريوسيين (الشهادة لألوهية المسيح). تعريب مجدي وهبة صموئيل ونصحي عبد الشهيد. القاهرة ١٩٩٤.

اوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة. ترجمة مرقص داود. القاهرة ١٩٧٩.

بسترس كيرلس، الغنوصية: المجلة الكهنوتية ١-٢ (١٩٩٦). ٣-١٦.

توتل فردينان، التذكار المئوي السادس عشر للمجمع المسكوني النيقاوي الأول: المشرق ٢٣ (١٩٢٥). ٤٨١-٤٩٨.

رستم أسد، أنطاكية، كنيسة مدينة الله العظمى. ٣ مجلدات.

عون ميشال، البدعة الآريوسية: المجلة الكهنوتية ١-٢ (١٩٩٦).٤٠-٤٦.

كساب حنانيا، مجموعة الشرع الكنسي، أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة. بيروت ١٩٨٥.

كمبي جان، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة. بيروت ١٩٩٤.

يتيم ميشيل – ديك أغناطيوس، تاريخ الكنيسة الشرقية. جونية ١٩٩١.

تقديم

كنّا قد منّينا النفس أن يُطبع هذا المجلد الثاني، من سلسلة "تاريخ المجامع المسكونية والكبرى"[١] _ وهو الكتاب الخاص بالمجمع المسكوني الأول، مجمع نيقيا الأول، المنعقد عام ٣٢٥- قبل هذا الميعاد بزمن بعيد. ولكن الزمن الذي نعبره الآن زمن مقدس، أو بالأحرى إن كل زمان مؤات... ثم إن السفر الذي خضنا غماره، داخل تجاويف التاريخ الكنسي والمجمع النيقاوي الأول، لم يكن سوى صورة طبق الأصل، للعديد من "المشاوير" التي يجتازها الإنسان يومياً في الحياة... كانت طرق سفرنا في أعماق تاريخ هذا المجمع، مليئة بالتعرجات، ملتوية، صاعدة، نازلة... وكانت رحلتنا أحياناً شاقة، ولكنها شيقة، وأحياناً مضنية، ولكنها مليئة بالتعزيات... فهي ظلّت دوماً، بالنسبة إلينا، رحلة سياحية، أو رحلة استكشاف تمر في جوف التاريخ الممزوج باللاهوت. فكلما اكتشفنا واقعة أو مشهداً، أو مكاناً أو شخصية... كنا نراقبها ونرصدها ونصورها، ونأخذ المعلومات الكاملة عنها. وبعد أن نكون قد محّصناها وتفحّصناها بدقة، ننتقل إلى مرحلة أخرى، وهكذا دواليك، فنخرج دائماً منها، بنتائج متنوعة ومفيدة، وإن كانت أحياناً محزنة، ولكنه الواقع... وكثيراً ما عانينا الحيرة، غير عارفين أين نحط رحالنا؟ أو أين هي حدود الرضى؟... وهدفنا الذي وضعنا نصب أعيننا، هو سعينا إلى إحكام عملنا، وتهيئته بإتقان، والإحاطة بكل الجوانب...

أخيراً، وبعد أن غصنا وغطسنا في أعماق التاريخ، استطعنا أن نخرج إلى الهواء الطلق، وأن نحصد ونقطف ثمار ما كنا قد زرعنا، بعدما قمنا تقريباً بكل ما يلزم، ملتزمين في المطلق، متطلبات البحث الدقيق، لنقدم هذا الكتاب، الذي يرسم صورة كافية وافية عن الجو العام، أي الإطار السياسي والديني والاجتماعي، لما قبل المجمع وبعده، وعرض أحداث جلساته وجدول أعماله، وكل ما جرى بين الآباء، والقرارات والنتائج التي صدرت عن هذا المجمع المسكوني الأول، الهام جداً في

١ صدر المجلد الأول في تشرين الثاني من عام ١٩٩٦، بعنوان :"مدخل إلى المجامع المسكونية". توزيع المكتبة البولسية.

www.old-criticism.blogspot.com

تاريخ الكنيسة، وفي تاريخ المجامع ككل. وكل ذلك، كي يتسنى للقارئ أن يغوص في هذه الأجواء الملبدة، ويفهم، ولو فكرياً، المُناخ الذي أحاط بالمجمع، وهيمن على عقلية الأشخاص الذين عاصروه، والذين سيّروا دفة القيادة فيه، وأولئك الذين عايشوا نتائجه.

هي، في الواقع، حقبة زمنيّة هامة جداً، من تاريخ المجامع وتاريخ الكنيسة المسيحية، إذ إنها تكشف عن أجواء القرون الأربعة الأولى بعد المسيح. وتعود هذه الأهمية إلى أن الكنيسة اعتبرت مجمع نيقيا أساساً ونموذجاً، ولا زالت حتى اليوم تتمثل به، وتبني لاهوتها على أساس العقيدة الخريستولوجية التي أثبتها. ولعل الأمر الأهم، هو أن هذا الحدث التاريخي، جرى قبل أن تنقسم الكنيسة على ذاتها، بحيث إننا ولو اختلفنا، فيما بعد، على بعض الآراء أو، ربما، على بعض العقائد، نبقى كنيسة واحدة، ذات أسس واحدة مشتركة، ونظل أبناء الله الواحد، وإخوة المسيح يسوع، نحيا بالروح القدس "الحاضر في كل مكان والمالئ الكل". وفي النهاية، يبقى قانون الإيمان الذي أصدره مجمع نيقيا، إيمان الجماعة المسيحية ودستورها. وهذا ما يجب أن يجمعنا، لا أن يُفرّقنا.

في هذا المجلد بالذات، حاولنا إرساء القواعد المتينة، لمن يرغب في متابعة البحث والتنقيب والتخصص، لذا أوردنا كل المراجع والمصادر التي استخدمناها، أو التي نعرفها، كي يتأكد القارئ من صدق مقالنا من جهة، ولكي نتيح له تعمقاً أوسع، من جهة أخرى. حاولنا على كل حال، أن نُغني القارئ العربي، عن العودة إلى المراجع الأساسية، التي هي أجنبية اللغة في غالبيتها، إذ إن مكتبتنا العربية تشكو من نقص خطير، في هذا المجال العلمي بالذات. وغالباً ما اضطررنا إلى العودة إلى عدد كبير من المعاجم والمؤلفات المختصة، لشرح بعض المفردات الخاصة بالموضوع، أو لترجمة سيرة بعض الشخصيات الهامة المغمورة، أو لتفصيل بعض الكلمات الأعجمية الغريبة...

لم يقتصر عملنا فقط على المجمع النيقاوي، وإنما سلطنا الأضواء على اللوحة بأكملها، فاتبعنا التسلسل التاريخي والتدرج الزمني، وشددنا على المرحلة السابقة لمسألة آريوس وعلى العلاقات بين الوثنية واليهودية والمسيحية وعلى الدور الذي لعبته الإمبراطورية الرومانية آنذاك، وحاولنا استيعاب العلاقات البشرية: الثقافية

الروحية، أو الدينية والاجتماعية، وأخذنا بعين الاعتبار، الفروقات الاتنية بين السريانية الآرامية، والهلّينية اليونانية، والتأثير المتبادل بينها... وقد عرضنا المشكلة اللاهوتية حول "اللوغوس"، وربطناها بالنظريات الفلسفية اليونانية السابقة، وتتبعنا المسيرة التاريخية حتى وفاة الإمبراطور كونستانس الثاني (†٣٦١)، ووصول يوليانوس إلى الحكم، مركزين على الناحية الدينية الكنسية.

يتبع محتوى المجلد الثاني المخطط التالي : في المقدمة، نعرض بإيجاز تاريخ الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى، ونبرز التطور اللاهوتي البطيء فيها، يلي ذلك أربعة فصول، ترسم أبعاد المجمع المسكوني الأول، وتوضح معالمه ونتائجه: فالفصل الأول يعرض التكوين الفكري الفلسفي، والديني اللاهوتي (يحضّر فلسفياً ولاهوتياً) لآريوس؛ بينما يعطي الفصل الثاني، أسباب الدعوة إلى المجمع، ومشكلة آريوس بكامل تفاصيلها. ويسلط الفصل الثالث الأضواء على المجمع بحد ذاته، وعلى تفاصيل كل ما جرى فيه، والمواضيع الأساسية والثانوية التي تناولها، والقوانين والقرارات التي ثبتها، قبل أن ينحل عقد الآباء. أما الفصل الرابع بعنوان "مجمع نيقيا علامة تناقض"، فيعرض المقاومة العنيفة التي لقيها هذا المجمع، ثم الانقسامات التي جرت على إثره والتحالفات التي تلته. وتختم الكتاب، خلاصة عن أهمية هذا المجمع، وأثره في الكنيسة (والليتورجيا) وفي الدولة. وألحقنا كتابنا بالوثائق الرسمية وشبه الرسمية، وغيرها من الوثائق والمستندات، المتعلقة بكافة المواضيع الخاصة بمجمع نيقيا الأول، من قريب أو من بعيد. ولا نجد ضرورة للتشديد، على أهمية مثل هذه الوثائق للتاريخ والتشريع.

أملنا أن يحقق هذا المجلد غايته، ألا وهي نظرة صحيحة إلى تاريخ الكنيسة، وتفصيل غوامض ما جرى في المجمع، بكل نزاهة وموضوعية، علّ ذلك يؤدي إلى إعادة العلاقات بين الكنائس، ويوثق عراها، ويعيد الاحترام المتبادل بينها، إذ إنها تؤلف جسد المسيح السري الواحد.

المؤلفان

ذكرى أحد آباء مجمع نيقيا المسكوني الأول

١١ أيار ١٩٩٧

www.old-criticism.blogspot.com

الإمبراطور قسطنطين الكبير، الداعي إلى المجمع وراعيه

مقدمة

في بيئة يهودية تدعو إلى وحدانية الله الخالق، وأخرى وثنية تقبل بتعدد الآلهة، كان من الطبيعي جداً، أن يبحث المسيحي في فهم إيمانه الذي يقول، في الوقت عينه بالإله الواحد، ويُقرّ بصيغة الأقانيم الثلاثة في هذه الوحدانية[٢]. ولقد حاول الكثيرون ترجمة هذا الإيمان، بالاعتماد على العهد القديم أولاً، وعلى البشارة ثانياً، ومن ثم على لغة عقلانية، ساعين إلى شرح ظاهر التناقض؛ فبرزت في أول الكنيسة التيارات المختلفة التي كادت أن تُودي بها، لولا تمسّك المسؤولين فيها، خلفاء الرسل، بالتعاليم التي ورثوها عن أسلافهم. وكان أغلب الذين تورطوا في مثل هذه التفاسير والشروحات، بعد التيارات المسيحية-المتهودة* ، من النخبة الوثنية المتأثرة بالفلسفة اليونانية[٣].

ظهرت في الكنيسة الواحدة، وخاصة في القرنين الثاني والثالث، في خضم الآراء وبدء مثل هذه الجدالات الفلسفية والمناقشات اللاهوتية، تيارات عديدة وهرطقات مختلفة فرّقت بين المؤمنين، وقسّمت الكنيسة إلى بدع وشيع وجماعات متنازعة فيما بينها[٤]. فانبرى العديد من الآباء القديسين للنضال. فكان عليهم أن

---

٢ في رتبة العماد، كان السر يُعطى "باسم الآب والابن والروح القدس"، على حسب ما طلب يسوع بالذات في إنجيله (راجع متى ٢٨/١٦-٢٠)، فكيف يمكن للمسيحي أن يوفق، في الواقع، بين الإيمان بالرب الواحد الخالق، وبين هذه الصيغة الثلاثية للمعمودية؟ راجع Jedin., 18.

* المسيحية-المتهودة Judéo-chrétienne

٣ في الواقع، كانت بين المنتسبين إلى المسيحية نخبة وثنية مثقفة، معتادة على رهافة الفلسفة اليونانية ودقتها. حاولت هذه النخبة أن تترجم عناصر إيمانها العفوي بلغة عقلانية، فكان من المحتوم أن تظهر الاختلافات في طريقة نقل المحتوى العقائدي الإيماني بتعابير فلسفية. ولكن بقيت هذه النخبة أقلية، بالنسبة للأغلبية الساحقة من المؤمنين الذين لم يشعروا بهذه الاختلافات. Cf. Metz., 18-19; Dvornik., 17-18

٤ الهرطقات التي تفشت في أول الكنيسة كثيرة جداً. ابتدأت مع سيمون الساحر وازدهرت في أجواء الشرق بكثافة الفطر ؛ يمكن مراجعة الهرطقات المعروفة آنذاك، في كتاب القديس ايريناوس عن البدع والهرطقات. ولسوف نذكر بعضاً منها، تلك التي لها علاقة بموضوعنا. Cf. Dellagiacoma V., S.Ireneo contro le eresie. 2 volumi. Sienna 1957; Deiss L., Printemps de la Théologie. Apologistes grecs du IIe siècle. Irénée de Lyon. Paris 1965; De

www.old-criticism.blogspot.com

يحاربوا على جبهتين: جبهة خارجية ضد الوثنيين واليهود، وأخرى داخلية ضد الهراطقة والمبتدعين، ويشرحوا اللاهوت "الأرثوذكسي"، مرتكزين على الكتاب المقدس والتقليد الرسولي. كما نهض الأساقفة يدحضون كل ضلال كان يظهر في مناطقهم، عبر المجامع المحلية والإقليمية. وكانت الكنيسة قد عرفت المؤسسة المجمعية في تلك العصور، أي في الجزء الثاني من القرن الثاني؛ وكان لهذه المؤسسة، الكلمة الفصل في كل هذه النزاعات، كما عملت على التصدي لهؤلاء الهراطقة. فكان لمجمل هذه المجامع وجهة عقائدية، أكثر منها إدارية أو تنظيمية، غايتها عرض عقيدة الإيمان المستقيم المتوارث، وحرم كل مخالف[٥].

١) اللاهوت والحياة المسيحية في القرون الثلاثة الأولى

يخبرنا كتاب أعمال الرسل، كيف قبل اليهود البشارة[٦] بعد حلول الروح القدس على الرسل، لأنهم، في الواقع، كانوا مستعدين لمجيء الماسيا[٧]. وازداد

Labriolle P., Tertullien. De praescriptione haereticarum. Texte latin et traduction française. Paris 1907; Savio C-F., Della prescrizione degli eretici. Varallo 1944.

٥ ينوه اوسابيوس القيصري (٢٦٥-٣٤٠) في "تاريخ الكنيسة" عن عدة مجامع محلية، فيقول مثلاً في حديثه عن مونتانوس ما يلي: "ولكني إذ كنت مؤخراً في أنقرة بغلاطية، وجدت الكنيسة هناك متهيجة جداً بسبب هذه البدعة... لذلك فإننا، على قدر استطاعتنا، وبمعونة الرب، تباحثنا في الكنيسة أياماً كثيرة عن هذه الأمور وغيرها..." (٥ : ٤/١٦)؛ أو "فالمؤمنون في آسيا، لما اجتمعوا في أماكن مختلفة في كل أرجاء آسيا للتفكير في هذا الأمر (موضوع الفصح) وبعد التدقيق ومناقشة الأقوال الغريبة، وأعلنوا فسادها، ورفضوا البدعة. وهكذا أُبعد هؤلاء الأشخاص من الكنيسة، ومُنعوا من الشركة". ٥ : ١٠/١٦.

وفي معرض حديثه عن سيرابيون وكتاباته عن بدعة أهل فريجيا يقول: "وفي نفس خطاب سيرابيون وجدت تواقيع أساقفة عديدين... ثم يضيف ويتضمن نفس الخطاب تواقيع أساقفة آخرين كثيرين متفقين معهم". ٥ : ٣/١٩-٤.

وفي موضوع عودة الهراطقة إلى حضن الكنيسة وكيف عليها أن تقبلهم، نجد ذكراً لعدة مجامع سابقة، في رسالة من ديونيسيوس إلى كبريانوس، تعود إلى منتصف القرن الثالث: "... على ما أعلم أنه صدرت من أكبر مجامع الأساقفة قرارات في هذا الموضوع، تتضمن أن القادمين من الهرطقات يجب تعليمهم، وبعد ذلك يُغسلون ويُنظفون من الخميرة العتيقة الدنسة". ٧ : ٥/٥؛ Cf. Metz., 19

٦ راجع عمل ٤١/٢ و ٤٧؛ ١٤/٥؛ ١/٦.

٧ إذا ما رفض قسم منهم المسيح يسوع وطالبوا بصلبه، فلأنهم، في الحقيقة، كانوا متوقعين، بالأحرى، مخلصاً أرضياً يحررهم من نير الهيمنة الرومانية؛ لذا طالب الشعب مع رؤسائهم ببرأباس الذي كان ثائراً على الرومانيين.

عددهم على إثر شهادة الرسل بأن يسوع هو المخلص المنتظر، هو ذاك المتمم لنبوءة الأنبياء[٨]؛ قبلوه دون تدقيق، ودون بحث عن كنهه وعن علاقته بالله الآب أو بالروح القدس[٩]؛ قبلوه لأنه هو المنتظر؛ وقد برهن عن ألوهيته باجتراحه المعجزات[١٠] وغفرانه الخطايا[١١]، وخاصة بإحيائه الأموات[١٢]، وأكثر من هذا كله، بسبب قيامته، هو نفسه، من بين الأموات في اليوم الثالث[١٣]، بعدما صلبه أئمة اليهود[١٤]. فقد قبلوه وعبدوه كربهم، ووضعوه إلى جانب الله[١٥] الذي شهد له أنه ابنه[١٦].

شعر الكتبة والمسؤولون اليهود[١٧]، بسبب هذا النمو المطرد للمنتسبين إلى المسيحية، وأغلبيتهم الساحقة من اليهود، بخسارة مؤمنيهم، وتحولهم إلى الديانة الجديدة، فحرّضوا الرومانيين عليهم[١٨]؛ وعلى كل حال، لم يكن هؤلاء الرومانيون بحاجة إلى شكاية اليهود، لأنهم كانوا يعتبرون المسيحيين خونة ومعارضين الإمبراطور والحكم: ألا يقدّم هؤلاء الإكرام لإلههم، معرضين عن الإمبراطور الروماني الذي له يحق الإكرام؟ ألم يستعيضوا عن الملك الحاكم، بملكهم وإلههم يسوع المسيح[١٩]؟

٨ هذا ما يبدو واضحاً في إنجيل متى، إذ إنه يبدأ إنجيله بسلالة يسوع: هو من نسل داود كما كُتب؛ وفي نهاية كل خبر يورده، يضيف متى: "كان كل هذا ليتم ما قيل من الرب بالنبي القائل" (٢٢/١) أو "لأنه هكذا مكتوب بالنبي القائل: "وأنت يا بيت لحم..." (٥/٢) أو "لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: "من مصر دعوت ابني" (١٥/٢) أو "حينئذ تم ما قيل بأرميا النبي القائل: "صوت..." (١٧/٢).

٩ راجع عمل ٣٧/٢-٤١.

١٠ راجع متى ٤/١١-٦.

١١ راجع متى ٢/٩؛ لو ٤٨/٧.

١٢ راجع لو ١١/٧-١٧؛ يو ١/١١-٤٥.

١٣ راجع متى ١/٢٨-٨؛ مر ١/١٦-٨؛ لو ١/٢٤-١١؛ يو ١/٢٠-١٠.

١٤ راجع عظة بطرس الأولى عمل ١٤/٢-٤١.

١٥ راجع عمل ٥٦/٧.

١٦ راجع متى ١٧/٣؛ يو ٣٢/١-٣٤.

١٧ لعب يهود الشتات دوراً هاماً في تعزيز هذه المواقف العدائية نحو المسيحيين وذلك بسبب عدم مقدرتهم على المغفرة لليهود المتنصرين الذين جحدوا إيمان آبائهم.

١٨ يجدر بنا أن نذكر أن الكنيسة عاشت هذا العداء لليهودية لما شعرت أنها مختلفة عنها، وأن هناك بوناً شاسعاً بين الديانتين؛ ولكن في مرحلة تالية، نرى الكنيسة تعود وتتقرب من اليهودية.

١٩ يبدو أن موقف الرومانيين لم يكن مُركّزاً على المسيحيين فقط، في المرحلة الأولى على الأقل، لأنهم لم يكونوا يميزون بين اليهود والمسيحيين؛ إنما ثارت ثائرتهم على اليهود (ومن ضمنهم المسيحيين)، وعلى

www.old-criticism.blogspot.com

لذا ابتدأت الاضطهادات من الطرفين، ودامت ثلاثة قرون، تحمّل خلالها المسيحيون أمرّ العذابات؛ فعرفت الكنيسة جحافل من الشهداء من جميع الأعمار والأجناس[٢٠]. إلا أن غيرة رسل المسيح وشهادة المسيحيين بغالبيتهم، وثبات الشهداء وصلابتهم في التبشير بالكلمة، وبمثلهم في عيشها، غلبت هذه العداوة والاضطهادات، وقلبت العالم بأسره، نتيجة سير أتباع المسيح على خطى معلمهم، ونشرهم المحبة في كل أرجاء المملكة[٢١]: لقد كانوا في الرجاء فرحين، وفي الشدة صابرين، وعلى الصلاة مواظبين[٢٢]، وللقديسين في حاجاتهم مسعفين[٢٣]، وإلى ضيافة الغرباء مبادرين وللمضطهدين مباركين. ولم يعد عندهم فرق بين يهودي وأعجمي أو يوناني، ولا بين عبد وحر[٢٤]. لقد مهّد عيش المسيحيين حياة كلها التزام وعمل بحسب تعاليم ديانتهم، وانسجامهم معها، وعدم التنكر لها أو مناقضتها، إلى اهتداء عدد أكبر وأشمل، حتى طال الوثنيين أيضاً. وهكذا كان دم الشهداء المسفوك، الماء الذي روى زهرة الإيمان، فأزهرت المسيحية ونمت على أساس متين.

مشت المسيحية خلال هذه القرون الثلاثة الأولى، خطوات جبارة، وعرفت تطورات مهمة، وقفزات كمية ونوعية: ففي مرحلة أولى، لم يكن يشعر المنتسبون إليها، أنهم يؤلفون كنيسة مختلفة عن الديانة اليهودية، لذا كنت تجدهم يرتادون الهيكل مع اليهود، ويصلّون معهم؛ ثم يتجمعون في أحد المنازل ليسمعوا تعليم الرسل، وشهادتهم حول شخص يسوع المسيح وتعاليمه، ويكسروا الخبز معاً، بعد العشاء[٢٥]، بناءً على وصية يسوع، وكما فعل قبل ذهابه إلى الآلام[٢٦]. ويقول لنا

الوثنيين غير الرومانيين، لأنهم كانوا يُشكّلون، حسب رأيهم، قوة اجتماعية واحدة، برفضهم ديانة الإمبراطورية، وهذا حسب رأيهم، رفض للدولة نفسها. نرى الإمبراطور كلوديوس مثلاً، يتهم في وثيقة له يهود الإسكندرية؛ أنهم يُدخلون نوعاً من الوباء إلى كل الإمبراطورية؛ والوباء المقصود هنا هو انتشار الإنجيل.

٢٠ يكفي أن نراجع سنكسارات كل كنيسة، لنقدّر جسامة هذه الاضطهادات، وعدد الشهداء، مدة هذه القرون الثلاثة الأولى.

٢١ راجع ١قور ١٢/٤؛ ٢قور ١٢/٤؛ ٤/٦-١٠.

٢٢ راجع روم ١٣/١٢.

٢٣ راجع روم ٢٦/١٥.

٢٤ راجع ١قور ١٢/١٢.

٢٥ راجع عمل ٤٦/٢.

٢٦ راجع لو ١٤/٢٢-٢٠.

كتاب أعمال الرسل إنهم كانوا يعيشون، وكأن لهم قلباً واحداً ونفساً واحدة؛ كانت الأموال مشتركة فيما بينهم؛ وكان الأغنياء يبيعون ممتلكاتهم بملء إرادتهم، ويلقون أثمانها عند أقدام الرسل، لتوزع على الفقراء والمحتاجين[٢٧]؛ وكان معظمهم من اليهود، من سكان فلسطين الناطقين بالآرامية، يرئسهم يعقوب بن حلفى نسيب الرب. ثم ما لبث أن انضم إليهم في مرحلة ثانية، جماعة أخرى من اليهود المغتربين، ممن حضروا من المهجر، واستقروا في المدينة المقدسة، وكانوا يتكلمون اليونانية. ولقد حصل خلاف بين هذين الطرفين على ما يخبرنا كتاب أعمال الرسل نفسه[٢٨]، مما اضطر الكنيسة إلى عقد اجتماع لحل المشكلة العالقة بينهما.

تمّ، في نهاية هذه المرحلة، نوع من التحرر من اليهودية بشكل عام ومن عاداتها وقوانينها ومن شريعة موسى الصارمة بشكل خاص؛ فقد شعر المسيحيون بضرورة التصرف بطريقة مختلفة، فكان مجمع أورشليم حوالي سنة ٤٩، البادرة الواضحة لمسار الكنيسة هذا. وذلك ما أسهم في انعزالهم، وفي تكثيف حسد الطبقة الشعبية تجاههم؛ ويُبرز لنا كتاب الديداخيه[٢٩] بكل وضوح، هذا التنكر للديانة اليهودية، والرغبة في الابتعاد عنها بكل الوسائل الممكنة، فيقول مثلاً: "لا تصوموا في الوقت الذي يصوم فيه المراءون، إنهم يصومون يومي الاثنين والخميس. صوموا أنتم يومي الأربعاء والجمعة..."[٣٠].

وفي مرحلة تالية أخرى، وعلى إثر خراب أورشليم للمرة الأولى، سنة ٧٠، على يد الإمبراطور تيطس، تفرّق شمل المسيحيين، فلجأوا إلى البلدان المجاورة،

٢٧ راجع عمل ٣٤/٤-٣٥.

٢٨ راجع الفصل السادس من أعمال الرسل. ومن الجدير بالذكر أن مشكلة شد الحبال بين الثقافة السريانية والثقافة اليونانية، ستبقى حتى القرن الحالي، حيث نجد مناطق تتكلم العربية بأغلبيتها، ويرأسها أسقف يوناني الأصل، لا يعرف أحياناً حتى لغة الشعب.

٢٩ الديداخيه Didaché هو كتيب لمؤلف مجهول من أعيان كنيسة أنطاكية، على ما يبدو، عاش ما بين عام مئة ومائة وخمسين. مضمونه مهم جداً، لأنه مختصر التعليم المسيحي الواجب تلقينه على الراغبين في اعتناق دين المسيح، ويعطينا فكرة عن الكنيسة وإدارتها في تلك الفترة، ويشرح خاصة طريقة صلواتها الليتورجية، وكيفية منحها الأسرار الإلهية. النص مطبوع بأكمله بالعربية: الديداخيه، (سلسلة أقدم النصوص المسيحية -النصوص الليتورجية رقم ١). ترجمة الأبوين جورج نصور ويوحنا تابت. الكسليك ١٩٧٥.

٣٠ المرجع السابق رقم ١/٨.

www.old-criticism.blogspot.com

نعني سوريا ومصر والعراق والرها، ومنها إلى بلاد الهند من جهة، وإلى روما والغرب من الجهة المقابلة؛ وحيثما حلّوا كانوا يتابعون تبشيرهم، حتى "للأمم" غير اليهودية. وأُعيدت الكرة وتهجر المؤمنون عام ١٣٠، أيام الإمبراطور ادريانوس، عندما سحق هذا الأخير، تمرد باركوكبا*، ودمر أورشليم برمتها، ولم يترك فيها حجراً على حجر، وشرد أهلها بمن فيهم المسيحيين أيضاً.

دعا هذا الانتشار إلى توسع دائرة التبشير، مما فرض على بعض الرسل، كتابة سيرة حياة يسوع وفق طلب المنتسبين الجدد، فدوّنوها كما عرفوها مع تفصيل أعماله وكما رأوها وعايشوها، فظهرت الأناجيل. ولعل أول كتابة "لاهوتية حقيقية" دُونت آنذاك، هي إيمان يوحنا الحبيب، ذاك الإيمان الذي عاشه زمن يسوع على الأرض، ثم اختمر فيه بعد العنصرة، وخاصة أوقات الشدة والضيق التي عرفها، فكان لنا إنجيله وكتاب الرؤيا، زبدة عيشه المسيحية بكل معناها.

هذا، ودفعت الأحداث التاريخية والمشاكل الاجتماعية والدينية التي عرفها المسيحيون آنذاك، الرسل وخاصة بولس الذي انضم إليهم فيما بعد، وبشّر بنشاط في أماكن عدة، إلى كتابة الرسائل إلى المؤمنين في العواصم الكبرى، لدعمهم وتشديد عزائمهم، وتفصيل بعض الأمور العقائدية والاجتماعية المبهمة. ومن بعد الرسل ظهرت كتابات خلفائهم التي تحتوي على نصح وإرشاد وهداية وتوطيد في الإيمان وحلّ للخلافات، وهي ما يُعرف بأدب الآباء الرسوليين[٣١]. وفي هذه الكتابات بالذات، نجد تعمقاً أكبر في الإيمان المسيحي من الناحية اللاهوتية؛ علماً أن المسيحيين لم يكونوا في كل تلك الفترة، في وضع يسمح لهم بالتفكير اللاهوتي العميق، وبالتفلسف على الديانة؛ فكانوا، بالأحرى، يعيشون ذلك الإيمان بقلبهم وعاطفتهم، بحسب تقليد آبائهم، لأنه متأصل في داخلهم، ولم يكونوا بحاجة إلى براهين كي يقبلوا به؛ وكانت أعمالهم وتصرفاتهم اليومية، ومحبتهم بعضهم لبعض

* باركوكبا Bar Kokba

٣١ الآباء الرسوليون هم مجموعة من الكتّاب المسيحيين، كانت لهم علاقات مباشرة مع الرسل، أو على الأقل، يُفترض أنهم كانوا على علاقة بهم. نذكر بعضاً منهم في تلك الفترة، أمثال اغناطيوس أسقف أنطاكية († ١٠٧) الذي ترك لنا قبل استشهاده، سبع رسائل هامة؛ وبوليكربوس أسقف ازمير (†١٥٥) الذي تدخل مباشرة في موضوع تاريخ عيد الفصح، وترك لنا أيضاً رسالة إلى أهل فيليبي؛ واكليمنضوس أسقف روما († ٩٧)؛ وبابياس أسقف جرابلس وتلميذ يوحنا.

وللآخرين، هي الدليل الساطع على إيمانهم، وعلى انتمائهم لهذه الرسالة السماوية، رسالة المسيح، رسالة المحبة والتضحية[٣٢].

اصطدم اليهود والرومانيون بالديانة المسيحية الجديدة، التي كانت تعاندهم وتتصدى لهم، وتخالفهم الرأي، وتفضح أعمق أسرار ديانتهم، أي كينونة تعاليمهم الدينية، وتجردها من معانيها؛ ومن جهة أخرى، وبسبب الاضطهادات، واجه الوثنيون، بنوع خاص، "سرية" هذه الديانة، ولم يتمكنوا من فقه كنهها وجوهرها؛ فراحوا، واليهود معهم، يُلصقون بها شتى أنواع الاتهامات وأشنعها، سواء عن عدم معرفة أو عن جهل، أو عن سوء نية. فقام الأساقفة، خلفاء الرسل، وبعض الآباء القديسين، في القرن الثاني، يتصدّون لتلك الاتهامات الجمّة، التي كان اليهود والرومانيون يلصقونها بالمسيحيين، ويدافعون عن الإيمان، ويشرحون معتقداتهم المسيحية، ويفصّلون تصرفاتهم، ويبررون ما يقومون به من طقوس ورتب، مما دفعهم إلى التعمق أكثر في لاهوت المسيح.

ومنذ ذلك الحين بدأت الكنيسة تعرف وتخرّج لاهوتيين ومفسرين... وكان همّ الجميع إيضاح عقيدة المسيحية، في مواجهة اتهامات اليهود والوثنيين لها، فبرز من هؤلاء، ثيوفيلوس أسقف أنطاكية († ١٨١)، والفيلسوف يوستينوس الشهيد (†حوالي ١٦٥)، واثيناغوراس (†حوالي ١٧٧)، وتاتيانوس (†حوالي سنة ١٦٩)، وابوليناريوس، أسقف هيرابوليس في فريجيا (†حوالي سنة ١٧٠). كما برز القديس ترتليانوس (†حوالي ٢٢٠) في أفريقيا، وايريناوس (†٢٠٨) أسقف ليون في الغرب، وايبوليتوس الروماني († ٢٣٥) وسواهم، ممن سخّروا قواهم للدفاع عن المسيحيين، والوقوف في وجه كل من تجاسر وعلّم بغير ما تعلّمه الكنيسة، أو اتهمها بما ليس فيها. وقد ترك لنا هؤلاء أدباً مميّزاً، عُرف فيما بعد باللاهوت الدفاعي[٣٣]، كان على شكل مناظرات دفاعية، يمكن تشبيهها بنموذج حديث

٣٢ كان المسيحيون ينتظرون عودة المسيح الحي كما علمهم الرسل، لذا ظهرت فيما بينهم بعض جماعات متطرفة، دعت إلى حياة تقشف قاس، وإلى تفضيل العزوبية على الزواج، وما إلى ذلك من تضحيات، بانتظار عودة المسيح. فانتسب إليها العديدون من المؤمنين المتزمتين، الخائفين من الحياة المستقبلية . لكننا لن ندخل هنا في تفصيل مثل هذه الأحزاب أو البدع، إنما نحن نتكلم الآن عن المؤمنين بشكل عام.

٣٣ اللاهوت الدفاعي Théologie apologétique : ازدهر خصوصاً في القرن الثاني والثالث. راجع اسد رستم، آباء الكنيسة. القرون الثلاثة الأولى. منشورات النور ١٩٨٣. ويدعو أسد رستم هؤلاء الآباء بالمناضلين. Altaner., 60-80; Q., I. 166-223.

www.old-criticism.blogspot.com

الشهيد الأول اسطفانوس[٣٤]، إذ أعطت الظروف الجديدة شكلاً واضحاً للأدب المسيحي، خاصة بعد بروز عدد وفير من الذين أتقنوا البحث العلمي ومنهجيته؛ فبدأت المسيحية الخطوة الأولى، في تقاربها من التيارات الفلسفية المعاصرة، لتقدم أفكارها حسب معطيات الثقافة الرفيعة، دون أي "توثن*" في نقاط الإيمان الجوهرية. وكانت أغلب هذه الكتابات موجهة، بالإجمال، إلى الأباطرة الرومانيين، وخاصة إلى المثقفين الوثنيين واليهود الذين ذهل بعضهم أمام تعاليم المسيحية وسموّها، فيما تعنّت البعض الآخر في معاداتها[٣٥].

عرفت كل من أنطاكية والإسكندرية، في تلك الفترة أيضاً، مدرستها اللاهوتية الهامة، فكان لهما الدور الفعّال في تطور اللاهوت والتعمق فيه، وفي توجيه العلوم اللاهوتية باتجاه معين؛ ومع مدرسة أنطاكية وخاصة الإسكندرية، عرف اللاهوت تطوراً مهماً وقفزات نوعية، فقد أُدخلت عليه المنهجية والتنظيم وشيئاً من المدرسية. ونذكر من آبائهما اللاهوتيين بانتينوس († حوالي سنة ٢٠٠) مؤسس مدرسة الإسكندرية، ولوكيانوس († ٣١٢) رئيس المدرسة الأنطاكية. وتطول بنا اللائحة إذا ما تابعنا مسيرة اللاهوت في القرن الثالث، إذ نجد لاهوتيين عظماء ونافذين، أمثال ترتليانوس الشهيد († بعد ٢٢٠)، وسيستوس الأفريقي († بعد ٢٤٠)، واوريجانوس († ٢٥٤)، ونوفاتيانوس († نحو سنة ٢٥٥)، وديونيسيوس الكبير († ٢٦٤/٢٦٥)، وبانفيليوس القيصري († ٣٠٩)، واوريجانوس الصغير، الذي يُلقب أيضاً ببياريوس († بعد ٣٠٩)، وبطرس الإسكندري († ٣١١)، وغيرهم.

وعاشت الكنيسة، إضافة إلى هذه المبادرات الفردية الشجاعة والحماسية، مبادرات جماعية مشابهة، تمثلت في اجتماعات قطرية أو إقليمية بين الأساقفة[٣٦]، لتدارس بعض أمور العقيدة، أو تسوية بعض الخلافات، أو القضاء على بدعة أو

٣٤ راجع عمل ٧.

* توثن Paganisation

٣٥ Cf. Altaner., 60-63; Q., I. 166-168.

٣٦ لا نعلم بالدقة، مدى اشتراك العلمانيين في مثل هذا المجمع؛ يقول اوسابيوس في هذا الصدد: "فلطالما اجتمع المؤمنون في آسيا، في أماكن مختلفة في كل أرجاء آسيا للتفكير في هذا الأمر، وفحصوا الأقوال الغريبة، وأعلنوا فسادها، ورفضوا البدعة، وهكذا أُبعد هؤلاء الأشخاص من الكنيسة، ومُنعوا من الشركة". اوسابيوس، تاريخ الكنيسة. ٥: ١٦/ ١٠.

انقسام، أو وضع نظام جديد؛ وغالباً ما تمّ عقد مثل هذه الاجتماعات للتباحث في الأفكار الجديدة التي تتعارض مع تقليدها ومع تعاليم الآباء القديسين. فهناك تقليد قديم لعقد مثل هذه الاجتماعات، يرقى إلى عهد الرسل، إنما لن نجد مجمعاً مسكونياً قبل مجمع نيقيا الأول سنة ٣٢٥.

ولا يمكننا أن ننكر ما لهؤلاء الآباء القديسين، وما للمجامع المحلية والسينودسات، من دور هام في تطوير اللاهوت، بالرغم من أن تعاليمهم بقيت محصورة بمناطق محددة جغرافياً[٣٧]؛ فبفضلهم لم تبقَ العقيدة المسيحية جامدة، بل تطورت واتضحت مع تقدم الكنيسة في الزمان؛ ولكن إذا ما ألقينا نظرة سريعة على أهم المؤلفات التي بقيت لدينا، "كالديداخيه" أو "تعليم الرسل الأثني عشر"، أو "التقليد الرسولي"[٣٨] المنسوب إلى ايبوليتوس أو القوانين المنسوبة أيضاً إليه، أو "الديداسكاليا"[٣٩]، أو "قانون الرسل"، أو "الدساتير الرسولية"[٤٠]، أو "قوانين الرسل"[٤١] والكتابات اللاحقة، لوجدنا أن العقيدة المسيحية لم تكن قد توصلت بعد إلى الأشكال الحديثة المنسقة الواضحة، أو المعتمدة على منهجية معيّنة. وما يجب الإقرار به بحق في هذا الصدد هو عدم وجود رؤية واضحة، آنذاك، لأسس

٣٧ وكذلك القول عن الهرطقات التي ظهرت، إذ لم يتسنَّ لها الانتشار، وذلك لأسباب عديدة أهمها الاضطهادات المتتابعة ضد المسيحيين التي دامت زهاء قرون ثلاثة، ومنع بعض الأباطرة اجتماعات المسيحيين، زد إلى ذلك صعوبة المواصلات بين المناطق وبنوع خاص بين الشرق والغرب، وواقع الحالة الاقتصادية؛ هذا لا يمنع أن نجد بعض المبادرات الفردية النادرة كسفر القديس بوليكربوس إلى روما لحل مشكلة عيد الفصح.

٣٨ التقليد الرسولي La Tradition Apostolique؛ يُعدّ هذا الكتاب بعد "الديداخيه" أقدم مؤلف يتحدث عن الأحكام الكنسية والطقسيات في السيامات، والوظائف الكنسية ورتبة إقامة الذبيحة الإلهية ومنح العماد... النص مطبوع بالعربية: أقدم النصوص المسيحية، ضمن سلسلة النصوص الليتورجية ١. تعريب الأبوين جورج نصور ويوحنا تابت. الكسليك ١٩٧٥.

٣٩ الديداسكاليا أو تعليم الرسل الأثني عشر La Didascalie des 12 apôtres et saints disciples de Notre Sauveur ؛ مؤلّف باللغة اليونانية من أوائل القرن الثالث، ذو تأثير مسيحي-متهود؛ لذلك يُعتقد أنه كُتب في فلسطين أو في سوريا. يحتوي على بعض تعليم كنسية وقوانين إدارية.

٤٠ قانون الرسل Canon des Apôtres ؛ هي مجموعة قرارات دُونت في آخر كتاب الدساتير الرسولية Constitutions apostoliques الذي يحتوي على محررات وكتابات قديمة تعطي فكرة عن إيمان الكنيسة ونظامها واحتفالاتها؛ ويُنسب إلى القديس اكليمنضوس أسقف روما، تلميذ الرسل؛ يعود تاريخه إلى نهاية القرن الرابع أو بداية الخامس.

٤١ قوانين الرسل Canons Apostoliques ؛ تُنسب هذه القوانين إلى الرسل ولكنها في الواقع متأخرة التأليف إلى بعد القرن الرابع. يمكنها مراجعتها في الملحق رقم ٤٠.

www.old-criticism.blogspot.com

اللاهوت العقائدي، وخصوصاً حول المسيح وألوهيته، وما يخص أقانيم الثالوث الأقدس، إذ لم تكن الصورة جلية ومتكاملة حينذاك[٤٢].

لقد كان الهدف من كل تلك المبادرات، سواء الفردية أم الجماعية، بلورة ينابيع الإيمان المسيحي. فإيماننا، نحن المسيحيين، لم يعد إيماناً بإله نجهله ونخافه، إنما هو إيمان بإله قد تجسد وسكن فيما بيننا[٤٣]. فواجبنا إظهار المسيح حياً بالروح في الكنيسة وفي الإنسانية والتبشير به كإنسان وإله[٤٤]. من هنا كانت المعضلة الكبرى التي واجهت الآباء القديسين في شرحهم للإيمان المسيحي، فقد توجب عليهم الدفاع عنه إزاء غير المسيحيين، ومقاومة التيارات المسيحية الهرطوقية المتنامية من جهة، كما تحتم عليهم، من جهة أخرى، تثبيت إيمان المسيحيين بيسوع الإنسان-الإله، والسعي الدؤوب إلى إمكانية التوفيق بين العنصرين الإلهي والبشري في شخص المسيح ذاته[٤٥].

"إن الله، بعدما كلم الآباء قديماً بالأنبياء مرات كثيرة بوجوه مختلفة، كلمنا في آخر الأيام هذه بابن جعله وارثاً لكل شيء، وبه أنشأ العالمين"[٤٦]. يصرّح كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن تدبير الخلاص قد تمّ وأُنجز بيسوع المسيح، ابن الله المتجسد، وأن الله لم يعد لديه "كلمة" أخرى يقولها لنا، إنه آخر كلماته، ولكنه سيواصل توجيه هذه "الكلمة" نفسه إلينا. أودع المسيح الكنيسة الأولى هذه الوزنة، فوعت أن عليها ألا تطمرها كالعبد الجبان، الذي انتظر الساعة لإعادتها إلى

٤٢ Cf. Badcock F-J., The "catholic" baptismal Creed of the fourth Century: RB 45 (1933). 292-311; Crechan J., Early Christian and the Creed. A Study in antenicene Theology. London 1950; Barnard L-W., The antecedents of Arius: VC 24 (1970). 172-188; Brekelmans A., Professione di fede nella Chiesa antica. Origine e funzione: Concilium 7 (1971). 48-58; Turner C-H., The history and use of Creeds in the Early Centuries. London 1906.

٤٣ راجع يو ١/١٤؛ متى ١/٢٣.

٤٤ كانت تعاليم المسيح، ابن الله ورسالته تتناسب، بلا شك، وتطلعات الشعب الدينية آنذاك، إذ كان متلهفاً إلى مثل هذه الشخصيات السامية العالية الشأن، و إلى مثل هذه الرسائل التي لها، في نفس الوقت صفات إلهية وإنسانية.

٤٥ Metz., 18.

٤٦ عب ١/١-٢.

سيده[٤٧]، بل أن عليها أن تستثمرها وتحميها وتصونها، وتُدافع عنها عند الحاجة، وتسبر الغنى الموجود فيها، لتستمد منها في كل ما يُطرح في مسائل الإيمان، فيجد فيه الشعب المؤمن غذاء لحياته.

وانطلاقاً من هذه الرسالة التي سلّمها إياها يسوع المسيح، وائتمنها عليها، راحت الكنيسة تُبشّر بتعاليمه، وتدرس، في الوقت عينه، صفات المعلّم، لترد على تساؤلات شخصية، وعلى استفهامات المرتدين الجدد؛ في البدء كانت الأجوبة تعتمد اعتماداً كبيراً على الوحي الإلهي، المتمثل في الكتب المقدسة، خاصة مع اليهود الذين كان يكفي إقناعهم، أن يسوع هو المسيح المنتظر. ثم، وفي فترة لاحقة، أصبح التقليد مقياس قراءة العهدين وتفسيرهما. وعندما واجه المسيحيون الوثنيين، برزت مشكلة من نوع آخر، فكان لا بدّ في التعامل معها، من استخدام المعطيات نفسها، التي يرتكز عليها الوثنيون، من فلسفة وعلوم ولغويات...، فبدأ معها ظهور التفكير المجرد أو النظري حول المسيح، ومما ساهم في نمو اللاهوت في هذا الاتجاه أيضاً، هو ظهور الهرطقات المختلفة التي كان لا بدّ من التصدي لها.

عرف اللاهوت في القرون الثلاثة الأولى كل المشاكل الأساسية، لا المتعلقة فقط بالشروحات والتفاسير، بل وتلك التي تتطرق أيضاً إلى معنى الإيمان بالثالوث وبالمسيح.فقد كان اهتمام اللاهوت الأول وواجبه الأساسي، أن يحدد العلاقات الشخصية بين الآب والابن والروح القدس. فهل هناك فعلاً، ثلاثة أقانيم إلهية متساوية تماماً في الجوهر فيما بينها، أم أن هناك تراتبية حول من هو أسمى ومن هو أدنى؟ وهل أن ظهورات الله في مختلف مراحل الوحي، ما هي إلا ظهورات للأقنوم الواحد نفسه، الذي اتخذ أشكالاً مختلفة؟ وإلى ما هنالك من أسئلة لاهوتية مشابهة. وكان هذا العمل صعباً على المفكرين الكنسيين، العائشين في بيئة يهودية، تدعو إلى وحدانية الله المطلقة من جهة، ومن جهة أخرى، في بيئة وثنية حيث تعدد الآلهة؛ فكان شغلهم الشاغل، التأكيد على الوحدانية والثالوثية في الله؛ ولكن البعض منهم وقع في أخطاء. أما الاهتمام الآخر، فهو تحديد هوية المسيح كإله؟ وما هي علاقته بالآب؟ وما هي طبيعته؟ وكيف صار التجسد؟ أهو جسد ظاهري أم حقيقي؟ وإلى ما هنالك من مسائل سطحية أو عميقة.

٤٧ راجع متى ٢٥/١٤-٣٠.

www.old-criticism.blogspot.com

من هنا بدأت تظهر الخريستولوجيا الأولى، التي عُرفت، في القرنين الثاني والثالث، بأنها ذات مواضيع متشابهة نسبياً، وهي ناشئة عن إيمان شامل، ومرتكزة على الأسفار المقدسة، خاصة على إنجيل يوحنا ورسائل بولس. فقد عبّر اللاهوتيون عن إيمانهم بالمسيح الإله والإنسان والكلمة: فهو إله لأنه ابن الله، وإنسان لأنه ابن الإنسان، وكلمة لأنه وسيط الخلق والخلاص بين الآب والجنس البشري. ودعا هؤلاء اللاهوتيون إلى قراءة صحيحة ومتمعنة للأسفار الإلهية، وإلى وجوب قبول الوحي النازل من عند الآب بالطريقة الملائمة، وإلى تهيئة الوثنيين المهتدين، خاصة الأفلاطونيين، إلى تلقي وتقبّل العقيدة الحق، وجنيها وقطف ثمارها.

وقد عبّر عن مثل هذه الآراء، في الكنيسة، كتّاب بقوا أمينين لخط التقليد الرسولي: فبعد خريستولوجيا الحقبة الرسولية، المعتمدة على لاهوت وجداني أكثر منه عقلانية، والتي انطبعت بطابع البساطة الكلية، والمعتمدة على التقليد الكتابي وحسب، جاء الآباء المدافعون الذين بدأوا يستخدمون التصورات الفلسفية، ولكن البعض منهم رفض عقلنة معطيات الوحي الإلهي، واستند في خدمة التعاليم المسيحية على التقليد فقط. فاستعملوا عقيدة "الكلمة-اللوغوس" التي أدخلها إلى المسيحية إنجيل يوحنا الحبيب[٤٨]، ومن بعده كانت أفكار فيلون الإسكندري ممهدة للدمج بين اللوغوس اليوناني والشريعة اليهودية؛ ولتحقيق ذلك لجأ المدافعون إلى الأدب الحكمي والمنهج المجازي، ليعبروا من الحكمة المشخصنة إلى اللوغوس المسيحي، لأنه كان من الصعب إيجاد كلمة أخرى أكثر إيحاءاً. وقد استخدمها المدافعون على مستويات عدة: فعلى المستوى الكوني حيث اللوغوس خالق الكون والمعتني به وصائنه؛ وعلى المستوى العقلي حيث اللوغوس أساس وأداة معرفة الوحي؛ وعلى المستوى الأخلاقي حيث اللوغوس هو الكمال وخلاصة الشريعة وتمامها؛ وعلى المستوى النفسي حيث اللوغوس يشرح آلية التفكير بواسطة الكلمة، من "كلمة العقل" إلى "الكلمة الملفوظة"؛ وعلى مستوى تدبير الخلاص حيث اللوغوس وسيط الخلاص وكلمة الوحي. وساوى الآباء المدافعون إذاً بين اللوغوس الشخصي والمسيح ابن الله، منطلقين من مواضيع وحجج في التماثل والتشبيه،

٤٨ راجع يو ١/١-١٤.

ومثال ذلك آلية التفكير بين الكلمة الكامنة والكلمة الملفوظة وقد طبقوه على ولادة اللوغوس...

ومع صعود نجم اوريجانوس وبروزه، المعلم الإسكندري الذي أدخل على اللاهوت المنهجية في التعليم وفي التفكير، والذي لم يترك مجالاً لاهوتياً إلا وتطرق إليه وكتب عنه، وصل هذا اللاهوت الأولي إلى قمته إذ لم يسبقه أحد من قبل إلى هذه الشمولية من المعرفة، والدقة في العمل والنشاط.

وهنا يبدو لنا هذا السؤال معقولاً، ونتيجة منطقية للمسلمات المذكورة أعلاه، وهو: من عنده الحقيقة؟ وهل يمكن لطرف ما احتكارها؟ هل هي لدى الذي نشأ على التربية اليونانية، أم الذي تلقى تربية ربّينية، أم لدى المسيحيين وحدهم؟ وإذا كان الجواب أنها تكمن فقط في شخص المخلص المسيح يسوع وفي تعاليمه، فأي مفتاح يقودنا إلى الباب، ويفتح لنا القفل لنلج؟ أم أي تقليد يقرأ هذا "الكتاب" القراءة الصحيحة السليمة؟ في الواقع، كانت الإجابات، ولا زالت، متنوعة ومتعددة ومتباينة جداً فيما بينها، حول السيد المسيح، الذي دشن عهداً جديداً، وعالماً جديداً، يأخذ فيه كل كائن أبعاداً جديدة، وأشكالاً جديدة، وواقعاً جديداً؛ والذي به تمّت إعادة ترتيب الكون، وبه انتظمت الخليقة، وبه تصالحت الأشياء بعضها مع بعض[٤٩]. فكل هذه الإجابات تشير، بالطبع، إلى طرق عدة، يمكن التدرج فيها لاكتشاف المسيح، كما كشف هو نفسه عن ذاته، وكما تكلم عنه الوحي الإلهي. وعلينا أن نتابع السير دون كلل ولا ملل؛ وعلى المسيرة أن تستمر. ولكن علينا أن نمشي على نور المسيح الهادي الذي وحده يدلنا، خلال مراحل هذه الرحلة، على الطريق والحق والحياة[٥٠]!

٢) لمحة تاريخية عن نهايات القرن الثالث وبدايات الرابع

نشأت المسيحية في الشرق، كما في الغرب، إبان حكم الإمبراطورية الرومانية، ولأسباب عديدة، اعتبر الأباطرة أن المسيحيين هم أعداء الدولة، فشنوا عليهم -

٤٩ راجع قول ١/١٥-٢٠.
٥٠ راجع يو ١٤/٦.

www.old-criticism.blogspot.com

ابتداءً من نيرون (٥٤-٦٨)- حملات اضطهاد[٥١]، محاولين خنق الكنيسة الناشئة بشتى الوسائل، إلا أن ذلك لم يؤدِ في نهاية الأمر، سوى إلى تمسّك "أتباع المسيح" أكثر فأكثر بإيمانهم وبمعلمهم، وإلى انتشارهم؛ وغالباً ما كان الاضطهاد، سبباً لذلك الانتشار الواسع في كل أقاليم الدولة الرومانية وحتى خارجها، أي في بلاد فارس وأرمينيا وفي الجزيرة العربية وغيرها من البلاد.

على أن هذه الاضطهادات -التي دامت قرابة ثلاثة قرون- لم تكن ولحسن الحظ، متواصلة، كما أنها لم تكن دائماً بذات الشدة والوحشية، ثم إنها لم تشمل كل أجزاء الإمبراطورية في ذات الوقت، فغالباً ما كان الغرب ينعم بالسلام والطمأنينة، بينما كان المسيحيون في الشرق يُضطهدون ويتعذبون ويستشهدون في سبيل إيمانهم وقد يجري العكس أحياناً أخرى، وذلك بحسب اختلاف الأباطرة والمناطق ومجريات الأمور.

تسلّم ديوكليسيانوس[٥٢] (٢٨٤-٣٠٥) زمام الإمبراطورية الرومانية سنة ٢٨٤؛ ولما رأى عظم امتدادها، عمد إلى فرض نظام الولاية الرباعي: قسّم الدولة إلى قسمين: الشرق والغرب؛ ووضع لكل قسم إمبراطوراً، وقيصراً يساعده في الإدارة، ويحل محله عند الوفاة أو اعتزال الوظيفة. فاحتفظ لذاته بالشرق، واتخذ نيقوميديا قاعدة له، يساعده ليكينيوس (٢٨٠-٣١٢)؛ وسلّم الغرب إلى مكسيميانوس (٢٨٦-٣٠٥ و٣٠٦-٣١٠) إمبراطوراً، وقاعدة حكمه ميلانو، يساعده القيصر كونستانس كلور (٣٠٥- ٣٠٦)، الذي كان يحكم فرنسا وبريطانيا؛ كما جعل ابن أخته غاليريوس (٣٠٥-٣١١) قيصراً آخر، يعاونه في الشرق. كان ديوكليسيانوس شديد التمسك بالوثنية، وكان في الوقت نفسه يكره العنف ويبتعد عنه. وبسبب الظروف السياسية الخارجية، التي قضت بأن يتحاشى الاضطراب الداخلي، سكت عن المسيحية مدة تسع عشرة سنة؛ بينما كان غاليريوس يطهّر

٥١ راجع تفاصيل الاضطهادات ووحشيتها لدى مؤرخي الكنيسة القدماء، أمثال اوسابيوس القيصري أو سقراط أو سوزومينوس. مثلاً اوسابيوس، "تاريخ الكنيسة". ٢: ٢٥؛ ٣: ١٧؛ ٦: ١، ٢٨، ٣٩، ٤١؛ ٧: ١٢؛ ٨: ١-١٧؛ ملحق الكتاب الثامن بأكمله عن شهداء فلسطين ٨: ١-١٣.

٥٢ عرفت الإمبراطورية الرومانية، خلال الخمسين سنة التي سبقت وصول ديوكليسيانوس إلى الحكم، اثني عشر إمبراطوراً؛ كان بعضهم قاسياً مع المسيحيين مثل داكيوس (٢٥٠-٢٥٣) وغيره متساهلاً مثل فيليبس العربي (٢٤٤-٢٤٩). وبين سنة ٢٨٤ و٣٠٣ لم تشهد المسيحية أي إزعاج من ديوكليسيانوس. AA-VV., Nuova storia della chiesa. I. 277

الجيش من كل عنصر مسيحي، مدّعياً أنه مشاغب؛ إلى أن كان خريف سنة ٣٠٢، وكان ديوكليسيانوس يضحّي لآلهته في أنطاكية، فطلب إلى "طاغس"، رئيس العرابين، أن يتفحص أحشاء الضحية وينبئه بالمستقبل. فلما فعل طاغس ولم يفلح، ادّعى، لتبرير فشله، أن بين الحضور مسيحيين، أفسدوا عليه عمله، لدى رسم أحدهم إشارة الصليب. فاضطرب الإمبراطور وخشي سوء العاقبة، وأراد كشف المذنب. فأمر جميع رجال البلاط ونسائه، أن يضحّوا للآلهة، مهدداً الرافضين بالجلد؛ ثم إنه تبنّى سياسة غاليريوس، فأمر قادة جيوش الشرق مصارحة جميع الضباط والأفراد في أمر احترام الآلهة وتكريمها، وتسريح من يمتنع عن ذلك[٥٣].

عانى المسيحيون الكثير من الأباطرة الوثنيين، رفاق ديوكليسيانوس وخلفائه: فمنذ سنة ٣٠٣، كان الاضطهاد منظماً وشاملاً خاصة مع غاليريوس؛ فقد أصدر بحقهم أربعة مراسيم متتالية خلال سنتين: في الرابع والعشرين من شباط سنة ٣٠٣، عقد غاليريوس[٥٤] مجلساً في نيقوميديا، ضم سياسيين وعسكريين، لدرس وضع المسيحيين؛ فاعتبرهم المجلس أعداء الدولة الروحيين، وسبب كل الشرور اللاحقة بها، فأصدر مرسوماً يقضي بمنع العبادة المسيحية، وبتدمير الكنائس وحرق الكتب المسيحية، وطرد المسيحيين ذوي المناصب من مراكزهم.

وفي السنة ذاتها، أصدر ديوكليسيانوس، بضغط معنوي من غاليريوس، مرسومين ضد المسيحيين، معتبراً إياهم سبب التمرد والفتن الحاصلة في الشرق. ويأمر في المرسوم الأول بسجن جميع أفراد الإكليروس؛ ويفرض في الثاني أن يقدّم المسيحيون الذبائح للأصنام الرومانية، تحت طائلة تعذيب الرافضين؛ لكن دون سفك دماء، واعتاق الموافقين، وتحرير السجناء إذا ما وافقوا، وقدموا الذبائح وشربوا الخمر إكراماً للآلهة الرومانية.

٥٣ رستم. ج ١. ١٧٠-١٧١.

٥٤ كان الإمبراطور غاليريوس متطرفاً وثنياً. اضطهد المسيحيين بتأثير أمه المتعبدة والغيورة على الأوثان، وبتأثير قسم من ضباط جيشه، ربما بسبب الترقيات، أو ربما، رغبة منه في إبعاد عنصر متهم بالفتور تجاه المؤسسات الرومانية. وعلى كل حال، بعد الحملة على الفرس، اتخذ إجراءات صارمة جداً ضد المسيحيين، فابتدأ بتنقية الجيش منهم، بعد أن ترك لعناصره الحرية في الحفاظ على رتبهم وشرفهم بإطاعة الأوامر الإمبراطورية أو الإبعاد من الجيش. كما أُرغِم الجنود المسيحيون في بعض المناطق على تقديم الذبائح للأصنام . فكانت النتيجة تسريح عدد كبير منهم وسقوط بعض الشهداء. F-M., II. 457

www.old-criticism.blogspot.com

وفي السنة التالية، مرض ديوكليسيانوس، فاعتبر غاليريوس نفسه سيد الإمبراطورية، وأصدر مرسوماً رابعاً في ربيع سنة ٣٠٤، شبيهاً بمرسوم داكيوس (٢٤٩)، يأمر فيه جميع المسيحيين دون استثناء، تقديم الذبائح للآلهة الرومانية، تحت طائلة التنكيل والموت، أو النفي إلى المناجم. فسالت أنهار الدماء، وامتلأت السجون، وقُتل الكثير من الإكليروس من كافة الدرجات، وذاق المؤمنون أمرّ العذابات[٥٥]. ولم يكن الاضطهاد، على المستوى نفسه، في جميع أنحاء الإمبراطورية: فمع كونستانس كلور -وهو والد قسطنطين الكبير- أي في فرنسا وبريطانيا، عرف المسيحيون الهدوء واللين والسلام، لأن كونستانس كان ميالاً إلى ديانة المسيح، ومدركاً أنها لا تشكل خطراً على حكمه.

استقال مكسيميانوس وديوكليسيانوس سنة ٣٠٥، فاستفرد غاليريوس بالحكم، وأصبح وحده إمبراطور الشرق. ثم توفي كونستانس كلور بعد سنة، فخلفه ابنه قسطنطين (٣٠٦)، الذي أعلن نفسه قيصراً على بريطانيا واسبانيا وبلاد الغال. ونادى حرس روما بمكسانس إمبراطوراً. وعادت شهوة الحكم إلى مكسيميانوس المستقيل، فأعلن نفسه إمبراطوراً أيضاً. وأصبح للإمبراطورية ثلاثة أباطرة وثلاثة قياصرة. وفي أول أيار من السنة ذاتها، أُعلن كل من مكسيمينوس دايا قيصراً معاوناً في الشرق[٥٦]، وفلافيوس ساويروس قيصراً معاوناً في الغرب. إلا أن الوضع لم يستقر، إذ ثار جنود فلافيوس ساويروس على قيصرهم وقتلوه؛ فعيّن غاليريوس مكانه ليكينيوس قيصراً جديداً، وحصل على أثر ذلك اضطراب شديد في الأوساط السياسية والعسكرية.

٥٥ F-M., II. 459-465. ؛ يذكر لنا التاريخ أن غضب غاليريوس حلّ على زوجته بريسكا وابنتها فاليريا، لأنهما كانتا من أتباع المسيح، فخيّرهما بين الموت أو الجحود فجحدتا، بينما استشهد ابنه البكر دوروثاوس، وبطرس رئيس الحجاب وانثيموس أسقف نيقوميديا مع كهنته وعدد كبير من رعيته. راجع رستم، ج ١. ١٧٢.
كما يذكر لنا حادثة تاريخية أخرى في السنة ذاتها ٣٠٣: قامت ثورة في غلاطية وسوريا، ونادى بعض الجنود بافجانيوس إمبراطوراً في مرفأ سلوقيا. فاتهم غاليريوس المسيحيين بذلك. وكانت نتيجة ذلك اضطهاد قوي وتطهير في صفوف الجيش. AA-VV., Nuova storia della chiesa. I. 277

٥٦ أوكل غاليريوس إلى مكسيمينوس دايا تدبير شؤون الولايات الشرقية باستثناء ايبريا وآسيا الصغرى اللتين احتفظ بإدارتهما لذاته. وكان مكسيمينوس سكيراً فاسقاً عاتياً؛ ولأنه يؤمن بالوثنية وخرافاتها، تابع الاضطهاد، بقسوة، في الشرق. راجع رستم، ج ١. ١٧٥. Castritius H., Studien zu Maximinus Daia. (Frankfurter Alt-historische Studien 2) Kallmunz 1969.

بقي غاليريوس يبطش بأتباع المسيح في الشرق، وبالتحديد في سوريا وفلسطين ومصر، إلى أن شعر بالندم على ما اقترفت يداه -خاصة بعد أن ابتلي بمرض خبيث-، وظن وخشي أن يكون قد أغضب إله الذين اضطهد؛ ثم إنه، لمس فساد رأيه في السياسة، وإخفاقه في الحرب التي شنّها ضد المسيحيين، فاعترف بفشل سياسة العنف هذه، فأصدر في آخر نيسان سنة ٣١١، ستة أيام قبل وفاته، مرسومه الشهير، من مدينة سرديقيا في نيقوميديا، مع شركائه في الحكم، ليكينيوس وقسطنطين ومكسيمينوس، وفيه يلوم المسيحيين على خروجهم عن دين الأجداد ومروقهم عليه، ويحضهم على العودة إلى التقاليد المتوارثة منذ القدم؛ ولكنه يشهد، في الوقت عينه، على ثبات المؤمنين المسيحيين في النضال والجهاد في سبيل إيمانهم. وفيه يأمر، أيضاً، باستخدام الرأفة والرحمة تجاه الجميع، معترفاً بالوجود الشرعي للديانة المسيحية، ويصفح عن أتباعها ويسمح لهم بممارسة شعائر ديانتهم، والاجتماع في ما بينهم، شرط أن لا يخلّوا بالأمن والنظام. ثم يسأل المسيحيين أن يصلّوا إلى إلههم، من أجله ومن أجل الدولة، ومن أجل أنفسهم، حتى تتمتع الدولة بالازدهار ويتمتعوا هم بالسلام. وهذا المرسوم يُعرف بمرسوم حرية الضمير وحرية العبادة. ومن ذلك الحين، أضحت الديانة المسيحية، ديانة شرعية في الإمبراطورية[٥٧].

ومع وفاة غاليريوس في الخامس من أيار سنة ٣١١، توقفت الاضطهادات، لفترة قصيرة، في أغلب الولايات؛ واستفرد مكسيمينوس دايا (٣٠٨-٣١٣) بالحكم في الشرق؛ ويبدو أنه لم يكن موافقاً على مرسوم الحرية السابق ذكره، لأنه لم ينشره في مقاطعاته، فتابع اضطهاد المسيحيين، وأعاد الحرب الدينية؛ كما أعاد تنظيم الوثنية، فرتبها محاكياً النظام الهرمي في السلطة الكنسية، ونشر كتابات ضد المسيح[٥٨]، وشجّع على طرد المسيحيين من المدن حيث الأغلبية وثنية؛ ولم يكتفِ بذلك بل ابتدأ بالقتل أيضاً. دامت الحالة في الشرق على هذا المنوال، حتى أنذره قسطنطين سنة ٣١٢.

٥٧ راجع نص المرسوم في الملحق رقم ٤٥، في نهاية المجلد. وراجع رستم، ج ١. ١٧٧-١٧٨؛ F-M., II. 475-477

٥٨ لفّق كتاباً جديداً سماه "أعمال بيلاطس" وبثّه وأشاع محتوياته لتحقير الرب.

www.old-criticism.blogspot.com

انتصر مكسانس (٣٠٦-٣١٢) على ليكينيوس عام ٣٠٦، واغتصب منه الحكم في روما، مما اضطر هذا الأخير، إلى التوجه إلى الشرق؛ فاتخذ أنطاكية مقراً لإقامته، ونفى أسقفها الأرثوذكسي ملاتيوس، وثبّت عليها افذويوس عوضاً عنه. لم تدم فرحة مكسانس بانتصاره طويلاً، إذ ما لبث أن كسره قسطنطين، أمام أسوار روما، في معركة جسر ميلفيوس*. وهكذا أضحى قسطنطين "الإمبراطور الأعظم على كل الغرب". ونظراً لتربيته وانتصاره بمعونة الصليب[٥٩]، آمن قسطنطين بالمسيحية، فأصدر قوانين لصالح تلك الديانة، وطلب إلى مكسيمينوس دايا، أن يوقف هو أيضاً وليكينيوس، اضطهاد أولئك الأبرياء في الشرق.

أمام هذه الظروف، وتجاه ما آلت إليه الحالة العامة في البلاد، التي لم يعد الأباطرة والقياصرة يجدون في الاضطهادات المتكررة والمتلاحقة ضد المسيحيين، أي نوع من الصوابية وسداد الرأي. فاتفقوا بعد مشاورات عديدة، على موعد اجتماع لتدارس هذه الأمور المستجدة، ولتحديد السياسة الواجب إتباعها. وكان هدف الاجتماع الرئيس، تحديد علاقة الدولة بالديانات عموماً، وبالمسيحية على وجه الخصوص، وكيفية التصرف حيالها.

فاجتمع الإمبراطور قسطنطين، في أوائل سنة ٣١٣، بالإمبراطور ليكينيوس في ميلانو بإيطاليا، وقررا معاً اتخاذ موقف متسامح تجاه المسيحية، ضناً بوحدة الإمبراطورية، طالما أن هذه الديانة لا تشكل خطراً على الدولة ولا تهدد أمنها. وكانت نتيجة هذا الاجتماع، عملياً، السماح لجميع المواطنين بالحرية الدينية فصدر ما يُسمى بمرسوم ميلانو[٦٠]. وبعد هذا الاجتماع، أعطى كل من قسطنطين في الغرب، وليكينيوس في الشرق، (في نيقوميديا) مرسوماً -بعد أن انتصر على مكسيمينوس دايا في تزيرالوم بالقرب من ادريانوبوليس في أول سنة ٣١٣- فمنحا

* ميلفيوس Milvius

٥٩ حلم قسطنطين قبل معركته ضد خصمه مكسانس في ٢٧ تشرين الأول سنة ٣١٢، بأنه سينتصر بعلامة الصليب، إذا ما وضعها على الدروع، وقيل إنه رأى علامة الصليب في السماء مع الكتابة التالية: "بهذه العلامة تنتصر". Cf. F-M., III. 25

٦٠ يذكر بعض المؤرخين أن الكنيسة نعمت بالسلام بعد "مرسوم ميلانو". والحقيقة لا يوجد مرسوم ميلانو بالمعنى الحصري، إنما على أثر اجتماع الأباطرة والقياصرة في ميلانو عام ٣١٣، أصدر كل منهم مرسوماً في ولايته، يقضي بالتسامح الديني، أي حرية الدين للجميع، وخاصة للمسيحيين، نتيجة الاتفاق الشفهي بينهم في ميلانو. راجع مرسوم قسطنطين في الملحق رقم ٤٦، في نهاية المجلد.

الشعب الحرية الدينية[٦١]، وأمرا بإعادة الكنائس وكل ما سُلب أو أُخذ عنوة من المسيحيين، الأمر الذي اضطر مكسيمينوس دايا المذكور، إلى إصدار مرسوم شبيه له في مصر وسوريا[٦٢].

ولما مات مكسيمينوس[٦٣]، استلم ليكينيوس كامل الجزء الشرقي من الإمبراطورية، وأعلن حرية المعتقد في الشرق، كما تفرد قسطنطين بالغرب كله، فنعمت الكنيسة في ظلهما بالسلام والطمأنينة، وزاد النمو والازدهار. وبقي الأمر على هذا المنوال عدة سنوات، إلى أن غيّر ليكينيوس، لأسباب مبهمة، سلوكه تجاه الكنيسة[٦٤]، وعاد إلى سياسة الاضطهاد والعنف[٦٥]. فحاربه قسطنطين وانتصر عليه أمام مدينة ادريانوبوليس في شهر أيلول سنة ٣٢٤، وأمسك عندئذ بزمام الإمبراطورية الرومانية كلها، وغدا "الإمبراطور الأوحد"، يسوس وحده الشرق والغرب، ويرعى الكنيسة بمحبة وسلام، مما دعاه إلى اعتبار الديانة المسيحية، الديانة الوحيدة للدولة.

٣) نتائج الاضطهادات وانتصار المسيحية

كانت الاضطهادات ضد المسيحيين، تنفجر تارة لتعود فتهدأ تارة أخرى، مهددة على الدوام، المؤمنين الذين اتخذوا جميع المواقف الممكنة، تجاه هذا الواقع

٦١ استفاد المسيحيون، في الواقع، من هذه الحرية، فعقدوا عدة مجامع: في آرل وفي انقيرة وفي قيصرية سنة ٣١٤، لتضميد الكلوم التي سببها الاضطهاد الأخير، فيما يتعلق بالتصرف حيال الخطأة والساقطين، ولحلحلة بعض الأمور العالقة.

٦٢ F-M., III. 53-58.

٦٣ توفي مكسيمينوس في طرسوس في آب سنة ٣١٣ بسبب المرض.

٦٤ ربما بسبب الخلاف الذي حصل بينه وبين قسطنطين، بمناسبة تعيين قيصري الغرب؛ أو لأنه اعتبر المسيحية تهديداً لملكه، لأن قسطنطين كان يحميها وهو عدوه، و"صديق عدوي عدوي".

٦٥ سمح ليكينيوس في الواقع بحرية العبادة، إنما تحت ضغط من الإمبراطور قسطنطين؛ لكنه بقي وثنياً؛ وقد ابتدأ بإزعاج رجال الكنيسة وكبار الموظفين المسيحيين في الدولة، ليحفظ استقلالها ويحافظ على مكانتها. ثم منع انعقاد مجامع أساقفة سنة ٣٢٠؛ وحرّم، من بعد، اجتماع الجنسين المسيحيين في مكان مقفول، وأوجب اجتماعهما للصلاة في الهواء الطلق وخارج المدن، كما أمر بوجوب تدريب كهنة من النساء لإرشاد الموعوظات؛ ومنع أيضاً على الإكليروس افتقاد المساجين. وبعد كل ذلك لجأ ليكينيوس إلى سياسة التطهير أي إبعاد المسيحيين عن البلاط والوظائف الكبرى. ثم فرض التضحية للآلهة، وصادر الأوقاف ودمر الكنائس. عندئذ شنّ الإمبراطور قسطنطين حرباً عليه، لأنه خالف مرسوم حرية العبادة الموقع سنة ٣١٣، فكانت معركة ادريانوبوليس وخسارة ليكينيوس وهربه إلى بيزنطية. ثم انهزامه التام واستسلامه للغالب. H-L., I,1. 378-381 ؛ رستم، ج ١. ١٨٤-١٨٦.

www.old-criticism.blogspot.com

الأليم: فمنهم من جاهر بإيمانه، ورفض الخضوع للضغوطات فاضطُهد، وتحمّل العذابات، أو صُرف من وظيفته، أو سيق إلى المناجم، أو حتى مات شهيداً؛ ومنهم من بقي مختبأً، أو أبقى إيمانه مستوراً حتى هدوء العاصفة؛ ومنهم من جحده مُرغماً وعلى مضض، أو أنكره عن قناعة، لأن جذوره في الإيمان لم تكن قوية. ولا تَسلْ عن وسائل التعذيب التي استُعملت، ولا عن الوحشية التي نُكّل بها أولئك الأبطال الصامدون، ولا عن الذين سقطوا في ساحات الاستشهاد من الأبرار والقديسين.

لم تتوقف الكنيسة في مسيرتها اللاهوتية في فترة الاضطهادات هذه، بل نلاحظ العكس تماماً: فقد ازداد عدد الراغبين في الانتساب إلى الدين الجديد الناشئ سواء بسبب مثل المؤمنين وطريقة عيشهم ومحبتهم بعضهم لبعض، أو بسبب مثل الشهداء وجرأتهم على تحمل العذابات والموت في سبيل إيمانهم؛ لذا نشط الأساقفة المعاصرين في تثقيف الموعوظين، مما أدى إلى تطور اللاهوت معهم؛ ولعب المؤمنون في صلواتهم[٦٦]، والشهداء في بسالتهم وشجاعتهم، دورهم في هذا التطور بطريقة غير مباشرة، إن بمثلهم الحي، أو بشرح المعلمين والمرشدين، معنى الشهادة للمسيح ومعنى الذبيحة[٦٧].

وضرب الاضطهاد، حقاً، الكنيسة وبشدة، لأن كل هذه المواقف التي اضطر المسيحي أن يتخذها إبان المحنة، كانت قاسية عليه أولاً، وعلى الجماعة المسيحية ثانياً: إذ فرّق الكنيسة وشتّت أعضاءها، فأرغم الكثير منهم على الاختباء أو الهرب أو نكران الإيمان عن قناعة أو عن غير قناعة، وبالتالي التغيب عن الجماعة.

دام الوضع في المملكة الرومانية على هذا المنوال، بين مدّ وجزر، بين اضطهاد وهدوء، بين استقرار وهرب، بين رسوخ في الإيمان وجحوده، إلى أن تسلّم قسطنطين الكبير الحكم في أوائل القرن الرابع، خصوصاً عندما أصبح الإمبراطور الأوحد الموالي للمسيحية (٣٢٤)؛ فسمح أولاً بالحرية الدينية، ثم جعل المسيحية دين الدولة فنعمت الكنيسة في زمانه بالسلام والطمأنينة، وشعرت، لأول مرة،

٦٦ راجع يوميات رحلة ايجيريا، أقدم النصوص المسيحية. ضمن سلسلة النصوص الليتورجية ٥. بيروت ١٩٩٤.

٦٧ Cf. Saulnier Ch., La Persécution des chrétiens et la théologie du pouvoir à Rome (I-IVème s.): RSR 58 (1984). 251-279.

بانتصار الإيمان على الوثنية، خصوصاً عندما شرّع قسطنطين الديانة المسيحية، وأعطى حق المواطنية لأفرادها، واعتبر نفسه المدافع الأعلى عنها وعن الدولة.

٤) قسطنطين الملك والأزمة الآريوسية

قسطنطين هو ابن كونستانس كلور، من أصل وثني متسامح؛ عرف المسيحية، ولكنه لم يتعمد، إنما كان ميالاً إليها[٦٨]. لم يضطهد أتباعها، ربما بسبب والدته المؤمنة هيلانة، التي سوف تلعب، من ثم دوراً كبيراً خاصة بعد إعلان ابنها المسيحية دين الدولة. وُلد قسطنطين في نايسوس (وتُدعى حالياً نيش وهي في صربيا) بين عام ٢٧٠ و٢٨٨. وتعلّم التسامح ورحابة الصدر من والديه. وصل إلى الحكم عام ٣٠٦، بعد وفاة والده. وكان ذا طموح عظيم وأطماع أعظم. وارتكب جرائم فظيعة ليصون حكمه: قتل حماه ثم أصهرته الثلاثة وابن زوجته البكر وكثيرين سواهم. خلّف ثلاثة أولاد وربّاهم في المسيحية، وسيستلمون الحكم بعد وفاته.

كان قسطنطين متسامحاً جداً، وذا أخلاق عالية، حسب رأي اوسابيوس القيصري، الذي دوّن لنا سيرته، واصفاً إياه مع "هالة من القداسة" نوعاً ما: فهو الذي أعطى مرسوم حرية العبادة مع زميله ليكينيوس بعد انتصاره (٣١٣/٦/١٥) على مكسيمينوس دايا؛ وهو الذي أعلن المسيحية دين الدولة، وأعاد للمسيحيين أملاكهم المحجوزة، ووزع أموالاً على الكنائس والإكليروس، وأعفاهم من الضرائب[٦٩]، وأعاد الأوقاف إلى الكنيسة وسمح لها ببناء الكاتدرائيات الكبيرة (البازيليك)، لا بل ساعدها مادياً مع عائلته[٧٠] في مصاريف البناء؛ وهو الذي وهب الكنيسة أبنية كبيرة مثل اللاتران والقبر المقدس، وخصص باباً في موازنة الدولة

٦٨ أرجأ قسطنطين معموديته إلى ما قبل مماته بقليل، بحجة أنه يريدها في الأردن. وقد عمده اوسابيوس أسقف نيقوميديا قبل وفاته بأيام قليلة.

٦٩ Cf. Dupont C., Les privilèges des clercs sous Constantin: RHE 62 (1967). 729-752; Joannou P-P., La législation impériale et la christianisation de l'empire romain. Roma 1972. 311-476.

٧٠ خاصة أمه هيلانة وأخته كونستانسا اللتين كانتا مسيحيتين.

www.old-criticism.blogspot.com

لهذه المعونة، فشيّد على نفقة الدولة العديد من الكنائس الضخمة؛ وهو الذي أعطى الأساقفة شيئاً من السلطة القضائية، عندما منحهم حق إعتاق الأسرى، واعتبرهم قضاة يجوز لهم بت الأحكام في الدعاوى المدنية المرفوعة أمامهم، وحكمهم غير قابل النقض ولا الطعن ولا الاستئناف؛ وهو الذي وضع رموز المسيحية على العملات منذ سنة ٣١٥، ومحا شعارات الوثنية؛ وهو الذي أعطى الكنائس حق الوراثة، مما ساعد في الحفاظ على أموال الكنائس وميراثها؛ وهو الذي أدخل العديد من القوانين الموافقة للمسيحية، في الدستور والتشريعات المدنية[٧١]؛ وهو الذي وظّف المسيحيين، لأول مرة، في وظائف كبيرة وهامة في الدولة. ومعه بدأت المسيحية تعيش في سلام، بعيدة عن الاضطهادات الدامية، وراحت تنتشر في كل أنحاء الإمبراطورية دون أي عائق[٧٢].

اتخذ قسطنطين بيزنطية مقراً له، واعتبرها عاصمة الإمبراطورية. فجدد أبنيتها، ووسع طرقها، ودعاها القسطنطينية، باسمه؛ فاعتُبرت روما الثانية، ودُشنت رسمياً، وكُرست في ١١ أيار سنة ٣٣٠. ومما يجدر ذكره في هذا المجال، أنها غدت عاصمة الأرثوذكسية ورمزها حتى اليوم[٧٣].

كل ذلك دفع قسطنطين إلى الشعور بأنه صورة الله على الأرض، واعتبر ذاته، بالتالي، مسؤولاً عن خلاص شعبه. ونراه يتدخل، في بادئ الأمر، في أمور الكنيسة الروحية والزمنية، من باب الحفاظ على السلام، وجمع شمل الشعب تحت سيطرته. ولكن الإكرام والإجلال والدور الذي أعطته إياه الكنيسة، خاصة في مجمع نيقيا وبعده، دفعه إلى اعتبار نفسه مثل موسى وداود، نعني رئيس المسيحيين وقائدهم، وأن من واجباته قيادة كل البشر إلى الديانة الحق[٧٤].

٧١ Cf. Dominicis M., Un intervento legislativo di Costantino in materia religiosa: Revue internationale des droits de l'antiquité 10 (1963). 199-211; Gaudemet J., La législation religieuse de Constantin: Revue d'Histoire Ecclésiastique de France 33 (1947). 25-61.

٧٢ AA-VV., Nuova Storia della Chiesa. I. 283-285.

٧٣ راجع رستم، ج ١. ٢١٥-٢١٦؛ De Urbina., 127; H-L., I,2. 678-679

٧٤ Id., 289-290.

رأى قسطنطين نفسه في الواقع -وأغلب الأباطرة الذين سبقوه والذين خلفوه أيضاً- المدافع عن دين الدولة، وبالتالي الحاكم لمملكة الله على الأرض: "الحبر الأعظم"[٧٥]، "الرئيس الأعلى" للدين والدولة، فأصدر المراسيم، الواحد تلو الآخر، لدعم الكنيسة وتنظيمها في جميع المجالات الدينية والإدارية، والاجتماعية والتشريعية. واعتقد أن من حقه التدخل في جميع أمورها، بما فيها المنازعات الإدارية والعقائدية، وحتى اللاهوتية[٧٦]. وحدث أنه لم يعترض أحد على تطاول الدولة الفاضح، وتدخلها في شؤون الكنيسة، لا بل كان المؤمنون يحبذون حماية الإمبراطور قسطنطين لهم، خاصة بعد ثلاثة قرون من الاضطهادات، فتمادى قسطنطين في السيطرة من باب السلطة والقناعة، كما اعتقد أن الله منحه هذه الانتصارات المتتالية، لكي يصون عقائده وشريعته. فنعمت الكنيسة إذاً من الناحية المدنية، على الأقل، بالسلام أيام حكمه[٧٧].

٧٥ خصصت الكنيسة هذا اللقب للبابا، أسقف روما. وكانت الوثنية تخصصه للإمبراطور.

٧٦ سبق لقسطنطين أن تدخل سنة ٣١١، في حل مشكلة دوناتوس، الذي اختلف مع سيسيليانوس بخصوص جلوس هذا الأخير، على كرسي قرطاجة، خلفاً لمنصوريوس -المشتبه به كجاحد-، معتبراً انتخابه باطلاً، لأن أساقفة نوميديا تغيّبوا عن سيامة سيسيليانوس، وذلك ضد العادات التقليدية، ثم إن اثنين من الأساقفة الثلاثة الذين ساموه كانا غير أهل لذلك، لأنهما استسلما للوثنيين أثناء الاضطهاد. فوُضعت المسألة أمام عميد أساقفة نوميديا سيكوندوس أسقف تيجيزي. فدعا هذا الأخير الجميع إلى مجمع في قرطاجة؛ فحضره سبعون أسقفاً من مقاطعته، وقرروا بطلان سيامة سيسيليانوس وانتخاب ماجورانوس مكانه. وكسب الأسقف المغتصب العديد من المناصرين، وسام أساقفة عوضاً عن الأساقفة الذين سامهم سيسيليانوس. وكان رئيس هذا الحزب المعارض دوناتوس المولود سنة ٢٧٠ في كازنوار، ولربما أصبح أسقفها أيضاً، وهو الذي هرب إلى قرطاجة أيام الاضطهاد. وعندما مات ماجورانوس أخذ مكانه في الأسقفية، وأصبح رئيس حركة دُعيت باسمه "الدوناتية". ومن أهم أتباعها: سيكوندوس المتهم بالخيانة أيام الاضطهاد، وسيلفانوس أسقف قسطنطينة، وبرنوريوس أسقف ليماتا. واحتكم الطرفان إلى قسطنطين، فأصدر أمراً لا رجوع عنه، دعا فيه المتخاصمين مع بعض الأساقفة الموالين لكلا الطرفين، إلى محكمة في روما يرأسها أسقف روما آنذاك ملتيادوس (٣١١ - ٣١٤)، فكان مجمع روما سنة ٣١٣ في قصر اللاتران. ولم تثبت التهم على سيسيليانوس الذي خرج بريئاً، بل ثبتت على دوناتوس، إلا أن الدوناتيين رفضوا هذا الحكم، ورفعوا شكواهم من جديد إلى قسطنطين، الذي تدخل ثانية سنة ٣١٤ في مجمع آرل، للحكم على دوناتوس ومناصريه، وتبرئة فيليكس الأسقف الذي سامه سيسيليانوس. وعارض الدوناتيون الحكم من جديد، فأرسل قسطنطين في طلب الطرفين سنة ٣١٥، ووضع دوناتوس وسيسيليانوس في بريشا، وأرسل عوضهما إلى قرطاجة الأسقفين افنوميوس واوليمبيوس. ولكن هذه المهمة فشلت، عندما عاد الأسقفان من جديد إلى قرطاجة بعد سنة. فتدخل قسطنطين للمرة الثالثة في تشرين الأول سنة ٣١٦، ليُصدر حكمه النهائي بنفي الدوناتيين، وحجز كنائسهم وإعادة السلام إلى الكنيسة الأفريقية . F-M., III. 49-65; H-L., I, 1. 265-274

٧٧ Cf. Holland S-J., Constantin the Great. London 1971.

www.old-criticism.blogspot.com

أما في الأمور الدينية، فقد ظهرت في هذه القرون الأولى للمسيحية، مشاكل مختلفة، كموضوع عماد الهراطقة في كنيسة أفريقيا[٧٨]، أو تيارات لاهوتية كثيرة، أدت إلى نزاعات عنيفة، قضّت مضجع الكنيسة، وزرعت الشقاق بين أبنائها. فقد انشقت هذه التيارات عن الكنيسة، وحاولت أن تفسر على هواها، أو حسب رأي مؤسسها ونظرته، أهم العقائد اللاهوتية -كالثالوث مثلاً، والعلاقة بين الأقانيم، أو شخص المسيح يسوع ابن الله وكلمته- متأثرة سواء بالفلسفة اليونانية، أو بالفكر السرياني الشرقي، أو بالمبادئ والعقائد اليهودية، أو بالديانات الشرقية الأخرى التي تركت أثراً في الكنيسة واللاهوت الخريستولوجي. فكان التشديد على هذه النقطة أو تلك، للرد على هذه البدعة أو تلك الهرطقة. وسنذكر الخريستولوجية منها فقط، لأنها، ولا شك، أثّرت على الفكر اللاهوتي، وبالتالي على أفكار آريوس، سواء مباشرة أو بطريقة غير مباشرة: أمثال الغنوصية والمونارخية والصابيلية، وسواها من النزعات العقائدية.

ولكن الآريوسية كانت مشكلة دينية من نوع آخر، أهم وأعمق جذوراً. وكانت قد انطلقت من الإسكندرية[٧٩]، لتعمّ وتتفشى في الكنيسة الشرقية بأكملها، وهي من استنباط الكاهن آريوس، وتعاليمه بخصوص المسيح وألوهيته وعلاقته بالله الآب. وفي الواقع، ما إن علم الإمبراطور قسطنطين بالخلاف الحاصل بين آريوس وأسقفه الكسندروس، حتى سعى جاهداً إلى حلّه بطريقة ودّية وسلمية! فأوفد إليهما وسيطاً لإحلال الوفاق بينهما؛ لكنه انذهل، لدى عودة رسوله، من فداحة هذا الموضوع، لدرجة فشل هذا الوسيط واستحالة إعادة الوفاق بينهما، مما دفع بالإمبراطور إلى اتخاذ قرار حاسم بجمع أساقفة الكنيسة قاطبة، وعرض هذه المسألة أمامهم، كي يوضحوا له هذا الخلاف الديني الحاصل، ويميزوا الصحيح من الخطأ، ويجدوا له حلاً نهائياً.

٧٨ لم يكن موضوع عودة الجاحدين إلى حضن الكنيسة موضوعاً إدارياً، إنما عقائدياً؛ ولقد اختلفت الآراء حوله؛ نجد له ذكراً في مجمع أنطاكية عام ٢٥٢. ودعا القديس كبريانوس أيضاً إلى عدة مجامع في قرطاجة (٢٥١ و٢٥٥ و٢٥٦) من أجل الموضوع نفسه. كما عُقدت عدة مجامع في القرن الثالث في مصر وأفريقيا، لتدارس موضوع هذه العودة، وهل يجب إعادة عمادهم أم لا.

٧٩ Cf. Marrou H-I., L'arianisme comme phénomène alexandrin: Comptes rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres. Paris 1973. 533-542.

كان لاهتداء الملك قسطنطين إلى المسيحية، ومعه الدولة الرومانية، أو، على الأقل، تسامحه تجاهها، صداه وانعكاساته سواء على الديانة أم على الدولة: فقد عزز هذا الاهتداء، الروابط بين الإمبراطورية الوثنية والكنيسة، التي كانت قد بدأت مع مرسوم ميلانو عام ٣١٣. ولكن شاب هذا السلام الذي أثبته قسطنطين بعض الخلل: فقد بدأ آريوس، أحد تلامذة المدرسة اللاهوتية الأنطاكية، وتلميذ المعلم الشهير لوكيانوس الأنطاكي، الإسكندري المنشأ والأنطاكي النشأة، ينشر في الإسكندرية تعاليم منحرفة عن جادة الإيمان الصواب. والأسوأ من ذلك، أنه راح يشكل ما يشبه مدرسة أو مذهباً، إذ اجتمع حوله عدد وافر من الأتباع شعباً وإكليروساً. وقد طوّر آريوس لاهوتاً، كان حصيلة ترسبات العديد من التيارات الهرطوقية التي عرفتها العصور الماضية؛ وكان هدفه التوصل إلى عرض الحقائق اللاهوتية ببساطة كلية، بحيث يستطيع الكل إدراك جوهره. لذا حوّر في تعاليمه حول الثالوث الأقدس العقيدة الكنسية، فأنكر المساواة في الجوهر بين الأقانيم الثلاثة، وخاصة بين الأقنوم الثاني، محور اللاهوت آنذاك، لم يكن الروح القدس بعد، قد دخل حيز التفكير اللاهوتي جدياً، وبين الأقنوم الأول في الثالوث الأقدس، معتبراً أن الآب وحده إله بالمعنى الحقيقي للكلمة، لأن الابن له مبدأ وبداية: فقد عدّ الولادة بمثابة بداية، وبما أن الابن مولود، فإذاً له بدء؛ وكان بدء الابن، بالنسبة لآريوس، في اللحظة التي قرر فيها الآب، بكل حرية خلقه في الزمن، فخلقه أول كائناته المخلوقة. وعلى أثر التوتر الذي خلّفه النزاع الآريوسي، وخلقته تعاليمه في الجزء الشرقي، من الإمبراطورية الرومانية المتمسحنة حديثاً، وأمام خطر هذه الهرطقة الذي كان يتهدد حياة الكنيسة والدولة (على الأقل هكذا اعتبرها قسطنطين)، وأمام الاضطرابات التي عاشتها الكنيسة بسببه، وقد كانت تعاني، في الوقت عينه، من نزاعات أخرى مثل قضية عيد الفصح، وقضية ملاتيوس في مصر وغيرها من الأمور الأقل خطراً، وأمام الشقاق الذي زُرع بين أبناء الكنيسة الواحدة، وأمام فشل كل المحاولات لإعادة آريوس إلى صوابه، قرر الإمبراطور قسطنطين، أن تُبَتّ هذه المشكلة وكل المسائل الأخرى، في مجمع كبير، يضم أساقفة العالم بأسرهم، شرقيين وغربيين. ودعا قسطنطين إلى هذا المجمع، ربما بدافع شخصي، مطبقاً بذلك نظام الدولة على الكنيسة، أي أنه جمع هؤلاء الأساقفة، على غرار مجلس الشيوخ الروماني، أو ربما بتحريض من أحد الأساقفة أو

www.old-criticism.blogspot.com

أحد مستشاريه. والأهم من ذلك أنه أراده بكل قوة وبكل طيبة خاطر خوفاً من انقسامات قد تسببها هذه النزاعات، فتودي بوحدة الإمبراطورية، خاصة وأن أعداءها الخارجيين، شرقاً وغرباً، كانوا كُثراً.

أتى الأساقفة واجتمعوا، بعدد يقارب الثلاثمائة، في مدينة نيقيا سنة ٣٢٥، للدفاع عن إيمانهم: الإيمان الذي ورثوه عن أجدادهم وآبائهم والذي من أجله ضحّى أسلافهم بحياتهم واستشهدوا، ودفعوا الثمن غالياً جداً، لصونه وللحفاظ عليه في نفوسهم وفي قلوب رعاياهم، والمهدَّد في عمق أعماقه. جاؤوا إلى هنا، ليهبّوا متصدين لأعدائه، ومجابهتهم دون خوف ولا رهبة ولا فزع. فأعلنوا العقيدة الصحيحة القويمة، مُثبتينها في دستور إيمان، يؤكد على المساواة الجوهرية بين الابن والآب. ثم إنهم أدانوا مخالفي هذا الإيمان، وعلى رأسهم مؤسس الهرطقة، وقائد الحملة المعادية آريوس. وسيكون لقانون الإيمان هذا، وللمجمع بالطبع، صدى مسكوني، سيمتد تأثيره، في الزمان والمكان، على جميع الكنائس، وسيحل، رويداً رويداً، محل قوانين الإيمان الأخرى المستخدمة آنذاك وفي العصور اللاحقة وحتى أيامنا هذه. وإن أهم ما طلع به هذا الدستور، أو قانون إيمان نيقيا، وأهم ما أدخله على مفاهيم الإيمان، يمكن تشخيص صيغه في العبارات الآتية: "من جوهر الآب"، "إله من إله"، "نور من نور"، "إله حق من إله حق"، "مولود غير مخلوق"، وأهمها بالطبع، "مساوٍ للآب في الجوهر".

وتوصل مجمع نيقيا، فعلياً، إلى حل هذين الموضوعين -لاهوت المسيح وتاريخ تعييد الفصح- وغيرهما من المواضيع الإدارية والتنظيمية والليتورجية في الكنيسة: حرم آريوس وآراءه ومن تبعه، وحدد موعد عيد الفصح، مستنداً على التقويم الإسكندري، على أن يكون العيد يوم أحد، وعلى أن تحدد كنيستا الإسكندرية وروما، هذا الموعد كل عام، وتبلغاه إلى كل كنائس المسكونة. وطرح المجمع أيضاً على بساط البحث، موضوعي انشقاق ملاتيوس في مصر وعزوبية الإكليروس.

وإن ما يلفت انتباهنا هنا، أننا لا نجد في الكتاب المقدس ولا في التقليد القديم، أي شهادة على أمر إلهي، بالدعوة إلى اجتماعات مسكونية، إنما الأحداث نفسها، فرضت مثل هذا الاجتماع الذي كان، واقعياً، نوعاً من التعدي من قِبل الإمبراطور، على سلطة الكنيسة، لكن عدم اعتراض أحد من المسؤولين، كان بمثابة

برهان ضمني بالقبول؟ أليس الصمت غالباً هو علامة رضى؟ من المؤكد أن الأساقفة لم يقبلوا على مضض، ولا عن خضوع، مثل هذا القرار، إذ نلاحظ تحبيذاً من قِبلهم؛ لا بل إن العديد من آباء الكنيسة ومن المؤمنين اعتبروا آنذاك، أن وصول قسطنطين إلى الحكم، ودعوته إلى مجمع مسكوني، تدخل من العناية الإلهية بالذات. وبالفعل، حقق هذا المجمع المسكوني الأول نجاحاً باهراً، ولو لم تظهر نتائجه فوراً، سواء للكنيسة لأنه رد الأخطاء العقائدية، وثبت الكنيسة في الإيمان القويم، أو لسياسة قسطنطين الدينية والسياسية، بتوحيد كلمته وتثبيتها. ويجب التوضيح هنا، أن المجمع لم يكن أبداً "نتيجة ترافع طرفين لدى أصحاب القضاء للفصل في قضيتهما"، كما أنه لم يكن من إرادة الكنيسة، إنما فُرض عليها فرضاً ورضيت به[٨٠].

يعود الفضل في تنظيم كل هذه الأمور وغيرها من المواضيع المدنية-الدينية، الخاصة بالكنيسة، إلى هذا الإمبراطور العظيم قسطنطين، الذي بقراره، عقد أول مجمع مسكوني في نيقيا (٣٢٥)، جمع الكنيسة، لتأخذ موقفاً موحَّداً، إزاء هرطقة هامة، نعني الآريوسية، وأعطاها، بذلك، تقليداً جديداً، ألا وهو عقد مجامع مسكونية.

٨٠ راجع أبرص وعرب. ج ١، ٤٣-٤٤.

www.old-criticism.blogspot.com

إنَّ كِرازةَ الرُّسُلِ وَ تَعَالِيمَ الآباءِ قَدْ أَقَرَّتْ إيمَاناً واحِداً فِي الكَنِيسةِ. فَهَذِه، إذْ قَدْ لَبِسَتْ وِشَاحَ الحَقِّ المَنْسُوجَ مِنْ عِلْمِ اللاهُوتِ المُنْزَلِ، تُفَصِّلُ بِإحْكامٍ وتُمَجِّدُ سِرَّ التَّقْوى العَظِيم.

قنداق الأحد بعد الصعود

أحد القديسين آباء المجمع المسكوني الأول

الفصل الأوّل

جذور الآريوسية :

الأخطاء اللاهوتية السالفة حول "اللوغوس"

كانت صورة يسوع المسيح التاريخي والممجَّد، منذ نشأة الكنيسة، محط التفكير الأول، في تعبير المؤمنين، وحياتهم وعبادتهم. وقد أُطلقت أسماء وألقاب عديدة عليه، تُوضح إيماناً جماعياً، حتى قبل تحديد قانون العهد الجديد بشكل نهائي، مثل "ابن الله"، "حكمة"، "لوغوس"، "ابن داود"، وكان كلاً منها يستدعي عالماً من الأفكار. وكانت متنوعة الدلالات، وغايتها وصف رسالة رجل الناصرة، المتعددة الأشكال. ولسوف يشهد هذا الفكر، تطوّراً وإعادة صياغة مستمرين. فقد أعطى كل واحد، القسمات المفضلة لديه، من شخص يسوع ورسالته وتعاليمه وطبيعتيه، وحالتي المسيح: التنازل المرتبط بالتجسد، والتمجيد بقدرة الروح القدس[٨١].

وراحت تتراكم الإجابات على أسئلة خريستولوجية، مرتكزة على مكوّنات الثقافة والفكر المعاصرين؛ ولهذا نرى أنها اعتمدت على ثلاث انتروبولوجيات أساسية، للرد على هذه التساؤلات، وهي: الانتروبولوجيا الغنوصية، المرتكزة على "الإنسان-الروح"، وهي تهتم بخلاص الناس "الروحيين"؛ والانتروبولوجيا الفيلونية، المرتكزة على "الإنسان-العقل"، وهي تهتم بخلاص النفس؛ والانتروبولوجيا الآسيوية، المرتكزة على "الإنسان-الجسد"، والمهتمة بخلاص الجسد. وهكذا فإن كل واحد، عكس انتروبولوجيته حول شخص المسيح وأعماله. وهكذا نلاحظ أن التفسيرات حول يسوع المسيح، تأثرت بالبيئة العامة والثقافة واللغة... أو ما يمكن تسميته بالخبرات التاريخية المختلفة. فمثلاً إن ما يفهمه القارئ الفلسطيني، يختلف عما يفهمه الذين نشأوا على الثقافة أو في البيئة الهلّينستية. وهكذا نجد أن

---

٨١ راجع فل ٢/٥-١١.

www.old-criticism.blogspot.com

الخريستولوجيا تحددت، بالنسبة للانتروبولوجيا، التي صُممت، بدورها، على ضوء الكتاب المقدس والتقليد الرسولي الذي كان معيار تفسير الأسفار المقدسة.

من خلال كل هذه المحاولات الخريستولوجية، نلاحظ أن الكنيسة اعترفت أن اللوغوس إله حق ومساوٍ للآب، ولكنها ميّزته عن الآب في الوقت عينه. ولكن هذا الإيمان لم يوضع في صيغٍ واضحة قبل نيقيا، أي لم يكن ثمة تمييز بين الأقانيم الثلاثة في وحدانية الطبيعة الإلهية. ولم يكن اللاهوت، حتى القرن الثالث، واضحاً في تعابيره، خصوصاً حول لاهوت الكلمة "اللوغوس"*، أو بالأحرى، لم تكن هذه التعابير مُحكمة التطابق مع العقيدة، مما أثار الكثير من التحفظات عند الكتّاب الكنسيين في تلك الفترة، بالرغم من أن التقليد القديم، قد حددها وكذلك العهد الجديد؛ كما أنه لم تخلُ معظم نصوص آباء الكنيسة من الغموض[٨٢]: لم يكن أحد ليشك في ألوهية الله الآب، الإله الحق وحده، إنما كانت المشكلة تدور حول شخصية المسيح "ابن الله"، الذي عبدته الكنيسة كسيد ورب "كيريوس"*، فوضعته دائماً إلى جانب الآب الذي شهد له أنه ابنه، وأعطت العماد باسمه مع الآب والروح[٨٣]. فما هي بالتفصيل بنوة السيد المسيح؟ هل هو إله آخر؟ حاشا، فالله واحد. وهل هو أقل من الله الخالق؟ حاشا، فهو إله. وكيف لا يجد المثقف والمفكر تناقضاً بين الله الواحد، وبين الابن الإله أيضاً؟ أسئلة كثيرة طُرحت حول جوهر "اللوغوس" الكلمة، وكانت لفترة طويلة، مدار جدل داخلي وخارجي في الوقت نفسه، أي مع أبناء الكنيسة ومع اليهود والوثنيين. وحاول عدد وافر من المسيحيين الإجابة عليها قبل آريوس، أمثال اثيناغوراس وثيوفيلوس وتاتيانوس وترتليانوس واوريجانوس ولوكيانوس الأنطاكي، معلم آريوس، وصابيليوس وبولس السميساطي، وغيرهم.[٨٤] فوقعوا في أخطاء عديدة، سواء لأنهم شبّهوا اللوغوس

* اللوغوس Λογος كلمة يونانية الأصل وتعني "الكلمة".

٨٢ Cf. Pollard T-E., Logos and Son in Origen, Arius and Athanasius: SP 2 (1957). 282-287.

* سيد أو رب وباليونانية Κυριος

٨٣ هذا ما نراه في معظم قوانين الإيمان السابقة لمجمع نيقيا، التي كانت تقال في رتبة المعمودية. De Urbina., 32

٨٤ لسوف نرى آراء أغلبهم في سياق هذا الفصل؛ Jedin., 19 .

المسيحي باللوغوس الأفلاطوني أو الفيلوني[٨٥]، فنقصّوا من كرامة الابن وقوته، إذ اعتبروه كفاطر العالم، أسمى الكائنات الوسيطة بين الله والإنسان؛ وقالوا إن لكيانه ابتداء، فهو مولود وبالتالي غير مساوٍ لله الآب؛ سواء لأنهم شددوا كثيراً على التمييز الشخصاني بين الابن والآب. أو لأنهم أرادوا إثبات ألوهية اللوغوس ومساواته للآب، دون أن يعرفوا تماماً كيف يوفقون بين كونه إلهاً وكونه مخلوقاً، فأخطأوا أيضاً في شرح العلاقة بين الألوهية والإنسانية: هل خُلق من العدم أم ولد من الآب؟ هل هو إله بنفس مستوى ألوهية الآب؟... ومما زاد في الطين بلّة، استخدام الآباء الألفاظ اليونانية "طبيعة"*، وجوهر"*، وأقنوم"*، لمعان مختلفة، لكن دون التمييز بينها، مما أدى في الواقع إلى التباس وإبهام، بما رغب الآباء قوله. وفي موازاة التعليم الكنسي الرسمي، وإلى جانبه، واجهت الكنيسة تحديات كثيرة وأخطاراً جمة، خلقت في كثير من الأحيان، جواً من التوتر فيما بينها، وفي أحيان أخرى، وصلت حدّ المشاحنات والنزاعات بينها وبين المعلمين الكذبة، مما استدعاها للرد عليهم، والوقوف في وجههم، لتحفظ صورة المسيح نقية شفافة لا يشوبها أي شائبة، ولتحرض المؤمنين على الثبات.

ظهرت في القرون الثلاثة الأولى، عدة تيارات فلسفية ومحاولات ومدارس لاهوتية، غايتها شرح العقيدة المسيحية. وتأثر أغلبها بالطابع اليوناني خصوصاً، وكان هناك رفض واضح في الكنيسة للطابع اليهودي، لأن الجماعة اليهودية المتنصرة، اعتبرت اليهودية عدوة لها، عندما لاحظت اضطهاد هذه الأخيرة لها، وتحريضها الرومانيين ضد الكنيسة؛ كما كان أغلب المسؤولين مع المثقفين، يرفضون الطابع السرياني، لأنهم اعتبروه أقل حضارة من اليوناني. هذا ويجب أن لا ننسى، كم أن الديانة اليونانية غنية بالأساطير الميتولوجية وبالمناخ الفلسفي، مما أمال كفة الميزان، نحو الطابع الهلّيني، السائد على الطبقة الاجتماعية الراقية والمثقفة، في

٨٥ نسبة إلى فيلون الإسكندري، وسندرج له مقطعاً خاصاً بمنهجه الفلسفي، الذي كان له تأثير هام جداً على تفكير الناس في القرنين الأول والثاني؛ وتظهر بعض أفكاره وكأنها تتطابق وأفكار آريوس.

* طبيعة Φυσις Physis

* جوهر Ουσια Oussia

* أقنوم Υποστασις Hypostase

www.old-criticism.blogspot.com

كل أنحاء الشرق[٨٦]. وحاولت بعض التيارات الفلسفية أيضاً، إعطاء المسائل ذاتها أجوبة، أي حول أصل العالم المنظور وأصل المادة والشر، والعلاقة بين الروح والمادة، ويسوع وعلاقته بالله. فأعطت ردوداً مختلفة، لم تكن دائماً صحيحة، ولا مطابقة لإيمان الكنيسة القويم[٨٧]. ونذكر من هذه التيارات، تلك التي أثرت مباشرة في آريوس، وغذّت التيار الآريوسي: العرفان أو الغنوصية والدونية[٨٨] والأفلاطونية الجديدة والمونارخية[٨٩].

لم تكن الآريوسية إذاً وليدة الساعة الحاضرة، بل هي مصب لترسبات الماضي العديدة، لأن اللاهوت عرف سوابق تعليمية مماثلة وشبيهة، امتدت جذورها إلى الكنيسة الأولى. حاول آريوس، على غرار من سبقوه، أن يقدم شروحاً في الثالوث والخريستولوجيا، وكل العقائد الأخرى، المرتبطة بهذه العقائد الرئيسة، ولكنه أعطى صورة مشوهة عنها، تشبه الكثير من الصور التي قدمها اللاهوت في العصور الثلاثة الأولى. ورث آريوس إذاً، العديد من التيارات اللاهوتية، وقَولبها وطوّرها، وأخرج منها مذهباً جديداً؛ وقد عمد غالباً، إلى الاستناد على أسماء لاهوتية معروفة، ليس لأنه متأثر بها فعلياً، أو لأنه يتبع تعاليمها، كاوريجانوس وديونيسيوس الإسكندري، إنما اعتمدها لتثبيت أقواله وصحة مقالاته، لأنها تُشكل سلطاناً ونفوذاً بالنسبة للشعب المؤمن آنذاك. فإذا ما تفحصنا جيداً أفكار آريوس والعقائد التي نادى بها، نجدها صدى أو نتيجة حتمية، لآراء تنادي بالدونية (كرامة الابن أدنى من كرامة الآب)[٩٠]، أو التي تلقنها من معلمه لوكيانوس أو التي استقاها من تيار فلسفي عرفاني قديم العهد، محافظاً بكل أمانة على عقيدة إيمانية، يرى أنه لا يجب المساس بها، وهي وحدانية الله.

٨٦ يجب أن لا يغيب عن ذهننا، تأثر الكنيسة منذ البداية بالحضارة اليونانية؛ ولقد حاول العلماء، استخلاص نظرتهم حول الله وحول العالم، من النظرة اليونانية لنسب الآلهة ونشأة العالم. ونلاحظ أن كنيسة روما بالذات، بقيت تصلي باللغة اليونانية حتى منتصف القرن الثالث، أي عندما ابتدأت اللغة اللاتينية الآتية من شمال أفريقيا، تسيطر على الحضارة والثقافة في روما.

٨٧ Cf. Simonetti M., Le origini dell'arianesimo: RSLR 7 (1971). 317-330.

٨٨ الدونية Subordinationisme تيار لاهوتي يقول إن الابن أدنى مرتبة من الآب؛ انتشر خاصة في أفريقيا بين سنة ٣٠٤ و ٣١١.

٨٩ Dvornik., 18.

٩٠ De Urbina., 32.

ويمكننا أن نقول، إن المشكلة الكبرى في كل تاريخ اللاهوت المسيحي، هي مشكلة توحيد، إن كان على صعيد وحدانية الله، أو على صعيد الوحدانية في المسيح، التي عرفتها الخريستولوجيا على مختلف المستويات: في الطبيعة، في الأقنوم، في المشيئة.

أولاً– الأبيونية

تعني كلمة "أبيونية"، الفقراء باللغة العبرانية، وقد اختلف الشراح في سبب هذه التسمية. فمنهم من قال إن أفراد هذه البدعة، دُعوا بهذا الاسم، ربما لفقرهم إلى الذكاء أو في الفهم؛ ومنهم من اعتبر ذلك لفقرهم إلى الرجاء والأعمال، أو إلى الآراء الخريستولوجية أو إلى بساطة الشريعة التي يتبعونها. ولقد أُعطي هذا الاسم لعدة فرق مسيحية–متهودة، نجدها خاصة في آسيا، بين القرنين الثاني والثالث. وكان أغلب الأبيونيين مسيحيين، ولكنهم رفضوا الاعتراف بجديد الإنجيل، وظلوا متمسكين بالشريعة اليهودية؛ فبعضهم كان غنوصياً والبعض الآخر كان يرفض ألوهية المسيح: هو ليس مجرد إنسان، بل هو "مصطفى الله، مدعو ومنتخب من الله"، هو النبي الحقيقي. ويرفض هؤلاء الأبيونيون أن يكون المسيح، قد وُلد من العذراء؛ هو مخلوق مثل رؤساء الملائكة، وهو يملك على الملائكة وعلى الخلائق كلها؛ وهو اتحاد كائن سماوي مع الإنسان يسوع، ليكوّنا المسيح ابن الله. ويعتقد البعض الآخر، أن رسالة المسيح، هي أن يلغي الذبيحة اليهودية وأن يُنهي كهنوتها. ورغم كل ذلك، نرى أن كل الأبيونيين، بقوا متجذرين باليهودية.[٩١]

أسقطت الأبيونية فكرة التثليث في الله، لأنها رفضت كل ما يهدد فكرة التوحيد فيه. لذا اعتبرت المسيح مجرد إنسان، اختاره الله ليصبح المسيح الذي بشر به الأنبياء والناموس؛ وجرى اصطفاؤه لسلوكه الحسن: فبعد أن عاش مدة ثلاثين سنة، تقرّب لينال معمودية يوحنا، حيث تلقى ملء الروح، أكثر من كل شخصيات العهد القديم. ومذاك أصبح المسيح، وبدأ النظام المبشر به في الشريعة

٩١ Grillmeier A., I. 245-247; Magnin J-M., Notes sur l'ébioniste, POC 23 (1973). 233-265; 24 (1974). 225-250; 25 (1975). 245-274; 26 (1976). 293-318; 27 (1977). 250-276.

www.old-criticism.blogspot.com

والأنبياء. وراح يكرز بالبر الوحيد، أي بر الشريعة. ولم تقبل الأبيونية فكرة الفداء والوساطة، فهي أعطت الصلب والموت وما تبعهما، معنى وقيمة مثالية أو نموذجية فقط: يُظهر البار طريق الخلاص، لكنه ليس فاعله![٩٢]

ثانياً– مركيون

مركيون وهو غنوصي ذو طابع خاص. وُلد في البنطس، وكان يعمل في صناعة السفن. قطعه أبوه أسقف سينوب سنة ١٣٩، فانتمى إلى كنيسة روما، التي ما لبثت أن قطعته عنها سنة ١٤٤، وكان معادياً لليهودية، ويرفض العهد القديم. ألّف كتاب عهد جديد خاص به، انتقاه من الأناجيل ومن رسائل بولس. وادّعى أن هناك الإله خالق العالم، البار والعادل والمنتقم، وهو إله العبرانيين الفاطر، وفوقه الإله المجهول إله المحبة، الذي كشف عن نفسه في المسيح، في جسد ظاهري فقط، وجلب للعالم هدية الفداء. وقال يجب ألا تُخلط عظمة الإنجيل مع مخطط يهوى.

تبنى مركيون خريستولوجيا، مؤسسة على قاعدة قانونه للعهد الجديد: إن يسوع المسيح هو الله الآب، من حيث إنه روح خلاصية، وقد أتى بشبه جسد وليس حسب الجسد. وربما هو إنسان حقيقي، من أصل سماوي، ظهر تحت طبيعتين: إلهية لأنه مخلص، وملائكية لأنه روح سماوي. وقد وصل إلى الأرض من دون حبل، ولا ولادة حسية ، ولا طفولة ولا مراهقة، ولا معمودية، ولا تجارب، بل وصل فجأة، وهو راشد بالغ، إلى مجمع كفرناحوم. وهو معلم كامل، عاش مع الناس، وكرز بإنجيل الآب، وأسس الإفخارستيا، ومات وافتدى النفوس في الجحيم، وقام وعاد إلى نقطة البداية. فالخلاص، بالنسبة لمركيون، موجّه للنفس، من أجل خلاص أبدي للإنسان الداخلي. أما الجسد واللحم فلهما خلاص مؤقت عابر، وهو خلاص اسرائيل الخارجي، أما الخلاص الأبدي، فهو خارج نطاقه.

أسس مركيون كنيسة انشقت عن الكنيسة الجامعة، وكانت من أخطر الكنائس المعادية، وانتشرت في إيطاليا وأفريقيا ومصر، ودامت عدة قرون. وتاب

٩٢ Cf. Orbe., Il Cristo. I. XX-XXIII; AA-VV., Nuova storia della Chiesa. I. 96-97.

في نهاية حياته. وحارب الآباء، أمثال يوستينوس وترتليانوس واوريجانوس وايريناوس، هذه البدعة التي لم تختفِ نهائياً إلا حوالي القرن العاشر.[٩٣]

ثالثاً– فيلون الإسكندري

ليس من المستغرب أن نجد اسم فيلون اليهودي في جذور الآريوسية، لا بل نجد ضرورة لذكره هنا، لأنه أسس تياراً فلسفياً، انطلق فيه قبل المسيح، وأعطاه منهجاً خاصاً به، دُعي باسمه: "التيار الفيلوني". وقد أثر هذا التيار على افلوطين، وساهم إلى حد بعيد، في دعم الأفلاطونية الحديثة، لأن افلوطين اتخذ أفكار فيلون الفلسفية، ثم أضاف عليها بعضاً من آراء فلاسفة يونانيين، محاولاً تنظيم التيار الفيلوني بطريقة أفضل.

وُلد فيلون، الفيلسوف اليوناني الأصل، اليهودي المعتقد، في الإسكندرية سنة ٢٥ ق.م.، ودرس الفلسفة اليونانية، ولكنه بقي متعلقاً بإيمانه اليهودي. واهتم، بنوع خاص، بتفسير الكتاب المقدس. ولأن فيلون كان يهودياً مؤمناً وفيلسوفاً محنكاً، حاول فهم كتابه المقدس، نعني العهد القديم، من خلال الفلسفة، فقد ترك تفسيراً رمزياً أو مجازياً لأسفار التوراة، كما ألّف بعض الموضوعات الفلسفية، وكتابين تاريخيين حول الحياة التأملية، يصف فيهما الحياة النسكية اليهودية ويمجدها. لذا جاءت عقيدة فيلون، مزيجاً من افلاطون ومن الكتاب المقدس (العهد القديم)، حيث يحتل التفسير الرمزي مكانة هامة. وتوفي عام ٥٠ بعد الميلاد.

أثرت عقيدة فيلون كثيراً ، سواء على الأفلاطونية الجديدة والغنوصيين، أو على اللاهوت الآبائي، خصوصاً على المفسرين الإسكندريين، أمثال اكليمنضوس واوريجانوس وسواهما، فتأثروا مثله بالمدرسة اليونانية. انطلق فيلون من مبدأ أن الله، هو إله العالم كله، وليس إله اليهود وحدهم، وذلك لا ينفي لديه قناعته، بأن تاريخ اليهود هو تاريخ الخلاص، وبأن إبراهيم ليس أب المؤمنين فقط، بل هو،

٩٣ رستم، ج ١. ٦٤-٦٥؛ Cf. Orbe., Il Cristo. I. XV-XVII; F-M., II. 26-35; AA-VV., Nuova storia della Chiesa. I. 140-141; Q., I. 236-239.

www.old-criticism.blogspot.com

خاصة، أول الفلاسفة؛ ويقول فيلون إن الله أكبر من كل تحديد: هو الواحد والأول، غير المنقسم وغير المدرك، هو المتعالي، هو الوحدة العشرية، هو الخير والرؤوف الذي ينشر الخير حوله، هو سلام وحرية، هو الكمال والهدف، هو مبدأ سعادة البشر، هو الذي يدعونا جميعاً والذي يقودنا، هو الذي خلق العالم المنظور والمفهوم، وذلك بدافع من فيض محبته. ويبدو أن فيلون كان أول من اعترف، بأن العالم علة سامية متعالية، تهتم به العناية الإلهية. فكل ذلك، بالنسبة إليه، يوجه النفس نحو الفلسفة الإلهية، أكثر منه نحو إيمان تجريبي: فالنفس مشتاقة إلى الله وراغبة فيه، وتائقة إلى رؤيته لكنها لا تعرف كيف تصل إليه: ويجد لها فيلون الحل، قائلاً بوجود وسطاء متميّزين بين الله والعالم، هي القوى العليا، التي بها تبلغ أعمال الله العالم، وبواسطتها يستطيع الإنسان أن يبلغ إلى الله عن طريق التأمل. وهذه القوى هي الملائكة أو القوى الأفلاطونية أو الرواقية؛ وشخصياتها ليست ظاهرة، لأن الشخص عاجز عن إدراكها؛ ومن مهماتها الأساسية، أنها تسمح للنفس البشرية الواهنة جداً، أن تنظر نحو الشمس الإلهية.

وإن أسمى هذه القوى وأقربها إلى الله، هو اللوغوس: صورة الله البشرية[٩٤]، كائن كامل، سماوي، إنسان سماوي خُلق كبعيم*، وهو نموذج الروح البشرية*؛ دوره مثالي لأنه مبدأ الفهم والذكاء؛ هو الوسيط الذي يسمح لله العمل بالعالم، ويسمح للناس بالارتقاء نحو الله؛ هو آلة الخلق؛ وهو أيضاً موضوع تأمل، لأولئك الذين لا يستطيعون بلوغ الله. وما ملاك الرب أو الكاهن الأعظم أو المقام، لدى فيلون اليهودي، إلا رمز اللوغوس، ويسمح لذاته بأن يدعوه ابن الله البكر أحياناً. وكما أن القوى تماثل الأفكار الأفلاطونية، فاللوغوس هو العالم المعقول، مثال الكائنات كلها، وخاصة الإنسان؛ وهو أيضاً، كما يعتقد الرواقيون، السند والرابط والقانون الطبيعي والأخلاقي. وهذا اللوغوس ليس الله، إنما هو القوة الأسمى، ويختلف عن بقية القوى، بشخصيته المتأرجحة وغير الثابتة[٩٥]. ولا يوجد أي فارق

٩٤ راجع تك ١/٢٧؛ ٢/٧.
* بعيم Prototype
* الروح البشرية Νους
٩٥ يقول فيلون: "هذه التعددية ليست إلا ظاهرية، فإذا كانت العين سليمة صحيحة، وإذا كانت النفس نشطة وشديدة، وإذا كانت تستطيع تثبيت أنظارها على الشمس، دون رؤية اثنين أو ثلاثة، فهي ترى الله كما هو في وحدانيته".

بين اللوغوس وبين ما يدعوه فيلون الإنسان السماوي، لأن الإنسان خُلق على صورة الله. وهنا يميّز فيلون بين الإنسان المكوّن، والإنسان على صورة الله.

وإذا ما تتبعنا فيلون في تفكيره ومنهجه الفلسفي، نجده يتحدث عن الإنسان في العالم، فيقول إن هذا الإنسان المكوّن من النفس والجسد، يعيش جدلية عواطفه، وهو غير ثابت على الصعيد الأخلاقي. فهو لا يحتقر الجسد، إنما يرى قطبين يتجاذبان الإنسان، قطب سلبي وقطب إيجابي، وأن على الإنسان أن يختار بين اللذة التي تقوده إلى الشر، وبين مقاومتها واختيار العودة إلى الله. فالإنسان مدعو إذاً من الله، إلى مصير لا مثيل له. والله الذي لا يتخلى عن مخلوقاته الإنسانية، يدعوه إلى الالتقاء به عن طريق السيطرة على الذات، وعلى الإحساس، وعن طريق التخلي عن الجسد وعن الكلام؛ ويتم ذلك بالتنسك والتأمل والعبادة والصلاة، وحيث ترتقي النفس، ببطء شديد نحو الله. وهنا تكمن أهمية العقل والمنطق.

ويلاحظ فيلون في منهجه، نوعاً من التناقض، عندما يقول بالعودة إلى الله عن طريق العالم، ثم ينادي بالتخلي عن العالم ورفضه، للوصول إلى الله؛ فلكي يوفق بينهما قال بأنها مراحل متتالية لذات الطريق الصاعدة والمؤدية إليه تعالى. وعندما ينظر إلى الموت يتابع بقوله، إن الحياة ممكنة، لكن على الإنسان أن يتخطى أولاً الموت، ليصل إلى الحياة.[٩٦]

رابعاً– افلوطين والأفلاطونية الحديثة

أصبحت الإسكندرية، بعد غزوات الإسكندر الكبير، مركزاً مهماً، تلاقت فيه الحضارات والثقافات اليونانية والشرقية وتمازجت، فكانت الغذاء الذي أعطى

٩٦ Cf. Bréhier E., Les idées philosophiques et religieuses de Philon d'Alexandrie. Paris 1950; Daniélou J., Philon d'Alexandrie. Paris 1958; Daumas F., Oeuvres de Philon. Paris 1964; Kannen-Giesser Ch., Philon et les Pères sur la double création de l'homme: Les Actes du Colloque National sur Philon d'Alexandrie. Lyon 1966; Philon d'Alexandrie, Colloques nationaux du Centre National de la Recherche Scientifique. Paris 1967; Menard J., La Gnose de Philon d'Alexandrie. Paris 1987.

www.old-criticism.blogspot.com

القوة، لنمو وتطوّر الأفلاطونية الحديثة التي تجمع فيها، بعضاً من تعاليم الفيثاغورية والارسطوطاليسية وشيئاً من آراء زينون (٣٣٥-٢٦٤ ق.م.) وفيلون، وكلها مصهورة بفلسفة افلاطون، مع نظرة تصوفية هندية ويهودية.

ابتدأت الأفلاطونية الحديثة في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، ورسمياً، في الإسكندرية، في أوائل القرن الثالث، عندما غزا تيار جديد الفكر اليوناني، وكاد أن يتميّز تميزاً شديداً جداً، عما سبقه من تيارات في الفلسفة اليونانية، لأننا لا نستطيع أن ندخله بدقة، داخل إطار الروح اليونانية التي كانت مسيطرة آنذاك: اعتقدت الأفلاطونية الحديثة بثلاثة أشخاص* كونيين، إليهم ترجع كل الكائنات: أولاً المبدأ أو الوحيد الثابت، الذي لا يتبدل ولا يمكن إدراكه بعقولنا؛ ثم الحكمة أو العقل المشابه للكلمة، وهو المُعطي الأشكال[٩٧]؛ وأخيراً النفس. والحكمة تأتي من المبدأ، مثل أشعة الشمس أو مثل النهر من منبعه، لذا لها صفة إلهية، وهي خالقة العالم المرئي. ويبقى المبدأ أعلى منها، وهو الوحيد غير المخلوق، ويتعدى كل صنف ويفوق كل فئة[٩٨]. وقد مهّد لهذا التيار فلاسفة سابقون، منهم فيلون، وهو أهم ممثل سابق على افلوطين. وانطلقت الأفلاطونية الحديثة بقوة، عندما استلم امونيوس ساكاس[٩٩] مدرستها، وعلّم فيها الفلسفة؛ فهو يُعتبر مؤسس هذه "المدرسة الفلسفية"، لأن طلابه استقوا منه هذا المزيج من الفلسفات، ضمن تياره الحديث، ثم توزعوا وتابعوا تعاليمه. واستمرت الأفلاطونية الحديثة، سائدة في الإسكندرية وعبر العالم، بسبب انتشار تلاميذها أو سفرهم في الشرق والغرب، حتى القرن السادس: تابع كل من افلوطين، وبورفيريوس، ولونجينوس، واوريجانوس، تعليم آراء معلمهم في مصر، بينما انتقل جانبليك[١٠٠] إلى سوريا، يُعلّم فيها، وبالتحديد في

---

* أشخاص Hypostases

٩٧ مثل الكلمة عند الارسطوطاليسيين، أو كالنفس العالمية عند الرواقيين.

٩٨ De Urbina., 31.

٩٩ امونيوس ساكاس Ammonios Saccas أي الحمّال، وهي المهنة التي كان يقوم بها قبل بدء التعليم. وهو فيلسوف يوناني من نهاية القرن الثاني وبداية الثالث بعد المسيح. درس الفلسفة ثم علّمها. وكان فيلسوفاً انتقائياً، إذ عرف أن يصهر في بوتقة واحدة، العديد من الفلسفات اليونانية والتيارات الشرقية. ولم يترك لنا كتابات، إنما أسس تياراً لا بل مدرسة بحد ذاتها. فالأفلاطونية الحديثة هي نتيجة تعليمه. ومن أشهر تلاميذه افلوطين وبورفيريوس واوريجانوس.

١٠٠ جانبليك (حوالي ٢٥٠-٣٣٠) Jamblique : فيلسوف يوناني من المدرسة الأفلاطونية الحديثة، تلميذ الفيلسوف اناطوليوس؛ تبحّر في العلوم الفلسفية وفي الأفكار الكلدانية والمصرية، وعلّم في سوريا. رفض

منطقة قلعة المضيق. وأسس ايديسيوس[١٠١] الكبادوكي مدرسة في إيطاليا. ومنذ عام ٤٠٠، كان بلوتارك[١٠٢] الأثيني، وخليفته بروكلوس[١٠٣]، يعلمان الأفلاطونية الحديثة في أثينا. وعندما اضطرت المدرسة إلى أن تغلق أبوابها عام ٥٢٩، إثر منشور الإمبراطور يوستينيانوس الأول (منع فيه تعليم الفلسفة)، التجأ الثنائي داماسكيوس[١٠٤] وسمبليكيوس[١٠٥]، إلى بلاد فارس، ليتابعا الرسالة هناك؛ وبقي هيباتيوس في الإسكندرية ذاتها، حتى عام ٤١٥، يواصل المهمة، بالرغم من تحول مدرستها عن هذا التيار. ولكن في القرن السادس، نجد ظهور تيارات فلسفية جديدة، مرتبطة بهذه الأفلاطونية، تتفتق براعمها في مدرسة الإسكندرية بالذات، لتتركها معقلاً ثابتاً لها.

آراء بورفيريوس وافلوطين وتبع فيثاغوروس. انتقد الدين المسيحي، واعتبر الأفلاطونية الحديثة هي الدين المناقض للمسيحية. كان يصنع المعجزات، مدعياً أن بإمكان الإنسان الدخول في علاقة مع الألوهية، بواسطة طقوس سرية وعبارات رمزية. GLE VI. 305

١٠١ ايديسيوس (توفي سنة ٣٥٥) Aedesius : فيلسوف من المدرسة ذاتها، ولد في كبادوكيا. واصل نشر تعاليم أستاذه جانبليك، وأسس مدرسة في برغامو Bergamo في إيطاليا. توفي عام ٣٥٥ دون أن يترك مؤلفات. Id. I. 110

١٠٢ بلوتارك (توفي نحو سنة ٤٣٥) Plutarque : كان فيلسوفاً ولاهوتياً وكاهناً في آن واحد، متمسكاً بالميراث اليوناني. كما كان قومياً بالغ القوة، يؤيد التقاليد الدينية اليونانية، ويحتج على التأويلات العقلانية لحياة الآلهة. برهييه اميل، تاريخ الفلسفة. الجزء الثاني، الفلسفة الهلنستية والرومانية. ترجمة جورج طرابيشي. بيروت ١٩٨٢. ٢٣١-٢٣٢.

١٠٣ بروكلوس (٤١٢-٤٨٥) Proclus : درس الفلسفة في الإسكندرية وعلّم في أثينا. كان من أهم الداعين إلى الأفلاطونية الحديثة، ومن أشهر ممثليها بعد افلوطين. تسلم رئاسة مدرسة أثينا الفلسفية بعد دومنينوس، وهو في الأربعين من عمره. وبقي فيها أكثر من ثلاثين سنة. ترك العديد من المؤلفات المختلفة المواضيع. Id. VIII. 817.

١٠٤ داماسكيوس (حوالي ٤٨٠- أوائل القرن السادس) Damaskios : هو آخر رئيس لمدرسة أثينا الفلسفية. درس هو أيضاً في الإسكندرية، ثم في أثينا حيث علّم فيما بعد. وعندما منع يوستينيانوس تعليم الفلسفة، التجأ داماسكيوس إلى خوسرويه الفارسي. وخلافاً لما فعله بورفيريوس وبروكلوس، لم يتعد داماسكينوس على المسيحية، ولم ينتقدها على غرارهما بل رأى فيها أخلاقية عالية كما رأى افلوطين. Id. III. 765

١٠٥ سمبليكيوس (عاش في القرن السادس) Simplicius ou Simplikios : تلميذ امونيوس ساكاس في الإسكندرية، وداماسكيوس في أثينا. كان من أواخر معلمي عقائد الأفلاطونية الحديثة في اليونان. هرب هو أيضاً مع معلمه داماسكيوس إلى بلاد الفرس، عند منع تعليم الفلسفة في اليونان. لكنه ما لبث أن عاد سنة ٥٣٣، وابتدأ بالتأليف نظراً إلى عدم استطاعته التعليم جهراً. حاول التوفيق بين ارسطو وافلاطون، مستنداً إلى أفكار جانبليك. ترك العديد من المؤلفات الفلسفية، التي تعطينا فكرة شاملة عن الفلسفة اليونانية آنذاك، لأنه يذكر نصوصاً عديدة من الفلاسفة، أمثال امبيدوكلوس وارسطو وابيكتاتوس وسواهم. Id. IX. 838

www.old-criticism.blogspot.com

وبلغ هذا التيار الأفلاطوني المحدث أوجه مع افلوطين (٢٠٥-٢٧٠)، الذي ارتبط به اسمه، أكثر من زملائه، إذ إن هذا الفيلسوف، تابع بدقة أسلوب معلمه امونيوس ومذهبه، مما فرض اعتباره مؤسس الأفلاطونية الحديثة ورائدها مع امونيوس؛ أضف إلى أن الفارق كبير جداً بينه وبين زملائه، خصوصاً بين ما وصل إليه في أبحاثه، وبين ما انتهى إليه هؤلاء، إذ من الملاحظ أنهم لم يستطيعوا أن يصلوا إلى القول، بوجود سمو مطلق من جانب "الواحد" أو المبدع الأول، بالنسبة إلى بقية المخلوقات، فإنهم ما زالوا يخلطون بين الله أو الأول، وبين المعقولات الأولى، بينما توصل افلوطين إلى الفصل فصلاً تاماً، ولأول مرة، بين الأول وبين بقية الأشياء[١٠٦]؛ كما أنه استطاع أن يُنظم الوسائط بين الأول وبقية الموجود، على صورة نظام محكم الأجزاء، يقوم على تصاعد عقلي مرتب، وهذا ما لم يتوصل إليه رفاقه من الأفلاطونيين المحدثين، ولا الفيثاغوريين الذين اقتنعوا واكتفوا، بما قدمه لهم الدين اليوناني الشعبي في فكرة "الجن". أما في موضوع المادة واشتقاقها من "الأول"، فقد فاق افلوطين رفاقه وسابقيه. ولعل أقرب الفلاسفة إليه هو فيلون، بالرغم من انطلاق هذا الأخير من الحقيقة الدينية، و"استعمال" الفلسفة لشرح الدين؛ بينما انطلق افلوطين من البحث في الفلسفة من أجل تحصيل الحقيقة، بصرف النظر عن المعاني السابقة المتصلة بتيار ديني ما أو سواه.

وُلد افلوطين في مصر، في ليكوبوليس ماغنا نحو سنة ٢٠٥، ودرس الفلسفة في سن متقدمة، مع اوريجانوس ولونجينوس، على يد امونيوس ساكاس في الإسكندرية، مدة تزيد عن إحدى عشرة سنة[١٠٧]. ثم التحق بحملة الإمبراطور غورديانوس العسكرية، ضد الساسان سنة ٢٤٣، ليسمع عن حكمة الفرس وأهل الهند؛ لكن جنود الإمبراطور ثاروا عليه لدى وصولهم إلى الفرات. واغتالوه عند الصالحية؛ فعاد افلوطين إلى أنطاكية سنة ٢٤٤، وزار افاميا ليطلع على فلسفة نومانيوس[١٠٨]، فاكتسب منه الشيء الكثير. ثم جاء روما يعلم فيها، فتبعه عدد وافر من أفراد

١٠٦ بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة. ج ١. ١٩١.
١٠٧ ترك لنا بورفيريوس سيرة معلمه افلوطين في كتاب دعاه "حياة افلوطين". المرجع السابق ١٩٦.
١٠٨ نومانيوس Numenius ، فيلسوف يوناني، سوري الأصل من القرن الثاني. كان فيثاغورياً محدثاً ورائداً أيضاً للأفلاطونية الحديثة. هو شاهد مهم للعلاقة الوطيدة بين الأفلاطونية والفيثاغورية بما يخص تعالي الله وثنوية العالم التي تقود إلى ازدراء الجسد. راجع طرابيشي ج، معجم الفلاسفة. ٦٢٤.

الأسر العالية، فكان لهم مثالاً بسمو أخلاقه ونفاذ بصيرته. وكثر عدد طلابه وتنوعوا، وابتدأت الانتقادات ترده من كل مكان: فاتهمه بعضهم بأنه متأثر جداً بآراء نومانيوس، وأنه ينتحل شخصيته. وتجرأ البعض الآخر من طلابه الغنوصيين المسيحيين وبدأوا يزدرونه بقولهم إنه لم يستنبط كنه "الماهية المعقولة". فثارت ثائرته ورد عليهم برسالة، انتقدهم فيها وانتقد رأي المسيحية في العالم والإنسان والخلاص. عاش افلوطين متوحداً على أساس فلسفة صوفية، تدعو إلى إزدراء الجسد، وإلى نقاوة الأخلاق، واحترام النفس وتكريمها. وترتكز عقيدته على الميتافيزيقيا الأفلاطونية، وعلى الأفلاطونية ككل، حيث الحب يسمح للفيلسوف بالوصول إلى الخير الأسمى[١٠٩]. توفي افلوطين في كامبانيا سنة ٢٧٠، تاركاً خلفه تفسيراً جديداً لله وللعالم، ولعلاقتهما بعضهما ببعض. وتبعه العديد من الفلاسفة واللاهوتيين، خصوصاً تلاميذ المدرسة الإسكندرية.

واقعياً كان افلوطين مفسر كل الفلاسفة السابقين ولسان حالهم، خصوصاً الافلاطونيين: اقتبس من "محاورة بارمنيدس" لافلاطون، مبدأ نظريته في الواحد، لكنه نهل أيضاً من معين الكتاب السادس من "الجمهورية": انطلق افلوطين من التمييز بين عالمين: عالم المعقول وعالم المحسوس. كما انطلق من وجود الأشياء، ليفهم أن هناك تصاعداً أو تنازلاً في الصلة بين المعقول والمحسوس، نعني أن هناك ترتيباً ونظاماً، قمته المعقول من حيث إنه الأول، ثم تتلوه بقية الأشياء، حتى نصل في أدنى درجة من درجات هذا السلم، إلى المادة الصرف، أي أن المادة تشتق في النهاية من الأول. وقال إن الوجود تابع دوماً، في الواقع وعبر هذا النظام المنطقي، للواحد. واتبع افلوطين تسلسلاً تصاعدياً، وارتقى من كثرة الأمور الحسية والنفس إلى الوحدانية. واعتبر أن الواحد هو مبدأ الوجود، وهذا الواحد هو الأول، وهو ما لا يكون فيه وجود بعد لأي انقسام؛ فهو لا شيء، إذ لا وجود فيه لشيء متمايز؛ وهو كل شيء، لأنه قوة الأشياء قاطبة؛ وهو الواحد الذي يصح فيه النفي والإثبات

١٠٩ تقوم الناحية الذاتية من مذهب افلوطين على أساس أن الغاية من الفلسفة هي الإرشاد إلى الطريق الذي به يصل الإنسان إلى إفناء الذات في الوحدة الإلهية، وإلى إيجاد التجربة الروحية التي يستطيع الإنسان بواسطتها أن يتحد بالواحد، والمزاج المكوّن لهذه التجربة هو في الأصل الواحد. بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة. ج ١. ١٩٦.

www.old-criticism.blogspot.com

على حد سواء. وهذا الواحد هو أيضاً الأول وهوالخير: هو أول باعتباره سابقاً على كل موجود آخر؛ وهو واحد، باعتباره مبدأً موحِّداً؛ وهو خير، بصفته غاية. لكن هذه التعابير لا تعيّن ماهيته، لأنه، بحصر المعنى، ليس شيئاً، ولا حتى واحداً، أو خيراً، وإنما هو فقط عدم مترفع عن الماهية[١١٠].

ولكي يشرح افلوطين وجود العالم، رأى أن كل موجود كامل يُنتج -متى صار إلى النضج- شبيهه، شيمته في ذلك شيمة الكائن الحي؛ ويكون هذا الإنتاج عن غير وعي، وعن غير إرادة، ومرده إلى ضرب من الغزارة، كغزارة الينبوع حينما يطفح، أو كغزارة النور حينما ينتشر. فالكائن الحي، والينبوع، والنور لا تخسر شيئاً بانتشارها، بل تحتفظ في ذاتها بالوجود كله؛ وهذا ما يُسمى بنظرية الفيض، أو الانبثاق، أو التوالد، أو انتشار شيء آتٍ من المبدأ. غير أن الناتج يتوق إلى أن يبقى لصيق منتجه، فمنه يتلقى وجوده كله؛ فما أن ينبثق عنه حتى يلتفت إليه ليتأمله. وفي فعل الالتفات أو الارتداد هذا، يتولد، تولداً قديماً ولازمنياً بطبيعة الحال، الأقنوم الثاني، الذي هو في آن معاً، وجود وعقل وعالم معقول[١١١].

هذا الأقنوم الثاني أو "العقل الأول" هو عالم حقيقي إذاً، تام وكامل وليس محض رسم مجرد للعالم المحسوس؛ هو الوجود بالذات أو الماهية، أي كل ما يجعل الموجود ذا صورة، تجعله قابلاً لأن يُعرف؛ هو أخيراً العقل. وهذا العقل-الأقنوم يكتشف في ذاته كل غنى العالم المعقول؛ وتعقله لذاته لا يعطيه فقط اليقين القاطع بوجوده -كما يقول الفيلسوف ديكارت- بل كذلك اليقين بمحتواه؛ فعنده تتوقف معرفته، مثلما عنده تبدأ. والعقل هو أيضاً رؤية للواحد، ومن ثم هو معرفة بالذات ومعرفة بالعالم المعقول؛ ولا يجوز أن نتصور العالم المعقول، وكأنه موجود هامد، لا

١١٠ يعرض افلوطين صفات "الأول" بطريقة الصفات السلبية: لا يمكن أن تكون له صورة، ولا صفة، ولا مقدار والخ، حتى إنه علينا، يقول افلوطين، أن ننفي عنه صفة الوجود. أما الصفات الإيجابية لهذا الأول فهي أيضاً مشروطة وممزوجة بمذهب السلب: فإذا قلنا إنه عالم فيجب أن نقول إنه فوق العلم، وإنه حياة فوق الحياة، وإنه قدرة فوق القدرة وهكذا باستمرار. ويبقى هذا الأول هو اللامتناهي، أي الواحد مقابل كل كثرة وكل حدوث وكل تركيب، والبسيط في مقابل المركب. ويبقى أن افلوطين يصف هذا الأول بما ينتج، فالأول بهذا المعنى يتصف بأنه الخير. ولا يجد افلوطين حرجاً في أن يقول بهاتين الصفتين للأول: الواحدية والخير، خصوصاً وقد وجد افلاطون يصف الله بهما، وإن كان ذلك بطريقة مغايرة بعض الشيء لطريقة افلوطين الخاصة. المرجع نفسه. ١٩٩.

١١١ التاسوعة الخامسة، الرسالة الأولى؛ ت ٥، ر ٢؛ ت ٥، ر ٣؛ ت ٥، ر ٤.

يكون في الوقت نفسه تعقلاً. ولنستذكر أن الوجود تأمل، وأعمق تصور يمكننا الوصول إليه للعالم المعقول، هو تصور شركة من العقول، أو إذا شئنا من الأرواح، كل واحد منها يتعقل الآخر بتعقله نفسه، فهي في جملتها لا تؤلف إلا عقلاً أو روحاً واحداً.

وبما أن الواحد يُنتج العقل، فإن العقل يُنتج أقنوماً ثالثاً، هو النفس التي هي وسيط بين العالم المعقول والعالم المحسوس، تتصل بالأول لأنها تصدر عنه وترتد إليه لتتأمله أزلاً وأبداً، وتتصل بالثاني لأنها تنظمه وترتبه. ولا تختلف هاتان الوظيفتان واحدتهما عن الأخرى، إلا في ظاهر الحال فحسب: أما في الواقع فإن النفس لا تُنظّم إلا لأنها تتأمل، بتأثير فيض عنها بغير إرادتها. فحالها كحال المهندس الذي يتصور أشكالاً هندسية، فإذا بها ترتسم من تلقاء نفسها. وليس لها وظيفة فعّالة وربانية إلى جانب وظيفتها التأملية، وإنما هي تأمل محض. وبدون أن تبارح الأعالي، يكون تأملها هو فعلها.

وهكذا اعتبر افلوطين النفس والعقل والوحدانية هي الأقانيم الثلاثة، التي يحقق الله فيها ذاته، وعندها تقف سلسلة الموجودات الإلهية التي لا ينفذ إليها شر. والجدير بالذكر هنا، أن افلوطين لا يتلفظ أبداً بكلمة "الله" في معرض كلامه عن المبدأ الأول. فهذا الاسم لا يتردد بكثرة في كتاباته، إلا في سياق الكلام عن النفوس الموجّهة للعالم أو عن السيارات التي هي الآلهة، بحصر المعنى، في نظره. هذا وحرص افلوطين على التفريق بين شعائر العبادة في الدين وبين التأمل في المبادئ.

يختلف افلوطين في نظريته في الأقانيم عن النظرية الفيلونية، التي ترى في الكلمة الوسيط، الذي يهتم بالنفس البشرية وبحاجاتها، وليس له من دور آخر، سوى الاهتمام بخير البشر. أما الأقنوم الأفلوطيني، فلا تعتمل فيه أي إرادة خير، أو أي نية لإنقاذ البشر، بل كل أقنوم لدى افلوطين، ليس سوى إدغام، توحيد أرفع فأرفع للعالم، وصولاً إلى الوحدة المطلقة. يرفض افلوطين القول بقِدم العالم، لأن ذلك يؤدي إلى إثبات قديمين، وبالتالي يحرم الوحدانية من صفتها الخاصة تجاه الكثرة وينفيها.

يُسلّم افلوطين أيضاً بوجود أقنوم رابع، تحت ثلاثي الأقانيم الإلهية، هو المادة أو الهيولى، التي هي بمنزلة الموجودية المطلقة، وهي لامتعينة إطلاقاً، بل غير قابلة

www.old-criticism.blogspot.com

للتعيين، لأن الكيفية التي توجد بها الصورة في المادة، لا تجعل من هذه الأخيرة أكثر تعيناً. وحينما تفارقها الصورة تتركها فقيرة بالتعيين، بالقدر الذي وجدتها عليه. والمادة لا منفعلة، فهي الفقر المطلق. وعلى هذا، لا اتحاد بين الصورة والمادة؛ بل ينبغي القول بالأحرى إن المحسوس هو مجرد انعكاس عابر الصورة في المادة، لا يؤثر في المادة أكثر مما يؤثر النور في الهواء، حينما ينتشر فيه.

هذا العجز عن استقبال الصورة، وعن امتلاكها وعن الاحتفاظ بها، هذه الاستحالة في القول: أنا، استحالة حيازة صفة إيجابية، هي الشر في ذاته، جذر كل الشرور الموجودة في العالم المحسوس. فليس الشر مجرد نقص وعدم كمال، لأنه كان سيتعين، في هذه الحال، القول إن العقل شرير، لأنه أدنى من الواحد. فالرذيلة ووهن النفس، وكل ما يبدو أنه هو الشر في ذاته، ما هو بشر إلا لأن النفس تدخل في اتصال مع المادة، وتغرق في حمأة التغيّر بسبب هذا الاتصال؛ ويكون تطهيرها منه، لا بسيطرتها عليه، بل بالهرب منه.

بدّل افلوطين في كتاباته الأخيرة من آرائه، فتحدث عن اللوغوس أو العقل، كمبدأ التناغم، الذي يحكم العالم، ويقول بأن لكل موجود في العالم، مكان ودور يضمنان له التناغم مع الكل. وهو ينفعل أو يستقبل كل ما هو لائق ومناسب، بهذه الصفة. والعذاب الذي يكابده (مثل عذاب السلحفاة التي يمنعها بطؤها من الإفلات من الجمع، الذي يتقدم ويدوسها بالاقدام)، قد يكون شراً له، في حال النظر إليه على حدة، وبمعزل عن كل ما سواه. ولكنه ليس بشر بالنسبة إلى الكون.

يُسلّم افلوطين بنوع من الوحدة بين النفوس قاطبة، إذ إن النفوس كلها مشتقة من نفس واحدة، مثلما تشتق العقول من العقل. وقد هيأت نفس العالم، لكل نفس مقاماً يوائم طبيعتها، وعليها أن تُشغله وتوجهه طول الوقت المحدد لها، من قبل نظام الوجود. والنفس توجه الجسم، لمجرد أنها تتأمل النظام المعقول. ولئن استدارت نحو هذا العالم أو تحولت إليه، فإنها تبقى على مقربة من العقل، لأنها هي نفسها، بحكم ذلك، عقل، على حين أن انعكاساً منها، سيذهب إلى الجسم لينيره ويحييه. ولكن بما أن الرابطة التي تربط بين النفوس، أشد ارتخاء من تلك التي تربط بين العقول، تستطيع النفس أن تستدير نحو انعكاسها، لتعاينه بدل أن تتأمل نموذجها؛ عندئذ تمسي مسترقة لتغيرات العالم المحسوس، وعرضة لضروب لا تقع

تحت الحصر، من الهواجس ذات الصلة بجسمها، وأسيرة خيور كاذبة لا تتعلق بها. ذلك هو نزول النفس. ومصيرها في الآخرة رهن -نزولاً عند مقتضيات ضرب من عدالة محايثة- بالخطيئة التي تكون قد اقترفتها على هذا النحو. وإن هدف التربية الفلسفية، إرجاع النفس إلى حالة التأمل التي كانت عليها في الأصل. ونظام العالم يقتضي، في الواقع، أن يبقى عقل النفس (أو ذلك الجزء من النفس الذي يتأمل العقل)، متجهاً أبداً نحو العالم المعقول، إذ من هذا التأمل يُشتق وجود الجسم الموجّه من قِبل النفس. وأنا ذاتي الذي ينزل، بدل البقاء عند مستوى عقلي الخاص، نحو الانعكاس الذي تسقطه نفسي. والذات هي تلك النفس الوسيطة، التي تقع بين النفس العقلية وانعكاسها، فتتجه تارة إلى تلك وطوراً إلى هذا، بينما يبقى الجزء الأسمى من النفس "في الأعالي".

وبقدر ما تتعدد مستويات الوجود، تتعدد كيفيات الحياة المتاحة للنفس: ففي الأسفل الحياة في العالم المحسوس، سواء أكانت حياة اللذة التي تكون فيها النفس سلبية تماماً، أم الحياة الإيجابية التي تستمد ضابطها من الفضائل الاجتماعية التي توجّه الفعل. وفي الأعلى التفكير، حيث تفرغ النفس إلى نفسها، فتجري محاكماتها واستدلالاتها. وذلك هو المستوى الوسيط الذي تكون فيه النفس سيدة نفسها. وفوق هذا الفكر الاستدلالي، الذي يقوم على المحاجة والبرهان، تبلغ النفس إلى الفكر الحدسي أو العقلي، وترقى إلى مستوى العقل، أي الماهيات التي تفترض وجود شيء قبلها، والتي هي معطيات حدسية. لكن قد ترقى النفس إلى أعلى من ذلك أحياناً، وصولاً إلى الأول. وهذا هو الهدف والغاية للإنسان، أي الاتحاد الحميم بالأول الذي هو فوق الأشياء طراً، والذي هو في الواقع ارتفاع الروح نحو ما هو خيّر وحق، نحو المطلق، عندئذ لا يعود الأمر أمر رؤية عقلية أو حدس، إذ لا يمكن لغير المتعين، أن يقع تحت الإدراك؛ وإنما الأمر بالأحرى، أمر ضرب من التماس، يند تماماً عن الوصف، ويتعذر فيه حتى الكلام عن ذات تُعرف، وموضوع يُعرف. وتلتغي فيه هذه الثنائية بالذات، فيكون التوحيد كاملاً، فيه استمتاع بهذه الحالة أكثر مما فيه معرفة بها. ولا يستطيع أن يشهد على هذه الحالة، سوى أولئك الذين اختبروها بأنفسهم. والحق أنهم قلة نادرة. ونادرة هذه الحالة حتى لديهم هم أنفسهم. وكان افلوطين يقول، على رواية بورفيريوس، إنه لم يصل إليها إلا أربع

www.old-criticism.blogspot.com

مرات. وفضلاً عن ذلك فإنهم لا يستطيعون التكلم عنها إلا تذكراً. وآية ذلك أنهم عندما اختبروها، كانوا في غيبوبة عن أنفسهم؛ وتلك أعلى درجة يمكن للإنسان أن يبلغ إليها: الجذب، الأعلى من الفكر والعقل معاً.[١١٢]

وقد أثرت هذه النظرية على آباء الكنيسة، في شرحهم الصفة الثالوثية للألوهية، وخصوصاً في فهمهم أو إدراكهم حدسية المطلق الإلهي وميستيكيته، وفي موضوع الانخطفات والشطحات الصوفية.

لعل ما تأثرت به المسيحية، وآريوس بنوع خاص، هي المواضيع التالية: موضوع "الواحد" بوصفه مفارقاً كل المفارقة، ولا يمكن أن يُنعت بأي صفة، وموضوع "الفيض" أو "الانبثاق" أو "الولادة"، وموضوع المادة بوصفها مشتقة من الواحد. هذا ويجب أن لا نجد في ثالوثية افلوطين (الأول والعقل الأول والنفس*) تطابقاً مع الثالوث الأقدس المسيحي (الآب والابن والروح القدس)، ولو أن هناك بعض أوجه شبه.

خامساً– الغنوصية

الغنوصية* أو العرفان، تيار فلسفي ديني، يرتكز على المعرفة ليشرح كل شيء، خاصة تلك المواضيع الوجودية الصعبة، كأصل العالم، والخير والشر، والبشر والمادة... ويدّعي الوصول إلى معرفة الله والحقائق الإلهية، عن طريق العلم والمعرفة والمقارنة بين الديانات. ولكن ذلك لا ينفي قناعة بعض أتباعه، بوجود وحي داخلي، يُسهّل إدراك الأسرار والحقائق. وهدف هذا العرفان، في نهاية المطاف، هو خلاص الإنسان.

١١٢ راجع بدوي عبد الرحمن، افلوطين عند العرب. القاهرة ١٩٥٥؛ طرابيشي ج، معجم الفلاسفة. ٧٠-٧١؛ برهييه اميل، تاريخ الفلسفة. الجزء الثاني، الفلسفة الهلنستية والرومانية. ترجمة جورج طرابيشي. بيروت ١٩٨٢؛ GLE VIII. 570;
Grillmeier., I. 292, 396, 465-467, 511, 742.

* الأول Εν؛ العقل الأول νους؛ النفس ψηχη
* الغنوصية Gnosticisme

ظهر هذا التيار من قديم الزمان، في بابل ومصر ثم في الشرق، خصوصاً مع الهلّنة* التي تعرض لها إثر فتوحات (٣٣٦- ٣٢٣ ق.م.) الإسكندر المقدوني الكبير (٣٥٦-٣٢٤ ق.م.)، ثم مع الفتوحات الرومانية التالية في القرن الأول قبل المسيح؛ مما أنتج في الحقل الديني، لا سيما في اليهودية، اختلاط الديانات الشرقية بالفلسفة والصوفية اليونانيتين: حاولت الغنوصية، في الواقع، دمج عدة ديانات شرقية بعضها ببعض، وصهرها في بوتقة واحدة، للوصول إلى ديانة واحدة تكون أسمى كل الديانات، لأنها تكون قد أخذت من كل ديانة أفضل ما لديها، وهذا ما يُدعى "بالتلفيق"*؛ كما ورثت عن الديانات الشرقية مبدأ الثنوية بين الله والعالم، بين النفس والجسد، بين الخير والشر، الآتيين من مبدأين وجوهرين مختلفين تماماً، وأيضاً انتظار الفداء والخلود...

أخذت الغنوصية عن الفلسفة اليونانية عناصرها النظرية: الوسطاء بين الله والعالم عن الأفلاطونية الحديثة، والنظرة النسكية-الزهدية-الصوفية الطبيعية عن الفيثاغورية الحديثة، وقيمة الفرد ومعنى الواجب الأخلاقي عن الرواقية الحديثة... أما الهدف من المعرفة، كما تعني كلمة "غنوص"* اليونانية الأصل، فهو الوصول إلى خلاص النفس، إلى تعليمها كيف تتحرر من العالم المادي التي هي حبيسته، لكي تتمكن من الصعود نحو العالم الروحي النوراني الذي سقطت منه. وهكذا تستطيع أن ترى الله. ويتم هذا التحرير بوحي سماوي، يصاحبه غالباً صلوات وطقوس سحرية. ومن هنا لم تكن الغنوصية لترتكز فقط على العقل وعلى الفلسفة الأفلاطونية بنوع خاص، كما يظن أغلب الناس، إنما كانت تريد بناء تعاليمها على الوحي الإلهي أيضاً، وعلى التأمل في الألوهية بحد ذاتها، عن طريق صور حية[١١٣].

ظهرت الغنوصية في المسيحية مع سيمون الساحر، وهو عرفاني من السامرة، كان يسحر في المدينة ويدهش الناس، مدّعياً أنه شخص عظيم، فأصغوا إليه قائلين:

* الهلّنة Hellénisation
* التلفيق Syncrétisme
* غنوص Gnose الكلمة يونانية وتعني المعرفة.

١١٣ Hergenröther., I. 187 ; F-M., I. 58-59; 242-243; 295.

www.old-criticism.blogspot.com

"هذا هو قوة الله التي تُدعى عظيمة"[١١٤]. وإنما أصغوا إليه، لأنه كان منذ زمان يخلبهم بسحره؛ لذا كان يُكرم هناك كإله.

تعمد سيمون على يد فيليبس الرسول ولازمه[١١٥]. ولقد أراد شراء مواهب الروح القدس[١١٦] من الرسولين بطرس ويوحنا، فزجره بطرس قائلاً له: "لتذهب فضتك معك إلى الهلاك لأنك ظننت أن موهبة الله تُقتنى بالنقود"[١١٧]. وقد أقنع سيمون الناس، أنه نزل بين اليهود كابن، وفي السامرة كآب، وفي الأمم الأخرى كروح قدس[١١٨]. فتبعه كثيرون، واعتبروه بالفعل الإله الأعلى، وأشركوا معه "انويا"* الفكر الذي انبثق عنه، فتجسد في امرأة اسمها هيلانة، وهي زانية من صور، لأن سيمون قال إنه ذكر أعلى، وبفكر "انويا"، المنبثقة عن هذا الإله الأعلى، أنثى موازية له، وهي التي خلقت الملائكة الذين بدورهم خلقوا العالم[١١٩].

لم يكن سيمون الساحر غنوصياً بالمعنى الحصري، إنما تبع تلاميذه هذا التيار، وأصبحوا غنوصيين بعد سنة ٧٠، خصوصاً ميناندروس. واعتبر بعض أعضاء هذا التيار، أننا نجد الله من خلال الإنسان، بواسطة "حياة شهوانية"، بينما ادّعى البعض الآخر، أنه ينبغي سلوك حياة نسك وتقشف تامين. ولا يختلف الطرفان في موضوع المعرفة، كطريق كافية وحدها للخلاص، ولا في موضوع علاقة الله بالكون (طريق الفداء والخلاص)، إنما يختلفان في طريق وصول الوحي: ففريق يقول بضرورة وجود مخلص غنوصي وأهميته، يدخل ، من خلال السموات، مجال القوات، دون أن ينزل على الأرض، بينما يقول الفريق الآخر، إن المخلص يظهر على الأرض، ولكن بجسد وهمي.

١١٤ عمل ٨/٢٠. يُخبر يوستينوس أن سيمون من مواليد السامرة؛ وأنه حضر إلى روما حيث عُبد كإله، أيام حكم الإمبراطور كلوديوس. Q., I. 225

١١٥ عمل ٨/٩-٢٤.

١١٦ من هنا جاءت كلمة "السيمونية"، التي أصبحت تعني المتاجرة بالأشياء المقدسة، أو بيع الأملاك الروحية، مقابل الأمور المادية. حاربها العديد من الباباوات والعديد من المجامع وبنوع خاص المجمع التريدنتي.

١١٧ عمل ٨/٩-٢٤.

١١٨ F-M., I. 276-277.

* انويا Ennoia ، والكلمة تعني الفكر أو الحَبَل بالفكرة.

١١٩ رستم، ج ١. ٢٨-٢٩.

اكتسبت الغنوصية بلقائها مع المسيحية، خبرة جديدة ونظرة عالمية، لم تكن لتعرفهما سابقاً، مما أعطاها سلوكاً جديداً، وأنشأ لها طرق حياة جديدة، يمكن معها عيش هذا الفكر وهذا السلوك لدى المسيحيين، كما لدى الوثنيين. هذا ولقد ساهمت الغنوصية، في نهاية القرنين الثاني والثالث، في إعلاء شأن اللاهوت المسيحي: كان اللاهوت قبل ذلك يعطي حقائق منفصلة، الواحدة قرب الأخرى. لكن في تلك الفترة بالذات، بدت أهمية تصور عمل منظّم شامل لتعاليم المسيحية الخلاصية. وهذا سوف يظهر فعلياً مع اكليمنضوس الإسكندري واريجانوس[١٢٠].

أما عن أصل الغنوصية المسيحية، فيعتبر اجيسيبوس[١٢١]، في معرض حديثه عن الهرطقات، أن أصل غالبيتها يعود إلى المذاهب اليهودية. ويقول إن العرفان ظهر من بيئة يهودية هرطوقية، ومنها تطور مع سيمون الساحر ودوزيتيوس[١٢٢] معلمه، وميناندروس[١٢٣] تلميذه، ومع الناصريين في بداية المسيحية، وإنه تأثر أيضاً بالجو اليوناني السائد. وحاول هذا التيار فهم الإيمان، من خلال الديانات الأخرى، فنشأت الغنوصية المسيحية. وارتد الكثير من المثقفين، ممن كان ينتمي إلى الشيع الغنوصية إلى المسيحية؛ وبدل أن يتركوا معتقداتهم القديمة، اكتفوا بإدخال بعض العقائد المسيحية، على التعاليم الغنوصية، فنشأت بذلك الغنوصية المسيحية. إن ما يميز الغنوصية المسيحية عما سبقها، هو الاعتراف بالمسيح: صار الاعتقاد بإله واحد، أبي المخلص يسوع المسيح، تعليماً أساسياً في تياراتها. وأراد مؤسسو مختلف المدارس الغنوصية، رفع المسيحية من مستوى الإيمان إلى مستوى العلم، وبهذا تتمكن من الانتماء إلى العالم الهلّينستي المتمدن.

من المؤكد أن الكنيسة الرسولية، عرفت التيار العرفاني، فإذا ما دققنا النظر قليلاً في رسائل الرسل، خاصة رسالة بولس إلى أهل كورنثس، وتلك التي إلى أهل افسس، أو إلى كولوسي وغيرها من الرسائل، لوجدنا بعض أثار الغنوصية: نجد

١٢٠ Cf. Grillmeier., I. 251-254.

١٢١ اجيسيبوس Hégésippe عاش زمن سمعان، أسقف أورشليم وخليفة يعقوب أخي الرب.

١٢٢ كان دوزيتيوس Dosithée معلم سيمون الساحر، مؤسس مدرسة السامرة، وحاول أن يجعل الناس في السامرة تعترف أنه المسيح الذي تنبأ عنه موسى. Q., I. 225.

١٢٣ وُلد ميناندروس Ménandre في كاباريتيا، في السامرة، وأدعى أنه مُرسَل من القوى غير المنظورة لخلاص البشر. كان تلميذ سيمون الساحر ومعلم ساتونيلوس وباسيليدس، وهو يمثل الرابط بين الغنوصية ماقبل المسيحية، والغنوصية المسيحية. Ib.

www.old-criticism.blogspot.com

مثلاً ذكر مبدأ الثنوية وفكرة ازدراء الجسد، أو حتى إنكار قيامته من بين الأموات[١٢٤]، وهذا ما يؤدي، سواء إلى الإباحية حيث كل شيء مباح، لأن ما هو مادي هو محتقر[١٢٥]، أو إلى تقشف قاس، كمنع ملامسة النجس أو الزواج أو حتى تناول بعض الأطعمة[١٢٦]. كما نجد لديها تخيلات حول الملائكة، والتباهي بالنسب، وما إلى ذلك من خرافات مخترعة، وإنزال مكانة المسيح، إلى ما دون الملائكة (كما في كولوسي وعبرانيين)، وحتى إلى إنكاره بالكلية أو رفض التجسد أي القول بالمظهراتية. وتعود هذه التعاليم إلى الهراطقة اليهود، الذين يدّعون أنفسهم معلمي الناموس[١٢٧].

انتشرت الغنوصية في المسيحية، أواخر القرن الأول وبداية الثاني، في كل من أنطاكية والإسكندرية وروما. وظهرت بأشكال متنوعة، منها مذهب الثنوية* وهو أول محاولة جدّية لها. سُمي بالغنوصية، علماً أن هذا التيار العرفاني، ليس إلا شكلاً من أشكال تطورها، ويختلف عن الغنوصية التي عرفتها التيارات الرؤيوية اليهودية والمسيحية. وكان فقط محاولة لشرح وجود الشر في العالم، انطلاقاً من الفلسفة الأفلاطونية، ومن بعض تعاليم الديانات الشرقية والفارسية، خاصة التي نادت بوجود إلهين: إله الخير وإله الشر، اللذين هما في صراع دائم. ولعبت الغنوصية دوراً هاماً في تاريخ الكنيسة المسيحية، خاصة في أوائل عهدها، عندما كانت في أزمة كبيرة (بين سنة ٧٠ وسنة ١٤٠) مع اليهود المتنصرين، وتركت فيها هذه الحركة، أثراً عظيماً، تحملت أوزاره خلال القرون الثلاثة الأولى.

إن لقاء الغنوصية بالمسيحية، أكسبها أهمية بالغة، إذ تسللت أفكارها بين المؤمنين، وخاصة لدى المثقفين والعلماء، الذين أرادوا إدراك كنه الديانة المسيحية بالعقل، ومعرفة أسرار الطبيعة، لبلوغ معرفة أفضل للأمور الدينية والإلهية، أي معرفة الأمور من الداخل. وهذا الفضول العلمي والتعمق في المعرفة والتمعن في الإلهيات، هو رغبة طبيعية لدى الإنسان. ولقد حاول الغنوصيون، اكتشاف أكثر مما يعرف المؤمنون العاديون. وأرادت الغنوصية المسيحية الجهاد، في سبيل معرفة

١٢٤ راجع ١قور ١٥/ ١٢.
١٢٥ راجع ١قور ٦/١٠؛ رؤ ١١/١٤؛ ٢بط ١١/١٠؛ يهو ٦.
١٢٦ راجع قول ٢/١٦-٢١؛ ١طيم ٤/٣.
١٢٧ راجع طي ٣/٩؛ ٢بط ١/١٦؛ ١يو ٢/٢٢؛ ٢بط ٢/١؛ يهو ٤؛ ١طيم ١/٧؛ رؤ ٢/٩.
* الثنوية Dualisme

فلسفية-دينية (المعرفة في مواجهة الإيمان) بإزاء الكنيسة، فاتخذت التيار المسيحاني الرؤيوي، واعتمدت تفسيرات مجازية للأسفار المقدسة، حتى إنها اخترعت "بفانتازيا" متهورة، مذاهب تفسيرية جديدة، فبخرت من الوحي الإلهي، المضمون الحقيقي، بفعل هذه التفسيرات الرمزية المتشددة. ثم إنها أدخلت الكثير من المذاهب الفلسفية، والشعائر الدينية الجديدة، والطقوس الغريبة من العبادات الشرقية، على التعاليم المسيحية، بالإضافة إلى المبادئ الأخلاقية المغايرة للأخلاق المسيحية[١٢٨].

عرفت الغنوصية أوجها وذروة نجاحها الشعبي في القرن الثاني. وازدهر الأدب الغنوصي بشكل هائل، ووسم بداية الأدب اللاهوتي والشعر المسيحي، بطابعه، فكانت الأناجيل وأعمال الرسل والرؤى والرسائل المنحولة... حتى إن إنتاجها الأدبي، فاق بكثير، الإنتاج الأرثوذكسي. ولكن لم يتبقَ لنا من هذه المؤلفات، سوى ما يذكره المؤلفون الكنسيون الأرثوذكسيون، في مجرى أحاديثهم عن البدع والهرطقات، ولدى دفاعهم عن المسيحية ضد مثل هذه التعاليم العرفانية، مثل ايريناوس واجيسيبوس[١٢٩]. وأدخلت الغنوصية، في هذا المجال، وكانت السباقة في ذلك، الشعر المسيحي، وإنتاج أدب ديني شعبي منتشر جداً. وأصبحت أكثر الحركات الفلسفية الدينية انتشاراً، وأوسعها ميدانا: انتشرت من السامرة إلى مصر، وإلى سوريا، ثم انسابت نحو الشمال حتى البحر الأسود[١٣٠]، كما تأثرت بها كثيراً الأوساط الإسكندرانية، وعرفها الغرب أيضاً. وكان أشهر أربابها فالنتينوس[١٣١]

١٢٨ AA-VV., Nuova storia della chiesa. I.95; Altaner., 101-102. Hergenröther., I. 183-184.
١٢٩ من المؤسف أن يكون معظم الأدب الغنوصي المسيحي المكتوب باليونانية، قد اندثر بسبب رفضه من قِبل الكنيسة الجامعة. ولكننا نعرف أهم التعاليم الغنوصية من خلال الرد عليها، لدى آباء الكنيسة. وكذلك من رد الفيلسوف افلوطين عليها في أواسط القرن الثالث.
سنة ١٩٤٥ اكتشف في صعيد مصر، في "نجع حمادي" ٤٩ مجلد من المؤلفات الغنوصية، في ترجمة قبطية، مما ساعد كثيراً على معرفة الغنوصية. ومن المؤلفات التي تم اكتشافها أيضاً في مصر: "رسالة ريجينوس في القيامة"، "مقال في الطبائع الثلاث"، "مقال في أقنوم الأراكنة"، "مقال في بدء العالم"، "رسالة افغنوستوس"، "السفر المقدس للروح الأعظم غير المرئي". كيرلس بسترس، الغنوصية: المجلة الكهنوتية ٢٦ (١٩٩٦). ٤.
١٣٠ رستم، ج ١. ٦٤.
١٣١ فالنتينوس: هو أشهر الغنوصيين في القرن الثاني. كان لاهوتياً ميستيكياً. وُلد في الإسكندرية وتعلّم فيها، ثم أصبح رئيس مدرسة ومعلماً فيها؛ وبدأ نشر تعاليمه هناك قبل أن يرحل إلى روما. عاش فترة طويلة في روما (١٣٧-١٥٨)، وكان مرشحاً ليكون أسقفها، بدل بيوس الأول (١٤٠-١٥٥). ثم هجر روما إلى قبرص. كانت تعاليمه سرية، لذا من الصعب تحديدها بدقة. أما في العلن فكان يجاهر بالإيمان الأرثوذكسي. ألّف رسائل ومزامير وعظات ومقالاً "حول الطبيعات الثلاث" وكتاب "إنجيل الحقيقة"،

www.old-criticism.blogspot.com

ومركيون ابن أسقف سينوب، في روما؛ وساتورنينوس[١٣٢] الذي تبع تعاليم معلمه سيمون الساحر، وزاد عليها وطوّرها ونادى بها في أنطاكية، ولقد احترمه الأنطاكيون كثيراً وأُعجبوا به، لأنه لم يدّع الألوهية؛ وفي الإسكندرية اشتهر باسيليدس[١٣٣] وابنه ايسيدوروس[١٣٤] وكربوكراتيس[١٣٥] وابنه ابيفانوس[١٣٦]؛ وبرديصان[١٣٧] في الرها وسواهم.

يقول فيه: هناك كائن واحد خيّر، يظهر من خلال كلمته الحرة بواسطة الابن، الذي بعمله فقط، يمكن أن يتطهر القلب، عندما يُطرد كل روح شرير منه؛ والقلب مثل النزل أو الفندق... خلق الله المطلق المتعالي عبر فكره "Ennoia"، عالم الدهور، الذي في آخره الحكمة التي تبحث عن الآب، وأضحت هذه الرغبة مبدأ العالم الأرضي. وعندما يزور الآب الصالح القلب، يتقدس ويشع نوراً، ومن يملك مثل هذا القلب هو طوباوي، لأنه سيرى الله. ويقول فالنتينوس عن أصل الشر: إنه بذرة روحية زُرعت في المادة. هناك إذاً الإله الأسمى، والفاطر، وإله الشر، والملائكة، وهي قوى ثانوية تسيطر على عالم المادة. يوجد في عالم الآلهة فيض ثنائي: في البدء كان الآب وحيداً غير مولود؛ ثم كوّن أول مبدأين "النوس" أي النفس والحقيقة Νους και αλειθεια ؛ هكذا تتحد القوى وتخصب، فتلد قوى جديدة، مثل القوى الأولى وهي خنثوية وملتهبة بالرغبات. وآخرها الحكمة "صوفيا" التي سقطت لأنها أرادت التمثل بالآب. وولدت الحكمة جوهراً لا شكل له وغامض: مسخ أحدث قلاقل في عالم الألوهية؛ وتوسلت القوى كلها لدى الآب لرحمة الحكمة، فبأمر الآب، أفاضت "النوس" والحقيقة المسيح والروح القدس لإعطاء المسخ شكلاً مميزاً، لتعزية الحكمة وإيقاف حزنها. ثم أفاض الآب قوة "ستافروس" (الصليب) و"هوروس" (حدود) كحدود للعالم الإلهي. يتميز المسيح عن يسوع: المسيح عمل الآب وقوة إلهية، بينما يسوع هو عمل مشترك لثلاثين قوى إلهية، اتحد بالحكمة الساقطة، وطهرها من آلامها. يعطي فالنتينوس مراتب الناس: "الروحيون" وهم النخبة لأن فيهم بذرة إلهية، يخلصون بالعرفان الآتي بوحي إلهي؛ ثم "النفسيون" الذين يخلصون بالتقشف بصعوبة ؛ ثم "الهيوليون"les hyliques الذين هم مدانون ويبقون عبيد المادة. Q., I. 229-231; AA-VV., Nuova storia della Chiesa. I. 141-143; F-M., II. 14-22.

١٣٢ ساتورنينوس: علّم في أنطاكية بين عام ٩٨ وعام ١١٧، أيام اغناطيوس أسقفها. يُعزى إليه أنه قال: هناك إله واحد، آب خالق القوى والملائكة ورؤسائهم، وإن سبعة من هؤلاء الملائكة -وعلى رأسهم إله اليهود، والإله المجهول- كوّنوا العالم المنظور، ثم قدر لهم أن يرمقوا الإله الأعلى بالرؤيا، فخلقوا الإنسان على صورة هذا الإله. ولكنهم جعلوه يزحف زحفاً، إلى أن جاء الإله المجهول الأعلى، فشمله بعطفه وحنانه، لأنه كان على مثاله، فأمر أن ينتصب فيمشي على قدميه، وأعطاه شعاعاً من ضوئه. ويُعزى إليه أيضاً، أنه جعل إله اليهود أحد هؤلاء الملائكة، وجعل الباقين مصدر وحي الأنبياء؛ وأشرك الشيطان في هذا الوحي في بعض الاحيان. وجعل الملائكة السبعة في نزاع متواصل مع الإله الأعلى، كما جعل هذا الإله يفصل عن نفسه مخلصاً، ليقضي على هؤلاء الملائكة ويخلص الإنسان أو أولئك البشر الذين أسعدهم الحظ، بأن ينالوا من الإله الأعلى، نعمة تمكنهم من الخلاص. وادعى ساتورنينوس أن المخلص لم يولد ولادة بشرية ولم يكن له جسم بشري. وقال إن الزواج سيء فأدانه، ورفض التوالد لأنهما من الشيطان؛ وبالتالي فرض عفة وزهداً قاسيين. وميّز بين صنفين من البشر: أولئك الذين يشاركون في النور السماوي، وأولئك الذين لا يشاركون فيه. يمكن اعتباره أول صورة من الغنوصية بالمعنى الحصري. راجع رستم، ج ١، ٢٩-٣٠.

١٣٣ باسيليدس: غنوصي إسكندري، من القرن الثاني، كان يعلّم في الإسكندرية أيام الإمبراطورين ادريانوس (١١٧-١٣٨) وانطونينوس بيوس (١٣٨-١٦١)؛ له عدة مؤلفات: إنجيل وتعليق عليه في ٢٤ مجلداً ومزامير وأوديات. لم يصلنا منها إلا القليل من المقاطع. يعتبر باسيليدس أن المعرفة تحرر من المبادئ

لقد أرادت الغنوصية أن تحقق ديانة فلسفية، معتمدة على فلسفة أفلاطون، تكون أسمى من كل المعتقدات الدينية. لم تكن تريد بناء تعاليمها على العقل وحده، بل على الوحي الإلهي أيضاً: التأمل في الألوهية بحد ذاتها، عن طريق صور حية؛ إذ تصف مسار النسب الإلهي*، في أساطير وخرافات غريبة، تعانق تاريخ

الخالقة للعالم، ويسمح بأكل اللحم المذبوح للأصنام، والاجحاد في وقت الاضطهاد. كان يبحث عن أصل الشر فقال: لا أحد يتألم دون أن يستحق ذلك. وبالتالي فالمسيح الذي تألم، لم يكن إلا إنساناً قد أخطأ، لأن الألم يكون نتيجة الخطيئة الشخصية. هناك نخبة من الناس بقيت نقية: وحدهم يدركون الحقيقة، عن استبصار طبيعي وليس بالتعليم: أي بالإيمان. أدخل باسيليدس في اللاهوت المسيحي مذهب الفيض Emanation ، الذي تعلّمه من الغنوصية الوثنية. وقدم الألوهية على درجات: في القمة مبدأ واحد وحيد هو الآب غير المولود، ثم "النوس" أي الروح، ثم اللوغوس، الحكمة، القوة، العدالة، السلام... الله الأسمى لا يتدنس بملامسة المادة، ولكن هناك وسطاء بينه وبين العالم . التناقض والمعاداة بين الخير والشر، بين النور والظلام، هي أصل كل شيء. وهذا الصراع الدائر حولنا وفينا، هو أبدي ومهلك: في البدء كان النور والظلمات، أصلها من ذاتها؛ لم ينتجا عن مبدأ آخر. كانا يعيشان كل حسب رغبته وحسب خصائصه. ولكن عندما عرفا بعضهما، رغبت الظلمات في النور ولاحقته لتشترك فيه. لكن النور لم يرغب في الاشتراك في الظلمات، بل في رؤيتها فقط. انعكس شعاع من النور على الظلمات، التي لم تأخذ النور الحقيقي، بل شيئاً منه. لهذا لا يوجد الخير الكامل في هذا العالم، الذي يوجد فيه القليل من الخير. وبفضل هذا الانعكاس النوري، استطاعت الظلمات ولادة ظاهرة هي العالم. هذا يعني ثنائية المبدأ. وجعل الشيطان إلهاً. الإله الأسمى، وإله الشر Archonte رئيس الملائكة الأشرار وإله اليهود. خاف إله الشر من الصوت السماوي عند اعتماد المسيح، وهنا "بدء الحكمة" بالنسبة إليه . الحكمة والقوة أول الملائكة، الذين صنعوا السماء الأولى، ثم ملائكة آخرون مولودون من الأولين صنعوا السماء الثانية، وهكذا تدريجياً صُنعت ٣٦٥ سماء. لهذا يوجد ٣٦٥ يوماً في السنة. في عالمنا، عالم الظلمات، الغنوصيون وحدهم يرون طريق العودة. Cf. Q., I. 227-229

١٣٤ ايسيدوروس: ابن باسيليدس وتلميذه، عاش في القرن الثاني متابعاً تعاليم معلمه. ترك كتباً في الأخلاقيات وتفسيراً للنبي بارخور Parchor أحد الأنبياء الذين اخترعهم والده، أراد من كتابه هذا إثبات أن الفلاسفة أخذوا من الأنبياء؛ كما كتب "في الأخلاقيات" و"في النفس" وفيه يفحص أهواء البشر. Id. 229.

١٣٥ كربوكراتيس: فيلسوف من أوائل القرن الثاني. كان يعلّم أن المسيح كان ابن يوسف ومن صُلْبه، وأنه تمكّن بواسطة التقمص، وبما اختبره في دوره الأول، وبما أوتي من مقدرة من فوق، أن يسيطر على حكام هذا العالم وأن يعود إلى الله الآب، وأن بمقدور جميع الناس أن يفعلوا ما فعله المسيح، إن هم سلكوا سلوكه وتذرعوا بأساليبه. Id. 235-236

١٣٦ ابيفانوس: ابن مؤسس الفريق كربوكراتيس؛ توفي عن عمر يناهز السابعة عشر سنة؛ دافع في كتابه "حول العدالة" عن المشاركة في الأملاك والنساء. Id. 236

١٣٧ برديصان: من الرها، وتوفي سنة ٢٢٢. ترجم بمساعدة ابنه امونيوس تعاليمه في ١٥٠ نشيداً نعرفها بفضل القديس افرام السرياني. لدينا منه أيضاً بالسريانية كتاب "الحوار حول القدر أو الكتاب حول شرائع البلدان". كان فلكياً وفيلسوفاً؛ تبع تعليم "القدرية" المؤسسة على علم الفلك، ولكن بممارسة مسيحية. اعتبرته المسيحية القديمة غنوصياً هرطوقياً، لكن دون أن تحدد ماهية هرطقته. راجع رستم، ج ١. ٦٣؛ Altaner., 103-110; Q., I. 232-234.

* النسب الإلهي Théogonie

www.old-criticism.blogspot.com

السماء والأرض. فانطلقت من فكرة مجردة عن الألوهية، ومن تعاليها المطلق فوق عالم المادة والظواهر: هو الإله الأسمى المتعالي، الذي لا يمكن إدراكه، هو الأزلي والوحيد، يتأمل بذاته في وحدة سرمدية. وقد خلق الله، قبل الزمن -أي قبل بدء الأشياء المرئية- فاطراً نصف إله، كان في البدء مختبئاً وباتحاد متأصل مع الآب. وعندما ابتدأ الآب بخلق الأشياء، نطق "كلمته" أو "الكلمة"، ومنذ ذلك الوقت، انتقل إلى حالة "المنطوق به"، وأوجد هذا الأخير الكائنات المخلوقة.

وقالت بوجود مبدأين للعالم، منفصلين عن بعضهما البعض، وميّزت الله عن الخالق، الذي هو متناهٍ، جاهل، شرير. ورأت أن هناك مسافة بينه وبين الألوهية، تغطيها مجموعة من الكائنات الوسيطة. بينما مثل البعض الألوهية، متعالية تماماً عن العالم البشري ودون جنس؛ واعتبرها آخرون تُعانق الجنسين؛ ومثلها غيرهم على الطريقة البشرية، متحدة بعنصر أنثوي، وتتصل معها بطريقة ما، تشبه الزواج. وهي التي صنعت الخالق قبل بداية الأزمنة التي معها بدأت الأشياء المنظورة؛ هذا الخالق كان مختبئاً بوحدة مع الله، الذي، عندما ابتدأ بخلق الأشياء، لفظ اللوغوس أي كلمته، فأصبح منذ تلك اللحظة "خارج الله" أي كلمة "ملفوظة"، وصنع الأشياء المخلوقة. إذاً كان الله وحده في البدء؛ ثم، وفي مرحلة تالية، تدّخل عقله ثم إرادته، وهنا نتجت ولادة اللوغوس أو الخالق[١٣٨]، الذي عنه صدرت أرواح سُميت بالأيونات (دهور) أو أراكنة؛ صدرت هذه زوجاً فزوجاً، ذكراً وأنثى، فتضاءلت فيها الألوهية، كلما ابتعدت عن الإله الأعلى مصدرها.

تروي الغنوصية نشأة الكون وقصة العالم في واحدة من أساطيرها الكثيرة: إن واحداً من الأراكنة أو الدهور، طمع في الارتقاء والسمو إلى مقام الإله الأعلى، فما كان من هذا إلا أن طرده من عالمه، عالم الآلهة، عالم المعقول. ثم إن هذا الأركون الخاطئ، أصدر أرواحاً شريرة شبيهة به، ثم العالم المحسوس، وهذا العالم المادي لم يكن ليوجد لولا الخطيئة. وعظّمت الفراغ بين الإله الأعلى والعالم، وخشيت استحالة رجوع النفس إلى هذا الإله، فقالت بأيونات تصدر عن الإله الأعلى، ووجدت فيها سلسلة من الوسطاء بين الأنفس والإله الأعلى. فإذا حاولت

١٣٨ رستم، ج ١. ٣٠-٣١؛ De Urbina., 30

الأنفس الاجتياز من عالمها السفلي إلى العلوي، قالت "كلمة سر" بكل أيون تصادفه، وتحولت إلى صورته؛ وكان القول بالوسطاء شائعاً، فسماهم البعض "مثلاً" آخذاً عن الأفلاطونية، ودعاهم البعض "كلمات"* أي القوى الطبيعية الكبرى بموجب الفلسفة الرواقية، وسماهم فيلون اليهودي "الملائكة"، وغيره عبّر عنهم بـ "الحَسَن"[١٣٩].

لذا فإن عالمنا هو عالم شر ونقص على كافة الأصعدة، أي بصانعه وبالمادة المصنوعة. ومن فرط شرّه وخبثه، حبس هذا الأركون النفوس البشرية في أجسامها، فكوّن الإنسان؛ ولهذا تتوق هذه النفوس، وهذا أمر طبيعي، إلى الخلاص والتحرر من هذا السجن الذي وُضعت فيه مرغمة، لكن الناجين قليلون، لأن الناس تنقسم ثلاث طبقات متمايزة: طبقة أولى تشمل الروحيين الذين هم من أصل إلهي، وهم الغنوصيون صفوة الناس؛ وطبقة ثانية تتألف من الماديين الذين لا يمكنهم الصعود فوق العالم السفلي؛ وطبقة ثالثة وأخيرة تجمع الحيوانيين الذين قُدر لهم الارتفاع والسقوط، النجاة والهلاك. نجد في هذا التفكير نوعاً من الازدواجية: المادة وهي محتقَرة ومكروهة من جهة، والله المتعالي عنها والذي لا يلامسها إطلاقاً من جهة أخرى. من هنا يجب نسب خلق العالم المادي إلى كائن وسيط، إلى إله أدنى منه، إلى النصف إله* أو إلى الملائكة؛ أي أن هناك دائماً وسطاء بين الله والعالم المادي، تنتشر بواسطتهم أعمال الله. وهم على درجات تنازلية حتى العالم المادي. وبواسطتهم أيضاً يمكن للنفس أن ترتقي إلى الإله الأسمى، درجة بعد درجة. ونجد صدى بعض هذه الآراء، في تعاليم العديد من الديانات الشرقية القديمة.

علّمت الغنوصية أن هناك تناقضاً مطلقاً بين الروح والمادة، التي يعتبرها البعض شراً، بينما يعتقد آخرون، أنها خالية من جوهر ويدعونها الخواء المظلم* أو العماء، وأنكرت، بالتالي، إنسانية المسيح، الذي هو كائن له طبيعة سامية فوقبشرية* في مظهر جسد (الشكلانية)، كان مختبئاً بوحدة مع الآب؛ كما أنكرت قيامة الجسد،

* كلمات Logoi

١٣٩ رستم، ج ١. ٣٠-٣٤.

* النصف إله أو الفاطر Démiurge

* الخواء المظلم Caos

* فوقبشرية Surhumaine

www.old-criticism.blogspot.com

واستهانت بالأسرار المتعلقة بأشياء مادية. وانتقدت فضيلة الفداء وآلام المسيح، الذي كان هدفه الكشف عن الألوهية للبشر، تلك الألوهية المجهولة أو المختفية، أو قيادة النفوس المسجونة في الجسد إلى مملكته.[١٤٠]

اختلف الغنوصيون في وسيلة النجاة، ولذلك نراهم يتبنون أشكال حياة متناقضة بالكلية: ولأنهم قالوا برداءة المادة، وبالتالي الجسد، طالبوا بقهره وطرح كل ما يثقل النفس، ويمنعها من الوصول إلى المقر الذي هبطت منه؛ ومنهم من أطلق العنان للشهوة.

لم تُعطِ جميع الفرق الغنوصية، في الخريستولوجيا، لا الصورة ذاتها، ولا الأهمية نفسها عن المسيح. فقد عرفت العديد من التصورات الخريستولوجية، بدءاً من أدناها إلى أرقاها. ولكن الغنوصية لم تختلف في رؤياها هذه، على ضرورة الخلاص البشري، وبالتالي على ضرورة إرسال مخلص أو وسيط، يهدي البشرية إلى الإله الحق ويقودها إليه. وقد صنفت العهد القديم من الطبقة "النفسية"، أي أدنى من الروح، ولكن أسمى من المادة، إذاً لا يمكنه تقديم هذه المعونة الخلاصية للبشر. وهم في الحقيقة، لم يُدينوا هذا العهد الذي يحكمه يهوى مباشرة، وابنه المسيح والروح (وكلهم من الطبقة الحيوانية)، كما فعل مركيون مثلاً، بل أخضعوه للتدبير الروحي، الذي رافق العهد الجديد. واعتبروا يهوى الذي هيمن على العهد القديم، إلهاً جاهلاً كل الجهل الإله الحقيقي. ولما يكن أحد قادراً على اكتشاف الحقيقة لنيل الخلاص، كان ينبغي انتظار مجيء المخلص، ابن الله الحق، الذي عرّف به. ومع انبلاج العهد الجديد، صار بإمكان البشر، أن يغوصوا ويكتشفوا الأسرار المُبشَر بها، ليس بواسطة الأسفار المقدسة، بل بواسطة التعاليم السرية والتقليد المكتوم، اللذين تركهما الابن لرسله.

يمكننا أن نصنف، في مختلف التيارات الغنوصية، ثلاث مدارس خريستولوجية كبرى: الأولى تعتبر يسوع ابن يوسف، والثانية أنه ابن مريم، وفي كلتيهما نجد الأفكار الرئيسة التالية: إن يسوع هو مجرد إنسان، نزل عليه روح الله في الأردن أثناء المعمودية، فصار من وقتها ابن الله، لأن روح الله حلّ عليه، وولج في جسده،

١٤٠ Hergenröther., I. 185-188.

ليحطم الخطيئة فيه. فتحول جسده إلى جسد بركة، دون أن يدمر جوهره الأصلي المأخوذ من يوسف أو من مريم، ولكنه يُعيد إليه براءته الأولى. جاء يسوع إذاً لخلاص البشر، وليزيل الحاجز الوحيد الذي يُعيقه، وهو خطيئة آدم المتوارثة والملازمة للجسد؛ فلما حلّ روح الله النازل من السماء عليه، يوم عماده في نهر الأردن، أهّله ليصعد على الصليب، بريئاً من كل خطيئة، ليفتدي البشرية. أما المدرسة الثالثة فهي تعتبر أن يسوع هو ابن الله حقاً: نزل ابن الله عبر السماوات ليتخذ جسد التدبير، المصنوع إعجازياً في أحشاء العذراء، والمُعد بأعضاء منظورة للعيش مع الفانين، ولكن ابن الله لا يتخذ لا النفس غير العاقلة ولا الجسد، غير القابلين للخلاص بالطبيعة.

اصطدمت الغنوصية بواقعية التجسد الإلهي، لأنها انطلقت من انتروبولوجيا أفلاطونية، منعتها من إعطاء الجسد كرامة الإنسان نفسها، فاعتبرته بشراً، ولكن لم تعتبره على الإطلاق إنساناً. وحسب منطق هذه الانتروبولوجيا ومسلماتها، فإن المادة، وبالتالي الجسد، غير قادرين على الخلاص، ولذا فإن ابن الله لا يمكنه اتخاذ يسوع حسب الجسد. فكان على يسوع أن يُولد "بجسد التدبير" المنظور، ولكن غير اللحمي.

وكان من المنطق أن تُعتبر مكونات يسوع الفيزيائية، أي الإنسان "الروحي" و"النفسي"، لخير الكنائس الروحية والحيوانية، التي جاء ليُخلصها. وينبغي التمييز هنا بين الأداة البشرية، يسوع التدبير، وبين ابن الله فاعل الخلاص.

ميّزت الغنوصية بين الأشخاص القابلي الخلاص، وبين الذين لا يقدرون عليه، واعتبرتهم وسائل نقل للأناس القابلي الخلاص. وبين هؤلاء الآخرين، يجب أن نميّز بين قابل للخلاص الكامل وغير الكامل؛ فإن قابلي الخلاص التام بحسب الطبيعة، هم الناس الذين يشتركون بالطبيعة الإلهية وحدهم، لأن لهم أصلاً في الحكمة الإلهية. وتستند الأسطورة الخلاصية الغنوصية على هذه القاعدة: إن الكارثة التي حلّت في الفلك الإلهي، والتي سببت تشتت العالم، كانت بحاجة إلى مجيء مخلص إلى العالم ليفتديه، فيرفع قابلي الخلاص إلى كمال الله.[١٤١]

١٤١ Cf. Orbe., Il Cristo. I. XXIII-XL.

www.old-criticism.blogspot.com

لم تحافظ الغنوصية من الأفكار المسيحية إلا على فكرة الفداء. أما فكرة الخلق، فهي مأخوذة عن الوثنية التي تؤله الأشياء كلها (حلولية*)، وعن الديانات الفارسية التي تقول بوجود كائنين متعارضين (ثنوية): هذان الكائنان هما متساويان في الأزلية لدى البعض؛ أما لدى البعض الآخر، فالواحد متأتٍ من الآخر، والمبدأ الأحدث بينهما، الشرير والمحدود والمتناهي، هو مبدأ المادة.

رفضت الكنيسة الغنوصية، لأنها مقتنعة أنه لا يمكن للإنسان أن يصل إلى الخلاص فقط بواسطة المعرفة أولاً، وثانياً لأنها واثقة أنه لا يمكن للمسيحي أن يُدرك بقواه البشرية الله، وأن معرفته له تبقى نسبية؛ وأخيراً لأنها تعرف وتعلّم أن المسيح هو الطريق والحق والحياة، وهو الذي عرّفنا بالله، وهو الذي يوحي لنا بذاته. أضف إلى "أن كل المناهج الغنوصية ترفض العهد القديم، كما ترفض أيضاً الكنيسة وعلاقتها التاريخية والخلاصية بشخص يسوع المسيح. ولا ترى في السيد المسيح نفسه، إلا إنساناً استطاع، بواسطة وحي داخلي شخصي، الوصول إلى معرفة الله وإدراك الحقائق الإلهية"[١٤٢].

كانت الغنوصية محاولة تبغي شرح كل الأمور الكونية، من نشأة الكون* وأصل العالم المنظور، والمادة، وعالم الآلهة، وبالتالي، العلاقات بين المادة والروح. وسعت إلى أن تكون شاملة، وتُغطي تغطية تامة جميع النواحي الحياتية، الإلهية منها والبشرية، حتى إنها تطرقت إلى جميع المجالات، ودخلت في أدق التفاصيل، لكي لا تهمل أي جانب. ويمكننا تلخيص مبادئ الغنوصية وتعاليمها عموماً، أي دون التمييز بين الشيع المختلفة التي عرفتها، بما يلي:

١- في الله: فكرة مجردة عن الألوهية، وتعاليها المطلق فوق عالم الظواهر. واعترفت بمبدأ الثنوية: وجود إلهين سوية، ولكن الله الأسمى يبقى هو الإله الحق وحده، فهو وحده الباقي أبداً، وهو الذي ستكون له الغلبة في النهاية على إله الشر. وقد

* حلولية Panthéisme
١٤٢ بسترس، ٣.
* نشأة الكون Cosmogonie

أوجدت تصور إله الشر، تفسيراً منها لوجود عالم المادة المملوء بالشرور، بينما الله خيّر في ذاته وصالح.

٢- في الخلق: الفصل التام بين الله المتعالي، والفاطر صانع العالم، الذي هو متناهٍ وجاهل وشرير؛ وتفصل بين الألوهية وبين العالم، مجموعة من الكائنات الوسيطة، والفاطر أهمها وأعظمها.

٣- في الخريستولوجيا: ضرورة مجيء المخلص، ليُعيد الناس إلى عالمها الأول. اعتبار يسوع مجرد إنسان اتشح بالله، أو جاء الله ولبسه ليحقق به عملية الخلاص. أما الذين اعترفوا بألوهية المسيح وبأنه ابن الله، فقد اصطدموا بمفهومهم للمادة. وتعتبر الغنوصية أن هناك تناقضاً مطلقاً بين الروح والمادة، التي يعتبرها البعض شراً، بينما يعتبرها آخرون خالية من أي جوهر وقد شبّهوها بالخواء المظلم (العماء). وأنتجت هذه التعاليم ما يلي:

آ: إنكار إنسانية المسيح، فهو كائن له طبيعة سامية فوقبشرية، في مظهر جسد، وهذه هي المظهراتية.

ب: انتقاد فضيلة آلام السيد المسيح الفدائية، الذي كان هدفه الكشف عن الألوهية المختبئة والمجهولة للبشر؛ وقيادة النفوس المسجونة في الجسد إلى مملكته.

٤ - في الإنسان: التمييز بين الناس في طبقات روحية، نفسية، هيولية.

٥ - في الأخلاق: تطرف في الأخلاق: مغالاة في النسك، واحتقار الأعمال الصالحة، وتمجيد العرفان وحده؛ أو العكس، فلتان وإباحية.

٦ - في الكتاب المقدس: تفسير مزيف أو محرف للكتب المقدسة. وكان عندهم تقليد سري غير التقليد المعروف: إدخال كتب أخرى واعتبارها مقدسة.

نجد تشابهاً بين عناصر الغنوصية، بخصوص موضوع الخلق، مع ما علّمه آريوس فيما بعد، مما دعا اثناسيوس إلى اتهامه، وعن حق، بأنه متأثر بالمذهب الفالنتيني.

www.old-criticism.blogspot.com

سادساً– المظهراتية

تُدعى أيضاً بالمظهرانية أو المظهرية*. لم يشكل هذا التيار مدرسة لاهوتية أو هرطقة منفصلة، إنما هو تفسير من التيار الغنوصي، الذي تعود أصوله إلى عهد الرسل، ولكن جذوره غامضة، على شكل محاولات مختلفة، على أساس ثنوي روحاني*، لحل مسألة تجسد الله، الذي اعتبرها غير لائقة بالألوهية، واعتبر ألم ابن الله فضيحة ومشكّكاً. تُعلّم المظهراتية أن ابن الله، لم يتخذ في يسوع المسيح جسداً حقيقياً، فلم يكن له إلا شبه جسد: وُلد وتألم ومات فقط مظهرياً أو ظاهرياً. نادى العديد بآراء هذا المذهب، أمثال مركيون وفالنتينوس وسواهما. وانطلق جميعهم من رفضهم فكرة التجسد غير اللائقة بالله، ومن قناعتهم أن ابن الله، لا يمكن أن يتألم بهذه الطريقة المخزية، ولا أن يموت الإله، لذا أنكروا حقيقة الجسد.

عرفت المظهراتية فرعين أساسين، ترأس أحدهما، حسب ما يقول لنا اكليمنضوس الإسكندري، يوليوس كاسيانوس الذي كان من مدرسة فالنتينوس الغنوصي. يقبل الفرع الأول بمعطيات الإنجيل حول ولادة يسوع من عذراء، ولكنه يربطها بتعاليم أخلاقية متشددة، أهمها رفض الزواج وكل الشهوات الجسدية، بينما يرفض الفرع الثاني فكرة ولادة ابن الله، متمسكاً بمبدأ أن الفادي اتخذ لنفسه الجوهر الذي كان عليه أن يخلصه وحسب. وبما أنه لا يوجد أي شيء جسدي قابل الخلاص، فبالتالي، لم يتخذ المسيح جسداً أو جوهراً جسدياً، لذا رفضوا ولادة المسيح الإنسانية.

اختفى هذا التيار بشكل نهائي في القرن الخامس، ليعود فيظهر من جديد في القرن السادس، في بعض الشيع المونوفيزية. وقد احتل رفض هذا التيار وتفنيده، حيزاً كبيراً في الأدب المسيحي خلال القرون الثلاثة الأولى للمسيحية. ومن أهم من كتب ضده، الآباء سيرابيون الأنطاكي واكليمنضوس الإسكندري وايبوليتوس الروماني.[١٤٣]

---

* المظهراتية Docétisme
* ثنوي روحاني Dualistico-spiritualistique
١٤٣ راجع اوسابيوس، تاريخ الكنيسة. ٦: ٦/١٢؛ Grillmeier A., I. 245-250

سابعاً– المونارخية

وُلد هذا التيار في قلب الجماعات المسيحية–المتهودة، خاصة مع كتابات اكليمنضوس الروماني المنحولة ومع الأدب الأبيوني؛ وترجع جذورها إلى العهد القديم. طرحت المونارخية*، كما تُترجم هذه اللفظة، وحدانية المبدأ، كمبدأ أساسي لها، وهذا يعني الوحدانية التامة في الله، سواء في الطبيعة أم في الأقنوم. اعتمدت المونارخية على نصوص الكتاب المقدس، لتبرر وجودها، خاصة على النصوص، حيث يتكلم الله نفسه ويؤكد وحدانيته: "أنا إله آبائكم، لا إله غيري"[١٤٤]، "أنا الأول والآخر، ولا إله غيري"[١٤٥]. أما نتائج هذه التعاليم على التدبير الخلاصي، وعلى عملية التجسد فكانت في اتجاهين: إذ استنتج البعض أن المسيح ليس إلهاً، ولا ابن الله حسب الطبيعة، بل إنساناً عادياً تبناه الله ابناً محبوباً، وسيُعرف هذا التيار باسم "التبنوية". وبقي القسم الآخر من المونارخيين، أكثر أمانة لخط التقليد الكتابي، قائلين: إننا إذا اعترفنا بأن المسيح هو إله، فإنه الآب نفسه، وهذا يعني القول بالشكلانية، لأن اعتبار اللوغوس ابن الله الشخصي، يعادل إدخال فيض في الألوهية، وبالتالي انفصال بين الآب والابن، كما يحدث بين البشر. لأن كل تمييز يحمل في طياته انقساماً، ومن جهة ثانية، فإن أي تمييز دون انقسام، يعني هوية شخصية واحدة.

رأت المونارخية في الله إذاً طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً؛ واعتبرت أن الله الصامت، الذي لا يعمل منذ الأزل، صار ابناً في الزمن، خالقاً بالكلمة العالم، وأصبح الحكمة صانعة العالم[١٤٦]، وصارت الكلمة الكامنة كلمة ملفوظة. ويبدأ روح الله بالعمل، ولكنه يبقى غير متغيّر بفعل قدرته؛ ولأن روح الله يستطيع أن يلبس الشكل الذي يريد، فعندما قرر أن يلبس شكل الكلمة أو الحكمة، صار ابناً مستبدلاً دينامياً الشكل! إذاً لم يكن هناك في البدء لا آب ولا ابن بل كان الله، الإله وحده منذ الأزل، الذي أصبح أباً عندما أراد: الآب والابن اسمان لله، والفارق بينهما لفظي وحسب. وعند التجسد يدخل الله في دينامية جديدة، وفي

---

* المونارخية Monarchianisme تعني باليونانية المبدأ الواحد.
١٤٤ خر ٢٠/٢.
١٤٥ اش ٤٨/١٢؛ رؤ ١/١٧.
١٤٦ راجع مثل ٨/٢٢.

www.old-criticism.blogspot.com

تغيّر في الحالة، إذ يدخل روح الله، الخالق حتى تلك اللحظة، في أحشاء مريم، ليصبح مخلصاً بطبيعة بشرية، وهو دُعي ابن الله، لأنه شكل من أشكال طاقته. ولكن لا يوجد إلا ولادة واحدة، هي الولادة الجسدية من مريم، حيث ثمة فارق شخصي بين العذراء وابنها.[١٤٧]

انطلقت بدعة المونارخية هذه من ازمير مع نوئيطوس († ٢٠٠)، ثم انتشرت في روما وأفريقيا مع براكسياس، قبل أن تصل إلى المدن الخمس مع صابيليوس: وهي هرطقة تمس عقيدة الثالوث الأقدس، بالأساس؛ وتهدف إلى الحفاظ على وحدانية الله المطلقة، ضد تعدد الآلهة الوثنية، وضد ثنوية بعض المذاهب كالمركونية؛ ولتحافظ على هذه الوحدانية، أنكرت ثلاثية الأقانيم، وقلّصت التمييز بين الآب والابن، واعتبرتهما شكلين أو جانبين متتابعين لنفس الشخص الآب-الابن*.

اعترف نوئيطوس بإله واحد، الآب. وأقر أن الآب وُلد وتألم ومات؛ وإذا كان المسيح إلهاً، فهو بالطبع الآب، وإلا ليس هو بإله؛ وإذا تألم المسيح، فالله تألم، لأنه واحد ووحيد. واعتمد نوئيطوس، لدعم كلامه، على النصوص الكتابية[١٤٨]، خاصة على كلام الله في سفر الخروج: "أنا إله آبائكم، ليس هناك إله غيري"[١٤٩]؛ ثم اختار من كلام يسوع كل ما يوحده بالآب، كقوله: "أنا والآب واحد"[١٥٠]، ومن هنا انطلق ليؤكد أن المسيح هو الآب نفسه، وهو أيضاً، أي الآب قد وُلد وتألم وقُبر وقام. اعتمد تفسيراً مجازياً لنصوص الكتاب المقدس، وبنوع خاص لمقدمة إنجيل يوحنا. واتهم كل من لا يقولون مثله، بأنهم يؤمنون بإلهين*.

أثارت تعاليم نوئيطوس ردود فعل معارضة، فاجتمع الكهنة أولاً في ازمير ضده، ولكنه نجح في تبرئة نفسه وتابع كرازته؛ ونجح في كسب عدد من التلاميذ،

١٤٧ Cf. Orbe., Il Cristo. I. XL-XLVII.
* الآب-الابن Hyiopater
١٤٨ اش ٦/٤٤؛ ٥/٦٥ و١٤؛ باروخ ٣٦/٣؛ يو ٨/١٤؛ روم ٥/٩...
١٤٩ خر ٦/٣ و٣٠/٢٠.
١٥٠ يو ٢/١٠.
* عقيدة الإيمان بإلهين Dithéisme

فتحلق حوله بعض الأتباع. ثم إن كهنة الكنيسة اجتمعوا ثانية في ازمير حوالي سنة ٢٠٠، وأدانوا تعاليمه ووضعوا قانون إيمان أرثوذكسي، ضد هذه التعاليم؛ ثم طردوه من الكنيسة. ولقد أدان مجمع افسس، المنعقد عام ٢٤٥، نوئيطوس والعقيدة التي تنكر التمييز بين الأقانيم الثالوثية. لا نعرف شيئاً عن مصير نوئيطوس بعد إدانته، ولكن تعاليمه انتشرت حتى وصلت إلى روما، بواسطة تلاميذه، ومنهم ابيغونوس تلميذ نوئيطوس. ولكن يبدو أن تلميذاً آخر، كان قد سبقه إليها هو براكسياس*، وهو أيضاً من آسيا.[١٥١]

علّم براكسياس مبدأ المونارخية-الشكلانية، ونجح في جمع بعض الأتباع من البسطاء، الذين لا يهمهم فهم أكثر من وجود إله واحد، ودون وعي كامل لما تعنيه المونارخية. وحاول براكسياس شرح الأسماء الإلهية: آب وابن وروح قدس، وفسر النصوص الإنجيلية، معتمداً على رواية الآلام، ومنها وجد حجة على مثال معلمه، ليعلن أن الآب تألم، أو بالأحرى أنه هو المسيح؛ من هنا الاسم الذي أطلقه ترتليانوس على أتباع براكسياس: الآبويون*. يعتبر براكسياس أن الآب والابن هما شئ واحد، فاللوغوس ليس كائناً بحد ذاته؛ فهو ليس سوى اسم من أسماء الآب[١٥٢]: فالآب هو الذي نزل في أحشاء العذراء مريم، ووُلد، فصار ابناً بالولادة، ابن ذاته؛ وهو تألم، وقام، وبالتالي هو الذي ندعوه بأسماء متناقضة -منظور وغير منظور، يُعرف ولا يُعرف، مخلوق وغير مخلوق، فانٍ وأزلي، مولود وغير مولود- بحسب الحالة الموجود فيها. فالمسيح لديه، هو الإنسان يسوع، وهو الابن، وهو في الوقت ذاته العنصر الإلهي وهو الآب. ولاقت هذه التعاليم رواجاً ملحوظاً في روما؛ ولما أصبح هناك من يتكل براكسياس عليه من تلاميذه[١٥٣]، ترك روما، وانتقل إلى قرطاجة ليتابع فيها رسالته، فانتشرت تعاليمه فيها أيضاً.

* براكسياس Praxéas.
١٥١ Cf. Q., I. 436-437.
* أتباع براكسياس Praxéens ؛ الآبويون Patripassiens
١٥٢ هذه في الواقع هي النظرية الرواقية مطبقة على الثالوث. كما نلحظ فيها صيغة الاسمانية أو الاسمية Nominalisme.
١٥٣ نعرف من تلاميذه ابيغونوس Epigone ، وكليومينوس Cléomène . ويبدو أن هذا الأخير قد أقنع البابا زيفيرينوس بهذه التعاليم. وقد ساعده على ذلك كاليستوس، مستشار البابا. DTC X,2. 2200

www.old-criticism.blogspot.com

المونارخية إذاً مذهب يؤكد وحدانية الله الراديكالية، كما في العهد القديم، ضد تعدد الآلهة الوثنية، وضد ثنوية بعض المذاهب الغنوصية. تكمن مشكلة المونارخية، في أنها، حفاظاً على التوحيد، تُنكر الثالوث، وبالتالي تُنكر شخصية خاصة ومميزة للمسيح أو ليسوع، فتنسب كل أعماله -بما فيها الألم والموت- إلى الله الآب؛ فتقبل المونارخية القول مثلاً، إن الآب تألم على الصليب. صحيح أنها تحافظ على وحدانية الله، ولكنها تدمر الثالوثية في الأشخاص. ولقد فند ترتليانوس هذه البدعة، في سياق ثورته على الغنوصية[١٥٤].

يعلم اليهود ويُعلّمون أن الله هو الإله الوحيد. ولكن نظر المسيحيون إلى يسوع المسيح كإله، من دون أي تردد. وينجم عن ذلك تناقض فاضح بين هذين الاعتقادين في المسيحية: الله إله، ويسوع المسيح إله، والإله واحد. فكيف تتوافق هاتان العقيدتان، وكلاهما تستندان إلى الكتاب المقدس والتقليد؟ وبالتأكيد، لم تُطرح المسألة بهذا الشكل الواضح منذ البداية، لذا لم يهتم أحد بهذا الموضوع بالذات؛ وغالباً ما ردّ عليه الآباء حسب تعاليم الإنجيل، معتمدين التشابيه والاستعارات، لإفهام خصومهم الوثنيين وغيرهم. أمام هذه المسألة التي ابتدأت تتفاقم، كان رد البعض من المسيحيين، التشديد على وحدانية الله، وهؤلاء هم الذين دعيوا "مونارخيين". ويجب ألا تُفهم هذه التسمية، على أساس أنها هرطقة، تُنكر ألوهية المسيح، لتعتبره مجرد إنسان صار ابن الله بالتبني، بل إنها في الأساس تُنكر وجود الثالوث، لأنها رأت الله واحداً وحيداً، جوهرياً وأقنومياً، وهو الآب بالطبع. لم يكن خطأ المونارخيين، أساساً، خريستولوجياً. ولكن أخطاءهم الخريستولوجية، ما هي إلا نتيجة منطقية لعقيدتهم الثالوثية.[١٥٥]

١) التبنوية

التبنوية* تيار لاهوتي، أو بالأحرى هرطقة خريستولوجية. ابتدأت مع ثيودوتوس العجوز الدباغ[١٥٦]، الذي أراد، من خلال العهدين القديم والجديد،

١٥٤ F-M., II. 97-100; De Urbina., 33; Altaner., 111.
١٥٥ Cf. DTC X,2. 2194-2195.
* التبنوية Adoptionisme

إثبات أن المسيح هو مجرد إنسان، تلقى دعوة خاصة من الله. وأخذ التبنويون من الكتاب المقدس ما يوافقهم، وتركوا جانباً ما يعارض آراءهم. وقد سعوا إلى إثبات هذه الآراء عقلانياً، باستعمالهم القياسات الفلسفية: قياس افتراقي وقياس انفصالي، وارتكازهم على الهندسة[١٥٧].

أُطلقت هذه التسمية على إحدى مدارس التيار المونارخي المتشددة، التي تؤكد على أن الله ليس لديه ابن حسب الطبيعة، ولكن له القدرة على أن يتبنى من يريد: فهو الخالق الذي عنده الملائكة والبشر كأبناء، وهو يتبنى المؤمنين بسبب إيمانهم، وبفضل طاعتهم، يتبنى الرسل، و"مسحاء" العهد القديم (الملوك، الكهنة، الأنبياء)، هم أبناء الله المحبوبون. لم يكن يسوع، بالنسبة للتبنوية، ابن الله حسب الطبيعة ولا ابنه الوحيد، بل ابنه بالتبني. وهي رأت فيه، حسب المذاهب المتشعبة التي عرفتها التبنوية، إما إنساناً عادياً تبناه الله من أجل خلاص الجنس البشري، وإما ملاكاً تبناه الله ابناً لينشر رسالة الخلاص، وهو ما يُعرف بالخريستولوجيا الملائكية، حيث يقوم هذا الملاك مقام الابن والمسيح والمخلص. وقد نشأت مثل هذه الخريستولوجيات في بيئة متهودة، حيث اعتُبر يسوع أسمى الملائكة، ولكنه ليس إلهاً، إذ لا فارق في تلك البيئة بين تبني ملاك أو إنسان، لشغل دور المسيح، لأن العقل البشري والملائكي متساويان[١٥٨].

علّمت بهذه الخريستولوجيا أيضاً، بعض الفرق المونارخية، التي ادّعت أن يسوع هو محض إنسان، وُلد بإرادة الله من العذراء، ثم تبناه الله؛ حصلت عملية التبني -بالنسبة إليهم- في إحدى هذه المناسبات: في أحشاء مريم، ولكن بعد الحبل الإنساني به، أو في الأردن، عندما نزل الله عليه في المعمودية بالروح القدس (المسيح الأعلى)، وعندما هتف الصوت: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"[١٥٩]؛ أو بعد القيامة: عندما أُقيم يسوع من بين الأموات، كما يؤكد الرسول: "أنت ابني، أنا اليوم ولدتك"[١٦٠]. ولكن يسوع، في جميع الأحوال، يبقى إنساناً. وإن المسحة

١٥٦ ثيودوتوس العجوز الدباغ أو الجلاد Théodote le Vieux, le Taneur
١٥٧ F-M., II. 94-97.
١٥٨ Cf. Orbe., Il Cristo. I. XLVII-LII.
١٥٩ متى ١٧/٣.
١٦٠ عمل ٣٣/١٣؛ مز ٧/٢.

www.old-criticism.blogspot.com

الإلهية التي تلقاها في إحدى هذه المناسبات، إنما تحوّله نوعياً وفاعلياً، إلى كائن إلهي، إذ يؤهل بها، ليصير نبياً استثنائياً لرسالة سامية[١٦١].

تزعّم هذه المدرسة التبنوية ثيودوتوس الشاب أو الصراف، خلفاً لثيودوتوس العجوز. ووضع -هو وأتباعه- ملكيصادق فوق المسيح، معتمداً على آيات من الكتاب المقدس[١٦٢]، لأنهم اعتبروا يسوع إنساناً بالرغم من الحبل به، وولادته من الروح القدس، ومن مريم العذراء. ويقول أحدهم، وهو ارتيمونيس*، إن الله أسكن الروح القدس في جسد يسوع، ليس كأقنوم إلهي، بل كقدرة أو كطاقة إلهية (مثل الحكمة في الكتاب المقدس). فابن الله ليس سوى عبد الله المختار، فيه سكن روح الله، وبفضل إخلاصه، يُدخله الله في شركة معه لامتيازات روحه. ومن هنا خريستولوجيا السكنى، وهو الاختبار التي نجح فيها يسوع، فاستحق أن يُرفع إلى درجة البنوة، بفضل طاعته لله، وبسبب فضيلته.

رفضت الكنيسة هذا التيار. ومن الشواهد، موقف البابا فيكتور من أحد أتباعه ثيودوتوس البيزنطي (العجوز)، الذي أنكر الإيمان أثناء الاضطهاد، فسافر من بيزنطية إلى روما بسبب خجله؛ وعندما علم البابا هناك أنه يقول، بأنه لم يجحد الله بل الإنسان فقط، أي المسيح، طرده من الكنيسة.[١٦٣]

٢) صابيليوس

لا نعرف سوى النزر اليسير عن صابيليوس* وحياته، وخاصة عن نشأته. ولكن أصله، على الأرجح، من ليبيا أو المدن الخمس، على ما يذكر اوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي[١٦٤]. وربما أصبح أسقفاً على بطوليمايس في المدن الخمس.

١٦١ Cf. Orbe., Il Cristo. I. LII-LVIII.

١٦٢ تك ١٤/١-٢٤ وعلى مز ١١٠ (١٠٩)/٤ وعب ٧.

* ارتيمونيس Artemone

١٦٣ Grillmeier., I. 247-248.

* صابيليوس Sabellius

١٦٤ اوسابيوس، ٧: ٦.

ابتدأ صابيليوس نشر آرائه الخاطئة في روما منذ سنة ٢١٥. وكانت له سلطة قوية فيها، فأعطى الشكلانية بريقاً جديداً. ساند المونارخية، وكان يعتقد باختلاط الأقانيم الثلاثة، ذات الجوهر الواحد واللاهوت الواحد، ويردّها إلى أقنوم واحد. وقال إن الثالوث الأقدس أقنوم واحد، مثلث الأسماء، ظهر تارة كآب، وتارة كابن، وتارة أخرى كروح قدس، بتغيير الصورة والشكل. أي أنه ادّعى أن هناك ثلاثة أشكال لظهور الإله الواحد؛ لذا سُمّي هذا التيار بالشكلانية: ليس الابن والآب إلا أسماء وأشكال مختلفة لشخص واحد؛ وهذه الأشكال هي مؤقتة حُكماً، فهي تدوم لفترة فقط، لأن الآب يكف عن أن يكون أباً، عندما يظهر الابن، وهذا لن يبقى ابناً لدى ظهور الروح القدس. فهناك إذاً ازدواجية نشاط في الوحدانية الإلهية: امتداد وانسحاب. وأراد التشديد على فكرة وحدانية الله، في التعليم حول سر الثالوث، فألغى التمييز بين الأقانيم، وأنكر وجود ثلاثة أقانيم، ونادى بأقنوم واحد، يظهر في ثلاثة أشكال مختلفة، بحسب النشاط الذي يقوم به أقنوم الله الواحد؛ وبالتالي نفى التمييز بين الآب والابن في الأقنوم، واعتبرهما واحداً[١٦٥]. وانضم إلى هذا التيار الجديد، بعض أعضاء من السلك الكهنوتي، في مصر والمدن الخمس، نذكر منهم امونيوس أسقف كنيسة بنغازي، وتيليسفوروس، واوفرانوروس، وافبوروس[١٦٦]. ودعي هذا التيار بالصابيلية*، نسبة إلى مبدعه صابيليوس. ولقد بشر بالبدعة ذاتها نوئيطوس وبراكسياس، كما رأينا آنفاً، في أواخر القرن الثاني، وكانا يقولان إن الابن والروح القدس، إنما هما من الظهورات والأشكال، أو الانبثاقات من شخص الآب الواحد. وقد وقع هذا التيار في الهرطقة، لأنه لم يعترف بكيان خاص للابن.

حارب ديونيسيوس الإسكندري آراء صابيليوس ومن تبعه، فكتب إلى البابا اسطفانوس الأول (٢٥٤-٢٥٧) رسالة بخصوص ما يعلّمه هذا المُبدع، يقول فيها: "إذا أراد أحدهم إدخال عبادة آلهة غريبة، يجب أن يُرجم كما ترسم الشريعة. لكننا نريد بالأحرى، رجمهم بكلمات الإيمان الحية. فإذا لم يقبل أحدهم سر المسيح

١٦٥ H-L., I,1. 195; De Urbina., 33.

١٦٦ امونيوس أسقف بنغازي Ammonios de Bérénice؛ وتيليسفوروس Télésphore؛ واوفرانوروس Euphranore؛ وافبوروس Eupore؛ راجع اوسابيوس، ٧ : ١/٢٦؛ Grillmeier., I. 367

* الصابيلية أو السابيلية Sabélianisme

www.old-criticism.blogspot.com

بكامله، أو يريد تغييره أو تزييفه أو تحريفه، أو [يقول] إنه ليس إلهاً، أو ليس إنساناً، أو إنه لم يمت، أو لم يقم، أو لن يعود ليدين الأحياء والأموات، فليُلعن، كما يقول القديس بولس"[١٦٧].

انتشرت هذه الهرطقة بسرعة بين الناس، لكنها لم تكوّن كنيسة منشقة، بل بالأحرى مدارس، وخلقت خصوصاً جواً سعى فيه الجميع، إلى إيجاد مخرج وشرح لعلاقة الآب بالابن؛ لذا نجد اتهام البعض هذا النمط، واعتبار مؤيديه هراطقة. كان لهذا التيار تأثير على آريوس والآريوسية، ولكن لم يكن هناك، زمن المجمع الأول، فئة منظمة صابيلية، بالرغم من شيوع آرائها عند فئة هامة، عددياً، من الناس. ولكن لدى تفاقمها وانتشار معتقداتها، حكم البابا كايوس (٢٨٣-٢٩٦) أيضاً، على مبادئ مبدعها الهرطوقية؛ وأُدين أيضاً التيار الشكلاني وآراء صابيليوس اللاهوتية في عدة مجامع[١٦٨].

٣) الشكلانية

الشكلانية* وهي أيضاً تيار مونارخي، يعتبر المسيح شكلاً من أشكال ظهور الآب، وينكر بالتالي على المسيح، أن يكون إلهاً. انتشر هذا التيار في روما، أيام حبرية البابا زيفيرينوس (١٩٩-٢١٧)، الذي لم يأخذ المبادرة بإدانتها، ولم يتخذ أي إجراء خاص بحقها؛ لكن خلفه كاليستوس (٢١٧-٢٢٢)، أدان صابيليوس، الذي كان، أيامها، رئيس الفريق الشكلاني في روما، وحرمه وبدعته. لم تنتشر الشكلانية كثيراً في الشرق، في بلاد منشأها. حاربها اوريجانوس. وكان من بين المنضوين إليها بيريللوس أسقف بصرى*، الذي حاول اوريجانوس إعادته إلى جادة الصواب.[١٦٩]

١٦٧. Grillmeier., I. 366-367; DTC X,2. 2202-2205.

١٦٨ نذكر منها مجمعي أنطاكية سنة ٣٤١ و ٣٤٤، ومجمع روما الرابع سنة ٣٨٠، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨٢.

* الشكلانية Modalisme

* بيريللوس أسقف بصرى Bérulle de Bostra

١٦٩. DTC X,2. 2202-2204.

٤) بولس السميساطي

وُلد بولس هذا في شمشاط، أو سميساط، عاصمة ولاية كوماجانيس السورية*، نحو سنة ٢٠٠، ودرس فيها. وبعد وفاة ديمتريانوس أسقف أنطاكية الذي أسره الفرس، سنة ٢٦٠، دعمت أسرة سيبتيموس التدمرية المالكة، بولس هذا ليتبوأ المنصب، ففرضه أذينة الثاني ملك تدمر وزوج زنوبيا، أسقفاً على الكنيسة الأنطاكية. ثم جعلته زنوبيا موظفاً مدنياً عالياً، فأسندت إليه مهاماً مالية هامة، وأوكلت إليه الإشراف على الجباية، فتمتع بصلاحيات واسعة، وأصبح أمين سر الخزينة لدى الملكة زنوبيا التدمرية، ومثّل ملوك تدمر في أنطاكية. فأصبح يجمع الأموال الطائلة، وشمخ أنفه عالياً وتكبّر.

كان بولس من مدرسة المونارخية نفسها[١٧٠]، لكنه طوّر فيها قليلاً، ودعا مذهبه مذهب المونارخية الدينامية*: التي تدّعي أن الابن هو قوة الآب، ولكن دون أن تكون له شخصية خاصة، فيكون، قد أنكر بذلك، ألوهية المسيح، متأثراً على ما يبدو، بفلسفة لونجينوس الأفلاطونية الحديثة، وادّعى أن الابن مخلوق صالح، هو قوة الآب، ولكن دون أن يحافظ له على شخصية خاصة؛ وسكنت هذه القوة (اللوغوس)، بنوع خاص، في يسوع ابن مريم الإنسان فقط (له جسد ونفس). وانطلق بولس من دمج الأشخاص الإلهية، ورأى في الكلمة فضيلة الله*، واعتبر الله والكلمة شخصاً واحداً، ونفى عن المسيح أقنومه الخاص. ولم يرَ في يسوع سوى إنسان اتحد به الكلمة، ووُلد بطريقة عجائبية من عذراء. ولم يكن يعتبر المسيح إلا

* كوماجانيس السورية Commagène de Syrie

١٧٠ يخبرنا باسيليوس الكبير وايلاريون أسقف بواتييه، كل من جهته، أن المجمع أدان بولس ورفض عبارة "الاوموسيوس"، التي كان يستعملها بمعنى شكلاني، بحيث يزيل التمييز بين أقنوم الآب وأقنوم الابن، ولهذا اعتبر المجمع عبارة "مساوٍ في الجوهر" لا تشرح العلاقة بين الآب والابن؛ بل وأكثر من ذلك، يجد المجمع أن بولس لا يعترف بثلاثة أقانيم في الله، إنما يعطي اسم "الله" للآب خالق كل شئ، واسم "الابن" للإنسان يسوع، و"الروح القدس" للنعمة المعطاة للرسل. أضف أنه لا يعترف بالثالوث، إلا اسمياً فقط. وهذا النوع من التفكير هو ما ندعوه التيار المونارخي؛ كما أنه يعتبر المسيح أرفع من موسى، ولكنه ليس اللوغوس؛ إنه مجرد إنسان مثلنا، ولكنه أفضل منا من جميع النواحي، تبناه الله وأعطاه قوة خاصة. وهذا ما ندعوه بالخريستولوجيا التبنوية. راجع باسيليوس الكبير، الرسالة ٥٢؛ وايلاريون، "في المجامع". ٨٦/٨١.

* المونارخية الدينامية Monarchianisme dynamique

* فضيلة الله Vertu de Dieu

www.old-criticism.blogspot.com

إنساناً، وليس إنساناً-إلهاً. فكيانه الأدنى ولد من العذراء إنساناً مثلنا، أما كيانه السامي فاتحد به اللوغوس، أي أن المسيح ليس اللوغوس، الذي هو أعظم منه. وسكن اللوغوس في الإنسان يسوع، ليس شخصياً، بل عرضاً. وكان به كقوة، ودخل فيه بطريقة دائمة، فقدسه وجعله مستحقاً للاسم الإلهي أي أنه لذلك سمي إلهاً.

لم يكن بولس ليعتبر الروح القدس أقنوماً إلهياً، بل هو فضيلة الله ليس إلا. فهو ينتمي إلى الآب ويتميز عنه بفارق منطقي بسيط. ولا يعترف بولس إذاً بثلاثة أقانيم في الله، ويسمّي الله الخالق "الآب"، والمتجسد "الابن"، و"الروح القدس" النعمة التي أُعطيت للرسل، أي أنه اعترف بوحدانية المبدأ أو المونارخية؛ ولذلك هو قريب من الصابيلية والتبعية الإسكندرانية. استاء الكثيرون منه ومن تعاليمه، لأنه كان يُفكر بأشياء غير سامية، لا بل دنيئة بخصوص المسيح، أشياء تتعارض وتعليم الكنيسة، بالرغم من أنه كان رجلاً عادياً[١٧١]؛ لم يكن، في الواقع، سلوكه الذي استدعى استنفار الأساقفة المجاورين، بل، بالأحرى، تعاليمه الخاطئة. وحاور بولس في الموضوع العقائدي مالكيون، أحد معلمي الفلسفة والمنطق والفصاحة والبيان، وأحد أبناء كنيسة أنطاكية، المشتهر بالتقوى والصلاح، لكن بولس بقي متمسكاً بأفكاره، مما دعا إلى عقد عدة مجامع ضده في أنطاكية بين عام ٢٦٤ وعام ٢٦٨. فالأول (٢٦٤) والثاني (٢٦٥) لم يتوصلا إلى نتيجة؛ بينما أعلن المجمع الثالث عام ٢٦٨، أن تعليم بولس السميساطي غير مقبول، وأصدر بحقه حكم الإدانة والخلع.

اشترك في المجمع الأول عام ٢٦٤، فرمليانوس أسقف قيصرية الكبادوك، وغريغوريوس أسقف قيصرية الجديدة، وأخوه انثينودوروس، وهيلينوس أسقف طرسوس، ونيكوماس أسقف ايكونيوم، وهيميناوس أسقف أورشليم، وثيوتكنوس أسقف قيصرية فلسطين، ومكسيموس أسقف بصرى*، كما دُعي إليه ديونيسيوس

١٧١ رستم، ج ١. ١٢٠-١٣٠؛ Q., I. 401; DTC XII. 46-51

* فرمليانوس Firmilien ؛ غريغوريوس Grégoire ؛ انثينودوروس Anthénodore ؛ هيلينوس Hélénus ؛ نيكوماس Nicomas ؛ هيميناوس Hyménée ؛ ثيوتكنوس Théotecne ؛ مكسيموس Maxime .

الإسكندري، لكنه اعتذر بسبب تقدمه في السن. انتقد المجمع تصرفات بولس، وتعاليمه المخالفة قول الكنيسة، إذ إنه "جعل الثالوث أقنوماً واحداً"، باستعماله اللفظ اليوناني "اوموسيوس"، أي مساوٍ في الجوهر[١٧٢]، وقال إن المسيح إنسان تبناه الله. فجادل بولس الآباء وخاتلهم. وفي النهاية، تظاهر أنه اقتنع، وتعهد بتغيير رأيه، وبالعودة إلى الإيمان القويم. فانحل المجمع دون أخذ قرار، ورحل الأساقفة، كل إلى دياره، على أساس هذا الوعد.

وفي السنة التالية، عندما لحظ الأساقفة أن بولس لم يبر بوعده، اجتمعوا من جديد، وفوضوا ستة من الأساقفة المجتمعين، تسليم رسالة إلى بولس، وفيها قانون إيمان أرثوذكسي[١٧٣]، يطالبونه فيها بالتوقيع على هذا القانون، لتأكيد صحة إيمانه واستقامة لاهوته. لكنه استهان بالرسالة، ولم يعبأ بها، وتابع حياته الدينية والدنيوية وتجديداته، عائشاً على هواه، باحثاً عن المجد والشهرة، كما كان قبل المجمع. فراح يؤلف أناشيد مديح لشخصه، وتابع تعليم لاهوته الخاطئ، وعاش ببذخ وترف، وحياة مشتبه بها.

قلق الأساقفة عندما لاحظوا أن بولس لم يُبدّل شيئاً، ولم يبر بوعده، لا بل استمر في تصرفاته السابقة، فتشاوروا مراراً فيما بينهم. لكن بولس تابع حياته على هواه، مدعوماً من السلطة المدنية. أخيراً، وبعد انتظار ثلاث سنوات، دعا الينوس أسقف طرسوس الأساقفة إلى مجمع ثالث عام ٢٦٨، للنظر في الموضوع ذاته والبتّ في الأمر. فاجتمع ما يربو على سبعين أسقفاً، وأعادوا فتح ملفات بولس، وتفحّصوا تعاليمه مرة أخرى، فوجدوها خاطئة. وكان بطل المجمع آنذاك، الكاهن مالكيون[١٧٤] الذي ناقش بولس السميساطي، وأظهر لآباء المجمع أن أفكاره

١٧٢ Cf. Dalmau J-M., El homoousios en el concilio de Antioquia del ano 268: MC 34 (1960). 323-340.

١٧٣ يعترف هذا القانون بوجود الابن المسبق، وبالتجسد، وبأنه إله، وأن تنبأت عنه النبوات في العهد القديم.

١٧٤ يمثل مالكيون (القرن الثالث) تيار الخريستولوجيا "المُوحِّدة". لعب دوراً بارزاً في التصدي لخريستولوجيا بولس السميساطي "المُقسِّمة". ومن المدهش أن مالكيون عرض خريستولوجيته بتعابير متطورة بشكل ملحوظ بالنسبة لعصره، إذ رأى في المسيح وحدة بين كلمة وجسد (لوغوس-ساركس)، متناسبة مع وحدة الجسم والنفس عند الكائنات البشرية. ورأى مالكيون في ذلك ضمانة وحدة وثيقة في المسيح يسوع. Cf. Grillmeier., I. 381-383.

www.old-criticism.blogspot.com

اللاهوتية تتعارض وتعليم الكنيسة[١٧٥]، وبالتالي يعتبر بولس هرطوقياً. عندما تأكد ذلك للآباء، خلعوا بولس باسم المجمع، وانتخبوا مكانه دومنوس ابن ديميتريانوس الأسقف السابق. ووجه المجمع كالعادة رسالة مجمعية، إلى البابا ديونيسيوس، وإلى مكسيموس أسقف الإسكندرية، وإلى كل أساقفة المسكونة، يُعلمونهم بخلع أسقف أنطاكية، وانتخاب دومنوس بديلاً عنه، وفي الرسالة أعمال المجمع، ومحاضر جلساته.

أدان هذا المجمع الأنطاكي بولس من جديد، ووصمه بالهرطقة، وقطعه عن الشركة، لأنه "امتنع عن القول إن ابن الله نزل من السماء، وإن يسوع بشر وإنسان". وثبّت الآباء دومنوس أسقفاً شرعياً على أنطاكية. ثم أرسل المجتمعون رسالة محبة[١٧٦]، إلى كل من ديونيسيوس أسقف روما، ومكسيموس أسقف الإسكندرية، وإلى سائر أساقفة المسكونة، يخبرونهم فيها بقرارات المجمع، ليرذلوا بولس ويعترفوا بدومنوس. لكن بولس رفض قرارات هذا المجمع، وظل يعتبر نفسه أسقف أنطاكية، إذ كانت زنوبيا ملكة تدمر تسانده. فلم يستطع أحد أن يزعزعه من مكانه.[١٧٧]

بقي بولس أسقف أنطاكية، على الرغم من خلعه، بفضل حماية زنوبيا له. وتابع بالتالي تعليمه المبدع. وبقي الوضع على هذه الحال، حتى سنة ٢٧١، عندما شن الإمبراطور اورليانوس (٢٧٠-٢٧٥)، حرباً على زنوبيا، وانتصر على جيشها في أنطاكية، ثم في حمص وتدمر، ولم يتوقف حتى أسرها على ضفاف الفرات. وبزوال الحكم التدمري، استعاد اورليانوس الحكم الروماني على سوريا، فضعفت شوكة بولس السميساطي، بينما قوي نفوذ تيمايوس أسقف أنطاكية الأصيل، الذي خلف دومنوس سنة ٢٧١. عندئذ طالب الشعب الإمبراطور إخراج بولس، وكف يده عن أسقفية أنطاكية نهائياً، فحصل ذلك. ولا نعلم مصير بولس بعد ذلك. إنما

١٧٥ نجد الحوار بين بولس وبين مالكيون محفوظاً لدى لاونديوس البيزنطي، ويوستينيانوس. راجع اوسابيوس، التاريخ الكنسي، ٢٧/٧، ٢؛ ٢٩/٧، ١- ٣٠/٧، ١. Richard M., Malchion et Paul de Samosate: EThL 35 (1959). 325-338.

١٧٦ راجع نص الرسالة المجمعية ضد بولس السميساطي في الملحق رقم ٤١.

١٧٧ Q., I. 401-402; Ricken F., Les actes du procès de Paul de Samosate. Etude sur la Christologie du III et IVème siècles. Fribourg 1952.

من المؤكد أن تعاليمه لم تنتشر كثيراً ولم تتجاوز، على الأرجح، حدود أنطاكية وجوارها؛ كما لم يتبقَ من هرطقته شيئاً، قبل أواخر القرن الرابع، أي أنه في نهاية القرن الرابع، لم يبقَ لبولس السميساطي لا تلاميذ ولا أتباع.[١٧٨]

ثامناً- اوريجانوس

يُعتبر اوريجانوس[١٧٩] من أهم الكتّاب واللاهوتيين المسيحيين في القرن الثالث، ولعله أهم لاهوتي عرفته الكنيسة خلال القرون الثلاثة الأولى، وأكبر ثقاتها

١٧٨ رستم، ج ١. ١١٩-١٣٠ ؛ F-M., II. 97 et 342-350; De Urbina., 33-34; Altaner., 111 et 215; H-L., I,1. 196-206.

١٧٩ لن نعطي كل المعلومات عن اوريجانوس في هذا المقطع، إنما ما يهمنا معرفته هي نظرته اللاهوتية بالنسبة للوغوس. أما بالنسبة لحياته، فقد عاش اوريجانوس حياة تقشف ونسك: صوم وسهر وثوب واحد، دون حذاء... كان معلماً بالمثل الصالح. وهو أول مصري وُلد مسيحياً بين آباء الكنيسة. أخذ تعليم الإنجيل حرفياً: "هناك خصيان خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات" (متى ١٢/١٩)، فخصى نفسه وأبقى الأمر سراً . أُعجب ديمتريوس أسقف الإسكندرية بشجاعته، لكنه عاد وأدانه لخصيه نفسه، لأن القانون المدني يدين هذا العمل، ولأن الكنيسة أيضاً أدانته.

من الناحية الكتابية، ساهم بشكل كبير في تحديد الكتب القانونية، وفي الدفاع عن تعاليم الكنيسة ضد الهراطقة من خلال "السداسيات"، وهي نصوص نقدية لأسفار العهد القديم ميّز فيها: النقاط في السبعينية غير الموجودة في النص العبري وبالعكس، وأضاف تعليقات قصيرة عليها. وكل هذا العمل ضاع ولم يبقَ منه إلا بعض المقاطع. والسداسيات هي مقارنة نصوص الكتاب المقدس في ستة أعمدة: ١) النص العبري، ٢) العبري بحروف يونانية، ٣) نسخة اكيلا، ٤) نسخة سيماك، ٥) النسخة السبعينية، ٦) نسخة ثيودونيون.

فسّر اوريجانوس، كما ذكرنا، أغلب الكتب المقدسة في مؤلفاته، وهدفه البحث عن العلاقة بين الخطوات الافرادية مع الجو العام. أكد أولاً على المعنى الحرفي ووجد تحته معنى أسمى وسري، موجّه للحياة الأخلاقية، لأنه كان يعتبر الكتاب المقدس عمل الله، فهو مليء بأحاسيس عميقة (نجد عنده أقدم شروحات للكتاب المقدس: مزامير، التكوين، يوحنا...). ميّز المعنى الحرفي والمعنى النفسي (الأخلاقي) والمعنى الروحي (ميستيكي باطني، مجازي ورمزي).

سنة ٢٢٠ كتب "المبادئ" للتمييز بين العقيدة التي كرز بها الرسل، وبين المسائل التي يجادل بها. وهي أربعة أجزاء: وجود النفس مسبقاً؛ كل النفوس خالدة؛ خلق الله النفوس متساوية بين بعضها البعض؛ العالم المادي هو مكان تطهير لها: خلق الله هذا العالم المادي لتطهير الساقطين وينتهي عندما تعود كل النفوس إلى نقاوتها الأصلية. العالم يميل إلى انتصار الخير: أي أن الكل سيخلصون.

بالنسبة للحياة الروحية، يقول اوريجانوس: بالصلاة يمكن الانتصار على الأعداء، وبالتوبة نستطيع العودة إلى حياة الله بعد الخطيئة. الصلاة تساعدنا على الوصول إلى الكمال والخيرات المرجوة ؛ وكذلك النسك لتحرير النفس كي تتحد بالله: التخلي عن العالم وممتلكاته، عن الزواج والمجد. وطريق الاتحاد بالله طويل وشاق ومليء بالمصاعب والتجارب: عبور اليهود للصحراء؛ العيش في الصحراء: التخلي عن كل شيء إلا عن الله. المسيح يقويهم ويدعمهم، معتصمين بالإيمان والفضائل. يقودهم المسيح والروح

www.old-criticism.blogspot.com

وعلمائها: فهو الذي أدخل المنهجية على اللاهوت، وقام بتفسير معظم أسفار الكتاب المقدس؛ وهو أول من أدخل في الخريستولوجيا صيغة الإله-الإنسان؛ وفضلُه أنه كان شاملاً في لاهوته، ومنهجياً في شرحه، إذ تطرق إلى كافة المجالات في المسيحية، وبطريقة منظّمة. لكن تطرفه أو بالأحرى تأثره المفرط بالفلسفة اليونانية، جعله ينحرف عن الطريق الصحيح، لأنه لم يوفق في استخدام تعابيرها في نطاق اللاهوت المسيحي، مما دعا الكنيسة إلى حرمه وإبعاده عنها. ولم تكتفِ بذلك فقط، بل، ويا للأسف الشديد، أمرت بإحراق كتبه الثمينة. رجل له شخصية فوق كل ضعف، وله ثقافة موسوعية، ويُعد من المفكرين الأكثر أصالة ممن أنجبتهم البشرية[١٨٠].

وُلد اوريجانوس في الإسكندرية سنة ١٨٥، من أسرة مسيحية، وهو بكر إخوته. فاعتنى به والده ليوندس*، وربّاه على معرفة العلوم الوثنية والدينية، وخاصة الكتب المقدسة. تأثر اوريجانوس كثيراً بمعلمه امونيوس ساكاس[١٨١]، الذي مثّل ممر العبور من الأفلاطونية الوسطى، إلى الأفلاطونية الحديثة.

القدس. إنه طريق عبورات متتالية. يجب التمييز فيها بين الأرواح والتخلص من أمراض النفس: البخل والغضب والتكبر والخوف... التي يشفي منها المسيح، حتى تصبح النفس قادرة على تلقي أسرار الله ورؤيته، بعد أن تكون قد أماتت فيها كل الرغبات والشهوات، فيرفعها الله إلى قمم المعرفة الإلهية. والأسرار المسيحية تعطى من الله إلى نفوس مختارة في رؤى والخطافات. هذا العالم مرآة الأسرار السماوية: في السماء توجد حقائق روحية؛ والأشياء الأرضية رمز لها...

كان لاوريجانوس الفضل الكبير في تفصيل الحياة النسكية، والحث على إتباعها، خاصة في كتابيه "في الصلاة" و"الحث على الاستشهاد". وفي صراعه ضد الوثنية والهرطقات، ألّف كتاباً دفاعياً متكاملاً "ضد كلسيوم"، وهو أكمل دفاع عرفته الكنيسة قبل مجمع نيقيا، ضد اتهامات الوثنية؛ وحرّر كتاب "المبادئ" وهو في الواقع خلاصة لاهوتية. كما كتب "في القيامة" ومجموعة مختارات دينية دعاها "الطنافس"، على غرار ما كتبه اكليمنضوس الإسكندري. وكانت أعماله ومواعظه كلها تشكل نموذجاً لمؤلفات ذلك العصر الدينية. راجع رستم.، ج ١. ٦٣، ٨٨، ٩٣-٩٧، ١٤٧-١٤٨؛ Q., I. 314 -368; Altaner., 201-210; Grillmeier., I. 343-363; Orbe., Il Cristo. I. LXXXIX XCV.

١٨٠ راجع "كلمة الوداع" التي ألقاها غريغوريوس صانع العجائب، لدى مغادرته مدرسة اوريجانوس.
CF. Grouzel H., Le remerciement à Origène de saint Grégoire le Thaumaturge. Son contenu doctrinal: SE 16 (1964). 59-91.

* ليوندس Léondès ؛ اعتقل والده على أيام ساويروس، عندما كان طفلاً فأراد الاستشهاد مثل أبيه؛ وبعد ثلاثين سنة وبنفس الروح حث أصدقاءه المسجونين والمعذبين أيام مكسيمينوس وأيام داكيوس، على تحمل شرف التألم من أجل المسيح وحتى الاستشهاد.

١٨١ كان امونيوس ساكا س Amonios Saccas معلم افلوطين أيضاً.

بدأ اوريجانوس يعلّم في مدرسة الإسكندرية، منذ الثامنة عشرة من العمر، التعليم المسيحي، بعد أن حجزت الدولة ميراثه مع أملاك والده، ليعيل أسرته. وعندما هرب اكليمنضوس، رئيس المدرسة، سادت الفوضى فيها، فعيّنه أسقفه ديمتريوس رئيساً على المدرسة المذكورة. فشغل اوريجانوس بجدارة هذا المنصب، وأعطى المدرسة منهجه التعليمي، مبتعداً عن تعليم الآداب الوثنية. وتعمّق في دراسة الكتب المقدسة والفلسفة اليونانية، ليتمكن من الرد على تساؤلات الموعوظين، والتلاميذ الآتين من كل صوب، من هراطقة وفلاسفة يونانيين وغنوصيين. ومن فرط محبته للعلوم الدينية، سافر إلى فلسطين للتفتيش عن بعض الأماكن الجغرافية، وقام بحفريات على شاطئ الأردن. واستفهم عن الحاخامية وغيرها من الأمور اليهودية، ليفهم الكتاب المقدس أكثر وبصورة أوضح. وكان هدفه من كل ذلك، التحضير لدراسة اللاهوت، الذي هو العلم الأعظم في نظره. والحقيقة أن اوريجانوس كان مؤدباً أكثر منه مدرساً: يصلح الأخطاء، يهدي إلى الصواب، يوضح الأفكار، يقود التلاميذ ويريهم الطريق. وكان جازماً لا يقبل أنصاف الحلول: إما مع الله، وإما مع الشيطان؛ فإما الصراع ضد الخطيئة أو الانغماس فيها. جذب اوريجانوس الكثير من التلاميذ، بقيمة تعليمه وبمثال حياته، حتى وصلت معه هذه المدرسة إلى القمة[١٨٢]. ثم أمضى اوريجانوس فترة في فلسطين، تلبية لدعوة صديقه الكسندروس أسقف أورشليم، ليشرح لجماعته الكتب المقدسة وبعض الأمور الدينية، وهناك وعظ لأول مرة[١٨٣]، مما أسخط أسقفه ديمتريوس، ضد السلطة الكنسية الفلسطينية، لأنها سمحت لعلماني بالوعظ أمام أساقفة.

وبعد حوالي خمس عشرة سنة، كان اوريجانوس ذاهباً إلى اليونان، حيث أرسله أسقفه ليفند آراء بعض الهراطقة، وأثناء عبوره في قيصرية سنة ٢٣٠، سامه أسقفها ثيوكتيستوس كاهناً، بالاتفاق مع الكسندروس أسقف أورشليم، ربما كي لا يلاقي صعوبة في دعوته إلى الوعظ. لكن هذه الترقية إلى الدرجة الكهنوتية، أغضبت ديمتريوس أسقف الإسكندرية: لأنه رئيسه، ولأنه سيم من دون إذنه؛ زد على ذلك، أن اوريجانوس كان قد اخصى نفسه (عام ٢٠٢/٢٠٣). وبالتالي، لا يحق له

١٨٢ راجع اوسابيوس، ٦: ٣/ ٧-١٠.

١٨٣ قرر اوريجانوس الذهاب إلى فلسطين نحو سنة ٢١٦، بعدما احتل كركلا الإسكندرية ونهبها، وأغلق المدارس ولاحق المعلمين. لكنه ما لبث أن عاد بعد وفاة هذا الطاغية (٢١٧).

www.old-criticism.blogspot.com

أن يرتقي في الدرجات الكهنوتية؛ إضافة إلى أن بعض تعاليمه، كانت متطرفة قليلاً[١٨٤]. كل ذلك دفع أسقفه ديمتريوس، إلى الدعوة إلى مجمع مكاني، حرم فيه اوريجانوس، وقطعه وطرده من الإسكندرية. تألم اوريجانوس لنفيه كثيراً. فعاد إلى فلسطين وأقام في قيصرية، يعلّم الجدل والنقد والحساب والهندسة والفلك والفلسفة، وجعل من هذه المدينة مركزاً فكرياً هاماً. وكان له الفضل في اهتداء غريغوريوس صانع العجائب وأخيه. وبعد موت ديمتريوس (٢٣٧)، عاد اوريجانوس إلى الإسكندرية، لكن هيراكلاس، مساعد ديمتريوس القديم وخليفته على الكرسي الإسكندري، رفضه وجدد قطعه.

نفى مجمع الإسكندرية، سنة ٢٣١، اوريجانوس من الإسكندرية، ومنعه من التعليم في مدارسها، وحتى من الإقامة فيها، بعد أن أدان آراءه اللاهوتية. ثم خلعه ديمتريوس مع بعض أساقفة مصر من الكهنوت، ووافقه على ذلك أغلبية الأساقفة، باستثناء بعض أساقفة فلسطين وآخائية والعربية وفينيقيا وكبادوكية. ثم أكد على حكم ديمتريوس خليفته هيراكلاس، ثم ديونيسيوس، وكانوا كلهم تلامذة اوريجانوس.

وذهب اوريجانوس إلى أنطاكية سنة ٢٣٢، عندما استدعته جوليا ماميا* زوجة سيبتيموس ساويروس، ووالدة الإمبراطور الكسندروس ساويروس، لاستشارته حول التعاليم المسيحية (حول مجد المخلص). وسافر بعدها إلى أثينا سنة ٢٤٠. ونراه سنة ٢٤٤ في بصرى، يقنع أسقفها بعدم أرثوذكسية "وحدانية المبدأ". وتعرض اوريجانوس في نهاية حياته، للسجن ولشتى أنواع العذابات، من أجل اسم المسيح أيام اضطهاد داكيوس (٢٤٨-٢٥١)، فتحمل الآلام بصبر، لكنه لسوء حظه، لم ينل شرف الاستشهاد، كما كان يبتغي ويتمنى. وتوفي بعد هذا

١٨٤ يُعطي اوسابيوس القيصري في "تاريخ الكنيسة" هذا التفسير عن موقف أسقف الإسكندرية، فيقول: "لما رأى ديمتريوس أن اوريجانوس كان ناجحاً ويزداد عظمة وشهرة بين كل الناس، غلب عليه الضعف البشري، وكتب إلى الأساقفة في كل العالم، واصفاً تصرف اوريجانوس بأنه في منتهى الطياشة"... وإذ لم يكن لديه ما يقوله ضده سوى ذلك العمل الصبياني (الخصي)، اتهمه بمرارة، وتجاسر على أن يشرك معه في هذه الإتهامات أولئك الذين نصّبوه قساً". ٦: ٨، ٤-٥.

* جوليا ماميا Julia Mammea

الاضطهاد، بوقت يسير، سنة ٢٥٣ في صور حيث قُبر، عن عمر يناهز الثمانية والستين حولاً.[١٨٥]

ترك اوريجانوس أعمالاً كثيرة ومهمة، أهمها الأعمال التفسيرية للكتاب المقدس. لكن فُقد الكثير منها مع الأسف، ولم يصلنا إلا بعض الترجمات اللاتينية التي قام بها القديس ايرونيموس أو روفينوس، وبعض الشذرات هنا وهناك[١٨٦]. تأثرت تعاليم اوريجانوس العقائدية كثيراً بالأفلاطونية الحديثة، فأدت به إلى ارتكاب أخطاء خطرة في العقيدة، كموضوع أسبقية وجود النفوس والتفسير المجازي وما إلى ذلك، مما منعها أن تكون أرثوذكسية تماماً، وأوقعت مؤلفها في أخطاء لاهوتية، أدت إلى رفضه ورفضها جملة وتفصيلاً.

يعرض اوريجانوس تعليمه، على غرار الغنوصية، على مستويين: فهناك العالم العلوي والعالم السفلي أو الأرضي؛ نجد في العالم الأول العلوي الله الآب المتعالي الذي لا يُدرَك، هو روح، وهو نور، وحده غير مولود، وهو حر من كل مادة، واحد بسيط غير مركب، وينبوع كل الأشياء، يلد الابن منذ الأزل وهو صورته، ولكنه أدنى منه مرتبة؛ ثم يأتي الروح القدس وهو في المركز الثالث بعد الآب والابن. لذا فقدرة الآب أعظم من قدرة الابن والروح القدس؛ وقدرة الابن أسمى من قدرة الروح القدس. كان همّ اوريجانوس أن يدافع عن ثبات الله وعدم تحوله، وذلك ضد الحلولية والثنوية عند الرواقيين والغنوصيين والمانويين. يستخدم اوريجانوس كلمة "الثالوث" كثيراً، ويشدد على التمييز بين الأقانيم الإلهية الثلاثة، ليفند عقيدة الشكلانيين. ويقر بتعالي الآب والابن والروح القدس على كل الكائنات، ويشرح أن هناك تدرجاً هرمياً في القيم في الثالوث: الآب فيه كل شيء، يعطي الكائنات كل ما هي عليه؛ وبما أنه مطلق، فهو لا يُدرك؛ ويصبح ممكن الإدراك بواسطة اللوغوس، أي المسيح، الابن؛ والابن ينبثق من إرادة الآب ليس

١٨٥ F-M., II. 249-293; Q., I. 314-360; Altaner., 201-210; Hergenröther., I. 319-323. AA-VV., Nuova storia della Chiesa. I. 228-233.

١٨٦ يخبرنا ايرونيموس أن مقالات اوريجانوس تعدت الألفي مقالة؛ بينما يعتبر ابيفانوس أنها كانت ستة آلاف كتاب؛ نعرف منها فقط ٨٠٠ عنوان. كان اوريجانوس غزيراً جداً في عطائه، وكان لديه سبعة مختزلين أو أكثر، يسجلون ما كان يقوله ويعلمه. اوسابيوس، ٦: ٢٣، ١-٢؛ Q., I. 319-320

www.old-criticism.blogspot.com

بالانقسام، بل كما تنبثق الإرادة من العقل، أي بفعل روحي؛ فهذا الفعل أزلي، لأن الله أزلي، فالابن لم يكن له بدء؛ ولم يكن هناك وقت لم يكن فيه؛ ولا يبلغ الابن إلا الكائنات العقلية، لأنه الثاني بعد الآب؛ وهذا اللوغوس، الملفوظ من الآب، لا كيان له كياناً عددياً مختلفاً عن الآب، لأنه بحاجة لمسحة الروح القدس ليكوَّن؛ وهو المكان الذي تأخذ فيه صفات الله الآب المتعالية شكلاً: فالآب هو أبو الحقيقة والحكمة واللوغوس...، فإذا ما دعي الابن حقيقة أو حكمة أو لوغوس فإنما يدل ذلك على كيانه الحق[١٨٧]؛ والمسيح هو ابن الله حسب الطبيعة، وليس بالتبني؛ وتتصف علاقة هذا الابن مع الآب بوحدانية الجوهر، أي أن هناك جوهراً مشتركاً بينهما؛ وبعبارة أخرى هما من جوهر متساوٍ. هذا الابن هو وحي هذا الآب ووسيطه بالنسبة للعالم: فمنذ ولادته، أي منذ الأزل، وُجد من أجل البشرية؛ وبواسطته نستطيع نحن الصعود إلى الآب. لم يهتمّ اوريجانوس بتكوين المسيح الاونطولوجي*؛ فهو قبل كل شئ، حسب رأيه، ولفرط المعرفة والمحبة، وسيط الاتحاد الروحاني بين النفس والله المتواري؛ ووسيط بين الكنيسة والله: فاللوغوس، نفس المسيح، وإنسانية الرب في خدمة هذه الحركة، التي يخرج الله من خلالها من ذاته، ويعود إلى ذاته. كل هذا التجوال يذهب من الرمز إلى الواقع الحقيقي. ويفسر اوريجانوس أن نفس المسيح تسبق الاتحاد بين اللوغوس اللامتناهي، وبين جسد المسيح المتناهي. وهذا الاتحاد بين طبيعتي المسيح، هو اتحاد وطيد، والاثنين يشكلان كائناً واحداً. ولا يتوانى في الحديث عن "تبادل الخصائص" في المسيح يسوع. أما عن علاقة ألوهية المسيح بإنسانيته، فيقول اوريجانوس إن اللوغوس هو صورة الآب، وإن نفس المسيح هي صورة اللوغوس، فهي تستضيف اللوغوس، الذي كان في البدء الله ولدى الله؛ ويتحقق الاتحاد بين ألوهية المسيح وإنسانيته، بواسطة النفس، علماً أن النفس متحدة باللوغوس منذ الأزل، بتناغم وحب لله؛ فالنفس موجودة منذ الأزل قبل أن يتم خلق الجسد، وهي في علاقة روح لروح مع اللوغوس؛ ولكن

١٨٧ تشير أسماء المسيح هذه، سواء إلى طبيعته، أو إلى وصف عمله الخلاصي. كما أن بعض أسمائه غير مرتبط بخطيئة آدم (حكمة، لوغوس، حياة، حقيقة)، وبعضها الآخر متعلق بها (نور البشر، باكورة القائمين من بين الأموات، راعي، طبيب، ملك، كاهن...). Cf. Grillmeier, I. 348-350

* اونطولوجي Ontologique

اللوغوس لا يبقى دوماً معها، بل يزورها أحياناً، ويتركها أحياناً أخرى، حتى ترغب به وتبتغيه أكثر فأكثر. ومن خلال إنسانية المسيح يتم الاتصال بالألوهية، حسب قدرة الشخص الاستقبالية. فهذا الاتحاد بين اللوغوس والنفس البشرية هو اتحاد دائم، وهو أساس الفداء والخلاص. وفي إنسانية المسيح حضور كامل للألوهية الكاملة، وإن كانت مختبئة بفعل التخلي عن الذات*، لذا يمكن رؤية الله الحية ومحبته. رافقت هذه الإنسانية المسيح لدى صعوده إلى السماء، وهو بدوره لم يتخلَّ عنها. هذا هو الاتحاد الأسمى، الاتحاد الذي به تصبح نفس المسيح متألهة. هذا الاتحاد هو اونطولوجي، ويبقى تفصيل كيفية هذا الاتحاد سراً[١٨٨].

أما الروح القدس، فهو موجود سابقاً كمادة روحية، لكن لا شكل لها، وهو بحاجة للوغوس، إذ إنه يأخذ من حكمة المسيح، لكي يحقق ملء وجوده. وهذا الروح القدس لا هو غير مولود كالآب، ولا هو مولود مثل الابن، ولكنه يخرج من الآب، ويصير أقنوماً بحد ذاته، بواسطة الابن؛ أصله إذاً من الله، ولا يعمل إلا على القديسين.[١٨٩]

تأتي، بالنسبة لاوريجانوس، في المقام التالي المخلوقات الروحية*، وهي أرواح نقية طاهرة، وكلها متساوية، وتشترك في اللوغوس. الله وحده الخير، خلق هذه الكائنات روحية خيرة وطاهرة، ولكن أتى الدنس من سقطة أصلية: نسيان الله، إذ تركت النفوس المخلوقة منه، التأمل به؛ وراحت تعجب بذاتها. فضلّت لأن الله أعطاها جسداً، فنظمت ذواتها في الكون الحاوي الشياطين والملائكة، والإنسان في الوسط بينها. جاء اللوغوس، كلمة الله، من خلال تدبير تربوي، ليُعيدها ويُعطيها

* التخلي عن الذات Kenosis

١٨٨ Cf. Grillmeier, I. 351.

١٨٩ في الواقع، يعتمد مخطط اوريجانوس الرئيسي على العلاقة بين الله والعالم، حيث نجد المسيح الكلمة، يحقق تماماً وبأكمل صورة وبالملئ، كل وساطة بين الله والعالم في بعديه: أي عمل العناية الإلهية تجاه العالم، وعودة العالم نحو الله. لهذا لا يبقى مكان ذو قيمة، يضع فيه عمل الروح القدس بطريقة مميزة وعضوية. ولكن بما أن التقليد يضع الروح القدس، في قوانين الإيمان، إلى جانب الآب والابن، لم يجد اوريجانوس صعوبة في وضع هذا الروح، إلى جانب الابن في عمل الوساطة، ويدخله "بالطول والعرض" في جميع أعماله كروح الله، وكروح المسيح؛ ولكنه وجد صعوبة في إعطائه دوراً خاصاً محدداً، في عمل الوساطة بين الآب والعالم، خصوصاً أن للابن الدور الأول والأبرز في هذا المجال.

* يدعوها اوريجانوس المخلوقات الروحية أو العقلانية Loghiki

www.old-criticism.blogspot.com

الحرية، كي ترتد إلى الله وترجع إلى حالتها الأولى، أي أرواحاً نقية. واللوغوس هو مصدر العقل البشري والحكمة الفوقطبيعية. وتجسده شيء جديد على الإطلاق، إنه المجيء الحقيقي للوغوس. ويتحقق هذا الاتحاد بين الألوهية (اللوغوس) والإنسانية (المسيح المتجسد) بواسطة النفس. وهذه النفس موجودة ومتحدة باللوغوس منذ الأزل، بتناغم وحب الله، وهي في علاقة روح لروح مع اللوغوس؛ لكنها تصبح رؤية الله الحية، ومحبة الله الكاملة لدى اتحادها الكامل مع الكلمة: هذا هو الاتحاد الأسمى، الاتحاد الاونطولوجي. ولكن اوريجانوس لا يفسر كيف يتم هذا الاتحاد ولا يبرهنه: هو سر ولا يستطيع أي إنسان أن يعطي شرحاً عنه. وهذا كله من أجل فداء العالم وخلاصه. استخدم اوريجانوس لأول مرة تعبير "إنسان - إله"، ليتكلم عن المسيح المتجسد، وعن اتحاد طبيعتيه الإنسانية والإلهية: إن الجسد الذي اتخذه المسيح، ودخلت فيه نفسه، كان مكوّناً من العذراء غير المدنسة، وبفعل الروح القدس؛ وبفعل اتحادهما الوطيد، أصبحا يشكلان كائناً واحداً .

كانت هذه التعاليم، خصوصاً الخريستولوجية[١٩٠] منها، محور نزاعات وجدالات منذ القرن الثالث، لذا اتهمه خصومه:

أولاً، بأنه يتكلم عن خلق أزلي، وعن مجموعة لامتناهية من العالمين، وهذا لا يتطابق مع عمل الله الخالق الأزلي.

ثانياً، بأنه قال بسقوط الأرواح، وبأن ذلك حدث من أصل العالم، قبل كل الدهور. وهذا يعني أن هذه النفوس كانت موجودة سابقاً. فمن أين أتت؟

ثالثاً، بأنه أقر بجسدية الملائكة، وهذا تعليم مرفوض، لأن الملائكة أرواح.

رابعاً، بأنه ينكر أزلية العقوبات الجهنمية، معتبراً أن القصاص هو وسيلة تحسن وتحرر من الأخطاء، لذا فهي محدودة الأمد. كما أنه كان يعتقد بأن الشيطان

١٩٠ نجد في هذه الخريستولوجيا نزعتين: الأولى تقليدية، تتبع الكنيسة في التمييز بين الطبيعتين، وتفسر موضوع "السكنى" تفسيراً يُؤدي إلى إنقاذ وحدانية الأقنوم في المسيح؛ والثانية قد تُفضي إلى إلغاء العنصر الإنساني في المسيح. من المهم معرفة التقسيم الذي يتبعه اوريجانوس في أقنوم المسيح، إذ يعتبر أن هناك "جسد ونفس وروح" Σωμα και ψυχη και πνευμα ويقول عنها :"انفصل هؤلاء الثلاثة الواحد عن الآخر وقت الآلام، وعادوا واتحدوا وقت القيامة. أما كيف انفصلوا؟ فالجسد نزل في القبر والنفس ذهبت إلى الجحيم والروح أسلمها إلى الآب". Grillmeier, I. 359

سيخلص. ويتحدث عن ترميم كل شيء بتحطيم الاجساد*، وعن عدم قيامة الأجساد، وهذا غير مقبول أيضاً.

وكذلك حارب ثيوفيلوس الإسكندري (٣٨٥-٤١٢)، اوريجانوس وأدانه في مجمع عقده في أواخر القرن الرابع في الإسكندرية. كما أدانه البابا اناسطاسيوس الأول (٣٩٩-٤٠١) في إحدى رسائله الفصحية في الفترة ذاتها. وعاد مجمع القسطنطينية الثاني المسكوني الخامس عام ٥٥٣، أي بعد وفاته بحوالي الثلاثمائة سنة، ليقبل وثيقة، فرضها الإمبراطور يوستينيانوس الأول، تحتوي على خمسة عشر إبسالاً ضد تعاليم اوريجانوس، ويوقّع عليها كل من البابا فيجيليوس (٥٣٧-٥٥٥) وبقية البطاركة، ويأمرون، على إثر ذلك، بحرق كتب اوريجانوس.

هذا لا يمنع، أن يبقى اوريجانوس -وإن ارتكب بعض الأخطاء- أهم لاهوتي عرفته الكنيسة في تلك الفترة، هو الذي في الواقع كرس كل حياته للعمل من أجلها بلا كلل ولا ملل، والدفاع عن الإيمان المسيحي، ونشر الوحي الإلهي وتفسيره، عائشاً حياة نسك وتقشف. وهو الذي ثبت ركائز مدرسة الإسكندرية اللاهوتية، وأسس مكتبتها الشهيرة، ومكتبة أخرى في قيصرية.[١٩١]

وسوف يساهم اوريجانوس بطريقة مباشرة وواضحة أو غير مباشرة، في التأثير على تفكير الإكليروس في الإسكندرية. ولعل أهم ما تأثر به آريوس من تعليمه، قوله أيضاً بدونية الابن للآب، وهو ينكر بذلك مساواة هذا الابن بالآب في الجوهر، ويؤكد أن كرامة اللوغوس-الابن، هي أدنى بقليل من كرامة الآب؛ ويشرح أن عمل الروح القدس يقوم على القديسين، بينما الابن على المخلوقات العاقلة، والآب على كل الكائنات. وكان له تأثير ضخم جداً، على العديد من التيارات المبدعة، التي اعتبرت بدورها، أن الابن هو أدنى مرتبة من الآب. وقد لاقت هذه الفكرة رواجاً، لأنها، في الواقع، تتناغم والفلسفة اليونانية، كما رأينا مع اوريجانوس، وكان لها تأثير أيضاً على الكثير من الآباء الكنسيين في القرون اللاحقة[١٩٢].

* ترميم كل شيء بتحطيم الأجساد Apokatastasis

١٩١ Cf. Grillmeier A., I. 343-361.

١٩٢ Grillmeier., I. 492.

www.old-criticism.blogspot.com

تاسعاً– ديونيسيوس الإسكندري

تتلمذ ديونيسيوس الإسكندري، على يد اوريجانوس، ثم خلف هيراكلاس في إدارة مدرسة الإسكندرية، المدعوة باليونانية "الديداسكاليون"*، منذ سنة ٢٣١. ثم انتخب ليكون أسقف هذه المدينة العظيمة، بعد وفاة هيراكلاس سنة ٢٤٧. وعندما ابتدأت الاضطهادات مع الإمبراطور داكيوس (٢٥٠-٢٥٣)، اضطر ديونيسيوس إلى الهرب. ولكن ما إن ساد الهدوء من جديد، حتى عاد إلى الإسكندرية، يؤازر رعيته ويسوسها بكل تضحية وإخلاص. وفي أيام فاليريوس (٢٥٣-٢٦٠) نفي إلى ليبيا. وأخذ يحارب، ككل راعٍ مخلص للمسيح والكنيسة، الآراء الخاطئة التي تتعارض والتقليد اللاهوتي، المعروف في الإسكندرية آنذاك. فكتب مؤلفاً سماه "الوعود"، رفض فيه بدعة الألفية[١٩٣]. كما حارب الصابيلية التي كانت منتشرة في أغلب أنحاء الشرق.

لم يبقَ لنا من مؤلفات ديونيسيوس، سوى رسالتين كاملتين: الواحدة موجهة إلى نوفاتيانوس، والثانية إلى باسيليوس الأسقف حول مدة الصيام الفصحي، وبعض المقاطع الصغيرة من رسائل الفصح ورسائل أخرى. وبقي ديونيسيوس أسقف الإسكندرية حتى وفاته سنة ٢٦٤.

لعب ديونيسيوس دوراً بارزاً في كل الخصومات والنزاعات الثالوثية، والمشاكل حول المعمودية في عصره. وفي هذا المجال، حاول ديونيسيوس مراراً، تصحيح آراء كل من صابيليوس وأتباع مبادئه، من أولاد رعيته، فكتب لهم عدة مرات. وعندما لم تنفع معهم هذه المساعي، كتب إلى امونيوس واوفرانوروس موضحاً: "الآب هو

* الديداسكاليون Didaskaleion

١٩٣ تعود أصول بدعة الألفية إلى ما قبل المسيحية مع العبرانيين. عرفتها المسيحية مع بابياس أسقف جرابلس Hiérapolis، والقديسين يوستينوس وايريناوس، ومع ترتليانوس ولاكتانس. تقول البدعة إن المسيح سوف يعود ويظهر على الأرض، ليحكمها مدة عشرة قرون. وترتكز البدعة على نص من كتاب الرؤيا يقول ما يلي: "ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء، معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين، الحية القديمة الذي هو إبليس وقيّده ألف سنة. وطرحه في الهاوية وأغلق وختم عليه لكي لا يُضل الأمم في ما بعد، حتى تتم الألف السنة" (رؤ ٢٠/١-٣). حاربت الكنيسة هذه البدعة منذ القرن الثاني، إلى أن زالت تماماً في القرن الخامس. وهنا نذكر أن كثيراً من الناس اليوم، يعتقدون خطأً، أن العالم سوف ينتهي سنة الألفين، معتمدين هذه الجملة المجهولة المرجع "تؤلّف ولا تؤلّفان". ومن أشهر من يعتقد بمثل هذه البدعة اليوم مذهب الأدفنتيست البروتستانتي Adventistes .

دون شك أب وليس الابن، ليس لأنه ابتدأ الوجود، بل لأنه هو بذاته؛ لم يأخذ أصله من آخر بل من ذاته. الابن ليس الآب، ليس لأنه كان بل لأنه أصبح؛ لم يأخذ حالة الابن من ذاته، بل من الذي صنعه"[١٩٤]. من هنا اشتد النزاع فيما بينهم، فاتهموه بهرطقة ثالوثية. ومما يدهش أن إكليروسه بالذات، شكاه إلى البابا ديونيسيوس (٢٥٩-٢٦٨)، لأنه رفض استعمال "الاومووسيوس". فبدا وكأنه يقول بثالوثية الآلهة*. ولجأ خصومه إذاً إلى بابا روما، واتهموه لديه بخمسة أخطاء لاهوتية:

١. يفصل الآب عن الابن.

٢. يُنكر أزلية الابن، لأنه قال: لم يكن الله دائماً أباً، ولم يكن هناك دائماً ابن؛ فمن جهة كان الله دون كلمة (لوغوس)، ومن جهة ثانية لم يكن الابن قبل أن يُولد. وهكذا كان هناك وقت لم يكن فيه، لكنه جاء فيما بعد.

٣. يُسمي الآب دون الابن، ويُسمي الابن دون الآب.

٤. يرفض إضماراً، أن يطبق لفظة "الاومووسيوس" على الابن، فلا يقول إنه مساوٍ لله في الجوهر.

٥. يتكلم عن الابن، وكأنه يتحدث عن مخلوق من الآب، ويوضح علاقاتهما بصورة مزعجة: الابن صُنْع الله وليس بطبيعته ابن الله، بل إنه غريب عن الآب من حيث الطبيعة.

ويبدو أن ديونيسيوس أسقف روما قد دعا إلى مجمع محلي، وأدان فيه هذه الطروحات الخطرة، ثم وجه رسالتين، الأولى إلى ديونيسيوس الإسكندري، يطالبه فيها بالرد على الاتهامات السابقة الذكر والموجهة ضده، والثانية إلى كنيسة الإسكندرية، دون أن يذكر فيها اسم أسقفها، وذلك لصد الأخطاء المطروحة، وعدم انتشارها بين أبناء الشعب والمؤمنين. وكان البابا يحاول في مسعاه، إيجاد طريق وسط بين الصابيلية وثالوثية الآلهة، فأراد صون وحدانية الله متفقاً مع التقليد

١٩٤ Grillmeier., I. 367.

* ثالوثية الآلهة Trithéisme

www.old-criticism.blogspot.com

الغربي، والدفاع عنها ضد كل "الذين يقسمون بشكل ما، ويفصلون الله إلى ثلاث قوى أو أقانيم أو ألوهيات منفصلة... [صابيليوس] يجدف على الله، عندما يقول إن الابن هو نفسه الآب والعكس؛ ولكن هؤلاء [أتباع ديونيسيوس] يكرزون نوعاً ما بثلاثة آلهة، مقسمين الوحدانية المقدسة إلى ثلاثة أقانيم غريبة عن بعضها البعض، ومنفصلة تماماً الواحد عن الآخر. لكن من الضروري، أن يكون الابن متحداً بإله الكون، وأن يكون للروح القدس في الله مقامه وسكناه. ومن الضروري إرجاع الثالوث إلى واحد فقط، وإلى قمته، أي إلى الله القادر على كل شيء، وسيد العالم... لكن إذا كان الابن مخلوقاً، فهناك إذاً وقت، لم يكن فيه كل هذا موجوداً؛ وكان هناك وقت، كان فيه الله دون هذه [القوى]. وكل هذا مستحيل"[١٩٥]. ثم يتابع ديونيسيوس الروماني، بانتقاد التفسير الخاطئ لنص سفر الأمثال ٢٢/٨، ويُعقّب قائلاً: "نستطيع أن نجد دائماً في الأقوال الإلهية، أنه يُقال عن ابن الله مولود وليس مصنوع... فينبغي إذا ألا نُقسم الوحدانية الإلهية العجيبة إلى ثلاثة آلهة، ولا أن نُخفض كرامة الرب وعظمته الكبرى بفكرة الخلق؛ بل يجب أن نؤمن بالله الآب الضابط الكل وبيسوع المسيح ابنه، وبالروح القدس، و[أن نؤمن] أن اللوغوس متحد بإله الكون، لأنه يقول: "أنا والآب واحد"[١٩٦] و"أنا في الآب والآب فيّ"[١٩٧]. وهكذا فقط يمكن إنقاذ الثالوث الإلهي، والبشارة بالعقيدة المقدسة حول وحدانية الله"[١٩٨].

اعترف ديونيسيوس، كابن بار للكنيسة، أن تعابيره غامضة، وتعهد أنه سوف يعدّلها ويصححها؛ كما فسر أنه لم يستعمل كلمة "اوموسيوس" لأنها غير موجودة في الكتاب المقدس[١٩٩]. فألّف مجلداً دفاعياً "التفنيد والدفاع" في أربعة كتب، يشرح فيها أزلية الابن وولادته من الآب، ويرد على الاتهامات الخمسة الموجهة ضده:

١٩٥. Grillmeier., I. 368-369.
١٩٦. يو ١٠/٣٠.
١٩٧. يو ١٤/١٠.
١٩٨. Grillmeier., I. 368-369.
١٩٩. F-M., II. 319-332; De Urbina., 32-33; Altaner., 212-213.

١. أنكر أنه يفصل الآب عن الابن، وينطلق برهانه، من مفهومه حول الآب وحول الابن، اللذين يتعلقان الواحد بالآخر تبادلياً.

٢. يرى ديونيسيوس أن أزلية الابن، مبنية على أساس أنه لوغوس الآب وحكمته وقدرته، ويُدعى "صورة النور الأزلي"[٢٠٠]. ويُعبر ديونيسيوس عن ذلك بقوله: "من الواضح أنه إذا كان النور أزلياً، فإن شعاعه أزلي أيضاً"[٢٠١]. ويطبق هذا المبدأ على العلاقة بين الآب والابن: إذا كان الآب أزلياً فالابن أزلي أيضاً.

٣. بهذا يكون قد أعطى رداً على الاتهام الثالث.

٤. يميّز ديونيسيوس بين استعمال "الاوموسيوس"، وبين القبول بما تعنيه العبارة: "إذا قلت أنا أيضاً، إن هذه اللفظة لا ترد في الكتاب المقدس إطلاقاً، فإن استنتاجي لا يبتعد عن مفهومها، وهذا ما يصمت عنه أولئك [خصومه]. وقد ذكرت المقارنة مع النسل البشري، لأن ثمة [علاقة] بالطبع من النوع نفسه، فقلت إن الوالدين يختلفون عموماً عن أبنائهم، لأن الأبوين ليسا أبناء لأبنائهم، وإلا لما كان هناك ضرورة لوالدين وأبناء". وبذلك يكون ديونيسيوس لم يستخدم لفظة "الاوموسيوس"، ولكنه لم يرفضها في الوقت عينه، لأنه اعتبرها تعبر بشكل محدود، عما يريد أن يؤكده بتعابير مماثلة[٢٠٢].

٥. أحرج ديونيسيوس موقفه، خاصة عندما قال عن الابن إنه "مصنوع"* من قِبل الآب. ولكنه يردّ في دفاعه، أن للآب والابن الأولوية في أفكاره، بينما كانت بقية الألفاظ والمقارنات مجرد أفكار ثانوية: "بما أني لا أعتبر على الإطلاق الابن مصنوعاً، ولا أدعو الله صانعه بل أباه. وإذا ما قلت عرضياً، وأنا أتحدث عن الابن،

٢٠٠. عب ١/٣ ؛ حك ٧/٦.
٢٠١. Grillmeier., I. 370.
٢٠٢. يستعمل ديونيسيوس الإسكندري لفظة "اومونيس" Ομογενης وهي تعني المساواة في الولادة ليصف العلاقة بين الوالدين والأبناء، كما يستعمل لفظة "اومونيس" Ομοφυης وهي تعني المساواة في الصورة، ليشير إلى وجه القرابة بين النباتات. وهو يعطي مقارنات على هذا: يجب أن تعبر في الوقت نفسه عن الوحدة والاختلاف بين المتساوين في الجوهر، أي بين الآب والابن. وإذا كان قد أكد على التمييز بينهما فإنه، لم ينكر مع ذلك تجانسهما واتحادهما. Cf. Grillmeier., I. 371
* مصنوع Ποιημα

www.old-criticism.blogspot.com

أن الله صانع [هـ] فهذا يمكن تبريره. فإن حكماء اليونان يصفون أنفسهم صانعي كتبهم، بالرغم من أنهم آباؤهم..."[٢٠٣].

كان لديونيسيوس تأثير واضح على آريوس، أو ربما استفاد آريوس من أفكاره، ليدعم آراءه اللاهوتية[٢٠٤]: تكلم ديونيسيوس مثلاً عن الابن "كمصنوع" من الآب؛ وهذا ما قاله أيضاً آريوس، معتمداً على سلطة ديونيسيوس[٢٠٥] ليثبت تعليمه. كما تسلح بفكرة التمييز بين الآب والابن، وغيرها من أفكار ديونيسيوس.

عاشراً– لوكيانوس الأنطاكي

وُلد لوكيانوس في سميساط نحو سنة ٢٣٥. درس الأسفار المقدسة في الرها، على مفسر شهير اسمه مكاريوس، ثم في أنطاكية، حيث سيم كاهناً، واستلم إدارة مدرستها الشهيرة. كان لوكيانوس قديراً، ينعم بجاذبية وقوة إقناع، استطاع بواسطتهما استهواء تلاميذه، الذين كانوا يتحمسون لأفكاره وحجج منطقه، ويُعجبون بها. قامت المدرسة على أسسها مناقضة للمجازية الإسكندرانية، فراحت، بالمقابل، تفسر الكتب المقدسة تفسيراً حرفياً.

عُني لوكيانوس بشكل خاص بالكتاب المقدس. وبما أنه كان يعرف العبرانية، صحح نص الترجمة "السبعينية"، التي اعتمدتها كنائس سوريا وآسيا الصغرى

٢٠٣ Grillmeier., I. 371-372.

٢٠٤ Cf. Boulaurand E., Denys d'Alexandrie et Arius: BLE 67 (1966). 161-169.

٢٠٥ يقول القديس باسيليوس الكبير عن ديونيسيوس الإسكندري، في رسالة موجهة (الرسالة ٩) إلى الفيلسوف مكسيموس، الذي سأله عن أرثوذكسية ديونيسيوس الإسكندري:
"نحن نعرف أولاً، حسب معلوماتنا عن هذا الرجل، أنه أول من زرع بذرة الكفر المنتشرة اليوم أي تعليم الانومية. ربما لم يكن هناك خبث في هذا، وقد يكون إفراط الحيوية في صراعه ضد صابيليوس، قاده إلى هذا. فقد حصل لديونيسيوس، كما حدث للبستاني الذي رام تقويم شجيرة معوجة، ولكنه بالغ في الجر من الجهة المقابلة، فابتعد عن الطريقة الصحيحة، وجعل الشجيرة تنمو معوجة من الطرف الآخر. والنتيجة أنه بادل شراً بشرّ، وابتعد عن استقامة العقيدة. كان ديونيسيوس غير ثابت الرأي، حائراً متغيراً في كتاباته: فهو يمحي أحياناً عبارة "اوموسيوس"، لأن خصومه استخدموها استخداماً خاطئاً، ويقبل بها أحياناً أخرى، عندما يراسل سميه أسقف روما ليدافع عن نفسه. وكذلك بالنسبة للروح القدس فقد ترك كلمات خاطئة تخرج من فمه، فأبعده عن الألوهية المعبودة، ووضعه في منزلة أدنى، بين الطبيعة المخلوقة. هذا هو إذاً هذا الرجل". لم يُنصف باسيليوس "هذا الرجل" لأنه لم يعرف سوى الحقبة الأولى من تفكيره اللاهوتي، كما أنه لم يعرف الردود التي أعطاها.

وأنطاكية وبيزنطية. وقد استشهد بهذه الترجمة، يوحنا فم الذهب وثيودوريتوس أسقف قورش. علّم لوكيانوس مبدأ الدونية في اللاهوت، لذا اتهمه البعض، بأنه خليفته في تعاليمه. لم يبقَ لنا شيء من كتبه، ولذا لا نعرف الكثير من تعاليمه، سوى ما ذكره لنا المؤرخون القدماء عن أخطائه، خاصة حول ألوهية الابن وبدعة الدونية. تتلمذ العديد له، ووقع أكثرهم في أخطاء لاهوتية. وهيأ هؤلاء التلاميذ الأرض الخصبة للآريوسية الأولى. وقطعه عن الشركة ثلاثة أساقفة (دومنوس الأول وتيماوس وكيرلس الأول الأنطاكيون)، بسبب تلك الأخطاء العقائدية التي كان يجاهر بها ويعلمها[٢٠٦]. فعاش مدة طويلة من الزمن، خارج الشركة الكنسية الأرثوذكسية. لكن، لحسن حظه، أنه اعتُقل بعد مرسوم مكسيمينوس دايا، فنقل إلى نيقوميديا، حيث أُدين بالموت جوعاً. فتوفي شهيداً في أنطاكية في السابع من كانون الثاني سنة ٣١٢، فغسلت معموديته بالدم سابق ذنوبه[٢٠٧]، وأصبح قديساً؛ نُقل جثمانه إلى دريبانوم في بيثينيا. تحتفل الكنيسة الشرقية بتذكاره في ١٥ تشرين الأول، بينما تذكره الكنيسة الغربية في ٧ كانون الثاني[٢٠٨].

لا يمكننا قطعاً أن ننكر تأثير لوكيانوس على آريوس والآريوسية: فآريوس مثلاً يدعو رفاقه "جماعة لوكيانوس"[٢٠٩]. وفي الواقع، نعلم أن الآريوسيين الأوائل، فضّلوا أن ينتسبوا إلى معلمهم لوكيانوس، عوضاً عن آريوس. وكان الإمبراطور قسطنطين ذاته يكرم هذا الشهيد، هو وأمه هيلانة[٢١٠]. لم يترك لنا لوكيانوس

٢٠٦ هذا ما يخبر عنه الكسندروس الإسكندري في إحدى رسائله إلى الكسندروس البيزنطي.

٢٠٧ يقول عنه اوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي (٨: ٨، ٢؛ و٩: ٦، ٣) ما يلي: "لوكيانوس، رجل ذو قيمة ورفيع على كافة المستويات، وذو حياة متقشفة، ميال إلى العلوم المقدسة، كاهن كنيسة أنطاكية، عاش عيشة متعففة، وكان ذو ثقافة عالية في الأمور المقدسة. قيد إلى نيقوميديا حيث يقطن الإمبراطور مكسيمينوس دايا؛ دافع أمامه عن إيمانه، فسُجن وقُتل".

٢٠٨ رستم، ج ١. ١٤٤-١٤٧؛ Cf. De Urbina., 32-35; Altaner., 216; Bardy G., Recherches sur Lucien d'Antioche. Paris 1936; Battifol P., La passion de St. Lucien d'Antioche: Les comptes rendus du deuxième congrès scientifiques des catholiques. Paris 1891.

٢٠٩ جماعة لوكيانوس Collucianistes

٢١٠ أصلح الإمبراطور قسطنطين عام ٣٣٠ مدينة دريبانوم، وأهداها إلى أمه هيلانة ودعاها باسمها هيلينوبوليس Hélénopolis؛ وكانت محفوظة في هذه المدينة بالذات، بقايا القديس الشهيد لوكيانوس، وكانت الإمبراطورة الأم هيلانة تُكرم هذا القديس بنوع خاص. وعندما اعتل قسطنطين عام ٣٣٧ نقل من القسطنطينية إلى مدينة دريبانوم، ولم يكن هذا التدبير بسبب المياه المعدنية في الحمامات الموجودة هناك، كما قيل، إنما لزيارة قبر القديس لوكيانوس والتبرك من بقاياه؛ وهناك فوق ضريح الشهيد، عمّد

www.old-criticism.blogspot.com

الكثير من المؤلفات[٢١١]، إنما ترك جماعة محترمة من الطلاب، من بينهم آريوس، دافعوا بعناد عن تعاليمه، وأصبح العديد منهم أساقفة[٢١٢]؛ نذكر منهم: اوسابيوس أسقف نيقوميديا، وماريس أسقف خلقيدونيا، وثيوغنيس أسقف نيقيا، ولاونديوس أسقف أنطاكية، وانطونيوس أسقف طرسوس (في كيليكيا)، ومينوفانتوس أسقف افسس، واستيريوس أسقف الكبادوك، واثناسيوس أسقف عين زربة، وثيودوروس أسقف هيراكليا، والكسندروس ونوومينيوس وافذوكسيوس وغليسيريوس* ؛ وبعض النسوة أمثال اوستوليوم ودوروثي وساويرا وبيلاجيا*.

يعترف لوكيانوس، حسب قانون إيمان مجمع أنطاكية عام ٣٤١، بصيغته الثانية المنسوبة إليه، بالتوحيد والتثليث، فيقول بإله واحد، ويقر بثلاثة أقانيم في الله الواحد. ولكنه ينسب إلى الابن ألوهية ثانوية وأدنى؛ الآب وحده غير مولود، فهو وحده يستحق اسم "الله"؛ الابن له بداية، إذ كان هناك وقت لم يكن فيه؛ من هنا فالابن والروح القدس ليسا إلهين، إلا نسبة إلى "الله الآب".

لم يدافع أي من الآباء الكبار، خلال القرن الرابع، عن تعاليم لوكيانوس، كما أنهم لم يمنعوا الآريوسيين من القول إنهم تلاميذه. لكن من الملاحظ أن الكثير منهم كانوا في السلطة الكنسية، عندما نشب النزاع الآريوسي، ومنهم أساقفة؛ وهذا ما يدل على أن تعاليم لوكيانوس لم تكن معتبرة هرطوقية، وهي تعاليم متأثرة بالاوريجانية، وكانت مقبولة قبل نيقيا.

نذكر فقط أن بعض تلاميذ لوكيانوس، حوّروا في تعاليمه أمثال ثيوغنيس النيقاوي الذي قال إنه يمكن أن ندعو الآب أباً قبل ولادته الابن، لأن عنده قوة

اوسابيوس النيقوميدي الإمبراطور قسطنطين، الذي توفي بعد أيام قليلة، وهو لم يزل بعد في الثوب الأبيض، الذي يرتديه كل معتمد جديد لمدة اسبوع؛ وقالت جماعة لوكيانوس: "إذا لم يرد القديس الصحة لقسطنطين، فهو قد فتح له أبواب السماء بالمعمودية على ضريحه ". Bardy., Lucien... 9.

٢١١ لدينا مقطع من رسالة له موجهة إلى الأنطاكيين، حول استشهاد انثيموس أسقف نيقوميديا (عام ٣٠٢)، وحديث في الإيمان وهو دفاع عن المسيحية، وعن وحدانية الله ضد عبادة الأصنام مع برهان على ألوهية المسيح. ويبدو أن له مختصراً للكتب المقدسة للعهد القديم (حيادية من ناحية العقيدة)، استعمله الناس في أنطاكية وفلسطين، استشهد به يوحنا الذهبي الفم وثيودوروس المبسويسطي وثيودوريتوس أسقف قورش. DTC IX,1. 1025-1027.

٢١٢ DTC IX,1.1029-1030.

* نوومينيوس Noominius؛ افذوكسيوس Eudoxe؛ غليسيريوس Glycérius

* اوستوليوم Eustolium، ودوروثي Dorothée ، وساويرا Sévèra، وبيلاجيا Pilagie .

الولادة، أو استيريوس الذي كان يقول إن الابن صورة جوهر الآب التامة، وكذلك الإرادة والقدرة والمجد. وبالإجمال بقي تلاميذه أوفياء لتعاليمه.

أثّر كل هؤلاء الفلاسفة واللاهوتيين، وكل تلك التيارات التي ذكرنا، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، على آراء آريوس وأفكاره اللاهوتية: استقى منها وطبّقها على المسيحية، واضعاً إياها في إطار منهجية جدلية عقلانية. والحقيقة أننا إذا انتقلنا بالفكر إلى الإسكندرية، وعدنا بالزمن إلى أيام آريوس والكسندروس، لوجدنا أن أغلب المسيحيين المثقفين والفضوليين والمعارضين للدين المسيحي في الإسكندرية، كانوا يتجادلون ويتحدثون عن مكانة يسوع، هذا الإنسان الذي عاش في أورشليم، وعن علاقته بالله والإيمان به. وطبعاً واجهت الكنيسة كل هذه التيارات المُبدعة، وعرفت مدى قيمة التقليد الكتابي والرسولي الموروث بالنسبة لقاعدة الإيمان. وسيساعدها ذلك في المحافظة على استقامة هذا الإيمان، أو على التصحيح المتواصل، لدى انفجار نزاعات لاهوتية. وغالباً ما اضطرت إلى مقارنة مواضيع لاهوتها، بالتيارات الفلسفية، وخصوصاً بالافلأطونية وبالرواقية (الزينونية) وبالافلأطونية الحديثة. لم تكن هذه المحاولات لتطبيق معطيات الإيمان المسيحي على الفلسفة اليونانية لتنجح، وذلك لفرادة الديانة المسيحية بمعطياتها، بل بالأحرى غالباً ما كانت تؤدي مثل هذه المحاولات إلى أخطاء، وبالتالي إلى هرطقات. هذا وقد اضطرت الكنيسة إلى التعمق في كل مواد الإيمان التقليدية، سواء بهدف فهم داخلي للوحي المسيحي، أو لضرورة مواجهتها مع اليهودية والوثنية. من هنا ابتدأ اللاهوت النظري أو اللاهوت العلمي.

وما جذب المثقفين والناس نحو آريوس، هو أنهم رأوا في طرحه لنظرية اللوغوس "الأدنى من الله الخالق"، صورة الفاطر المخلوق عند الغنوصيين. وأنه في طرحه أنه "غير أزلي، إذ كان هناك زمن لم يكن فيه"، صورة "العقل" لدى الأفلاطونية الحديثة؛ زد أن كل ما كان آريوس يقوله كان منطقياً، وكان بإمكان الجميع تقبله بكل ارتياح.

وإذا ما أردنا أن نكون موضوعيين وواقعيين، علينا أن نُقر أن للوكيانوس معلمه الدور الأكبر والتأثير الواضح، على العقائد اللاهوتية المنتشرة آنذاك. وكان لديه شكلين لشرح لاهوت الكلمة الابن: تيار أول متحفظ ومحافظ، وثانٍ متطرف.

www.old-criticism.blogspot.com

وكان الأسقف الكسندروس من مؤيدي التيار الأول المحافظ والتقليدي، بينما كان آريوس من مشايعي التيار الثاني المتطرف. وقد ادعى آريوس والآريوسيون من بعده، أن اوريجانوس أو ديونيسيوس الإسكندري أو غيرهما، قد استقوا من تعاليمهم. ولكن ذلك لم يكن صحيحاً في أغلب الأحيان. وكان الأسقف اوسابيوس النيقوميدي، وأغلب الإكليروس الشرقي، من أتباع هذا التيار الثاني بالذات، إنما بشكله المعتدل. وما يجب إضافته في هذا المجال، أنه لم يكن هناك، حتى مجمع نيقيا، صياغة واضحة، تُظهر التمييز بين الأقانيم الثلاثة ضمن وحدانية الجوهر في الله.[٢١٣]

٢١٣ رستم، ج١. ١٤٤-١٤٧؛ H-L., I,1. 335-336; Q., I. 402-403
Kelly J., La crise de Nicée, dans la foi des Pères de l'Eglise. 236.

الفصل الثّاني

أسباب الدعوة إلى أوّل مجمع مسكوني

نشب النزاع الآريوسي في مدينة الإسكندرية نحو عام ٣١٨. وكان آريوس قسيس إحدى كنائس الإسكندرية. وكان ناسكاً وقوراً، اشتهر بعلمه ومهارته في المنطق. بدأ النقاش باعتراض أثاره آريوس، على خطاب ألقاه الكسندروس أسقف الإسكندرية عن سر التثليث. ويظهر أن الكسندروس ألح في خطابه، على وجود الابن مع الآب منذ الأزل، فاعترض آريوس على هذه العبارة، وأصرّ على القول بأن الله وحده هو الأزلي، أما جميع الكائنات الأخرى، بما فيها الابن فلا بدّ وأن تكون مخلوقة بفعل إرادة الله، واتهم أسقفه بالصابيلية، بسبب تشديده على وحدة الثالوث.

انتشرت الآريوسية بسرعة فائقة، مما أدى إلى انشقاق في كنيسة الإسكندرية. فأصبح جزء من الشعب (النخبة من المؤمنين) يساند أسقف المدينة الكسندروس، والجزء الآخر (وأغلبيته من عامة الشعب) يدعم الكاهن آريوس وآراءه الخاطئة. وما لبث أن انتشر هذا الانشقاق في أغلب البطريركيات الرسولية، إذ إن الكسندروس كتب رسائل إلى كل الأساقفة، يخبرهم عن آريوس، وكيف حرمه بسبب أفكاره الخاطئة حول لاهوت اللوغوس، طالباً دعمهم في هذا الموضوع[٢١٤]. وفي المقابل

٢١٤ كتب الكسندروس الإسكندري، مثلاً، رسالة إلى الكسندروس أسقف تسالونيكي، يستعرض فيها تعاليم آريوس، ويستخلص نتائجها بما يخص التجسد فيقول: "يقول [الآريوسيون] إن الله خلق كل الأشياء من العدم، ويضمون إليها أيضاً ابن الله، لأنهم يعتبرونه بمثابة مخلوق، مثل سائر الكائنات المخلوقة العقلية وغيرها؛ وبالتالي فهم يقولون إن طبيعته متحولة، قادرة على اكتساب الفضائل، كما على ارتكاب النقائص. وبهذا الطرح، أي أنه مخلوق من العدم، فإنهم يرفضون الكتب الإلهية التي تؤكد أن كيان اللوغوس دائم الوجود، وأنه غير متحول، وتؤكد ألوهية حكمة اللوغوس، أي ألوهية المسيح. ويقول اولئك الكفرة إننا نحن أيضاً نستطيع أن نصبح أبناء الله مثله، لأنه مكتوب "ولدت أبناء وربيتهم" (اش ١/ ٢). ولكن إذا ما قابلوها بالكلمات التي تتبع مباشرة "لكنهم ازدروني". وهذا مستحيل بالنسبة للمخلص الذي هو بطبيعته غير متحول؛ كما أنهم يؤكدون، بكل خفة، أن الله إنما اختاره من بين

www.old-criticism.blogspot.com

كان آريوس قد غادر مصر منفياً، فلجأ عند صديقه اوسابيوس النيقوميدي، ومن هناك كتب بدوره إلى أغلب الأساقفة، وأكثرهم من زملائه، تلامذة لوكيانوس الأنطاكي، شارحاً لهم كيف أن أسقفه الكسندروس، يرفض اللاهوت الذي تعلموه من معلمهم، ويحرضهم على أخذ موقف حيال هذا الأسقف.

موضوع آخر كان يقسم الشرق والغرب: ذكرى موت المسيح وقيامته، ويوم تعييد هذه القيامة. فبينما كانت غالبية مسيحي العالم، تحتفل بالفصح يوم أحد، كان مسيحيو آسيا الوسطى، يحتفلون بهذه الذكرى في اليوم الرابع عشر من نيسان، في أي يوم وقع. أضف إلى أن البعض، كانوا يرفضون، أن يسبق هذا اليوم السعيد، عيد الفصح اليهودي، وذلك عائد إلى الفرق بين الحساب القمري والحساب الشمسي، كما سنبينه في موضعه.

دفعت هاتان القضيتان الأساسيتان قسطنطين، إلى جمع أساقفة العالم ليبتوا في الأمر، في مجمع نيقيا المسكوني الأول، ويعيدوا اللحمة إلى الكنيسة الواحدة المنقسمة.

أولاً– بداية النزاع الآريوسي

أوصل البعض خبراً إلى الأسقف الكسندروس، أسقف الإسكندرية، أن آريوس، أحد كهنته، يعلّم المؤمنين أموراً غريبة في الدين، فقد كان يُعلّم أن ابن الله أتى من العدم؛ وأنه كان هناك وقت، لم يكن فيه الابن موجوداً؛ وأنه باختياره كان قادراً أن يكون صالحاً أو طالحاً؛ وأنه مخلوق ومصنوع... وما إلى ذلك من الأفكار الغريبة عن المسيح، وعن التعاليم المسيحية الصحيحة. وطالبوا الأسقف ألا يسكت عن مثل هذه البدع ضد العقيدة. واقعياً، ظل آريوس ينشر أفكاره وعقائده الخاطئة حول ابن الله –اللوغوس، فترة طويلة في الإسكندرية، دون أن يعلم أسقفه

الجميع، لأنه عارف بفعل معرفته المسبقة، أن الابن لن يزدريه. ولم يختره لأن في طبيعته شيئاً سامياً مختلفاً عن الآخرين؛ بل إنهم يعتبرونه بالأحرى ذا طبيعة متغيرة؛ ولكن بفضل عيشته الصالحة، –وهي قابلة للتحول– وبفضل نسكه، لم يتحول إلى الشر، لهذا اختاره الله". Grillmeier., I. 484

الكسندروس بذلك[٢١٥]. ثم صادف أن كان هذا الأسقف يتحدث يوماً أمام إكليروسه حول سر الثالوث، وكان آريوس حاضراً، فاشمئز هذا الأخير من حديث أسقفه، منوهاً أن فيه شيئاً من الصابيلية. وعندما سأل الأسقف عن مقطع من "القانون"، رد آريوس بفكرة أوضحت عقيدته الآريوسية المغلوطة. وما كان من كاهن رعية بوكاليس، إلا أن اتهم علناً أسقفه، بنشره عقائد خاطئة حول بنوة اللوغوس، فانضم إليه حالاً بعض الحاضرين، وحصل نقاش حاد، قسم الحاضرين إلى فريقين. وجهد كل فريق أن يبرهن أن عقيدته هي الأصح. ولما لم يتم بين الطرفين المتنازعين أي اتفاق، دعا الكسندروس آريوس إلى مناظرة علنية، لأنه فضّل أن يقول كل فريق كلمته، كي لا يعتقد أحدهم، أنه يخيفهم ليوقفوا جدلهم بل أراد إقناع آريوس ومن لف لفه.

كان الكسندروس متحيراً في البدء، لأنه رأى أن هذه المسألة المتنازع حولها بين الطرفين لا حل لها. فكان يمدح أحياناً هؤلاء، وأحياناً أولئك. ولكن في النهاية، انضم إلى جماعة القائلين إن الابن مساوٍ للآب في الجوهر وفي الأزلية[٢١٦]. وحاول الكسندروس عبثاً أن يشرح لآريوس، أن هناك فرقاً شاسعاً بين الولادة الإلهية والولادات البشرية، وبالتالي، لا يجب أن نتخوف من أن نعلن أن الآب وَلد الابن. ففي الولادة البشرية فقط، نجد فقدان جزء من جوهر الوالد، وبعض التغيير لدى الابن. وجرى نقاش طويل بينهما في هذا الموضوع، لكن آريوس أصرّ على موقفه: كان يضع الآب بمواجهة الابن، فيرى أن الآب وحده غير مولود، بمواجهة الابن المولود؛ وأن الآب لا بدء له بمواجهة الابن المولود، وبالتالي ذي بداية. ذلك لأن آريوس لم يكن يستطع أن يفهم فكرة الولادة، إلا بعطفها على فكرة أنها إنتاج مُجزئ طارئ. لهذا نفر من الألفاظ التالية: فيض، علاقة جوهرية متبادلة، ولادة أزلية. ولم يكن بإمكانه إدراك ولادة الابن، مع إعطاء الآب طبيعته له، على أن تبقى هذه الطبيعة غير منقسمة، ودون أن تفقد شيئاً. كما لم يكن بإمكانه أيضاً، أن يقبل المساواة بين الآب والابن، لأنه اعتبر أن الابن متباين تماماً عن الآب،

٢١٥ Cf. Marrou H-I., Arius et le Concile de Nicée. Les péripéties de la crise arienne: Nouvelle Histoire de l'Eglise. I. Paris 1963. 290-309.

٢١٦ سوزومينوس ١: ١٥/٥-٦.

www.old-criticism.blogspot.com

من جهة طبيعته، ومن جهة خصائصه[٢١٧]. لذا تابع اتهام أسقفه بالصابيلية وبالهرطقة.

أمر الكسندروس آريوس أن يتخلى عن الأقوال المعاكسة، والانضمام إليهم. ولكن عندما رأى أنه لم ولن يستطيع إقناعه، وبما أن الكثير من أساقفته وإكليروسه، انضم إلى آريوس ووافقوه على آرائه، اضطر إلى قطعه من الشركة، هو وكل الذين انضموا إلى عقيدته. وثارت المدينة بأجمعها، سواء مع الكسندروس لهذا التصرف الحكيم، وضده لهذا المسلك. وتجاه هذا الموقف الحرج، هبّ الكسندروس للدفاع عن موقفه وعن الإيمان القويم، فكتب بدوره إلى عدد كبير من الأساقفة خارج مصر، معلناً وحدة الكنيسة الجامعة، وموضحاً رأيه وموقف أساقفة المجمع المصري المحلي (٣٢٠)، ومستوضحاً رأيهم بخصوص آراء آريوس وعقيدته. لقد أراد، خصوصاً، أن يعلمهم بإدانته هذه الأفكار، وبخلعه آريوس بسببها[٢١٨]. وابتدأت عندها الحماسة من الجانبين، واشتد النزاع بينهما، كما يحصل عادة. وزاد الخلاف واحتدمت المجادلات أكثر، وابتدأت الحرومات المتبادلة، مما أدى إلى انقسام الشعب إلى فئتين، تساند كل واحدة منها أحد الطرفين[٢١٩].

ثانياً– أوجه التباين بين آريوس والكسندروس

أصبح واضحاً بعد كل ذلك، أن خلافاً عقائدياً فرّق بين آريوس وأسقفه الكسندروس[٢٢٠]. وعلى الرغم من أن هذا الأخير، حاول مراراً وبجميع الطرق،

٢١٧ لم يكن آريوس ليقبل بأن يعطي للابن تسمية "إله"؛ هو نائب الإله!

٢١٨ Dvornik., 18; De Urbina., 38-45; F-M., III. 71-75; H-L., I,1. 355-375.

٢١٩ يقول لنا افتيخيوس أسقف الإسكندرية: "اجتمع مع آريوس أسقفان، أحدهما يسمى اومانيوس أسقف مدينة نيقوميديا، والآخر اسمه اوسابيوس أسقف مدينة فيلا. واستغاثوا بقسطنطين الملك وقال آريوس إن الكسندروس بطريرك الإسكندرية تعدّى عليّ وأخرجني من الكنيسة ظلماً. وسأل الملك أن يشخصه ليناظره قدام الملك. فوجه قسطنطين الملك برسول إلى الإسكندرية فأشخصه وجمع بينه وبين آريوس ليناظره... فاستحسن الملك وسائر من حضر مقالة الكسندرس وشنّع عندهم مقالة آريوس. ودارت أيضا بينهم مسائل كثيرة. فأمر قسطنطين الملك الكسندرس بطريرك الإسكندرية أن يلعن آريوس وكل من يقول بمقالته. فقال الاكسندرس لقسطنطين الملك: لا بل يوجّه الملك فيشخص البطاركة والأساقفة حتى يكون لنا مجمع ونضع فيه قضية ونلعن آريوس ونشرح الدين ونوضحه للناس جميعاً...". افتيخيوس المكنى بابن البطريق، كتاب التاريخ. ج ١. ١٢٥-١٢٦.

٢٢٠ Cf. Bellini E., Alessandro e Ario. Milano 1974.

شرح تقليد الكنيسة وعقيدتها، بما يخص الرب يسوع المسيح، ساعياً إلى تبديل رأي آريوس وإعادته إلى الإيمان القويم، فقد ثبت كل منهما على موقفه، واستمر الاختلاف، ليصبح سيد الموقف. ولا تسل عن الغليان الحاصل آنذاك في الكنيسة، بسبب الانقسامات فيها إلى حزبين متعاديين، يحاول كل منهما كسب الأنصار والمحافظة عليهم، لئلا يفقدهم لصالح الآخر. ومن هنا، تأججت نار الفتنة وتوسعت دائرة الصراع.

١) من هو آريوس وما هي أفكاره؟

وُلد آريوس في ليبيا حوالي سنة ٢٥٦. درس أولاً في الإسكندرية، ثم تابع دروسه في أنطاكية، على يد لوكيانوس رئيس المدرسة الأنطاكية. وكان زميل دراسة للعديد من الأشخاص، الذين ارتقوا فيما بعد إلى درجات الرئاسة الكهنوتية، وهم الذين ساعدوه ودفعوه للمضي في طريق الكفاح لأجل نشر أفكاره[٢٢١]. تأثر آريوس كثيراً بلوكيانوس، كما تأثر جداً بمبدأ "الدونية" المنتشر آنذاك، وبتوجّه المدرسة الإسكندرية، لذا "يمكن أن يُقال إن آريوس جمع في تعليمه، بين اتجاهين مختلفين لمدرستي أنطاكية والإسكندرية. وفيما بعد أخذ المنتمون لمدرسة أنطاكية يهاجمونه، ويتهمونه بأنه إسكندري، في حين أن المنتمين إلى مدرسة الإسكندرية كانوا يحاربونه، متهمينه بأنه أنطاكي"[٢٢٢].

كان آريوس ذا قوام جليل ووجه حزين، لطيفاً ومثقفاً، ميالاً بطبيعته إلى الحياة النسكية. ويبدو وقوراً على ما ذكره لنا صديقه ومناصره اوسابيوس القيصري، في كتابه عن حياة الملك قسطنطين الكبير. وكان آريوس عالماً زاهداً، ولكن معتداً بنفسه، طموحاً قليل الصدق وحذقاً، يجيد الوعظ والإرشاد، جدلياً ومتأثراً بالفلسفة اليونانية والتيارات اللاهوتية المحيطة به، وبأستاذه الكبير لوكيانوس. ونهل منهم جميعاً مما دعا به إلى انحراف أفكاره اللاهوتية عن الإيمان المستقيم[٢٢٣]. وكانت لدى

٢٢١ لُقب آريوس وكل هؤلاء الزملاء الذين درسوا معه في مدرسة لوكيانوس باسم "اللوكيانيين" أو "الاتحاد اللوكياني"، وسيلعبون دوراً هاماً قبل مجمع نيقيا وخلاله وخاصة بعده.

٢٢٢ اثناسيوس، الشهادة لألوهية المسيح. ج ١. ١١٦.

٢٢٣ رستم، ج ١. ١٩٢-١٩٣ ; De Urbina., 35-37; Hergenröther., II. 38-41

www.old-criticism.blogspot.com

آريوس نفحة شعرية، فوضع أفكاره بشكل أغان شعبية سهلة، ترددها العذارى اللواتي كن يرافقنه، والحمالون في ميناء الإسكندرية، هذا مما ساعد على انتشار هذه الأفكار اللاهوتية بسرعة مخيفة، في مصر أولاً، ثم في كل الشرق، أضف إلى ذلك، ما كان يظهر به آريوس من مظاهر الورع والتقوى، وما يتصف به من الكبرياء والتباهي وحبه للنضال[٢٢٤].

عاد آريوس من أنطاكية إلى الإسكندرية واستوطن فيها ، وفيها سامه الأسقف بطرس الأول (٣٠٠-٣١٠) شماساً. وأظهر في أول حياته ميولاً متعصبة متمردة، لأنه كان منضماً، قبل رسامته وبعدها، إلى ملاتيوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط حالياً)، وشارك سنة ٣٠٦، في الانشقاق الذي سببه هذا الأخير. ثم تراجع عن مساندته، لأن ملاتيوس نفسه تخلى عنه. وعندما أراد أن يصبح كاهناً في الإسكندرية سنة ٣٠٨، عارضه أسقفها بطرس[٢٢٥]. فانتظر حتى وفاته في ٢٥ من شهر تشرين الثاني سنة ٣١٠، لكي يتصالح مع خلف بطرس، أي اخيلاوس أسقف الإسكندرية الجديد (٣١١-٣١٢)، الذي سامه كاهناً (٣١١)، وسلمه كنيسة قرية بوكاليس (ميناء الإسكندرية) ورعيتها. وما لبث أن عمل على تأييد انتخاب الكسندروس أسقفاً للإسكندرية خلفاً لاخيلاوس . واستطاع آريوس أن يصير ذا شأن كبير في المدينة العاصمة، بسبب ثقافته وصفاته الشخصية، فجمع حوله عدداً من التلاميذ من أبناء رعيته، و٧٠٠ عذراء مكرسة، كن يتبعنه أينما ذهب.

نادى آريوس بالمونارخية والدونية، وانطلق من مبدأ أن الألوهية واحدة غير مخلوقة ولا مولودة. انطلق إذاً من وحدانية الله الآب، معتبراً إياه الإله الواحد

٢٢٤ يذكر لنا المؤرخون مجموعات من هذه الأشعار، لكل مناسبة من مناسبات الحياة: مجموعة "البحرية"، و"الرحى"، و"الرحلة"، و"المأدبة" التي لم يبق لنا منها إلا نصوصاً، نجدها لدى اثناسيوس في كتاباته ضد الآريوسيين. راجع اثناسيوس، الشهادة لألوهية المسيح. ج ١. ١١٨؛ واثناسيوس نفسه، مجمع نيقيا. ١٦؛ فيلوستورجيوس، التاريخ الكنسي. ٢/٢. ولم يبقَ لنا من كتابات آريوس أيضاً، سوى رسالة كتبها إلى زميله اوسابيوس النيقوميدي سنة ٣٢٠، يخبره فيها عن علاقته الرديئة مع أسقفه الكسندروس، بسبب الاختلاف الحاصل بينهما، بخصوص اللوغوس والابن المخلوق من العدم، وكيف يعتبره الكسندروس مهرطقاً؛ ورسالة ثانية كان قد أرسلها حوالي عام ٣٢٠، من نيقوميديا إلى الكسندروس وفيها قانون إيمانه؛ ورسالة ثالثة إلى الإمبراطور قسطنطين، دوّنها في نهاية عام ٣٣٤. Cf. Bardy G., Recherches... 216-278

٢٢٥ من المرجح أن يكون بطرس حرم آريوس بسبب مساندته الحزب الملاتيوسي .H-L., I,1. 349

والوحيد، والأزلي وغير المولود، فلا يمكن بالتالي أن يكون أحد معه، وإلا، لم يعد وحيداً وواحداً منذ الأزل: هذا هو الله الآب. واعتقد آريوس بأن الله الآب، يجب أن يسبق حتماً كلمته -أي اللوغوس- بطريقة ما، وإلا لوجدنا إلهين أزليين، وغير مولودين ودون مبدأ، وهذا يهدد وحدانية الله ويهدمها، حسب تعليم آريوس، المستند على أساس الكتاب المقدس[٢٢٦].

لهذا اعتبر آريوس أن كلمة الله -اللوغوس-، لم يكن موجوداً في وقت من الأوقات، أي لم يكن قبل ولادته. ثم إن الولادة الطبيعية بالمعنى الحصري للابن، لا يمكن أن تُفهم دون أن يفقد الآب بها، شيئاً من جوهره اللامتناهي والبسيط، لأن الولادة تتضمن انتقال شيء من الطبيعة ذاتها. من هنا استنتج آريوس، أن بنوة الابن لم تكن بحسب الطبيعة، بل بالتبني، على شكل البنوة الإلهية للبشر. ومن هذا التفكير المنطقي العقلاني، استنتج أن اللوغوس، الذي ندعوه ابن الله، لا يمكن أن يكون إلهاً بالمعنى الحقيقي، وهو ليس، في الواقع، سوى أول مخلوقات الله، مخلوقاً من العدم وليس أزلياً مثل الآب، إنه مخلوق كأداة لخلق كل الكائنات الأخرى، لأنه كان لا بد من كائن وسط أو وسيط، لأن الله لا يدخل بعلاقة مع المتناهي أو مع المادي، ليعمل في العالم، متمماً عمليتي الخلق والخلاص. لذا فالابن ليس من جوهر الآب، ولا يشاركه به، بل خرج من العدم بإرادة الله الآب، وهو مختلف تماماً عن الآب. وبما أن ابن الله خليقة مختلفة عن جوهر الآب، فهو خاضع للتغيير مثله مثل بقية الكائنات. ولكنه بإرادته الحرة يستطيع أن يبقى صالحاً. وعندما يريد يمكنه أن يتغير مثلنا، لأنه ذو طبيعة متحولة، وهو عرضة للآلام مادياً ومعنوياً وأخلاقياً. لكن الله الذي عرف مسبقاً، أنه سيكون صالحاً، أعطاه مسبقاً المجد الذي كان له كإنسان فيما بعد، نتيجة أعماله الصالحة، بحيث إن الله جعله بفعل أعماله، التي يعرفها مسبقاً، مثلما هو الآن، أي غير متحول وممجد.

ولتخفيف حدة هذه النظرية، اعتبر آريوس أن هذا الابن ليس خليقة كباقي المخلوقات، بل هو كائن استثنائي، مليء بالمميزات والامتيازات، وهو قمة روائع أعمال الله. إنه إله ثانٍ، وابن الله، بالمعنى الروحي المعنوي، وليس بالمعنى الماورائي،

٢٢٦ اعتمد آريوس التفسير الحرفي في شرحه للكتاب المقدس. وعرف أن أي اعتراف بابن حقيقي لله، يعني معارضة الوحدانية التي لا تقبل أي تمييز أو اختلاف ولا أي ثنائية.

www.old-criticism.blogspot.com

وقد تجلى كمال أخلاقه في إخلاصه المطلق، عندما تم إرادة الله الآب، أثناء حياته على الأرض، لذا تبناه الله بسبب استحقاقاته وفضائله. فاللوغوس إذاً كامل القداسة ودون خطيئة، وذلك بفضل النعمة، وبفضل تعاونه المخلص، فاستحق لذاته التمجيد، ولنا الخلاص في مجد السماء؛ لكنه غير الآب، إذ كان هناك وقت لم يكن فيه؛ ولا مساواة بينه وبين الله ولا مشابهة.

يبدو أن آريوس أضاف خطأ آخر إلى أخطائه، فادّعى أن اللوغوس لم يتخذ سوى جسد مائت دون نفس بشرية، أحلّ مكانها الروح الأسمى المخلوق، وهو مكان الحرية والاختيار. وذلك بحسب رأي معلمه لوكيانوس الأنطاكي. ولم تكن نفس المسيح البشرية موضوع بحث آنذاك، حتى إن مجمع نيقيا لم يناقشها. وربما لم تعطِ الأوساط الآريوسية أهمية لمثل هذا الموضوع.

شدد آريوس على مبدأ "الدونية"، الذي أخذه عن معلمه لوكيانوس -كان اوريجانوس قد رش منذ فترة بذور هذه النظرية قبله في الإسكندرية. فقال إن الابن هو أدنى كرامة من الآب، وإن في الثالوث ثلاثة جواهر متميزة، غير متشابهة ولا متساوية، معتبراً أن الآب وحده الأزلي ووحده الله، مبدأ واحد وأقنوم واحد، لا يمنح طبيعته لأحد، ولم يقبل بأي شرح كان يُعرّض الوحدانية لأي خطر بالانقسام أو الثنائية. لذا فهو يرفض قول مركيون، بوجود إله للعهد القديم وآخر للعهد الجديد، بل يعلن وحدانية التدبير الخلاصي؛ كما أنه ينتقد صابيليوس، لأنه يميّز كثيراً داخل الواحد: هو عدو أي تمييز أو تفاضل في الواحد. أما كلامه عن "الأقانيم الثلاثة"، فهو لا يستعمل نفس كلمات اوريجانوس، الذي اعتبر الابن من ذات جوهر الآب، ولكنه أدنى منه. أما بالنسبة لآريوس، فالأقنوم الأول وحده الواحد، وهو الله بالمعنى الصحيح والمطلق. فالله بحد ذاته لا يوصف بالنسبة للجميع، حتى بالنسبة للابن، بينما ينتمي الابن والروح القدس إلى عالم المخلوقات؛ لهذا فالآب عند آريوس هو أيضاً اللوغوس الحق، والأساس والحكمة والقوة الأساسية؛ أما الابن فهو أول الخلائق، خُلق من العدم، كان هناك وقت لم يكن فيه، هو آلة الآب في الخلق، وليس من جوهر باقي الخلائق، هو حكمة الله المخلوقة، صورة الله غير الكاملة وغير المساوية له في الجوهر؛ وإذا ما دُعي الابن "لوغوس" أو "حكمة" أو "قوة"، فذلك بمعنى المشاركة وبالنعمة فقط، وبالتحديد

بالخلق؛ هو إذاً تحت الآب وبعيد عنه مسافة لا تُقاس، ولكنه يعكس المجد الأبوي في القدرة الخالقة وفي الثبات؛ وهو أيضاً لا يشرق من أزلية الآب بل من خارجها؛ ولا يمكنه معرفة الآب؛ والروح القدس الذي هو أيضاً أدنى من الآب والابن، وهو خليقة الابن الأولى، ويعكس بدوره مجده.

تخطى آريوس، في الواقع، كل الذين سبقوه في اللاهوت السلبي: إذ يضع هوة عميقة بين البرايا وبين الله المتعالي، لا يمكن تخطيها، والابن نفسه هو في الجهة الأخرى من الهوة. هذا ما سمح لآريوس أن يقول، إن الابن لا يعرف الآب كما هو في ذاته، بل يعرفه بالصورة الملائمة لحالته، أي مثلما تعرفه بقية الخلائق. ومجمل القول، أنكر آريوس ألوهية الابن والروح القدس -معتبراً إياهما من الخلائق-، ولم يقبل بالطبع بمساواتهما كلياً مع الآب، بل اعتبرهما غريبين ومختلفين عنه[٢٢٧].

أما لماذا وُجدا ؟ فيرى آريوس أن وجود الابن غير واجب، بل هو نتيجة قرار الآب، لأن الابن في نظره هو وسيط كوني: "عندما أراد الله خلق الطبيعة ودعوتها إلى الوجود، لاحظ أنها لا تستطيع أن تلمس اليد، يد الآب النقية وقوتها الخلاقة، فخلق قبل كل شئ، وصنع الوحيد الذي دعاه ابناً وكلمة، حتى يصير وسيطاً، وبه يمكن خلق كل الكائنات الأخرى"[٢٢٨]. فالابن إذاً وسيط للخلق، وأداة قوة الله الخلاقة؛ "فاللوغوس هو أول الكائنات المخلوقة، وواحد من الطبائع العقلية. فكما أن الشمس واحدة، ولكنها تبعث النور لكل العالم، حسب ما رتب لها خالقها، فكذلك الابن أحد الطبائع العقلية، ينير ويشع في كل ما هو موجود في الكون"[٢٢٩].

لجأ آريوس، بالطبع، كسواه من الهراطقة والمبتدعين، إلى الكتاب المقدس لتبرير تعاليمه هذه، فاستشهد بنصوص يظهر فيها المسيح كشخص "مصنوع"[٢٣٠].

---

٢٢٧ H-L., I,1. 350-355 ؛ Desternes.,21.

٢٢٨ Athanase., Contra Arian. Or. 2. 24.

٢٢٩ Grillmeier., I. 476.

٢٣٠ راجع قول ١/١٥؛ عب ٣/٢؛ ١بط ٣/١٥؛ رؤ ٢/٣٦. كما نجد النصوص الكتابية التي ارتكز عليها الآريوسيون مع دحض وشرح مفصل لها، في المقالات الأربعة "ضد الآريوسية" للقديس اثناسيوس. لكن آريوس يقول في الرسالة، المشتركة مع افذويوس، التي وجهها إلى قسطنطين عام ٣٣٤، إن الكتاب المقدس كان بالأحرى نقطة الانطلاق: "لقد تسلمنا هذا الإيمان من الأناجيل المقدسة، لأن الرب قال لتلاميذه: "اذهبوا وتلمذوا كل الأمم، معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس". فإذا كنا لا

www.old-criticism.blogspot.com

واعتمد بنوع خاص على نص من كتاب الأمثال، حيث تتكلم الحكمة عن ذاتها فتقول: "الرب خلقني أول طرقه"[٢٣١]. واستعمل آريوس هذه الآية بالذات، ليُنكر ألوهية المسيح. ففسرها على هواه، قائلاً إن هناك حكمتين: الأولى أزلية مع الآب، والثانية هي الابن الذي خُلق بالأولى ويشترك فيها، لهذا يسمى "لوغوس" أو "حكمة"، لكن بالاسم فقط. وخلقه الله الآب لأنه لا بدّ من كائن وسط أو وسيط؛ فالله لا يدخل في علاقة مباشرة مع المتناهي، ليعمل في العالم، متمماً عمليتي الخلق والخلاص. وفي الواقع، أربكت هذه الآية بالذات، الآباء الأرثوذكسيين، واعتبرت حجر الزاوية أو الأساس الذي حاول الآريوسيون استغلاله[٢٣٢]. ولكن، في الواقع، كان وراء التفاسير الكتابية والمقدمات اللاهوتية، مفاهيم فلسفية يونانية، ونظرة أصولية للتوحيد ووحدانية الله. وهذه الجذور الفلسفية مرتكزة، بنوع خاص، على الأفلاطونية المتوسطة، وعلى بدايات الأفلاطونية الحديثة[٢٣٣]. وهذا ما يُعبّر عنه آريوس في "الثاليا"، أو "المأدبة": "الآب غريب عن الابن حسب الجوهر، لأنه من دون بدء. فالوحدانية موجودة دائماً، بينما الثنائية لم تكن قبل أن يكوّن [الابن]". وفي مكان آخر يوضح: "الابن ابن، وله هذه العظمة بإرادة الله، الذي هو أصله؛ إن للابن بدءاً وبداية وأصل". وهكذا يبدو أن اللوغوس، أصبح مع آريوس كالفاطر لدى الغنوصيين، وبمستوى العقل عند الأفلاطونية الحديثة. ونجد تشابهاً واضحاً بين شرح آريوس للوغوس، وبين نظرة افلاطون للألوهية: يضع افلاطون مبدأين في القمة، الأول والثاني. ولكن يجب أن يتوجا بوحدانية أسمى، الألوهية. ونجد لدى الأثنين أيضاً التراتبية والتدرج في الألوهية.

نؤمن بهذا، ولا نقبل فعلياً بالآب والابن والروح القدس، كما تعلّمنا الكنيسة الجامعة والكتب المقدسة، ونحن نؤمن بكل ما تعلّم، فليكن الله ديانا اليوم وفي الحياة الآتية".

٢٣١ مثل ٢٢/٨.

٢٣٢ أهم المقاطع الكتابية التي اعتمد آريوس عليها ما عدا مثل ٢٢/٨ هي التالية: مر ٣٢/١٣؛ يو ٢٨/١٤؛ ٣/١٧؛ ١٩/٥؛ مر ١٨/١٠؛ لو ٥٢/٢؛ يو ٣٣/١١ و٣٨؛ متى ٣٩/٢٦؛ فل ٩/٢؛ عب ٤/١. وكلها نصوص تظهر الابن يعترف أن الآب وحده يعرف ساعة نهاية العالم. وبالتالي يستنتج آريوس أن معرفتهما ليست نفسها فإذن هما غير متساويين. وكذلك شدد على المقاطع الإنجيلية التي تظهر يسوع عرضة للخوف والآلام وللعواطف البشرية.

٢٣٣ Grillmeier., I. 291; 463-465.

تدور عقيدة آريوس، كما نلاحظ، حول اللوغوس بحد ذاته: نفى الألوهية عنه، وبقي يدعوه "اللوغوس أو ابن الله أو حكمة الله"، ليبقى على اتفاق مع الكتاب المقدس. فهو إله، ولكن بدرجة أدنى من الآب، وهو خليقة الآب، أفضل الخلائق كافة وأسماها، ولكنه ليس أزلياً. وتمسك آريوس بآرائه ولم يقبل أن يتراجع عنها، غير آبه لا بأسقفه الكسندروس الذي حاول مراراً، سواء باللطف واللين أو بالقوة والعنف، أن يردعه ليعيده إلى عقائد الإيمان القويم، ولكن دون جدوى، ولا بمجمع أساقفة الإسكندرية، ولا حتى باوسيوس، أسقف قرطبة، رسول الإمبراطور. ولكنه كان يزداد تمسكاً بآرائه، مستنداً على دعم زملائه الأساقفة اللوكيانيين، وأغلبية أبناء رعيته، وكل من تبعه.

٢) الكسندروس أسقف الإسكندرية

استلم الكسندروس رعاية كنيسة الإسكندرية، بعد اخيلاوس نحو عام ٣١٢. وكان محافظاً على خرافه بكل أمانة. ولقد وصلت إليه أخبار عن آريوس، أحد كهنة رعاياه، بخصوص تعاليم مشكوك في صحتها يقوم بنشرها. ولم يكترث الكسندروس كثيراً لهذه الأخبار في بادئ الأمر، إلى أن اكتشف، في أحد الأيام، وفي اجتماع له مع كهنة أبرشيته، وعلى إثر جدال جرى بينه وبين آريوس نفسه، حول شخص يسوع المسيح ابن الله، أن لاهوت هذا الكاهن مغلوط. فابتدأ يفسر له الحقيقة، لكن آريوس هذا، رفض أقوال أسقفه، وهب يبرر تعليمه ويتهم رئيسه بالخطأ علناً.

وما أن تأكد هذا الأسقف، فيما بعد، من تعاليم آريوس المبتدعة، وسمع اعتراض بعض المؤمنين عليها، واقتنع بعدم أرثوذكسيتها، حتى منعه من نشرها وطلب إليه الرجوع عنها، والاعتراف بالإيمان القويم، حفاظاً على نقاوة نفوس المؤمنين أبناء أبرشيته. تشبث آريوس بآرائه ورفض الخضوع، لأنه كان مقتنعاً كل القناعة، بصوابية أفكاره، المعتمدة على المنطق والكتاب المقدس، والتقليد الممثل بأستاذه لوكيانوس الشهيد. وتصلّب في موقفه متكلاً، بنوع خاص، على مناصريه في مصر وخارجها، وعلى شعبيته القوية، ولا سيما على زملائه القدامى في مدرسة أنطاكية.

www.old-criticism.blogspot.com

حافظ الأسقف الشيخ الكسندروس على الإيمان القويم، فكان ينادي، بعكس آريوس، أن الابن أزلي مع الآب، وأنه لم يخرج من العدم، بل هو منبثق من الآب بالولادة الطبيعية بالمعنى الحصري؛ ويثبت كلامه هذا، مرتكزاً على مطلع إنجيل يوحنا: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان لدى الله... والكلمة كان الله"[٢٣٤].

راح الكسندروس يعلل ويبرهن عن عدم وجود فاصل بين الآب والابن، وأنه لو كان هناك فاصل أو فترة زمنية أو أي شيء آخر، لما كان هذا الشيء من صنع الابن وهذا طبيعي، إذ لا يمكن أن يصنع الابن شيئاً قبل "وجوده"؛ وإلا فذلك يناقض الآية: "به كُوّن كل شيء"[٢٣٥]. أضف إلى ذلك أنه إذا وُجد الآب وحده في البدء، كما يدّعي آريوس، فهذا يعني أنه كان نوراً دون شعاع، ونموذجاً دون صورة نموذج، وإلهاً دون "حكمة" أو دون "لوغوس".

يعترف الكسندروس بكل وضوح، أن الابن الكلمة -اللوغوس- مساوٍ للآب في كل شيء، وأنه لا يوجد أي فارق بينهما، إلا أن الابن "مولود" من الآب، لكنه غير مخلوق، وهو غير متحول ولا متغيّر مثل الآب، هو صورة الآب، وغير مختلف عنه في أي شئ. ومن هذه الجهة فقط، أمكن القول إن "الآب أعظم من الابن"؛ و"اللوغوس" هو ابن الله حسب الطبيعة وليس بالتبني، فالآب والابن أقنومان أو شخصان متساويان في كل شيء، والابن هو صورة الآب المطلقة والتامة ومرآته؛ هو ابن الله، إله حق وغير قابل التغيير؛ هو الوسيط الوحيد، به يقود الله الآب الكون، من العدم إلى الوجود[٢٣٦].

استشهد الأسقف الكسندروس بدوره، لتأكيد كلامه وصحته، بنصوص كتابية تتحدث عن "الابن الحقيقي" وعن "الابن الحبيب"[٢٣٧]. كما استند إلى

٢٣٤ يو ١/١.
٢٣٥ يو ١/١.
٢٣٦ نجد في العظة الوحيدة التي بقيت لنا من عظات الكسندروس، شرح العلاقة بين النفس والجسد في المسيح، وضرورة آلامه ونتائجها. Q., II. 20
٢٣٧ راجع أيضاً متى ١٧/٣؛ ٥/١٧ ؛ مز ٧/٢؛ ٣/١٠٩. ويميّز الكسندروس جيداً الفرق بين الآب والابن في شرحه كلمة الرب: "أنا والآب واحد" (يو ٣٠/١٠) فيقول: لا يريد المسيح الابن هنا أن يقول إنه هو الآب نفسه، ولا أن أقنومين هما أقنوم واحد، بل ليظهر أن الابن مشابه تماماً للآب، في الطبيعة وفي كل الجوانب، وهو صورة الآب من دون أي اختلاف. Q., II. 21-22

التقليد[٢٣٨]، فاتكل خصوصاً على قانون إيمان قديم، مُضيفاً إليه بعض التفسيرات والشروحات؛ يقول هذا القانون:

"نؤمن... وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود ليس من غير الموجود (أي ليس من العدم)، بل من الآب الموجود، ليس بحسب طريقة الجسد، بالانقسام أو بالفيض، كما اعتقد صابيليوس وفالنتينوس، بل بطريقة لا تُوصف ولا تُشرح بحسب ما قيل: "ومن يصف ولادته؟"[٢٣٩]

يمكننا أن نقارن بين الفكرين اللاهوتيين بسهولة أكبر في الجدول التالي:

آريوس	الكسندروس
١) لم يوجد اللوغوس مع الآب منذ الأزل	١) وُجد اللوغوس مع الآب منذ الأزل
٢) خُلق اللوغوس من العدم	٢) اللوغوس غير مخلوق، إنه خالق كل شيء
٣) ليس اللوغوس ابناً للآب بحسب الطبيعة	٣) اللوغوس ابن الله بحسب الطبيعة وليس بالتبني
٤) طبيعة الابن ليست من طبيعة الآب	٤) طبيعة الابن مساوية لطبيعة الآب
٥) بدأ اللوغوس بالوجود بفعل إرادة الآب	٥) اللوغوس موجود ومتصل بجوهر الآب
٦) يخضع اللوغوس بطبيعته للتغير جسدياً وأخلاقياً	٦) لا يخضع اللوغوس بطبيعته الإلهية لا للتغير و لا للألم[٢٤٠]

٢٣٨ Cf. M. Simonetti, La tradizione nella controversia ariana: Augustinianum 12 (1972). 37-50.
٢٣٩ De Urbina., 46-47; Altaner., 275.
٢٤٠ De Urbina., 48.

www.old-criticism.blogspot.com

حارب الكسندروس عقيدة آريوس، لأنها تتعارض مع عقيدته ومع العقيدة الأرثوذكسية، التي علّمها الرسل القديسون والآباء، وحافظت الكنيسة الجامعة عليها بكل أمانة.

٣) مجمع الإسكندرية (٣٢٠/٣٢١؟)

أراد الكسندروس أسقف الإسكندرية، حل المسألة ودياً في بادئ الأمر، فحاول إقناع آريوس باستقامة تعاليم الكنيسة، وشرح وفصّل له دور الابن وعلاقته بالآب، لكن آريوس كان دائماً يجابهه بالرفض، ويتهمه بخطأ عقيدته وتفكيره، وبُعد شروحاته عن المنطق السليم. وإزاء هذا الرفض والتمرد العلني، وانطلاقاً من مبدأ محافظة الراعي على خرافه، لم يجد الكسندروس مناصاً من دعوة أساقفة مصر وليبيا، إلى مجمع في الإسكندرية.

فاجتمع العديد من الأساقفة سنة ٣٢٠ أو سنة ٣٢١، للبت في هذه القضية، التي زرعت الفتنة والشقاق، بين أبناء أبرشيته. وشارك أيضاً آريوس شخصياً في هذا المجمع. ولدى عرض الكسندروس الموضوع على المجمع، لاحظ الآباء أخطاء آريوس العقائدية، فطلبوا إليه العودة عنها وتعديلها، والرجوع إلى إيمان الكنيسة الحقيقي، لكنه رفض كلياً، ومانع في تبديل أي حرف من تعاليمه، مشبهاً ذاته أمام المجمع، كالمسيح أمام بيلاطس. فأكد الآباء ثانية، مساواة الابن بالآب في الأزلية، وأدانوا آريوس أولاً، ثم اضطروا إلى إدانة وخلع كل من سيكوندوس أسقف بطوليمايس، من المدن الخمسة، وثيوناس أسقف مرمريك أيضاً، لأنهما رفضا هما أيضاً، التوقيع على إدانة آريوس، وكذلك بعض الكهنة والشمامسة الموالين له[٢٤١].

٢٤١ أتباع آريوس الأولون: سيكوندوس أسقف بطوليمايس في المدن الخمس Secondus évêque de Ptolémaïs en Pentapole، وثيوناس أسقف مرمريك Theonas de Marmarique؛ والكهنة الإسكندريون اخيلاس Achillas ، وايتاليس Aithalis ، وكاربونيس Carpon ، وآريوس Arius (غير آريوس المذكور)، وسارماتاس Sarmate ؛ والشمامسة افذيوس Evzoïus ، ولوكيوس Lucius، ويوليوس Julius ، وميناس Mènas ، وهيللاديوس Helladius ، وغايوس Gaius ؛ ثم

لم يرد كل ذلك آريوس عن غيه، ولم يردعه بل زاده حماسة، ودفعه إلى نشر تعاليمه، وانتقاد أسقفه واتهامه بالهرطقة، كما واصل خدمته الكهنوتية في كنيسته وفي كنائس أخرى آريوسية، مستهتراً بأسقفه وبقرارات المجمع، ومتكلاً على مناصريه في أبرشية الإسكندرية.

ومنذ ذلك الحين، راح عدد المنضمين من العلمانيين إلى فريقه يزداد وينمو: البعض بسبب اقتناعه بأقواله حول الله، والبعض الآخر -وهذا ما حدث عموماً- لأنه اعتبره ضحية ظلم، وأنه طُرد دون تروٍ من الكنيسة.

أرسل الكسندروس، في ختام المجمع، كالعادة، رسالة مجمعية إلى جميع الأساقفة، يخبرهم فيها بإدانة آريوس، وسبب هذه الإدانة، ويرجوهم فيها عدم قبوله في الشركة الكنسية، والرد على كنيسة الإسكندرية، برسائل شركة وإدانة "الهرطوقي"[٢٤٢]. وفعل آريوس مع مناصريه الشيء نفسه .

وابتدأت حملة الرسائل من كلا الطرفين. ويُقال إن الكسندروس قد وجّه حوالي سبعين رسالة، منها واحدة للبابا سلفستروس، لم يصلنا منها إلا رسالتين فقط[٢٤٣]. واضطر الكسندروس أن يطرد آريوس من الإسكندرية، وأن يبعده عن أراضي الأبرشية، بسبب تعنته واستخفافه، وحفاظاً على الشعور المسيحي، وعلى أبناء أبرشيته.

انضم إليهم الكهنة كاريس Carïs ، وبيستوس Pistos ؛ والشمامسة سيرابيون Sérapion ، وبارامون Paramon ، وزوزيموس Zosime ، وايريناوس Irénée.

٢٤٢ De Urbina., 40-41 ؛ راجع نص هذه الرسالة في الملحق رقم ١٠ في نهاية المجلد.

٢٤٣ الرسالة الأولى محفوظة في تاريخ الكنيسة لسقراط، وهي موجهة إلى جميع الأساقفة في الكنيسة الجامعة، كتبها الكسندروس نحو عام ٣١٩، ويخبرهم فيها عن بدايات الهرطقة الآريوسية؛ والرسالة ضد كل من آريوس واوسابيوس النيقوميدي.

وحفظ لنا المؤرخ ثيودوريتوس الرسالة الثانية الموجهة من قبل مجمع الإسكندرية (عام ٣٢٠-٣٢١)، إلى الكسندروس أسقف بيزنطية (أو الكسندروس أسقف تسالونيكي!) وهي الرسالة ذاتها إلى جميع الأساقفة غير المصريين. وفيها يحذرهم الكسندروس أسقف الإسكندرية من آريوس وتلاميذه، إذا ما دخلوا أراضيهم. ويخبرهم أن ثلاثة أساقفة سوريين أيدوا آريوس؛ ويعرض في الرسالة أخطائهم الرئيسية، مفنداً تعاليم آريوس بواسطة الكتاب المقدس، ويطلب من الأساقفة عدم قبول الآريوسيين في شركة الكنيسة.

www.old-criticism.blogspot.com

٤) مجمع نيقوميديا (٣٢١-٣٢٣؟)

حالما طُرد آريوس من الإسكندرية، توجه مباشرة إلى قيصرية فلسطين، عند صديق قديم له، هو أسقفها اوسابيوس المؤرخ، الذي استقبله بكل رحابة صدر داعماً إياه. ومن هناك كتب آريوس، إلى زميل لهما منذ عهد الدراسة، زمن لوكيانوس، وهو اوسابيوس أيضاً، أسقف نيقوميديا[٢٤٤]، يخبره بكل ما جرى معه وبانتقاد الكسندروس أسقف الإسكندرية وأتباعه، العقائد التي تعلّموها ويعلّمونها. فدعاه اوسابيوس إليه، إلى نيقوميديا. لم يتأخر آريوس بتلبية هذه الدعوة، فغادر على الفور قيصرية فلسطين إلى نيقوميديا، ومن هناك راسل، بتحريض من مضيفه، أسقفه الكسندروس، ساعياً إلى التفاهم. وضمّن الرسالة قانون إيمان كان تلقاه مع زملائه[٢٤٥] من أسلافهم، مثله مثل أسقفه الكسندروس نفسه. ورسالة آريوس مقسمة إلى تسعة بنود:

١) ثمة إله واحد حقيقي، غير مخلوق، أزلي وحده، وحده لا بدء له ولا مبدأ له، وحده الحكيم، خيّر وقدير، وحده الديان، ملك ثابت.

٢) ولد قبل كل الأزمنة ابنه الوحيد، وخلق به العالم والأشياء كلها.

٣) لم يلده ظاهرياً فقط، بل دعاه إلى الوجود حقاً بإرادته، ككائن ثابت، لا يتبدل.

٤) الابن خليقة الله الكاملة، متميز عن جميع المخلوقات. إنه مولود، ولكنه يختلف عن كل ما هو مولود.

٥) ليس الابن انعكاساً ولا قذفاً، كما يزعم فالنتينوس؛ ولا جزءاً جوهرياً من الآب كما يقول المانويون، ولا كما يريده الصابيليون دون تمييز أقنومي مع الآب،

٢٤٤ كان اوسابيوس المذكور، أسقف بيروت، ثم ومنذ سنة ٣١٨ انتقل إلى كرسي نيقوميديا. كان له تأثير كبير على ليكينيوس وزوجته كونستانسيا، ثم فيما بعد على قسطنطين وعلى ابنه كونستانس الثاني وسيلعب دوراً هاماً في المجمع وبعده. توفي نحو سنة ٣٤١/٣٤٢.

٢٤٥ نذكر البعض من زملائه في الدراسة المساندين له: بولينوس أسقف صور، ثيوناس أسقف اللاذقية، اثناسيوس أسقف عين زربة، وغريغوريوس أسقف بيروت، وايتيوس أسقف ليدا، وانطونيوس أسقف طرسوس، وخليفته مينوفانتوس، وعلماني سفسطائي من الكبادوك، اسمه استيريوس.

ولا نور من نور أو لهب من لهب كما يقول هييراكاس*؛ لم يكن أولاً ثم وُلد وجُعل ابناً.

٦) خُلق الابن بإرادة الله قبل الزمن وقبل العالمين. يستمد حياته وكيانه من الآب، الذي منحه مجده، دون أن يتجرد منها، وأعطاه ميراث كل شيء.

٧) يوجد ثلاثة أقانيم: الله علة كل شيء، وحده دون بدء ولا مبدأ. الابن الذي وُلد من الآب قبل الأزمنة، خُلق ووُضع قبل كل شيء، لم يكن قبل ميلاده، لكنه وُلد خارج الأزمنة قبل كل شيء، وحده دعي إلى الوجود دون وسيط من قِبل الآب؛ ليس أزلياً ولا "غير مولود" مثل الآب. لم يوجد مع الآب، وإلا لكان هناك مصدران غير مولودين. الله وحده مصدر كل شيء ومبدأه، وحده قبل كل شيء، حتى قبل الابن؛ والروح القدس خليقة الابن وهو أدنى منه مرتبة ورتبة.

٨) بما أن الابن أخذ كيانه من الآب الذي أعطاه المجد، فإنه مصدر كل شيء وعلة الحياة، أي مبدأها وسيدها، ولكن الله يسيطر عليها، لأنه وُجد قبل وجود الابن، إذ هو الإله الواحد والوحيد.

٩) لا تسمح لنا التعابير الكتابية (مز ١١٠/٣؛ أي ١٦/٢٨؛ روم ١١/٣٦)، باستنتاج المساواة في الجوهر، إذ تقول إن الابن مولود من الآب[٢٤٦].

ولا يذكر لنا التاريخ إذا رد أسقفه على رسالته هذه، أم أنه أهمله دون جواب.

لما علم آريوس أن لاوسابيوس النيقوميدي حظوة عند كونستانسيا، أخت قسطنطين، تشدد وابتدأ حملة دعائية لاكتساب أصوات ضد أسقفه، فكتب إلى جميع الجهات لنيل المساندة[٢٤٧]. كما كتب خلال إقامته في نيقوميديا، كتاباً شعبياً

* هييراكاس Hiéracas، حول هذا الناسك المصري راجع رسالة آريوس في الملحق رقم ١٢.

٢٤٦ H-L., I,1. 372-375. ؛ يعبر آريوس في هذه الرسالة عن آرائه الحقيقية أكثر مما يفعله في الرسالة التي سيرسلها إلى قسطنطين عام ٣٣٤؛ يبدو أنه بذل جهداً جباراً ليزيل عن إعتراف إيمانه أي تعابير دقيقة تقوده إلى زعزعة وضعه. وقد اقتضب عن عمد أو قصد أن يكون غامضاً بعض الشئ في موضوع علاقة الآب بالابن.

٢٤٧ نذكر، إضافة إلى زملائه في الدراسة، باتروفيلوس أسقف سكيتوبوليس، وناركيسيوس أسقف نيرونياس في كيليكيا، وماريس أسقف خلقيدونيا، وثيوغنيس أسقف نيقيا؛ أضف إليهم الكاهن جاورجيوس

www.old-criticism.blogspot.com

للدعاية، شعراً ونثراً، دعاه "المأدبة"، أهداه إلى بحارة الإسكندرية، نجد في ما تبقى لنا منه، تلك المقاطع التي ذكرها القديس اثناسيوس، والتي تضم بعضاً من عقائد آريوس الخاطئة:

"لم يكن الله دائماً أباً، كان هناك وقت لم يكن فيه بعد أباً، ثم أصبح أباً. لم يكن الابن موجوداً دائماً. خُلقت الأشياء كلها من العدم. كل الأشياء مخلوقات ومصنوعات، وكذلك كلمة الله خُلق من العدم، فكان هناك وقت لم يكن فيه. لم يكن موجوداً قبل أن يُخلق. وبدأ هو أيضاً بخلقه. لأن الله كان وحده. لم يكن الكلمة والحكمة موجودان بعد. ثم، عندما أراد خلقنا، صنع قبلنا كائناً ما، ودعاه كلمة وحكمة وابناً، ليخلقنا بواسطته"[٢٤٨].

وبما أن اوسابيوس ومحازبيه، لم يتمكنوا من إقناع الكسندروس، على الرغم من إرسالهم رسائل وتوسلات عديدة إليه، غضبوا واعتبروا ذلك التصرف إهانة لهم، فتحمسوا أكثر، لمساندة تعاليم آريوس، فقرروا الدعوة إلى مجمع، ليوحدوا كلمتهم ضد الكسندروس. وهكذا، وبعد سنة من بدء النزاع، كان الشرق بأكمله يحترق: اجتماعات مكثفة وتفسيرات متتابعة، إدانات متبادلة ومجامع محلية وحرومات .

أراد اوسابيوس دعم موقف صديقه آريوس، خصوصاً وأنه كان يعلّم التعاليم ذاتها هو وزملاء الدراسة وهم كثر، فاستفاد من علاقته الحميمة بالبلاط وبكونستانسيا، لينال الدعم المدني، ودعا الأساقفة زملاءه وزملاء آريوس، إلى مجمع، في أبرشيته نيقوميديا -وكانت نيقوميديا آنذاك مقر الإمبراطور وعاصمة الجزء الشرقي من الإمبراطورية- للرد على الكسندروس أسقف آريوس وعلى

الإسكندري، الذي حكم عليه الكسندروس أسقف المدينة، فهرب إلى أنطاكية وتبع آريوس، ثم أصبح فيما بعد أسقف اللاذقية، والخصي ليونس الذي أُقيم فيما بعد على كرسي أنطاكية من قِبل أعداء نيقيا.

٢٤٨ المأدبة Thalia ؛ اعتبره الآريوسيون كالكتاب المقدس الثاني. يفتخر فيه آريوس بشهرته، وبأنه تألم لأجل مجد الآب. تجد بعض المقتطفات منه في الملحق رقم ١٣؛ H-L., I,1. 363-368;
Cf. Wyss D., La Thalia di Ario: Dionysio 37 (1963). 241-254.
ونجد الأفكار نفسها تقريباً في رسالة وجهها اوسابيوس أسقف نيقوميديا إلى بولينوس أسقف صور يقول فيها: "الآب لم يلد، الابن خلق وليس هو من جوهر الآب، ولا يشارك بجوهر غير المولود بل يختلف عنه بطبيعته وقدرته، بالرغم من أنه مخلوق تماماً على صورة الآب بالفكر". H-L., I,1. 360-362.

مجمعه. لا نعرف بالضبط متى انعقد ذلك المجمع، فعلى الأرجح نحو سنة ٣٢٣، وعُرض خلاله موقف أسقف الإسكندرية المعادي لآريوس، وكيف أنه قطعه من الشركة ونفاه. واستنكر المجتمعون مثل هذا التصرف ودعموا موقف آريوس وتعاليمه، وعارضوا قطعه عن الشركة. ثم قرروا بدورهم قطع الأسقف الكسندروس وانتخاب الكاهن بيستوس عوضاً عنه لأسقفية الإسكندرية. وفي نهاية المجمع، وجه المجتمعون رسالة مجمعية إلى الأساقفة -بمن فيهم الكسندروس- يعلنون فيها عن مقرراتهم، ويطلبون من جميع الأساقفة، ليكونوا في الشركة مع آريوس وفريقه، كفريق قويم الإيمان، والعمل على إقناع الكسندروس، بالدخول في الشركة معهم. وقد وقّع القرارات الأساقفة اوسابيوس النيقوميدي وسيكوندوس وثيوناس والكاهن بيستوس كأسقف الإسكندرية، والكهنة آريوس وايتاليس واخيلاوس وآريوس آخر وكاربونيس وسارماتاس، والشمامسة افذويوس ولوكيوس ويوليوس وميناس وهيللاديوس وغايوس.

ما إن تسلح آريوس بقرارات هذا المجمع، الذي أعطاه الحق باستعادة منصبه، حتى حاول العودة مرة أخرى إلى الإسكندرية. ولقد ساعدته الظروف السياسية على تتميم ذلك، إذ إن الاضطرابات كانت سادت البلاد، نتيجة المصادمات التي وقعت بين قسطنطين الكبير وليكينيوس[٢٤٩]. فعاد بزخم أكبر وتابع نشر تعاليمه الخاطئة، خاصة بواسطة الأناشيد الشعبية التي ألّفها وعلّمها للناس، الذين كانوا يرددونها في الشوارع، مما زاد القلاقل والاضطرابات في المدينة، وأدى إلى زيادة التوتر بين المسيحيين، لدرجة حصول انشقاق بينهم.

واحتد الكسندروس من جهته، على مثل هذا التصرف وهذه القرارات، فتمسك بآرائه، ولم يرغب في التنازل عنها، وحاول اكتساب أكبر عدد ممكن من الأساقفة، لأنه لاحظ أن الكثير من الأساقفة الموقرين، قد انضموا إلى آريوس وساعدوه، لدرجة أنهم سمحوا له ولمعاضديه، باستعادة وظائفهم دون أن يكون لهم الحق بذلك، ودون حصولهم على أي تفويض منه. ويبدو أنه دعا إلى مجمع لدرس هذا التصرف، واتخاذ الإجراءات الضرورية[٢٥٠]. وتتابعت النزاعات حتى إن

٢٤٩ اثناسيوس، الشهادة لألوهية المسيح ج ١. ١١٨.
٢٥٠ راجع سوزومينوس ١: ١/١٦.

www.old-criticism.blogspot.com

هذه الخلافات، أضحت موضوع استهتار الوثنيين في المدينة، وباتت الديانة المسيحية مهزلة، يتندر الممثلون الوثنيون بها في مسرحياتهم، لتصير موضوع سخرية فيها[٢٥١].

ثالثاً– قضية عيد الفصح

عيّدت الكنيسة الفصح، في القرن الأول، مع اليهود، أي في الرابع عشر من نيسان، أول أشهر السنة القمرية. وكان يُحتفل بهذه المناسبة بالإفخارستيا، وتناول الحمل الذي يحمل خطايا العالم. وكان الاهتمام، بالتالي، منصباً على الآم يسوع المسيح وصلبه وموته، أكثر مما كان على قيامته من بين الأموات. وكان الصوم يسبق العيد[٢٥٢].

كان المسيحيون الأولون، يذكرون صلب السيد وموته وقيامته كل أحد. وأفردوا بالإضافة إلى هذا، ثلاثة أيام متتالية، مرة كل سنة، لذكر الآلام والقيامة، فجعلوها تبدأ في ١٤ نيسان القمري العبراني، وتنتهي في ١٦ منه، وذلك لورود الآية التالية: "وبلغ يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح"[٢٥٣].

لذا كان مسيحيو آسيا الصغرى، يعيّدون الفصح في تاريخ معين ثابت، وهو الرابع عشر من شهر نيسان القمري، في أي يوم وقع دون التقييد بيوم الأحد؛ بينما كان المسيحيون في الغرب وفي الجزء الباقي من الشرق يعيّدون بالعيد كل سنة، في تاريخ أو بآخر، تابعين حساب الاعتدال الربيعي. وخصصوا يوم الأحد لذكرى قيامة المخلّص. وكان كل فريق متمسكاً بعاداته، معرضاً عن كل ما سوى ذلك.

٢٥١ Eusèbe., Vita Constantini. 2/64; H-L., I,1. 378-379.

٢٥٢ يقول لنا اوسابيوس في تاريخه الكنسي ما يلي بهذا الخصوص: "وقد أُثيرت وقتئذٍ مسألة ليست هينة، لأن جميع أبرشيات آسيا اعتقدت –بناءً على تقليد قديم– أن اليوم الرابع عشر القمري، وهو اليوم الذي أمر فيه اليهود أن يذبحوا خروف الفصح، هو الذي يجب أن يُحفظ كعيد فصح مخلصنا. لذلك كان يجب أن ينتهي صومهم في ذلك اليوم، بغض النظر عن وقوعه في أي يوم من الأسبوع. ولكن لم تجرِ العادة في سائر كنائس العالم إنهاء الصوم في ذلك الوقت، لأنه جرت عادتهم، التي تسلموها من التقليد الرسولي، والتي لا تزال سارية إلى الآن، أن لا ينهوا صومهم في أي يوم آخر، سوى يوم قيامة مخلصنا". اوسابيوس ٥: ١/٢٣.

٢٥٣ مر ١٢/١٤؛ لو ٧/٢٢.

يعود تاريخ الاختلاف حول تأريخ تعييد الفصح، على ما يبدو، إلى عهد الرسل. وذلك بين يوحنا الحبيب وفيليبس من جهة، وبطرس وبولس من جهة أخرى[٢٥٤]. إذ اتبع الأولان التقليد في أورشليم، بينما تبع الآخران التقليد في أنطاكية وغيرها.

اختلف المؤمنون في اليوم الذي يذكرون فيه الآلام والذي يبتهجون فيه بالقيامة: فالكنائس الشرقية كانت تعيّد في أي يوم من الأسبوع، وافق وقوع ١٤ نيسان؛ أما الكنائس الغربية، فقد خصصت يوم الجمعة وحده للآلام، ويوم الأحد للقيامة؛ أي أول جمعة بعد ١٤ نيسان، في السنين التي لا يوافق فيها ١٤ نيسان يوم جمعة، ومثله يوم الأحد. فالكنائس التي كانت تُعيّد في ١٤ نيسان، كانت تعتبر يوم الآلام، يوم التحرير من العبودية، يوم خلاص؛ فكانت تفرح في يوم موت الرب، وتحل الحزن والصوم معاً، مستشهدة بالرسول يوحنا الحبيب وفيليبس. أما الكنائس الأخرى، فكانت تعتبر يوم الصلب يوم حزن، فلا تسمح بحل الصوم قبل تذكار القيامة، مستشهدة بتعاليم بطرس وبولس في ذلك.

بدأ الخلاف يظهر في القرن الثاني، بين مسيحيي آسيا الصغرى وكيليكيا، وسوريا الشمالية وما بين النهرين من جهة، وبين مسيحيي اليونان وأوروبا وأفريقيا من جهة أخرى، بما يخص هذا العيد بالذات، لأن الآسيويين ثبتوا على العادة الجارية، والتي تتبع في الواقع النظام اليهودي، بينما ابتدأ الغربيون يعيدون يوم الجمعة لموت المسيح، ويوم الأحد التالي لقيامته.

تفاقم هذا الخلاف بين الفريقين، في أواسط القرن الثاني، حيث أصرّ الفريق الآسيوي، ودعي "بالأربعشري"، على الاحتفال بعيد الفصح في الرابع عشر من نيسان، في بداية الربيع، أو مع الاعتدال الربيعي، حيث ينضج الشعير في فلسطين[٢٥٥]، يوم أكل المسيح الفصح مع تلاميذه في العلية الصهيونية، وهو يوم بدأت آلامه. كما رفض خصومهم بالمقابل، تبديل تقليدهم الذي يحتفل بيوم التحرير، يوم تنتهي الآلام بالقيامة، وكانوا يعتبرونه بالفعل عيد التحرير (الفصح).

٢٥٤ راجع رستم، ج ١. ٧٢–٨٢.

٢٥٥ كان يُدعى أيضاً شهر الحزم حيث يُحزم المحصول. H-L., I,1. 448-452

www.old-criticism.blogspot.com

وكان الفريقان يقيمان بالمناسبة مائدة المحبة* ثم المناولة[٢٥٦]. وكان الاختلاف حول الصوم أيضاً. ولعل الأغلبية الساحقة كانت تعيد عيد التحرير يوم الأحد، وهو الأحد الأول الذي يلي الرابع عشر من شهر نيسان، لأن المسيح، بحسب رأيهم، قام يوم الأحد. أما ذكرى موته، فيقيمونه يوم الجمعة السابق، ويسمونه أيضا "فصحاً".

تأزم الوضع جداً، لدرجة أن القديس بوليكربوس أسقف ازمير، وهو شيخ يناهز الخامسة والثمانين عاماً، اضطر أن يسافر شخصياً إلى روما حوالي سنة ١٥٥ لمقابلة البابا انيكيتوس (١٥٥-١٦٦)، لحل هذه الأزمة. ولكن، وبعد نقاش وجدال طويلين، لم يتوصلا إلى اتفاق حول تاريخ عيد الفصح، إذ لم يستطع البابا إقناع بوليكربوس، الذي كان يسير على خطى الرسول يوحنا في هذه المسألة، كما لم يستطع بوليكربوس بدوره، إقناع البابا الذي كان يتبع خطى أسلافه الشيوخ؛ إنما اتفقا على أن تبقى كل كنيسة على تقليدها وعاداتها بما يخص الفصح.

بالرغم من هذا الاتفاق، لم يرضَ البابا فيكتور (١٨٩-١٩٩) بهذا الاختلاف بين الكنيستين، فأثار الموضوع من جديد، حتى إنه عمد إلى عقد عدة مجامع محلية في روما سنة ١٩٠[٢٥٧]، كانت كلها متفقة على تعييد الفصح يوم الأحد. فأعلم كنائس آسيا بذلك، وطلب منها الانصياع، لكنها رفضت ذلك، متمسكة بعاداتها وتقاليدها. عندها أراد البابا أن يعتبر الآسيويين هراطقة، وأن يرشقهم بالحرم. وكاد

* مائدة المحبة أو "الاغابي" Agape.

٢٥٦ H-L., I,1. 133-147.

٢٥٧ يذكر لنا اوسابيوس القيصري في تاريخه الكنسي، مجمعاً أقيم في فلسطين بهذا الخصوص في أواخر القرن الثاني، فيقول ما يلي:" ولهذا السبب عُقدت المجامع واجتمع الأساقفة. واتفق الكل برأي واحد، بعد تبادل الرسائل، على إصدار أمر كنسي بأن سر قيامة الرب يجب ألا يحتفل به في أي يوم آخر سوى يوم الرب، على أن نختم الصوم الفصحي في هذا اليوم فقط. ولا يزال موجوداً ما كتبه أولئك الذين اجتمعوا في فلسطين وقتئذ، الذين ترأسهم ثيوفيلوس أسقف قيصرية وناركيسوس أسقف أورشليم. ويوجد أيضاً مكتوب عن الذين اجتمعوا في روما لبحث نفس المسألة (الفصح)، وهو يحمل اسم الأسقف فيكتور، وأيضاً ما كتبه أساقفة البنطس الذين رأسهم بالماس (أسقف أماستريس) باعتباره أكبرهم سناً، وأساقفة أبرشيات بلاد الغال التي كان ايريناوس أسقفاً لها، وأساقفة اوسروهيني والمدن التي هناك (أي ما بين النهرين)". ٢/٥:٢٣.

ويتابع اوسابيوس في الفصل التالي فيقول: "على أن أساقفة آسيا، يتزعمهم بوليكراتوس، قرروا التمسك بالعادة القديمة المسلمة إليهم، وقد كتب هو نفسه رسالة وجهها إلى فيكتور وإلى كنيسة روما بيّن فيها التقليد الذي تسلمه"؛ ثم يضيف: "وفي استطاعتي ذكر الأساقفة الذين كانوا حاضرين، الذين استدعيتهم على حسب رغبتكم (وهذا يبيّن أن المجمع الآسيوي انعقد على طلب من البابا فيكتور أسقف روما) والذين لو كتبت أسماءهم لجمعت سفراً ضخماً...". ٥: ١/٢٤ و٨.

أن يؤدي كل ذلك، إلى انشقاق في الكنيسة لولا تدخّل القديس ايريناوس (١٣٠-حوالي سنة ٢٠٨) لتهدئة النفوس، كما تدخّل سابقاً القديس بوليكربوس لحل الأزمة: فكتب إلى البابا فيكتور يطلب إليه إبقاء السلام في الكنيسة. ثم إنه قام على رأس وفد كبير، بالسفر إلى روما والطلب من البابا تهدئة الأمور. وقد أدت وساطته إلى تصالح البابا فيكتور مع الآسيويين، وبقاء كل من الطرفين على تقليده وعلى نظامه في تعييد الفصح[٢٥٨]. بالاختصار جرت ستة مجامع حول هذا الموضوع، لكن دون الوصول إلى نتيجة مرضية، أي إلى حلّ موضوع الخلاف هذا[٢٥٩].

إن من يتعمق في تفاصيل الخلاف، يجد أن عدة عناصر تحدد تاريخ الفصح، والخلاف يعود إلى الاتفاق على هذه العناصر، نذكر منها: الحساب: الشمسي أم القمري؟ والاعتدال الربيعي؛ واليوم: أحد أو أي يوم يقع؟ ومعنى الفصح: هل هو فترة الصيام، وذكرى موت المسيح فقط أم ذكرى القيامة أيضاً؟

تجدر الإشارة أيضاً، إلى أن الحساب اليهودي يتبع الدورة القمرية، ويضمّ أيضاً اثني عشر شهراً، إنما الفارق بين هذا الحساب والحساب الشمسي، هو ١١ يوماً و٣ ساعات أقلّ من الشمسي. لذا كان يُضاف شهر قمري كل سنتين أو ثلاثة. وكان يقام عيد الفصح يوم عيد الحصاد في ١٤ نيسان، وفيه تُقدم بواكير الطبيعة لله. ولكن لوحظ فيما بعد، خلافاً لآراء اليهود، أن الرابع عشر من نيسان، لا يُصادف دائماً الاعتدال الربيعي. فما كان من المسيحيين، لهذا السبب خصوصاً، ولتأكيد استقلاليتهم عن اليهود، إلا أن قاموا بحساب جديد، لأجل تحديد موعد الفصح، على أن يقع دائماً يوم الأحد، الأحد الذي يلي الاعتدال الربيعي. وعلى ما يبدو، إن أول من وضع حساباً مسيحياً هو ايبوليتوس الروماني، الذي نظّم حلقة من ست عشرة سنة، يقع فيها الفصح بين ١٦ و٢٢ من الشهر القمري. ومن المرجح أنه قد عُمل بحسب هذا الحساب في روما، حتى نهاية القرن الثالث. وكان

٢٥٨ F-M., II. 72-93.

٢٥٩ نذكر هذه المجامع باختصار:

أولاً: مجمع في فلسطين برئاسة ثيوفيلوس القيصري وناركيسوس الأورشليمي Narcisse

ثانياً: مجمع في روما برئاسة البابا فيكتور.

ثالثاً: مجمع في البنطس برئاسة بالماس أسقف اماستريس Palmas d'Amastris

رابعاً وخامساً: مجمعان في بلاد الغال Gaules برئاسة القديس ايريناوس.

سادساً: مجمع في افسس برئاسة بوليكراتوس Polycrate؛ H-L., I,1. 147-151.

www.old-criticism.blogspot.com

هذا النظام الجديد تحسيناً للتقويم. أضف إلى أنه أوقف الصوم يوم الأحد، واعتبره يوم القيامة. إلا أنه تضمّن أيضاً بعض الأخطاء. فكان لا بُدّ من الحساب الجديد، وإضافة ثلاثة أيام كل سنة، وشهراً كل قرن، مما يؤدي أن يصادف الفصح يوماً ما، قبل الاعتدال الربيعي أحياناً[٢٦٠].

كما لاحظ المصريون، أنهم يتبعون الاعتدال الذي في مجرى السنة، بينما تبنى الرومانيون يوم الخلق. وكان الاعتدال الروماني، بحسب الحساب الذي وضعه يوليوس قيصر، يقع في ٢٥ آذار، بينما كان من الممكن أن يقع الفصح بين ٢٠ و٢٤ آذار. فقام ديمتريوس أسقف الإسكندرية (١٨٩-٢٣١)، بإظهار كيفية استنتاج موعد الفصح من الحساب اليهودي. ثم عمل ديونيسيوس أسقف الإسكندرية أيضاً (٢٤٧-٢٦٤)، حلقة فصحية من ثماني سنوات، بدت أصح من غيرها. ومنذ ذلك الوقت، بدأت الإسكندرية تُبلغ الأبرشيات المصرية كل سنة بموعد الفصح. وبعدها، وفي سنة ٢٧٧، قام العالم اناطوليوس، الذي أصبح فيما بعد أسقف اللاذقية، بعمل حلقة أكثر دقة، مؤلفة من ١٩ سنة، يقع العيد فيها بين ١٥ و٢٢ من الشهر القمري أي بين ٢٢ آذار و٢٥ نيسان.

أما روما، فقد تبنّت في أواخر القرن الثالث، حلقة فصحية من ٨٤ سنة، سُميت بالاوغوسطية*، يقع فيها الفصح بين ١٤ و٢٠ من الشهر القمري، أو بين ٢٥ آذار و٢١ نيسان. ثم صُحح هذا الحساب، ليصبح أكثر دقة، حيث يقع العيد فيه بين ٢٢ آذار و٢٥ نيسان. وقد تبنت روما هذا الحساب بالذات، في القرنين الرابع والخامس. ومن هنا لم يكن هناك أي تشابه، في الحساب للفصح بين روما والإسكندرية. فكان كل طرف يعيّد بحسب النظام الذي يتبعه. وبعد ذلك أيضاً، أظهر كيرلس الإسكندري للبابا لاون الأول (٤٤٠-٤٦١)، عيوب التقويم اللاتيني، مما جعل البابا يفضل الحساب الإسكندري على الروماني، ابتداء من سنة ٤٤٤[٢٦١].

٢٦٠. De Urbina., 49-51 ؛ H-L., I,1. 452-463

* الاوغوسطية Augustalis

٢٦١. H-L., I,1. 471

يذكر التاريخ بعد ذلك أن بروتيريوس الإسكندري Protérius، قد أكل الفصح في ١٤ نيسان واحتفل بالصلب في ١٥منه، والدفن في ١٦ والقيامة في الـ ١٧. واتفق مع روما، على عمل حساب جديد،

لم يكن هذا الاختلاف الطقسي إذاً، جديداً في كنيسة المسيح، على أن الأمر بقي على هذا المنوال، رغم بعض الجهود المتفرقة، لإزالة هذه الفروقات، واعتماد يوم واحد لهذا العيد في كل الكنيسة، على أن يكون يوم أحد، إكراما لذكرى القيامة، علماً أن مجمع آرل سبق وحدد سنة ٣١٤ في قانونه الأول، ما سوف يفرضه مجمع نيقيا، أي ضرورة تعييد الفصح في نفس اليوم، على أن يكون اليوم مغايراً لليوم المحدد في الحساب اليهودي[٢٦٢].

يتوافق فيه الحساب الروماني مع الحساب الإسكندري سنة ٤٥٧؛ فأعطى تحديداً دقيقاً للقمر الأول، مما أدى إلى إلغاء الفوارق بين الحسابين، وتصادف الفصح بينهما في نفس اليوم (حساب فيكتور الاكيتاني Victor d'Aquitaine). وبالرغم من ذلك بقيت بعض الاختلافات في تحديد يوم الفصح.

وفي القرن السادس نرى ديونيسيوس الصغير يعطي حلقة فصحية للاتين على قاعدة الحلقة من ١٩ سنة وفيها يلغي الاختلافات؛ راغباً بذلك تطبيق قرارات الآباء في نيقيا . وهكذا دخل الحساب الإسكندري سنة ٥٢٥ إلى روما متوافقاً مع قرار نيقيا: يولد القمر بين الثامن من آذار و الخامس من نيسان... لم تقبل هذه الحلقة من ١٩ سنة في الغرب كله إلا على أيام شارلمان (٧٤٢-٨١٤).

وإذا ما أكملنا المسيرة لتقويم الحساب نرى البابا غريغوريوس الثالث عشر يدخل تقويماً محسّناً من عمل الويز ليليوس Aloïs Lilius من كالابريا واليسوعي كلافيوس Clavius وغيرهما سنة ١٥٨٢ فيلغي عشرة أيام من السنة نفسها (من ١٠/٤ إلى ١٠/١٥) لكي يجعل التقويم الجديد منسجماً مع الحسابات الفلكية، ويفرض إضافة يوم كل أربعة سنوات (سنة كبيس). ثم يفرض ذلك على كل الكنيسة الكاثوليكية التي تستخدمه اليوم. وقد قبلت به الكنيسة البروتستانتية سنة ١٧٧٥؛ بينما رفضته الكنيسة اليونانية. Cf. H-L., I,1. 472-477.

٢٦٢. De Urbina., 51-52; Id., La Pasqua nel pensiero teologico primitivo: OCP 36 (1970). 443-453.. Leclercq H., Pâques: DACL VIII. 1521-1553;

www.old-criticism.blogspot.com

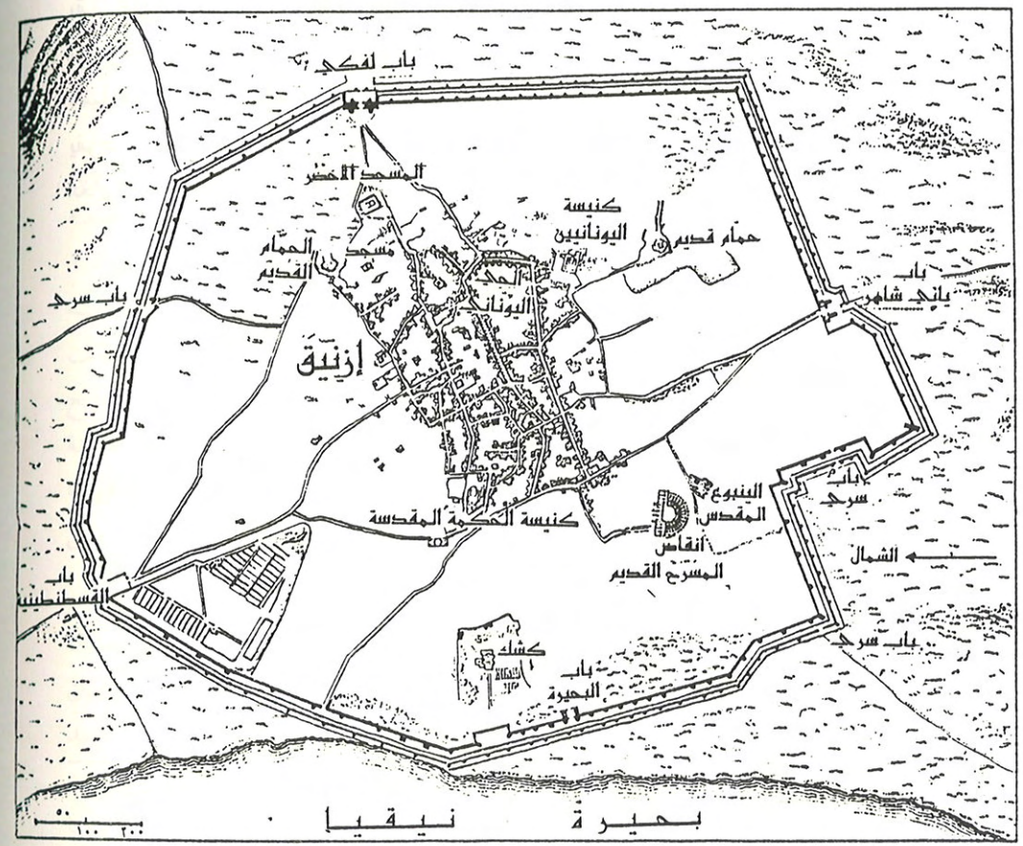

مخطط مدينة نيقيا وضواحيها

يعود الى أوائل القرن التاسع عشر

الفصل الثّالث

المجمع المسكوني الأوّل (٣٢٥)

بعدما قضى قسطنطين على منافسيه، وتسلّم الإمبراطورية بأكملها، أراد إعادة ترميم المملكة، التي مزقتها الحروب والاضطهادات المتواصلة، على أسس جديدة، قوامها العدالة لجميع رعاياها. أحس المسيحيون في عهده بالطمأنينة والراحة. وكان الإمبراطور قسطنطين دخل منتصراً إلى نيقوميديا -عاصمة الجزء الشرقي من الإمبراطورية- سنة ٣٢٤، وهناك علم بالخلاف الحاد، الحاصل في كنيسة الإسكندرية، بين كاهن اسمه آريوس وأسقفه الكسندروس، ورأى الشعب مضطرباً جداً، ومنقسماً على نفسه، بين مؤيد ومعارض، بين متحزب لهذا الفريق أو للفريق الآخر، وسمع بالنقاشات والجدالات الحامية والعنيفة، وبالاجتماعات المتتالية، وبالحرومات والإبسالات المتبادلة بين الطرفين، فغضب وانزعج جداً من هذا الوضع المأساوي غير المنتظر[٢٦٣]، وخشي أن تنتشر مثل هذه النزاعات في الإمبراطورية كلها، هو الذي كان الرائد في الدفاع عن الكنيسة وعن وحدتها، والمتمسك بوحدة المملكة وسلامها! فأرجأ رحلته إلى المقاطعات التي كسبها في الحرب، وبقي في نيقوميديا لحل الخلاف الذي بدأ من مصر، واتجه أولاً إلى ليبيا، وظهر وكأنه يهدد الكنيسة الشرقية بأسرها.

---

٢٦٣ يبدو أن قسطنطين تأثر جداً من خلاف آريوس والكسندروس، لأنه يعتبر أن ثمة رابطاً لا يُحل بين راحته ووحدة الكنيسة. وقد جاء هذا الرباط من خبرته، مما فعله إله المسيحيين معه. وقد أدت به هذه المنازعات إلى الأرق ليال عديدة، كما يقول في رسالته إلى الكسندروس وآريوس: "أعيدوا إليّ أياماً هادئة وليال لا سهاد فيها؛ حتى أتمتع أنا أيضاً بنور نقي وفرح حياة هادئة مستقبلاً. وإذا لم يحصل هذا، فسأرثي لحالي وأغطي بالدموع نفسي، ولن أتمكن من تحمل العيش بقية عمري بسلام. فإذا كان شعب الله، أي رفاقي في العبودية، منشقين فيما بينهم بخلافات مضرة وظالمة، فكيف لي أن أضمن نفسي من الآن وصاعداً؟" Grillmeier., I. 504

www.old-criticism.blogspot.com

أولاً- تدخل قسطنطين الإمبراطور والدعوة إلى المجمع

ظن قسطنطين أن موضوع الخلاف تافه، ولا يستحق قيام مثل هذه المماحكات، فأسرع وكتب رسالة إلى الكسندروس، أسقف الإسكندرية، وأخرى مماثلة إلى آريوس، يدعوهما فيها إلى الاتفاق من جديد، وحفظ تلك الوحدة التي حققها، والتي ما زال يعمل لصيانتها، ظاناً أن أساس الخلاف ليس في درجة من الأهمية، تستحق قيام مثل هذه المنازعات الصاخبة[٢٦٤]. واعتبر، بصفته الحكم في كل هذه الأمور، أن من واجبه حفظ السلام وصيانته. فطلب من الكسندروس وآريوس، بعد أن تضرع إلى العناية الإلهية، أن يتسامحا ويقبلا ما يعرضه عليهما "صديقهما قسطنطين": أولاً، أن يحتفظ كل واحد منهما بموقفه، ثانياً، أن يلتزما الصمت في موضوع الخلاف بينهما، لأن مثل هذه المواضيع لا يمكن أن تكون علنية، فهي تسبب الشك والبلبلة في الشعب، الذي لا يفقه مثل هذه الأمور، وأخيراً يطلب إليهما، الخلود إلى الهدوء والسكينة ووحدة الرأي.

أوفد قسطنطين مستشاره اوسيوس[٢٦٥]، أسقف قرطبة في إسبانيا، إلى الإسكندرية ليسلّم الرسالتين[٢٦٦]، فأكمل المهمة، إلا أنه اكتشف لدى اجتماعه بالأسقف الكسندروس، أن الموضوع أهم وأعمق مما تصوره الإمبراطور. فالمسألة جد خطيرة، وتتعلق بجوهر العقيدة المسيحية[٢٦٧]. ولما عاد إلى نيقوميديا، شرح الوضع للإمبراطور، وأظهر له أبعاد هذه القضية، الأمر الذي سبب خيبة أمل كبيرة

٢٦٤ Hergenröther., II. 41-42.

٢٦٥ ولد اوسيوس حوالي سنة ٢٥٧، وتوفي عام ٣٥٨؛ أصبح أسقف قرطبة في إسبانيا عام ٢٩٥. وكان قد شارك في مجمع الفيرا عام ٣٠٠. اضطهد عام ٣٠٣. ثم اتخذه الإمبراطور قسطنطين مستشاراً للأمور الدينية منذ سنة ٣١٣. De Clercq V-C., Ossius of Cordova. Washington, 1954; Walker G-S., Osius of Cordova and the Nicene Faith: SP 9 (1966). 316-320. ومن الجدير بالذكر هنا، أن اوسيوس قد حافظ على أرثوذكسيته، خلال كل فترة المنازعة الآريوسية، بالرغم من الضغوط التي مورست عليه أيام الإمبراطور كونستانس الثاني: نفي عام ٣٥٦. وفي النهاية وبعد ضغوط قوية جداً من الأسقفين اورساس وفالنس، اضطر إلى التوقيع على قرارات مجمع سيرميوم الآريوسي عام ٣٥٧.

٢٦٦ تساءل البعض عن سبب عدم لقاء قسطنطين بآريوس في نيقوميديا، علماً أن هذا الأخير كان هناك آنذاك، عند صديقه اوسابيوس أسقف المدينة. من المرجح أنه وصديقه كانا قد اختفيا عن الأنظار لفترة بسيطة، خوفاً من الإمبراطور قسطنطين، لأن اوسابيوس كان على اتصال حميم مع كونستانسيا أخت قسطنطين، وبالتالي مع زوجها الإمبراطور ليكينيوس، الذي كسره قسطنطين قبل وصوله إلى نيقوميديا.

٢٦٧ Simonetti M., La crisi ariana nel IV secolo. Roma 1975.

لقسطنطين، لفشل مساعيه. إلا أن عزيمته لم تفتر، وأخذ يفكر ليجد حلاً لهذه المعضلة[٢٦٨].

قرر قسطنطين دعوة الكنيسة جمعاء -ممثلة بأساقفتها- إلى اجتماع عام في بيثينيا. فكتب إلى رؤساء الكنائس، في كل مكان، يدعوهم ليتواجدوا هناك في اليوم المحدد لسببين، نعني النزاع الآريوسي، وتحديد تاريخ الفصح السنوي. وشدد على مشاركته الشخصية في الاجتماع[٢٦٩]. فكان المجمع المسكوني الأول في الكنيسة، في نيقيا، عام ٣٢٥[٢٧٠].

لعل فكرة اجتماع كبير موسع لحل النزاع، كانت قد راودت الجميع، ولعل الأسقف الكسندروس قد اقترحها على اوسيوس، أو لعلها فكرة اوسيوس شخصياً؛ إنما قسطنطين هو الذي التزم تحقيق هذه الفكرة، وهي منه على أغلب الظن[٢٧١]. هذا ونحن نرفض ما يعتقده بعض المؤرخين، من أن "الهدف من عقد هذا المجمع المسكوني الأول، هو إظهار الكنيسة قوية ومتماسكة، في تحديد مفاهيمها اللاهوتية، ووحدة معتقدها الإيماني، وحمل أصحاب البدعة على العودة عن أضاليلهم، وفرز الخارجين عن وحدة الرأي، فيتعظ بهم من سوّلت له نفسه المساس بجوهر إيمان الكنيسة". وهذا الرفض نابع من مجرى التاريخ آنذاك، إذ إن قسطنطين لم يكن يعلم بالتمام موضوع الخلاف، كما أنه كان يجهل نتيجته. كانت كل رغبته وأمله، إعادة اللُحمة بين آريوس والكسندروس، وبين الغرب والجزء المخالف في آسيا بخصوص عيد الفصح، ليعيد جمع شمل جميع الفرقاء[٢٧٢].

٢٦٨ سوزومينوس ١: ١٦/١و٣؛ De Urbina., 24-26

٢٦٩ يقول قسطنطين في رسالته إلى الكنائس: "بما أني رأيت أنه لمن المستحيل أن يعمّ نظام ثابت وأكيد إلا باجتماع الأساقفة كلهم معاً، أو على الأقل غالبيتهم، في مكان واحد، حتى يفحص كل منهم المسائل المتعلقة بالديانة المقدسة، لهذا السبب فليجتمعوا بأكبر عدد ممكن؛ وأنا نفسي (أكون) حاضراً كواحد منكم؛ لأني لا أستطيع إنكار أني حاميكم، وهذا ما يبهجني؛ وبعد أن تفحص كل الأمور بدقة، يُتخذ القرار المرضي لدى الله بانسجام واتحاد، والله يراقب كل الأمور بدقة، حتى لا يبقى أي موضوع قابل الخلاف أو الجدل حول الإيمان". Grillmeier., I. 504-505.

٢٧٠ De Urbina., 52; H-L., I,1. 384; P.B. Les documents de la "Vita Constantini": Bulletin d'Ancienne littérature et d'Archéologie Chrétienne (1914). 81-95.

٢٧١ Hergenröther., II. 42.

٢٧٢ يقول الأب جورج خوام في مقدمة كتاب ليوحنا الذهبي الفم ما يلي: "فلم يستكن [آريوس] لتهديدات أسقفه ولم ينقد لمقررات المجمع، بل راح يبث دون ارتداع أضاليله، داعياً إلى محاربة ذوي

www.old-criticism.blogspot.com

حدد قسطنطين أولاً انقيرة (اليوم أنقرة عاصمة تركيا) مكاناً للاجتماع، ولكن ما لبث أن غيّر رأيه، ونقله إلى نيقيا[٢٧٣] في بيثينيا، وذلك لتسهيل وصول الغربيين،

الرأي المخالف. لذلك، كان لا بدّ للكنيسة الجامعة، بعد عجز الكنيسة المحلية عن التوصل إلى إخماد جذوة الدعوة الآريوسية، من حشد رعاة القطيع المسيحي بكامله، لوضع حدّ لهذا البلبال الذي راج في مناطق عدة من أرجاء الإمبراطورية، فأمست القضية تستوجب معالجة على مستوى أرفع، بمشاركة أكبر عدد من الأساقفة، ولا سيما وأن عدداً منهم قد انضم إلى المذهب الجديد. لهذا السبب، بات ضرورة ماسة "تدويل" هذه المسألة كما نقول اليوم، بالتئام جميع أساقفة الأمصار في مجمع واحد يضمهم معاً، ويمثل الكنيسة الواحدة المعترف بها في الدولة الرومانية. إن هذا التدبير هو الذي أضفى على المجمع صفته المسكونية، وقد كان يهدف إلى تحقيق غرضين اثنين: الأول إظهار وحدة المعتقد القويم الذي تؤمن به، وتسير عليه الكنيسة الواحدة المحاطة بعالم وثني مادي مهترئ، خسر الكثير من عظمته وسحره وانتشاره؛ والثاني توطيد الإيمان المسيحي الصحيح المتوارث عن الرسل والآباء في قلوب المؤمنين وعقولهم، فلا يرتابون من بعد بما بُشروا به. لذلك، كان حضور أساقفة العالم المسيحي، لا ضرورة حتمية وحسب، بل الجواب الأوحد على الأزمة الآريوسية. كما قطعت الكنيسة بتدبيرها الحكيم هذا، أي جعل المجمع المنعقد في نيقيا مسكونياً، الطريق على المتربصين بها شراً، والطامحين في استعادة نفوذهم وفتنتهم السالفة، الساعين إلى إظهار الكنيسة منقسمة على نفسها، وغير قادرة على جمع الشمل حول كلمة واحدة". يوحنا الذهبي الفم، في أن الله لا يمكن إدراكه. (أقدم النصوص المسيحية. سلسلة النصوص اللاهوتية ٤). بيروت ١٩٩٢. ١٥-١٦.

تبدو لنا الصورة، تاريخياً، مختلفة جداً والنظرة مغايرة كلياً، لأن الكنيسة آنذاك كانت متورطة في النزاع الآريوسي، ولم تكن هي التي دعت إلى مجمع، إنما كان الأمر يتخطاها؛ كما لم تفكر البتة لا في إظهار وحدة المعتقد ولا في توطيد الإيمان، ولا نظن أيضاً أن هدف آريوس أو غيره كان إظهار الكنيسة منقسمة على نفسها.

كل ما هنالك نزاع عقائدي قام بين الكسندروس أسقف الإسكندرية، وأحد كهنته آريوس، أدى إلى انقسام الكنيسة إلى فريقين، وباتت المشكلة لعبة شد حبال، أي في من هو الأقوى والقادر على تثبيت رأيه. من المؤكد أن قسطنطين هو الذي دعا إلى المجمع وسهّل الأمور، كي يتمكن أكبر عدد من الأساقفة من الحضور إلى المجمع والمشاركة فيه. ولم تكن الكنيسة هي التي "وضعت المجمع تحت إشراف الإمبراطور قسطنطين، الذي يمثل السلطة المطلقة في أعين المجتمع الروماني"، لذا لا يمكن القول إن "فطنة الآباء الأولين قادت خطاهم إلى إكساب المجمع أهمية تاريخية، باشراك السلطة الزمنية العليا فيه"، لأن السلطة الزمنية هي التي فرضت ذاتها، وفرضت انعقاد المجمع وذلك لصالحها أولاً ثم لصالح الكنيسة فيما بعد.

٢٧٣ كانت نيقيا مدينة تجارية، سهل الوصول إليها، ولها علاقات مع كل المدن، وهي ثاني المدن في بثينيا بعد نيقوميديا مقر الإمبراطور. تقع نيقيا، وتدعى اليوم ايزنيك Isnik وهي قرية في تركيا، في الطرف الشرقي لبحيرة اسكانيوس، في السهل الصغير إلى شمالي-شرقي بروس وجبل الاولمب في بيثينيا. تأسست في نهاية القرن الرابع قبل المسيح على يد انتيغون ابن فيليبس، وسمّاها على اسمه انتيغونيا. وعندما احتلها ملك مقدونيا المسمى ليزيماك Lysimaque، أراد اعطاءها أهمية أكبر، فأسكن فيها عدداً كبيراً من الشعب، وأهداها لزوجته وسماها باسمها نيقيا، ابنة انتيباتر Nikaia, fille d'Antipater . بقيت نيقيا لفترة من الزمن مقر الملوك البيثينيين، ولكن عندما شيّد نيقوميدوس الأول مدينة نيقوميديا، وبنى فيها قصراً عام ٢٦٤ قبل المسيح، ترك نيقيا ليعيش في العاصمة الجديدة، خاصة وأن جو نيقيا غير صحي في الصيف بسبب الرطوبة. لذا كانت نيقيا في منافسة مع نيقوميديا، في أي منهما تكون "الميتروبوليس" أي عاصمة الأقليم. سنة ٧٤ ق.م. صارت نيقيا مدينة رومانية. هدمها

ولأن جو هذه المدينة لطيف ومعتدل، وهي قريبة من نيقوميديا، كي يتسنى له الحضور شخصياً[٢٧٤].

كتب الإمبراطور إلى جميع أساقفة العالم، ودعاهم إلى مجمع في نيقيا[٢٧٥]، لحل النزاع الآريوسي ومن أجل توحيد عيد الفصح. ووضع تحت تصرف الجميع، وسائل النقل الإمبراطورية لتسهيل السفر[٢٧٦]، وتخفيف عبء النفقات عنهم.

ومما يجب أن يذكر في هذا المجال، أن الإمبراطور قسطنطين لم يستشر كرسي روما، بما يخص الدعوة إلى مجمع مسكوني[٢٧٧]، إنما بعث بدعوة إلى سلفستروس بابا روما كسائر الأساقفة. وسوف نرى فيما بعد أن المجامع الثمانية المسكونية الأولى كلها، دعا إليها الأباطرة بمرسوم منهم، ولم يكن هناك أي معارضة من أحد، كما لم يعتبر أحد ذلك تعدياً من السلطة المدنية على السلطة الكنسية، لا بل اعتبروها دعماً لسلطتهم وسنداً لها (راجع مجمع خلقيدونيا مثلاً). ولقد ثبت البابا موافقته على الدعوة الإمبراطورية، بإرسال كاهنين من قبله[٢٧٨].

ثانياً- مجمع أنطاكية (٣٢٥) يسبق نيقيا في إدانة آريوس

لما خلا كرسي أنطاكية في أواخر عام ٣٢٤، إثر وفاة أسقفها فيلوغونوس (٣١٩-٣٢٤)، هرع الأساقفة إلى أنطاكية، للتشاور في أمر الخلافة الرسولية.

الاحتلال التركي ففقدت بهاءها القديم. تمّت الاجتماعات فيها في كنيسة نيقيا الكبرى، وفي القصر الملوكي. Janin R., Etude historique et topographique de Nicée: EO 24 (1925). 482-488; H-L., I,1. 409.

٢٧٤ COD 1; F-M., III. 81; H-L., I,1. 409.

٢٧٥ راجع نص الدعوة في الملحق رقم ٦.

٢٧٦ في كتاب "حياة قسطنطين" يقول لنا اوسابيوس بهذا الخصوص ما يلي: "بما أنه [قسطنطين] كان يروم محاربة عدو الكنيسة الذي لا يُرى، جمع قسطنطين كتائب الله لمجمع مسكوني، فاستدعى، بكل سرعة ومن جميع الجهات، الأساقفة، برسائل كلها احترام. ولم يكتفِ بإعطاء أمر فقط، بل سمح بكرم منه، لتنفيذ ذلك، استعمال "العربات العامة" للبعض، والمراكب الضرورية للآخرين. واختار للمجمع مدينة عريقة نيقيا في بثينيا. هرع الناس كلهم بفرح عندما علموا بذلك".

٢٧٧ موضوع طرحه العديد من المؤرخين، وتأكد أنه لم يكن لقسطنطين متسع من الوقت، لإرسال مبعوث إلى روما، وطلب السماح، ثم إرسال المبعوث من جديد، كي ترسل روما المندوبين. من المؤكد أنه لم يُفكر قطعاً باستشارة أحد.

٢٧٨ De Urbina., 27-29.

www.old-criticism.blogspot.com

وكان صدى النزاع الآريوسي، قد بلغ مسامع الأساقفة الأنطاكيين، فاغتنموا فرصة عقد مجمعهم، للتباحث في هذا الموضوع.

انعقد هذا المجمع الأنطاكي[٢٧٩] في بداية عام ٣٢٥، لانتخاب أسقف لهذه المدينة. فاجتمع ٥٦ أسقفاً من فلسطين وفينيقيا، وسوريا وكيليكيا، والكبادوك والجزيرة العربية، برئاسة اوسابيوس أسقف قيصرية فلسطين. وبعد انتخاب افستاثيوس أسقفاً (٣٢٥-٣٣٠) لمدينة الله أنطاكية، ناقش المجتمعون الموضوع الثاني، موضوع آريوس الذي حكم عليه الكسندروس "الحبيب" -كما يسمونه- أسقف الإسكندرية. فبعد أن استعرضوا رسالة زميلهم الكسندروس الإسكندري، لاحظوا ابتعاد آريوس عن تعاليم الكتاب المقدس، وخروجه عن تقليد الكنيسة الرسولي واللاهوتي، والضرر الذي يمكن أن يلحق بالمؤمنين من جرائه، فطالبت الأغلبية بإدانة آريوس، للحفاظ على الإيمان المستقيم سالماً.

أعلن الآباء آنذاك قانون إيمان مشترك[٢٨٠]، معارضاً للآريوسية -لا نجد فيه كلمة "مساوٍ في الجوهر"- كان أسقف بيريا (حلب) قد عرضه على آباء المجمع، طالباً منهم إدانة آريوس المبتدع[٢٨١]. وقّع كل الحاضرين قرارات المجمع، وقانون الإيمان، باستثناء كل من اوسابيوس القيصري، وثيودوتوس أسقف اللاذقية، ونارکيسيوس أسقف نيرونياس (بانياس) إحدى المدن العشر. حكم المجمع على آريوس وأفكاره، إذ وعى الآباء خطورة أخطائه، وخروجها عن تعاليم الكتاب المقدس والتقليد الرسولي، وكذلك أدركوا مدى آثارها السلبية والسيئة على حياة المؤمنين، فهو موضوع يهمهم ويمس كنائسهم ورعاياهم؛ كما حكم الآباء على الرافضين التوقيع، وعلى الآريوسية والآريوسيين، وأعطاهم مهلة للتوبة. وفي ختام

---

٢٧٩ Seeberg E.., Die Synode von Antiochien im Jahre 324-325. Berlin 1913; Cross F-L., The council of Antioch in 325 A.D.: Church Quarterly Review 128 (1939). 49-76.

٢٨٠ يمكن مراجعته في الملحق رقم ١٦.

٢٨١ نادى الآباء بإله فائق القدرة، أزلي لا يتغيّر، خالق السماء والأرض، وكل ما هو موجود، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور. F-M., III. 75-80 ؛ رستم، ج ١. ١٩٨.

www.old-criticism.blogspot.com

المجمع، وجه الآباء رسالة مجمعية إلى الأساقفة، بمن فيهم بابا روما، الذي وافق على ما اعتمده آباء هذا المجمع[٢٨٢].

ثالثاً- مجريات المجمع وأعماله

١) آباء المجمع

اعتادت الكنيسة، تقليدياً، تسمية هذا المجمع المسكوني الأول، بمجمع الثلاثمائة وثمانية عشر أباً، علماً بأن عدد الآباء بالحقيقة غير مؤكد، ولربما لم يتجاوز الثلاثمائة أسقف. وقد اختلف رأي المؤرخين، فيما يخص تحديد العدد الصحيح. ويبدو أن هذا الاختلاف الطفيف في الرقم، عائد، في الواقع، إلى اشتراك أساقفة جدد، بين شهر وآخر، وصلوا متأخرين إلى المجمع. ويعود سبب الاختلاف أيضاً إلى كثرة روايات المؤرخين الكنسيين، سواء في العصور القديمة، أم في العصور الحديثة. ولسوف نرى أن عدد الآباء الفعلي، لم ينقص عن المائتين والعشرين، كما أنه لم يتعدَّ الثلاثمائة أب[٢٨٣].

أضف إلى أن لائحة الآباء، الموقعين قرارات المجمع، قد أتلفها الآريوسيون، مما استدعى إعادة جمع أسماء أولئك الآباء في اجتماع لاحق، دعا إليه اثناسيوس في الإسكندرية عام ٣٦٢، ولقد سُمّي هذا المجمع "مجمع الآباء المعترفين"، وفيه أحضر كل أب ما لديه من معلومات عن مجمع نيقيا، وأعادوا جمع القوانين العشرين وقانون الإيمان النيقاوي، ولائحة الآباء التي نحن في صددها[٢٨٤].

---

٢٨٢ دار الجدال طويلاً لدى المؤرخين، حول تأكيد انعقاد هذا المجمع: فالأدلة الإيجابية كانت ترتكز على توافقه وتاريخ بدعة آريوس أولاً، ثم على أسماء الآباء المجتمعين ومراكز كراسيهم -وهم الذين كانوا في عداد المجتمعين أيضاً في نيقيا فيما بعد. أما الذين أنكروا حصول هذا المجمع، فقد ركزوا شكهم على صمت المراجع اليونانية واللاتينية: لا نجد فعلياً ذكراً له إلا في نسخة سريانية تحتوي على مجموعة قوانين المجامع؛ ومما زاد شكهم، هو أن أول الموقعين كان اوسابيوس. أي اوسابيوس؟ فالأسقفان اللذان كانا يحملان هذا الاسم هما من مناصري آريوس، فهل يُعقل أن يكون أحدهما قد وقّع ضده؟ ولماذا كان أول الموقعين؟

٢٨٣ Cf. Gelzer H., Patrum Nicœnorum nomina. Lipsiae 1898; Schwartz E., Uber die Bischoflisten der Synoden von Chalkedon, Nicaea und Konstantinopel. Munchen 1937.

٢٨٤ Cf DACL XII. 1214.

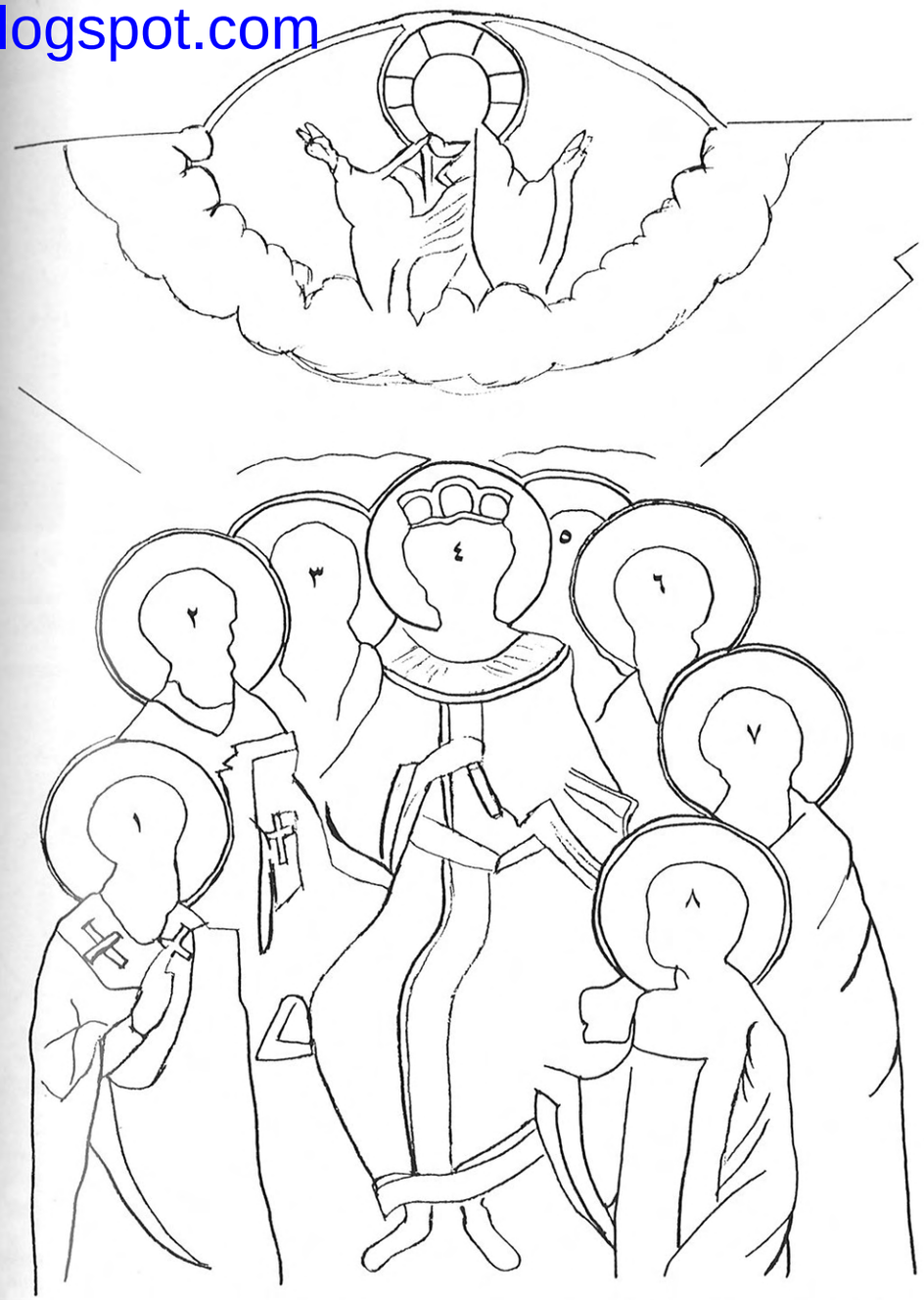

١. الكسندروس أسقف الإسكندرية
٢. نيقولاوس أسقف ميرا
٣. سبيريدونوس أسقف قبرص
٤. الإمبراطور قسطنطين الكبير
٥. الأسم غير واضح
٦. افستاثيوس أسقف أنطاكية
٧. اوسيوس أسقف قرطبة
٨. الشماس اثناسيوس الإسكندري

www.old-criticism.blogspot.com

فإذا ما ارتكزنا، مثلاً، على ما يقوله اوسابيوس المؤرخ، الشخص الأقرب للمجمع، فإنه يقول في كتابه "حياة قسطنطين"، إن عدد آباء مجمع نيقيا الأول، كان يفوق المئتين وخمسين أسقفاً، باستثناء الكهنة والشمامسة وبقية الإكليروس؛ أما الخدام المرافقون فعددهم لا يحصى[٢٨٥]. ونرى أن هذا العدد، يختلف باختلاف الكُتّاب والمؤرخين، ونراه كل مرة يزيد: فمع افستاثيوس الأنطاكي، أصبح عدد الآباء مائتين وسبعين أسقفاً[٢٨٦]؛ أما الشماس اثناسيوس الذي رافق أسقفه الكسندروس إلى المجمع، وكان شاهد عيان ولعب دوراً مهماً فيه، فقد أحصى عدد الآباء بثلاثمائة أسقف[٢٨٧]؛ بينما يتردد ثيودوريتوس أسقف قورش، فيعتبر أن عددهم كان يتراوح بين ٢٧٠ و٣١٨ أسقفاً. لكن جيلاسيوس السيراني أسقف كيزيكو[٢٨٨] يؤكد أنهم كانوا أكثر من ثلاثمائة[٢٨٩]. ويقول ايلاريون أسقف بواتييه (٣١٥-٣٦٧) إنهم كانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أباً[٢٩٠]. ويروي لنا افتيخيوس بطريرك الإسكندرية (٩٣٣-٩٤٠)، المكنى بسعيد ابن البطريق في كتابه "التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق"، أن عدد الآباء الذين اجتمعوا في نيقيا، فاق الألفين، ومنهم اختار الملك قسطنطين الآباء الثلاثمائة وثمانية عشر[٢٩١]. بينما يذكر

٢٨٥ PG 20. 1061.
يعدد سقراط المؤرخ، نقلاً عن اوسابيوس، الأماكن التي حضر منها آباء المجمع لكن دون أن يذكر عدد الآباء. PG 67.62. بينما يحدد المؤرخ سوزومينوس عدد الأساقفة فيقول إنهم كانوا نحو ٣٢٠ أسقفاً. PG 67. 911
يذكر لنا سوزومينوس باستثناء الجمهور الغفير من الكهنة والشمامسة المرافقين الأساقفة، حضور رجال خبراء في فن الجدل للتدخل في حال الضرورة في النقاشات ومساندتها. كما يذكر مشاركة بعض الفلاسفة الوثنيين ومن بينهم اثنان ارتدا إلى الإيمان بفضل بساطة أسقفين متقدمين في السن تناقشا معهما. راجع ١: ٣/١٧ و١: ١/١٨.
٢٨٦ وهو ما ينقله ثيودوريتوس أسقف قورش عن افستاثيوس PG 82. 922.
٢٨٧ يذكر اثناسيوس الرقم ٣١٨ لعدد الأساقفة في نيقيا في رسالته إلى أفروس : PG 26. 1031
٢٨٨ جيلاسيوس السيراني أسقف كيزيكو Gélase de Cirène de Cyzique. Mansi., II. 818
٢٨٩ PG 82. 916-918.
٢٩٠ COD 8. ؛ رستم، ج ١. ١٩٩-٢٠٠. ويبدو أن هذا العدد قد أصبح معترفاً به، ومقرراً نهائياً منذ أواخر القرن الرابع.
٢٩١ يذكر لوكليرك، في مقاله عن نيقيا، أن بعض المصادر العربية، تتحدث عن أكثر من ألفي أسقف اجتمع في نيقيا. وذلك بسبب خلط بين كل درجات الإكليروس الحاضرين في نيقيا. يسرد افتيخيوس بطريرك الإسكندرية، الرواية التالية عن آباء مجمع نيقيا: "...فبعث قسطنطين الملك إلى جميع البلدان، فجمع البطاركة والأساقفة. فاجتمع في مدينة نيقيا بعد سنة وشهرين، ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً (٢٠٤٨)؛

روفينوس (٣٤٠-٤١٠) في تاريخ الكنيسة الذي تركه -وهو تكملة لتاريخ اوسابيوس الكنسي- أنهم كانوا ٣٢٠ أباً[٢٩٢]، وهو الرقم نفسه الذي يقدمه مجمع خلقيدونيا[٢٩٣].

ويثبت القديس امبروسيوس (٣٤٠-٣٩٧)، الرقم ثلاثمائة وثمانية عشر أباً، ولقد تبعه في ذلك كل الأوروبيين[٢٩٤]؛ إنما اتخذ هذا الرقم بالذات، كعدد مقدس، وكرمز للخدام الثلاثمائة وثمانية عشرة لدى إبراهيم، المذكورين في سفر التكوين[٢٩٥].

قدم آباء نيقيا من مختلف البلاد، ومثّلوا غالبية المقاطعات: فقد حضر أساقفة من اليونان وسوريا وفينيقيا، وفلسطين ومصر وطيبة، وليبيا وكيليكيا والعربية وبلاد ما بين النهرين، وغلاطية وكبادوكيا وآسيا، وفريجيا وبمفيليا وتراقيا، ومكدونيا وآخائية وابيروس[٢٩٦]؛ كما حضره أيضاً من الغرب، كل من اوسيوس، أسقف قرطبة، من إسبانيا، الذي سبق أن ذكرناه، ونيكاسيوس أسقف ديجون من بلاد الغال، واستورجيس أسقف ميلانو، ومرقس أسقف كالابريا من إيطاليا الجنوبية،

وكانوا مختلفي الآراء والأديان...فلما سمع قسطنطين مقالاتهم عجب من هذا الاختلاف، وأخلى لهم داراً أقام لهم فيها الإنزال، وأمرهم أن يتناظروا لينظر مع من الدين الصحيح فيتبعه. فاتفق منهم هؤلاء الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً على دين واحد ورأي واحد فتناظروا باقي الأساقفة وناظروهم. فافلجوا عليهم حججهم واظهروا الدين المستقيم. وكان أيضاً باقي الأساقفة مختلفي الآراء والأديان. ووضع الملك الثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا فيها ما ينبغي لكم أن تصنعوا... وكان رئيس الجمع والمقدم فيه لالكسندروس بطريرك الإسكندرية واسطات بطريرك أنطاكية ومقاريوس أسقف بيت المقدس. كما وجه سلبسطرس بطريرك رومية من عنده قسيسين اسم أحدهما بقطر والآخر فيكنتيوس". Eutychii patriarcæ Alexandrini Annales. CSCO 50-51. Louvain 1954 passim.
٢٩٢ PL 21. 467.
٢٩٣ Mansi., 6. 955.
٢٩٤ PL 16. 552. ويؤكد لوكليرك ذلك ببعض البراهين من الآثار .. Cf. DACL XII. 1212-1214
٢٩٥ راجع تك ١٤، ١٤. يُعتقد، حسب التقليد، أن الحرف T في اليونانية يرمز إلى الصليب ويعادل رقم ٣٠٠؛ وأن أول حرفين من أسم يسوع Ισ(ους) يرمزان إلى الرقم ١٨؛ ومجموع الرقمين يرمز بالتالي إلى المسيح المصلوب المخلص والفادي. Aubineau M., Les 318...12
٢٩٦ توزع آباء المجمع حسب المناطق على الشكل التالي: نحو ١٠٠ أب من آسيا الصغرى، ونحو ٣٠ من سوريا وفينيقيا، وأقل من ٢٠ من فلسطين ومصر؛ وثلاثة أو أربعة أساقفة غربيين متواجدين في البلاط. AA-VV., Nuova storia della chiesa. I. 299 ; Socrates: PG 67. 62; F-M., III. 81-83.

www.old-criticism.blogspot.com

ودومنوس أسقف ستريدون (في بانونيا)، وممثلان عن كرسي روما، هما الكاهنان فكتور وفينشنزو، لأن البابا سلفستروس الأول (٣١٤-٣٣٥)، لم يستطع الحضور بسبب تقدمه في السن. كما كان حاضراً سيسيليانوس أسقف قرطاجة من أفريقيا[٢٩٧].

وكان بين الحضور قديسون ومعترفون، ممن حمل سمات الاضطهاد الأخير من تعذيب وتنكيل ظاهرة في أجسادهم، أمثال بولس أسقف قيصرية الجديدة، وكان مشلول اليدين من الحريق بالحديد المحمّى أيام ليكينيوس، وبافنوس الراهب المصري، أسقف طيبة العليا، الذي فُقئت إحدى عينيه[٢٩٨]، وامفيون أسقف ابيفاني وبوتامون أسقف هيراكليا[٢٩٩].

كما كان بين آباء المجمع، أشخاص عُرفوا بحكمتهم وثقافتهم، نذكر منهم الكسندروس أسقف الإسكندرية، ومرافقه الشماس اثناسيوس الذي تميز بمداخلاته السديدة، وحارب البدعة الآريوسية، بكل ما أوتي من قوة وذكاء، سواءً خلال المجمع أو بعده؛ وسوف يخلف أسقفه على كرسي الإسكندرية سنة ٣٢٨. وافستاثيوس أسقف أنطاكية[٣٠٠]، ومكاريوس أسقف أورشليم، وهيباتيوس أسقف غنغرة، ومركلوس أسقف انقيرة. كما كان هناك آباء قديسون صانعو العجائب، أمثال يعقوب أسقف نصيبين الصانع العجائب، ونيقولاوس أسقف ميرا في ليكيا، وسبيريدون أسقف قبرص[٣٠١]، ولاونديوس أسقف قيصرية، الذي كانت لديه موهبة النبوءة.[٣٠٢]

٢٩٧ Cf. Pincherle A., Ancora sull'arianesimo e la chiesa africana nel IV secolo: SMSR 29 (1968). 169-182.

٢٩٨ تلميذ القديس انطونيوس؛ أُخرج من ديره لكي يُسام أسقفاً على إحدى المدن المصرية؛ اعتُقل بافنوس أيام اضطهاد مكسيمينوس دايا (٣٠٨)، وحُكم عليه بالأعمال الشاقة في المناجم. أُخلي سبيله بعد أن فقئت إحدى عينيه (٣١١). فانزوى في دير من أديار سيناء يعيش حياة نسكية قاسية. كان آباء المجمع يحترمونه باعتباره من الآباء المعترفين؛ شارك عام ٣٣٥ في المجمع اللصوصي في صور؛ توفي عام ٣٦٠.

٢٩٩ Jedin., 21; Hergenröther., 43; H-L., I.1. 409-413.

٣٠٠ كان افستاثيوس أسقف مدينة بيريا (حلب)؛ انتُخب بطريركاً لكرسي أنطاكية، قبل المجمع بأشهر قليلة (٣٢٥). وكان افستاثيوس معروفاً بعدائه المُعلن لاوريجانوس؛ وقد دافع عن فكرة "المساوي للآب في الجوهر" في المجمع بكل قواه، مما سبب له، فيما بعد، خلعه عن كرسيه عام ٣٣٠ من قِبل الآريوسيين.

٣٠١ راجع سيرته في السنكسار في ١٢ كانون الأول وفيها موقف هذا القديس في مجمع نيقيا:
"وجاء اليوم الذي دعا فيه قسطنطين الملك أساقفة الدنيا إلى مدينة نيقيا، ليبحثوا في ضلال آريوس وتعليمه، فسهّل لهم ذلك الملك العظيم، أسباب الراحة في الأسفار، ووضع المركبات الملوكية ومراكب

٢) النقاشات السابقة لبدء المجمع

لم يختلف المؤرخون بخصوص سنة المجمع (٣٢٥)، إنما اختلفوا في تحديد اليوم والشهر: بين أيار وآب؟ اعتبر البعض أن بداية المجمع قد تأخرت بسبب غياب

الدولة الرومانية في سبيل خدمتهم. فلبوا الدعوة، وأقبلوا من أقاصي المعمورة إلى ذلك المجمع العام الأول. فذهب سبيريدون أيضاً إليه، وهو يحمل في قلبه إيمانه العظيم بألوهية السيد المسيح، وحقيقة الثالوث الأقدس. فلما وصل هذا الشيخ الجليل إلى نيقيا، ودخل على آباء المجمع، وعلى كتفيه فروة من جلود الغنم، وفي وجهه لحية كثيفة بيضاء، وعلى محياه سمات القديسين المعترفين، قام الجميع له إجلالاً، وحيّاه الملك قسطنطين الكبير تحية إكرام واحترام.
والتأم المجمع المسكوني الأول بحضور الملك قسطنطين نفسه ورجال بلاطه. وكان بين آبائه كثير من كبار القديسين المعترفين، أمثال بافنوس وسبيريدون، ومن زعماء الفلاسفة المفوهين، أمثال الكسندرس واثناسيوس. فهؤلاء ناضلوا عن الإيمان المستقيم بسلاح العلم والكتب المقدسة، وأولئك بسلاح التقليد وما أخذوه عن الرسل من الإيمان جيلاً بعد جيل، وعلموه رعاياهم، من أن الله هو واحد في ثلاثة أقانيم، وأن الابن يسوع المسيح هو مساوٍ لابيه في الأزلية واللاهوت والمجد والكرامة. وهكذا انتصر الإيمان وخزي الضلال.
ويُروى أن بعض الفلاسفة الوثنيين، حاوروا الآباء القديسين في بعض قضايا الإيمان، ساعات طوالاً، بلا فائدة ولا جدوى. فقام سبيريدون أمام الجميع وقطع الكلام على المتجادلين، وتقدم إلى الفلاسفة الوثنيين، كمن يريد أن يُقنعهم ويُفحمهم. فخاف رجال العلم من تقصير يصدر من هذا الأسقف البسيط، ومسكوا أنفاسهم ليسمعوه ويسرعوا إلى نجدته. أما هو فلم يُبالِ بأحد، بل التفت إلى زعيم أولئك المتفلسفين الوثنيين وقال له بلهجة الثبات والاقتناع: "باسم يسوعَ المسيح اسمع ما أقوله لك: إن الله هو واحد، وهو خالق السماوات والأرض، وكل ما يُرى وما لا يُرى. وقد أبدعها من العدم إلى الوجود بقوة كلمته، وثبتها بقداسة روحه. وإن الكلمة الذي ندعوه نحن المسيحيين ابنه، قد رئف بالبشرية الضالة، وأخذ جسداً من فتاة بتول، ثم تألم ومات لكي ينقذنا من موت الخطيئة ومن الهلاك الأبدي. ثم قام من بين الأموات وصعد إلى السماوات، وهو مزمع أن يأتي مرة ثانية ليدين العالم أجمع. أفتؤمن أنت بهذا؟ فانذهل الفيلسوف من هذا الخطاب، ومن جرأة سبيريدون الرسولية وإيمانه البسيط الحي؛ وحركت نعمة الروح القدس قلبه، فالتفت إلى من حوله من تلاميذه وقال لهم: "أنا أؤمن بما يقوله هذا الشيخ الجليل؛ أفلا تؤمنون أنتم أيضاً بهذا؟". ثم ذهب مع القديس سبيريدون إلى الكنيسة، وقبل من يده سر العماد. وما زال برهان القداسة أفصح بياناً من علوم الفلاسفة". نقلاً عن: كتاب السنكسار المشتمل على سير القديسين... للارشمندريت ميشيل عساف، ج ٤. حريصا، المطبعة البولسية، دون تاريخ. ٦٥-٦٨؛ Van Den Ven P., La légende de St. Spyridon. Louvain 1953.

٣٠٢ لزيادة في المعلومات عن أسماء المشاركين في مجمع نيقيا المذكور، يمكن مراجعة الملحقين رقم ١؛ كما يمكن مطالعة الكتب والمقالات التالية:
Aubineau M., Les 318 serviteurs d'Abraham (Gen. 14/14) et le nombre des Pères au concile de Nicée: RHE 61 (1966). 5-43; Honigmann E., La liste originale des Pères de Nicée: Bz 14 (1939). 71 sq.; Id., The original lists of the members of the council of Nicæa; the Robber Synod & the council of Chalcedon: Bz 16 (1942-43). 20-28; Rivère J., Un cas de symbolisme arithmétique chez St. Ambroise: RTAM 6 (1934). 361-367.

www.old-criticism.blogspot.com

الإمبراطور، وأنه حصلت مناقشات "غير رسمية" حتى ١٤ حزيران؛ وأن قسطنطين وصل بين الرابع عشر والسادس عشر منه، وافتتح المجمع رسمياً[٣٠٣]! ومن المرجح -وهذا ما تؤكده أغلبية المراجع- أن يكون موعد افتتاح المجمع، يوم العشرين من شهر أيار عام ٣٢٥[٣٠٤].

أراد آريوس ومناصروه، أن يمهدوا الطريق، جاهدين بإقناع الأساقفة بفضل جدليتهم، علّهم يجمعون حولهم مناصرين جدداً، فيكسبوا المجمع؛ وفعل خصومهم الشيء عينه. فدار النقاش، قبل افتتاح المجمع رسمياً، بين آريوس وخصومه حول النقاط المتنازع عليها بين الآباء: حول إمكانية إدخال بعض التعديلات أو التفسيرات على الإيمان المنقول لنا من الأقدمين أو المحافظة على هذا الإيمان التقليدي: كان رأي الخصوم، عدم المساس بأي شيء يتعلق بالإيمان التقليدي، بينما قال الآريوسيون: علينا ألا نقبل العقائد القديمة دون تبصر، بل يجب فهمها وتمييزها. "ورأى بعض الأساقفة، كما يحصل غالباً، أن الساعة مؤاتية لمحاسبة من كان يزعجهم، فراحوا يدافعون عن مصالحهم الشخصية. فقدم كل منهم كتاباً هجائياً إلى الإمبراطور، ينطوي على ما يلوم به الآخر، ويتضمن الأخطاء التي ارتُكبت بحقه"[٣٠٥]، كما حاول أيضاً كل من طرفي النزاع الآريوسي، رفع الشكاوى إلى قسطنطين. وبما أن ذلك كان يحصل كل يوم وبتواتر، حدد الإمبراطور يوماً معيناً، ليقدم فيه كل واحد اتهاماته، وطلب من الجميع ملازمة الصمت بهذا الخصوص فيما بينهم، وانتظار المجمع. وجاء اليوم المحدد، واستلم الإمبراطور كل هذه الرسائل الموجهة إليه، وقال للجميع: "إن لهذه الاتهامات يوماً مناسباً، هو يوم الدينونة العامة، وسيقضي فيها ذاك الذي سيحاكم الجميع. أما أنا، فلست سوى إنسان، ومن غير المسموح لي أن أستمع لمثل هذه الأشياء، خصوصاً عندما يكون المتَهمون والمتَهَمون أساقفة، لا ينبغي عليهم أن يدينوا غيرهم، كما يفعل الناس الآخَرون. فلنتمثل بالعطف الإلهي، ولتُمحَ كل هذه الاتهامات بالمسامحة المتبادلة؛ ولنتصالح ونعمل جميعاً من أجل خير الإيمان: لهذا السبب نحن مجتمعون هنا". ثم

٣٠٣ H-L., I,1. 416-419.
٣٠٤ De Urbina., 59.
٣٠٥ سوزومينوس ١: ٣/١٧.

أمر بإيقاف العمل في كل الاتهامات، وطلب حرق رسائل الشكاوى، وحدد يوم العمل لحل المشاكل العالقة.[٣٠٦]

٣) افتتاح المجمع

صباح اليوم المحدد، العشرين من شهر أيار، افتتح المجمع جلساته، في صالة القصر الإمبراطوري الصيفي، وكانت أغلبية الأساقفة من الجهة الشرقية للإمبراطورية[٣٠٧]، ورغم ذلك، سيكون "المجمع المسكوني الأول"[٣٠٨].

عندما دخل الإمبراطور قسطنطين قاعة الاجتماع، لابساً البرفير والأرجوان، المرصع بالذهب، وأمامه الخدام، وأفراد من الحاشية وبعض المقربين، وقد اختارهم بأجمعهم من المسيحيين، كان تواضعه واحتشام موقفه، يناقضان بهاء هيئته، وقف الآباء احتراماً، وكانوا مصطفين على خطين وجهاً لوجه، وحيّوا الإمبراطور الداخل ليرئس الجلسة. وعندما اجتاز القاعة، وقُدم له الكرسي المذهب ليجلس عليه، بادر فدعا الأساقفة إلى الجلوس في نفس الوقت. ويُذكر أن الإنجيل وُضع بين الإمبراطور والأساقفة، دلالة على الحضور الإلهي بينهم، أضف إلى أنه الأساس والمقياس لكل قول.

استهل الجلسة "الأسقف الجالس عن يمين الإمبراطور"[٣٠٩]، فشكره على مبادرته الواعية هذه. فردّ قسطنطين بكلمة وجيزة باللغة اللاتينية -سرعان ما تُرجمت إلى اليونانية- قال فيها: "أشكر الله من أجل كل شيء، أصدقائي، خاصة لرؤيتي جماعتكم؛ لقد تجاوز النجاح أمنياتي، أن أجمع عدداً بهذا الحجم من أساقفة المسيح. أرغب أن أشاهدكم جميعاً متحدين، وفي شركة فكر ورأي، لأني أعتبر أن انقسام كنيسة الله أسوأ الشرور. لذلك فمنذ أن بلغني خبر أشياء، كنت أفضّل ألا

٣٠٦ المرجع ذاته، ١: ٤/١٧.
٣٠٧ في المجامع السبعة الأولى، كان أغلب الآباء من الشرق؛ ولم يتجاوز عدد الغربيين أصابع اليدين.
٣٠٨ بخصوص مسكونية هذا المجمع، يمكن مراجعة: أبرص وعرب، ج ١. ٦٦-٦٩.
٣٠٩ اختلف المؤرخون حول الشخص الذي ترأس المجمع، لأن اوسابيوس يذكر فقط "الأسقف الجالس عن يمين الإمبراطور". من المرجح أنه كان افستاثيوس، أسقف أنطاكية، أو ربما كان اوسابيوس، أسقف قيصرية كما يقول سوزومينوس، او اوسيوس أسقف قرطبة.

www.old-criticism.blogspot.com

القديس اثناسيوس الإسكندري المدافع الصنديد عن الإيمان القويم

أسمعها، حزنت جداً بسببها، لأني علمت أنكم مختلفون فيما بينكم، أنتم الذين يليق بكم هذا أقل من سواكم، لأنكم خدام الرب وقضاة السلام. ولهذا جمعت هذا المجمع المقدس، حيث أنتم حاضرون. والتمس منكم معروفاً، بصفتي إمبراطوراً وزميلاً لكم في خدمة الله، حظوة مرضية لدى الله سيدنا ومعلمنا جميعاً، حظوة أستحق أن أنالها، حظوة تستحق أن تمنحوها: هذه الحظوة هي أن تبرزوا أسباب النزاع، وتضعوا حداً له في وحدة فكر وفي سلام، بحيث أستطيع أنا وأنتم، أن نرفع شعار الغلبة هذا، ضد الشيطان الحسود، الذي أثار هذا الخلاف المدني، بعدما طُرد البرابرة والطغاة [ليكينيوس]، لغيرته من حياتنا السعيدة"[٣١٠]. ومختصر الحديث أن قسطنطين عبر عن أسفه للخلاف الحاصل في الكنيسة، وبين الأساقفة، بسبب آريوس والكسندروس أسقفه؛ وعن رغبته وأمله بعودة الألفة والوفاق بين الكنائس جمعاء[٣١١].

٤) أعمال المجمع

نظم قسطنطين هذا المجمع، على نسق تنظيم المجالس المدنية في الإمبراطورية، تلك التي كانت تُعقد، للتداول في أمور ذات أهمية في الدولة. وكانت جلسات المجمع، على ما يبدو، عامة دائماً لجميع المشاركين، دون أن يكون هناك لجان خاصة أو ما شابه.

لم تصلنا أعمال المجمع: بالحقيقة لم يبقَ لنا منها سوى ثلاث قطع، وهي أولاً قانون الإيمان، ثم العشرين قانوناً، وأخيراً الرسالة المجمعية. فهل كان هناك محاضر جلسات فُقدت مع الزمن؟ من الواضح أنه لم يكن هناك أعمال أخرى غير تلك المذكورة. والبرهان أن القديس اثناسيوس لم يستطع، مثلاً، أن يحقق رغبة صديق له سنة ٣٥٠، أراد معرفة ما جرى في نيقيا، علماً أنه أدرى الناس بهذا الموضوع، فلو كانت هناك محاضر جلسات، لعرفها اثناسيوس، وبعثها إلى صديقه. ويذكر لنا

---

٣١٠ سوزومينوس ١: ٣/١٩.

٣١١ De Urbina., 60; Desternes., 18; Jedin., 21; F-M., III. 83-84; Dvornik., 20; H-L., I,1,. 423-424.

www.old-criticism.blogspot.com

اوسابيوس في كتابه "حياة قسطنطين "أن "كل ما تبناه الآباء، حُرر كتابة ووقّعه الجميع". وبما أنه لم يرَ أحد غير القطع الثلاثة المذكورة، ولم يشهد أحد أنه استخدم غيرها، نستنتج، بالتالي، عدم وجود سواها[٣١٢].

آ) الجدال حول الآريوسية

افتتح المجمع جلساته بالموضوع الأهم والأكثر إلحاحاً، والذي من أجله جمع قسطنطين شمل الآباء، أي بالحديث عن "بدعة" آريوس، والآراء الواردة في كتابه "المأدبة"، والأخطاء اللاهوتية الواردة فيه، وتلك التي يجاهر بها ويعلّمها للناس.

نوقشت المسائل العالقة بين آريوس والكسندروس. وكان آريوس حاضراً تلك الجلسة الأولى، فدافع بكل شدة عن آرائه العقائدية. وتجاه سفسطائية آريوس وغموض تعابيره، استُدعي مراراً إلى وسط القاعة، ليوضح فكرة له أو لمناقشة آرائه. وقد سانده بالطبع، أصحابه والموالين له، أمثال اوسابيوس النيقوميدي واوسابيوس القيصري، وثيوناس أسقف مرمريك وسيكوندوس أسقف بطوليمايس، وثيودوتوس أسقف اللاذقية واثناسيوس أسقف عين زربة، وغريغوريوس أسقف بيروت. فساعدوه على توضيح عقيدته ودعموها. وعندما أدان الآباء الأفكار الموجودة في كتاب "المأدبة"، احتدت المناقشات الطويلة، والصراعات الفكرية بين آريوس ومناصريه من جهة، وبين الفريق الأرثوذكسي المناوئ، وقد تزعمه مركلوس الانقيري وافستاثيوس الأنطاكي، والكسندروس الإسكندري وشماسه اثناسيوس، مرافق الأسقف الكسندروس من جهة أخرى[٣١٣].

---

٣١٢ مصادر أعمال مجمع نيقيا الأول مأخوذة، في الأصل، من كتاب لاوسابيوس "حياة قسطنطين"، ومن المؤرخين القدماء سقراط وسوزومينوس وثيودوريتوس وروفينوس، ومن بعض كتابات القديس اثناسيوس، خاصة كتابه "مراسيم مجمع نيقيا" "De decretis synodi Nicoenae"، ورسالته إلى افروس Afros، وكتاب جيلاسيوس أسقف كيزيكو في دفاعه ضد المونوفيزيين عن إيمان الآباء في نيقيا. وهناك مصدر آخر لكاتب قبطي مجهول، يعود إلى القرن السابع على الأرجح، بعنوان Liber synodicus de concilio Nicoeno "كتاب أعمال مجمع نيقيا" Haase F., Die Koptischen Quellen zum Konzil von Nicæa. Paderborn 1920; H-L., I.1. 386-399.

٣١٣ Cf. Simonetti M., Teologia alessandrina e teologia asiatica al Concilio di Nicea: Augustinianum 13 (1973). 369-398.

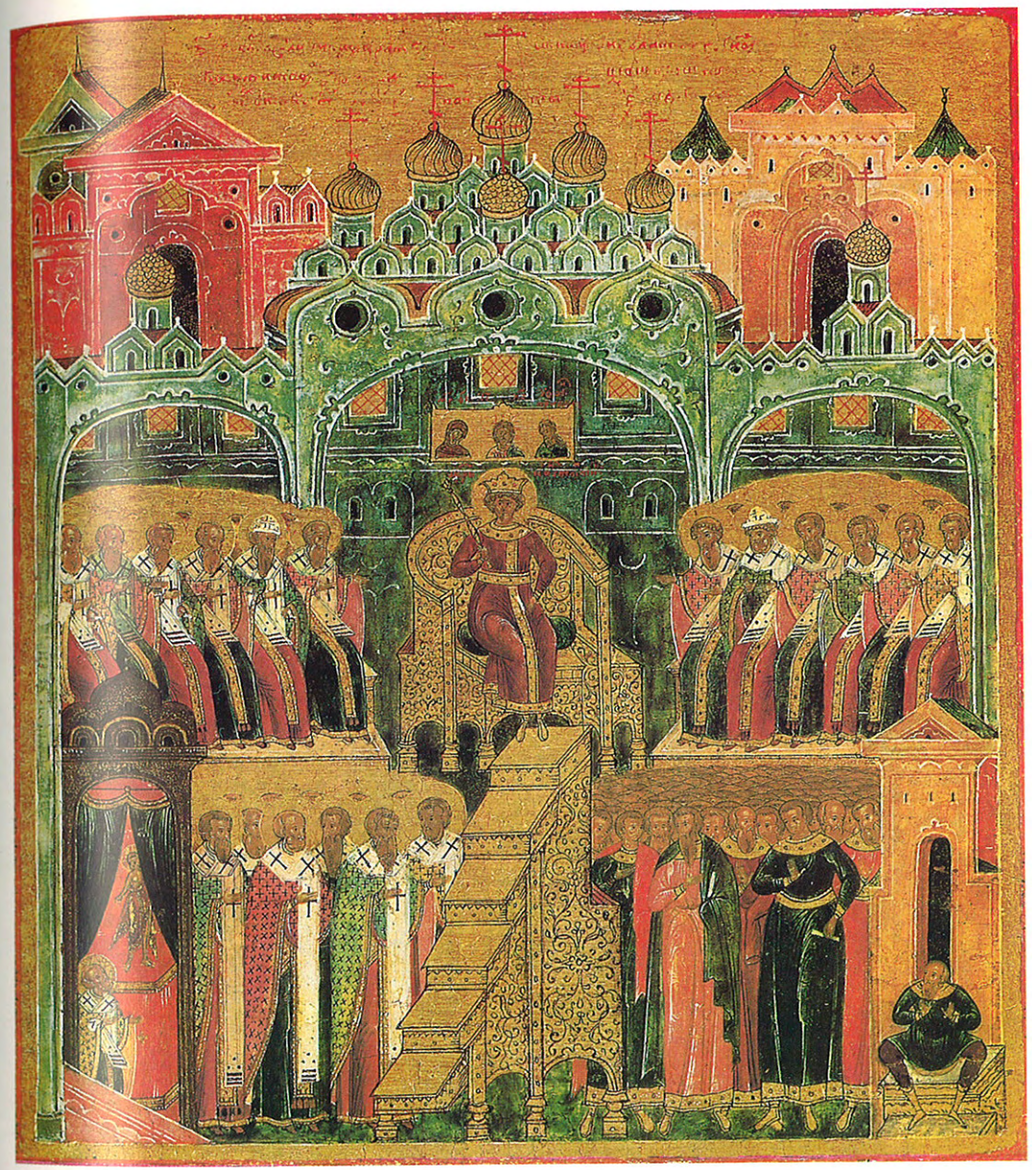

أيقونة روسية، من القرن السابع عشر لمجمع نيقيا الأول

www.old-criticism.blogspot.com

تبيّن من هذا النقاش، حول لاهوت الكلمة المتجسد يسوع المسيح، أن آباء المجمع انقسموا إلى ثلاثة تيارات عقائدية، كل واحد منها يدافع عن آرائه:

الأول، حزب اليمين، الذي يمثله المصريون والغربيون، وهو يؤمن بوحدانية الجوهر الإلهي، وبألوهية المسيح الابن التامة، مع تمييزه عن الآب؛ وقد سانده اليمين المتطرف، المتمثل بمركلوس الانقيري وافستاثيوس الأنطاكي.

الثاني، حزب الوسط، وهو أقرب إلى آريوس منه إلى حزب اليمين، وهو الممثل بأغلب الشرقيين، بزعامة اوسابيوس النيقوميدي وهو أيضاً يؤمن بألوهية المسيح، ولكنه يضعه في مرتبة أدنى، ويجعله خاضعاً لألوهية الآب، وذلك حفاظاً على وحدانية الألوهية وكرامة الآب.

الثالث، نعني حزب اليسار المتطرف، الممثل بآريوس وأتباعه، الذي يعتبر المسيح خليقة من العدم، وكل ما يتبع ذلك من نتائج[٣١٤].

سعى الآريوسيون إلى السيطرة على الوضع، محاولين إبهار الحاضرين، علهم يصيبون بعض النجاح، فقدموا قانون إيمان لم يتركه التاريخ لنا. وما إن كادوا ينتهون من تلاوته، حتى ضجت قاعة الاجتماعات، وعلت الأصوات غاضبة، حتى إن البعض منهم، سدّوا آذانهم، نافرين من هذه الأفكار المنكرة ولاعنينها، وقد أثارت عاصفة من الاستهجان والاحتجاجات!

بعد أيام من الجدال، وأمام إصرار آريوس على مواقفه، ولإنهاء النزاع، قرر الآباء تحديد هوية طبيعة الابن، أي وضع تعابير جلية واضحة، بعيدة كل البعد عن أي غموض أو تفسير محرّف؛ لأن التيارين الاوسابي والآريوسي، كانا يؤولان، على مزاجهما وبطريقة محرّفة، كل التعابير التي كان يعرضها آباء المجمع. فمثلاً عندما قال الآباء إن "الابن هو من الآب"، قبلوا بهذا التعبير، على اعتبار أن كل الأشياء هي من الله[٣١٥]. وعندما نادوا بأن "الابن هو قوة الآب وصورته الأزلية، وهو مشابه له في كل شيء"، لم يرفضوا ذلك، على اعتبار أن الإنسان، هو أيضاً

٣١٤ H-L., I,1. 419-423; Hergenröther., II. 44; AA-VV., Nuova storia della chiesa., I. 299-300.

٣١٥ راجع ١قور ٦/٨؛ ٢قور ١٨/٥.

صورة الله وبهاؤه وقوته ومجده[٣١٦]. وعندما أعلنوا أن "الابن ثابت مثل الآب"، أجابوا، طبعاً هو ثابت نوعاً ما، وأزلي أيضاً[٣١٧].

وللاتفاق على مبدأ معين، عرض الآباء بعض قوانين الإيمان[٣١٨]، التي كانت تُستخدم في كنائسهم لدى منح سر العماد، إلا أن أغلبها لم يفِ بالغرض. وكذلك عرض اوسابيوس القيصري -وكان من بين أكثر الآباء علماً، سواء في العلوم الوثنية أم الكنسية- قانون إيمان كنيسته[٣١٩]. نال دستور اوسابيوس رضى الأكثرية، التي اعتبرته خالياً من أي خطأ لاهوتي، وأنه يعبر عن ألوهية الكلمة وأزليته، كما رضي به آريوس وأتباعه؛ إلا أن الشماس اثناسيوس وأسقفه وغيرهما من حزب اليمين، لاحظوا أن آريوس قد قبل به، لأنه يفسر تعبير "مولود" بمعنى "مخلوق". هنا طُرح على الآباء إجراء تعديل عليه، بإدخال كلمة "الاوموسيوس"* أي "المساوي في الجوهر"، للتعبير عن عقيدة الإيمان، حول العلاقة بين الآب والابن[٣٢٠]. وبعد أخذ وردّ بين الأطراف المتنازعة، تقرر إضافة كلمة "اوموسيوس" إلى قانون إيمان قيصرية، لمنع أي التباس أو تفسير خاطئ، أمام آريوس وأعوانه. فاحتج هؤلاء أن لهذه الكلمة رفض سابق في الكنيسة. وعاد الجدال من الجديد: نقاشات حادة وشكاوى متبادلة، واتهامات بالهرطقة: ألحّ البعض على عدم إدخال أي جديد، في الإيمان المنقول منذ عهد الكنيسة الأولى، واعترض البعض على هذه الإضافة، لأنها عبارة فلسفية، غير واردة في الكتاب المقدس؛ بينما شدد الفريق الأرثوذكسي، الذي عرض إضافة تلك الكلمة، على أن ثمة قضايا لاهوتية، من الواجب تحديدها بدقة، وأن هذه العبارة "اوموسيوس" ضرورية لردع هرطقة آريوس.

٣١٦ راجع تك ٢٦/١؛ ١قور ٧/١١.

٣١٧ راجع روم ٣٥/٨ و ٢قور ١٢/٤؛ Cf. Hergenröther., II. 44-45

٣١٨ Cf. Pollard T-E., The Creeds of A.D. 325: Antioch, Caesarea, Nicaea: SJT 13 (1960). 278-300.

٣١٩ يمكن مراجعته في الملحق رقم ١٥. هذا ويرفض اللاهوتي هارناك أن يكون قانون إيمان نيقيا هو من أصل أورشليمي: Cf. Sitzungsberichte der Prussischen Akademie der Wissenschaften (1908). 477 sq.

* اوموسيوس Homoousios Ομοουσιος أي مساوي في الجوهر.

٣٢٠ Dvornik., 19.

www.old-criticism.blogspot.com

في نهاية المطاف، وبعد جدال طويل وحجج وبراهين، استطاع حزب اليمين، أنصار الكسندروس أسقف الإسكندرية وشماسه اثناسيوس والأساقفة الغربيين، إقناع الآباء بعدم خطورة هذا التغيير، فحرروا قانون إيمان قيصرية، مُعدلاً وأضافوا إليه كلمة "اوموسيوس" أي مساوٍ في الجوهر –وليس فقط مشابه في الجوهر، وأكدوا ألوهيته، وأبعدوا بذلك كل فكرة دونية للابن تجاه الآب.

لم يكن للإمبراطور حق التصويت، إنما لعب دوراً هاماً في كل مراحل المجمع: فهو الذي دعا إليه، وهو الذي طالب الآباء بالاتفاق والوئام، وناقش وجادل. وهو ترأس أغلبية الجلسات، خاصة تلك التي كان فيها استجوابات حول إيمان الآباء وآرائهم، وتعليقهم على أفكار آريوس؛ وكان يستمع بهدوء وصبر، إلى تلك النظريات المتعارضة. وعندما يكون الحديث صائباً، كان يوافق؛ وإذا ما احتدم النقاش، كان يُنهي المشادة، متوجهاً إلى كل واحد بلطف، وكرجل قادر على الفهم، لأنه كان يعرف اليونانية أيضاً. وهو الذي، في هذه المرحلة من المجمع، انضم فوراً إلى الرأي العام، ووافق على قانون الإيمان المعروض، عندما لاحظ أن غالبية الآباء قد اتفقوا على إصدار قانون الإيمان هذا؟ ولدى "تأكده أن الوفاق المجمعي قد حلّ، وشعر بالاستحسان من العلاء"، طلب من جميع آباء المجمع التوقيع عليه دون استثناء، وأمر أن يُعاقب بالنفي كل من يعارض المقررات المتخذة، وكأنه يعارض القوانين الإلهية. قام بذلك فوراً بعض الأساقفة، بينما تردد غيرهم، ومانع جزء ثالث، رافضاً هذا النص. لكن موقف قسطنطين كان حازماً، فقد أصرّ على هذا النص دون سواه، وهدد بالنفي، كل من لا يوافق عليه ويمهره بتوقيعه.

في بادئ الأمر، رفض العديد من الآباء، توقيع قانون إيمان نيقيا. ولكن، لما بدا للجميع فيما بعد، أن آريوس مخطئ وسوف يُدان، وأن من لا يوّقع سوف ينال عقابه من الإمبراطور، بردت همة الاوسابيين في الدفاع عنه، تخوفاً من أن يفقدوا مناصبهم وكراماتهم، فوقّعوا على دستور الإيمان النيقاوي. وفعل بقية المعارضين الشيء عينه، لكن على مضض، سواء عن خوف من النفي، أو لربما عن دبلوماسية؛ ولم يثبت مع آريوس إلا سيكوندوس وثيوناس، اللذين بقيا مصممين على رفض هذا القانون. عندها أمر قسطنطين بنفي الثلاثة إلى ايلليريا، في شمال اليونان، مع

بعض الكهنة الذين بقوا موالين لآريوس ولعقائده اللاهوتية[٣٢١]. وطالب المجمع بحرق كتب هذا المبدع. فنفّذ قسطنطين مطلبهم، ثم أصدر قانون إيمان نيقيا مع الإبسال في ١٦ حزيران سنة ٣٢٥، كقانون إمبراطوري. ولكن سوف نرى فيما بعد، أن أولئك الذين وقّعوه، تحت سيف الخوف أو الرهبة أو على مضض، بقوا داخلياً موالين لآريوس ولعقائده[٣٢٢]، ولسوف يعملون كل ما في وسعهم، لرد اعتبار آريوس وإعادته من المنفى مع الأسقفين والكهنة. كما أنهم سوف يحاولون كسر هذا القانون بالذات، متكلين على قوتهم الروحية والزمنية[٣٢٣].

ب) قضية تاريخ عيد الفصح

لم يفصّل لنا المؤرخون القدماء، المناقشات التي جرت في المجمع المذكور، حول موضوع تحديد تاريخ الفصح، كما فعلوا بالنسبة لقانون الإيمان. لذا لم يصلنا سوى القرار النهائي، كما هو مدون في الرسالة المجمعية، الموجهة إلى كنائس مصر، وفيها يقال بهذا الخصوص: "نزفّ إليكم بشرى الاتحاد السعيدة، بخصوص عيد الفصح الذي أُعيد إلى نصابه. فمنذ الآن سيحتفل الاخوة في الشرق، أولئك الذين كانوا يُقيمون الفصح سابقاً مع اليهود، بهذا العيد مع الرومانيين ومعنا، ومع كل الذين يحتفلون به دائماً معنا في الوقت ذاته". ولدينا نص مرسوم[٣٢٤] مجمع نيقيا، بخصوص الموضوع نفسه، إنما مشكوك في أصالته[٣٢٥].

نستطيع أن نستنتج، من نص هذا المرسوم ومن الرسالة المجمعية، أهم نقاط القرار الصادر بشأن عيد الفصح، على الوجه التالي:

---

٣٢١ وقّع دستور الإيمان اوسيوس الإسباني، ثم كاهنا روما، نائبا أسقف روما، ثم بقية الأساقفة بمن فيهم مشايعو آريوس، ما عدا سيكوندوس أسقف بطوليمايس وثيوناس أسقف مرمريك. على كل حال لم يبقَ من التواقيع سوى ٢٢٤ توقيع أسقف؛ وتنقص اللائحة تواقيع عدة أساقفة حضروا المجمع. راجع م.ش.ك. ٤٣؛ H-L., I,1. 426-450 .

٣٢٢ بعد المجمع بقليل، خلع قسطنطين كلاً من اوسابيوس النيقوميدي وثيوغنيس أسقف نيقيا ونفاهما، لأنهما قبلا آريوسيين فيما بينهم، ولم يعترفا بحرم آريوس. في الواقع يبدو أنهما وافقا على توقيع دستور الإيمان، لكنهما رفضا قطع آريوس. H-L., I,1. 450

٣٢٣ لدينا مثلاً اوسابيوس القيصري الذي وقّع أعمال المجمع لكنه لم يرفض البتة أن ألوهية المسيح هي أدنى من ألوهية الآب وخاضعة لها. F-M., III. 93; De Urbina., 61-63; Jedin., 21-22

٣٢٤ راجع النص في الملحق رقم ٥.

٣٢٥ De Urbina., 259-260.

www.old-criticism.blogspot.com

أولاً: يجب أن تُعيّد الكنيسة بأكملها، لعيد خلاص العالم بقيامة المخلص في نفس اليوم.

ثانياً: يجب أن لا تتبع الكنيسة الحساب اليهودي، بل أن يكون لها حسابها الخاص.

ثالثاً: يجب إتباع العوائد، في كل من روما ومصر واليونان.

ولكي يكون القرار موحداً، كلّف المجمع أسقف الإسكندرية، أن يحدد موعد الفصح، ويُبلّغ بذلك كرسي روما، الذي بدوره يُعلم الأبرشيات البعيدة. ولقد تمّ اختيار الإسكندرية بالذات، لأنها مدينة علم، ومن السهل إيجاد معونة العلماء والحكماء، من أجل حساب رياضي وفلكي، ولأنها كانت تقوم بهذه المهمة سابقاً، بالنسبة لسائر الأبرشيات المصرية.

طبعاً لم يُنفّذ هذا القرار دائماً، وفي كل الجهات لأسباب عديدة. فقد بقيت بعض الاختلافات لسنوات عدة، بين الإسكندرية وروما، التي حافظت على حسابها. ولم تقبل أنطاكية بالحساب الإسكندري أيضاً. كما حافظ البعض الآخر على العادات اليهودية[٣٢٦]. إنما يمكن القول بأن عيد الفصح قد توحّد إجمالاً في الشرق[٣٢٧].

ج) انشقاق ملاتيوس

اهتم آباء المجمع بالأوضاع الشاذة الموجودة في البطريركيات، فعرض بعض الأساقفة المصريين، أولاً، انشقاق ملاتيوس[٣٢٨] في مصر، وطالبوا بحل جذري

٣٢٦ تابع الأربعشريون تعييد الفصح حسب عوائدهم، بالرغم من قوانين مجمع نيقيا، حتى مجمع أنطاكية سنة ٣٤١؛ لأن آباء هذا المجمع في القانون الأول لهم، يهددونهم بالقطع من الشركة، إذا استمروا هكذا. ثم ما فتئوا أن تراجعوا شيئاً فشيئاً حتى الاضمحلال. وهنا نذكر أن بدعة اوديوس Audius ، أي بدعة خلع الصفات الإنسانية على الله (تجسيم) Anthropomorphisme التي اختفت أيضاً في القرن السادس كانت تعيّد مع اليهود . H-L., I,1. 477- 488.

٣٢٧ De Urbina., 93-95. ؛ رستم، ج ١. ٢٠٣-٢٠٤؛ Dvornik., 20-21

٣٢٨ كان ملاتيوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط) في طيبة في مصر، طامعاً بكرسي العاصمة الإسكندرية الهام، فاستغل غياب أسقفها الأصيل بطرس، الذي هرب بسبب الاضطهاد، ليستلم زمام الأمور فيها، دون أن يكون له أي صفة شرعية، ودون أي توكيل من أحد. ابتدأ ملاتيوس بانتقاد البطريرك الأصيل بطرس. ولكي يقوي سلطته، استفاد من فرصة سجن بعض الأساقفة بسبب إيمانهم، كي يقوم بسيامة

لاقتلاع الشر الذي سبّبه، من أساسه. تدارس الآباء الموضوع فيما بينهم، وقرروا إبقاء ملاتيوس في كرسيه ليكوبوليس، والسماح له بالحفاظ على لقب أسقف، ولكن دون أي سلطة، أي منعوه من القيام بالسيامات، سواء في المدن أو في الريف. وقرروا وجوب إخضاع أولئك الذين سامهم، إلى وضع اليد من جديد، مع تثبيتهم في مناصبهم أو إخضاعهم للأساقفة الكاثوليك، في حال وجود أحدهم في الأبرشية نفسها؛ وفي حال وفاة الأسقف الكاثوليكي، يمكن للأسقف الملاتيوسي أن يخلفه، إذا وجده الشعب أهلاً لأن يخلفه، لكن شرط أن يُعيد أسقف الإسكندرية سيامته[٣٢٩]. واستحسن الآباء في النهاية هذا الحل، وقبل الجميع به، خاصة أن ملاتيوس تسرّع بالسيامات، لا بل وتعدى على حق بطرس رئيس أساقفة الإسكندرية، الذي كان قد هرب أيام الاضطهاد، ثم استشهد فيما بعد.

عدة أساقفة وكهنة وشمامسة، غير قانونية، في أبرشيات خارجة عن سلطته ودون إذن أو ترخيص من الأساقفة المساجين؛ متعدياً بذلك على السلطة الشرعية، ولم يكن عذر الضرورة والإلحاح وارداً؛ أو في حال وفاة أحد الأساقفة المرسومين، كان بإمكانه الحصول على الترخيص، سواء من الأساقفة الزوار الجوالين، المعيّنين كممثلي الأساقفة الأصليين الغائبين، أو من أسقف الميتروبوليس، بطرس أسقف الإسكندرية، ولكنه لم يفعل. أضف إلى أن أربعة أساقفة مسجونين، وهم هيزيخيوس Hésychius وباخوميوس Pacôme وثيودوروس Théodore وفيلياس أسقف تمويس Philéas de Thmuis ، كتبوا إليه في هذا الموضوع، ولم يأبه للأمر، بل استهتر بالجميع. وعاد فسام، رغم كل ذلك، أسقفين جديدين بعد استشهاد الأساقفة الأربعة المذكورين سابقاً. شعر بطرس الإسكندري أن ملاتيوس يضع البلبلة في الإسكندرية، ويتصرف على هواه، وأنه طامح في الحصول على كرسي العاصمة نفسها، فكتب إلى الأساقفة الآخرين، يحذرهم من الدخول في الشركة مع ملاتيوس؛ وكتب أيضاً إلى الشعب الإسكندري: "لقد دخل ملاتيوس أبرشيتي، وخلع أساقفتي وكهنتي من مناصبهم، وسام غيرهم، فآمركم بعدم الاتصال بهم أو مشاركتهم بأي شيء، حتى يتسنى لي معارضته والتصدي له بمعونة بعض الرجال الحكماء، وعمل تحقيق حول هذا الأمر". ويذكر لنا اثناسيوس في كتابه "الدفاع ضد الآريوسيين" أن بطرس عقد بعدها مجمعاً وخلع ملاتيوس عن كرسيه، بسبب تعديه الفاضح وخاصة لأنه ذبح للأوثان أيام اضطهاد ديوكليسيانوس (٣٠٣-٣٠٥). فكانت النتيجة انشقاقاً في الكنيسة (٣٠٤-٣٠٥)، إذ أقام ملاتيوس، إلى حد ما، كنيسة منشقة ترجع إليه، ودون أن تكون في الهرطقة، لكنها تقاوم الكنيسة الأرثوذكسية بشخص رؤسائها؛ ودُعي أصحابها "ملاتيوسيون" Mélétiens . دام هذا الانشقاق من عام ٣٠٦، واستمر حتى بدايات القرن الخامس. حاول الملاتيوسيون التقرب من آريوس، في بادئ الأمر، ولكنهم ما لبثوا أن تركوه خوفاً من تورطهم في الهرطقة. وسيكون لهم ذكر في قرارات هذا المجمع المسكوني الأول. H-L., I,1. 477-495; 500-503.

٣٢٩ أراد المجمع كسب الحزب الملاتيوسي، فعامل أفراده الملاتيوسيين مثل النوفاتيين بلطف، لكنه لم ينجح؛ لأنهم ازدادوا عداء للكنيسة، باتحادهم مع الآريوسيين. ويبدو أن عدد الأساقفة مع ملاتيوس، كان ثمانية وعشرين أسقفاً واثنين وأربعين كاهناً في الإسكندرية وثلاثة شمامسة. H-L., I, 1. 500-503

www.old-criticism.blogspot.com

د) موضوع عزوبية الإكليروس

أكد بعض المؤرخين، أمثال سقراط وسوزومينوس وجيلاسيوس، أن بعض آباء مجمع نيقيا، أراد، خلال المناقشات في المجمع، طرح موضوع عزوبية الإكليروس، ومنع الأساقفة والكهنة والشمامسة والشمامسة الرسائليين المتزوجين، من العيش مع نسائهم، ومشاركتهم سرير زوجاتهم، منذ لحظة سيامتهم. إلا أن بافنوس المعترف، أسقف طيبة العليا في مصر، عارض هذا المشروع، وقام وسطهم وشدد على أهمية الزواج، ونصح المجمع، ألا يفرض مثل هذا القانون الذي يصعب احتماله، وقد يؤدي بالأزواج وبالزوجات إلى الشبق؛ ومما قاله بهذا الخصوص: "يجب ألا نفرض على الإكليروس نيراً ثقيلاً؛ إن الزواج والعلاقات الزوجية، هي شيء حسن في حد ذاتها، وبلا عيب؛ علينا أن لا نضرّ الكنيسة بقسوة مفرطة، إذ ليس باستطاعة الجميع، أن يحافظوا على العفة التامة. ونحن ننقذ فضيلة المرأة، بعدم إقرار قانون كهذا. فالعلاقة الزوجية تحافظ على العفة. فيكفي منع زواج الإكليروس، بحسب التقليد الكنسي القديم، للذي دخل السلك عازباً، وعلينا ألا نفصل الإكليريكيين المتزوجين قبل سيامتهم عن زوجاتهم"[٣٣٠]. كان حديث أسقف طيبة مقنعاً، خاصة أنه كان هو عازباً ومشهوراً بطهارته ونقاوته. عندها أوقف الآباء مناقشة الموضوع، وتركوا حرية الاختيار لكل إكليريكي أن يقرر ما يريد، على أن يحافظ على القوانين الكنسية، والأعراف والتقاليد في ما يخص هذا الموضوع[٣٣١].

رابعاً– قوانين المجمع وتحديداته

أراد الآباء الاستفادة من الفرصة النادرة، المتاحة لهم بالاجتماع، فناقشوا بعض المسائل التنظيمية، التي لم تكن، بالحقيقة، على جدول أعمال المجمع، بحسب ما قدمه قسطنطين. فتدارسوا موضوع تنظيم الكنيسة واحترام الإكليروس، وموضوع التوبة العامة، وقبول الهراطقة، وقضايا ليتورجية. واتخذوا القرارات اللازمة التي وافق عليها جميع الحضور، وهي قوانين مجمع نيقيا التي سنشرحها لاحقاً.

٣٣٠ Socrate., I.2; PG 67. 101-104.

٣٣١ De Urbina., 64-65; H-L., I,1. 620-621.

١) قانون إيمان نيقيا

لعل هذا القانون هو ما وسم هذا المجمع المسكوني الأول، فحتى يومنا هذا، ما زال المؤمنون يدعونه "قانون نيقيا". مع العلم أن ما نتلوه اليوم، هو قانون إيمان مجمعي نيقيا والقسطنطينية الأول، الذي أكمل قانون نيقيا. أضف إلى أن ما تقرر في مجمع نيقيا بالذات، لم يحمل في طياته شيئاً "جديداً" بالمعنى الحصري، بل هو نتيجة ترسبات تنتمي إلى العصور السالفة. كان قانون نيقيا مرتكزاً في أساسه، على قانون إيمان قيصرية كما ذكرنا، ولم يحمل في طياته شيئاً جديداً بالمطلق، باستثناء كلمة الـ "اوموسيوس" أي فكرة المساواة في الجوهر[٣٣٢].

وقبل الخوض في دراسة هذا القانون، وتحليله ومعرفة أبعاده، يجدر القول إنه حتى موعد التئام المجمع (٣٢٥)، لم يكن في الكنيسة قانون إيمان مشترك، تعترف به مسكونياً كل الكنائس، إنما كان لكل كنيسة قانون إيمان خاص بها، يحتوي على جزء مهم من إيمان الكنيسة، ويقتصر استعماله إجمالاً في ليتورجية "المعمودية"[٣٣٣].

جاءت صياغة قانون إيمان نيقيا متسرعة. فبعد أن رفض أغلب الآباء، القانون الذي قدمه آريوس رفضاً قاطعاً، استعرضوا غيره من قوانين الإيمان، التي كانت

٣٣٢ نسب البعض هذا القانون إلى اوسيوس أسقف قرطبة. ولكننا نستبعد جداً هذا الرأي، لأننا نعلم أن لكل أسقف آنذاك، قانون إيمان يتبعه مع مؤمنيه في كنيسته. فلماذا يطرح اوسيوس قانون إيمان غريب؟
Cf. Luibheid C., Eusebius of Caesarea, and the Nicene Creed: IThQ 39 (1972). 299-305.
أضف إلى أن فكرة "الاوموسيوس" كانت قد طُرحت قبل ذلك في الشرق، مع لوكيانوس رئيس مدرسة أنطاكية ومع غيره. وقد استعمل الغنوصيون الفالنتينيون هذه اللفظة "اوموسيوس"، ليعبّروا عن كائنات متنوعة "مشابهة في الكيان" أو "انتمائها إلى الكيان بنفس الدرجة أو الطريقة". ونجد هذه اللفظة لدى آريوس في كتابه "المأدبة" وفي رسالته إلى الكسندروس الإسكندري. فهو يقول "لا يملك الابن أي صفة إلهية في كيانه الفردي، لأنه غير مساوٍ لله في الجوهر". لقد أراد آريوس أن يتجنب كل فكرة خاطئة عن الله، خاصة فكرة جسدية الله: كما لو كان الابن فيض أو قسم منفصل عن الله. وهذا بالطبع ما كان النيقاويون يسعون إلى تثبيته: رفض أي انقسام في الجوهر.

٣٣٣ Cf. Kelly J-N-D., Early christian Creeds. London 1967; Koch H., Lo stile delle antiche formule di fede: Ricerche Religiose 5 (1929). 50-59; Badcock F-J., The "catholic" baptismal Creed ...; Carpenter H-J., Creeds and Baptismal Rites in the first four Centuries: JTS 44 (1943). 1-11; Creehan J., Early Christian Baptism and the Creed. A Study in antenicene Theology. London 1950; Cullmann O., Les premières confessions de foi chrétienne: La foi et le culte de l'Eglise primitive. Neuchâtel 1963. 47-88.

www.old-criticism.blogspot.com

تُقال في بعض المناطق، وهي أيضاً وُضعت على حدة، إلى أن عرض اوسابيوس أسقف قيصرية، القانون الإيماني المستعمل في كنيسته. ولم يعارض أغلب الآباء هذا القانون، وحتى الآريوسيون منهم أيضاً، كانوا على استعداد لقبوله، لأنهم يستطيعون تفسيره على طريقتهم، ولا يتعارض ورأي آريوس، إلا أن اثناسيوس اقترح تعديله، أو إضافة بعض الشروحات والتدقيقات عليه، كي لا يتسنى لأي كان، أن يفسره على هواه. عندها عاد النقاش من جديد، وعلت الأصوات والاعتراضات، إلى أن طُرحت إضافة كلمة "اوموسيوس" باليونانية، وتعني "المساوي في الجوهر"، وهي كلمة غير كتابية، أي أنها غير موجودة في الكتاب المقدس، إنما كانت كافية لتعارض خطأ آريوس، وتؤكد ألوهية ابن الله. لم يكن هدف الآباء هلّنة مفهوم الوحي الإلهي والبشارة، إنما أرادوا إيضاح ما تقوله الكتب المقدسة عن الابن، لردع فكرة الدونية، التي كان آريوس ينادي بها. بالمقابل لم يكن آريوس ليقبل بمثل هذه الكلمة "الاوموسيوس" لأنه رأى فيها صورة جسم قُسم إلى قطعتين مختلفتين لكن متجانستين؛ هذا لم يمنع الآباء من إدخالها في القانون.

من الجدير بالذكر أن اوسابيوس القيصري وغيره، وقّعوا نص قانون إيمان نيقيا، بعد أن أضافوا إلى كلمة "اوموسيوس"، عن قصد وبسرية، حرفاً، فأصبحت "اوميوسيوس" التي تعني "مشابه في الجوهر" بدل "مساوٍ في الجوهر"، وخدعوا بذلك آباء المجمع. لقد كان اوسابيوس، ككل آباء المجمع، يرغب في المحافظة على وحدانية الآب وكرامته. إنما للتمييز بين الأقانيم الإلهية، اعتبر ألوهية المسيح أدنى من ألوهية الآب وخاضعة لها[٣٣٤].

أبعد هذا القانون واقعياً، وبنوع خاص، كلمة "اوموسيوس" التي استعملها، كل فكرة دونية للابن أمام الآب، مؤكداً وجوده مع الآب منذ الأزل، أي أنه غير مخلوق، لكنه مولود، ومؤكداً أيضاً مساواته للآب في الطبيعة.[٣٣٥]

٣٣٤ يبدو أن هذا التغيير صار في مرحلة لاحقة، بعد عودة اوسابيوس وزميله من المنفى. F-M., III. 87

٣٣٥ كلمة حق يجب أن تُقال هنا، وهي حسن نية جميع آباء المجمع، بمن فيهم آريوس، ورغبتهم بالمحافظة على ما يعتقدونه اللاهوت الحقيقي الأرثوذكسي. وكان كل فريق يدافع عن آرائه، لأنه يرى أن الفريق

إذا ما تعمقنا قليلاً بدراسة هذا القانون، نجد أن الكسندروس أسقف الإسكندرية، كان على حق، عندما أخبر اوسيوس، أن موضوع آريوس أخطر مما تصوره قسطنطين: إذ إنه يتعدى الخلاف بين كاهن وأسقفه. وهو موضوع يمس عقيدة الثالوث الأقدس بالذات، ويتعلق، بالتحديد، بجوهر الأقنوم الثاني وبعلاقته مع الله الآب. فهذا القانون، كما توصل إليه الآباء، هو إقرار إيمان ليس ثالوثياً بالكامل، إنما هو يشرح تدبير الخلاص ودور الابن فيه: الآب يكلمنا بواسطة الابن في الروح القدس. وصان الآباء التقليد الكتابي-الكنسي، ولكن دون التعمق في كل شيء، حول بنوة الابن الإلهية مثلاً: يبدو أن موضوع كيفية وجود بنوة في كيان الله الواحد، والتعبير عنه بتعابير وتصورات فلسفية، كان شيئاً ثانوياً. كما قبل الآباء أيضاً، في نيقيا، موضوع انبثاق الروح القدس، من منطق منظور التدبير الإلهي، دون طرحه على بساط الدرس[٣٣٦].

آ) أهمية رمز نيقيا: أول تحديد عقائدي

والحقيقة أن أهمية هذا القانون، هي أنه أول تحديد عقائدي جماعي، اتخذته السلطة الكنسية: أراد آباء المجمع توحيد تلك القوانين المستعملة في كل كنيسة، والتي سبق عرض بعضها في المجمع، كي يكون الجميع متفقين على إيمان واحد. وقد حظي هذا القانون الموحد بدعم كنسي، إذ إن الجميع وقّعه، باستثناء آريوس وثيوناس وسيكوندوس وبعض الكهنة، وبدعم مدني من قبل الإمبراطور قسطنطين نفسه، فأضحى قانون المجمع ورمز الأرثوذكسية ومعيارها: من يعترف به يكون أرثوذكسياً، ومن لا يعترف به يُعتبر هرطوقياً.

سيكون لهذا الدستور طبعاً، تأثير هام جداً على المجامع الأخرى، لا بل لم نزل حتى اليوم، نُقر ونعترف بأن هذا هو الإيمان الحقيقي الصحيح. وسيثبت مجمع القسطنطينية الأول (٣٨١)، هذا القانون رسمياً، ويضيف إليه مواضيع إيمانية أخرى (جوهر الروح القدس وألوهيته). كما سيستند عليه مجمع افسس (٤٣١)، ليتأكد

الآخر واقع في بدعة معينة: مثلاً إلغاء وحدانية الله، أو الوقوع في بدعة الشكلانية أو الصابيلية أو العودة إلى العرفان.

٣٣٦ Grillmeier, I. 522-523.

www.old-criticism.blogspot.com

من أرثوذكسية الآباء المشتركين، والذي منع في إحدى قراراته، "المس بنص قانون إيمان نيقيا"، لا بل هدد بالحرم كل من يتجرأ ويعدّل نصه. وفي مجمع خلقيدونيا (٤٥١)، طلب ممثلو الإمبراطور، وضع قانون إيمان جديد للكنيسة، لكن آباء المجمع عارضوا تلك الرغبة قائلين، إن قانون إيمان مجمع نيقيا كافٍ للحكم على أرثوذكسية أي تعليم. وجدد المجمع ذاته، إيمان نيقيا وتمسكه بهذا الإيمان، فكان قانون نيقيا حجر الأساس للإيمان.

يُقسم قانون إيمان نيقيا إلى جزئين: يحتوي الجزء الأول منه، على صيغة إيمان المعمودية كما رأينا سابقاً، بينما يتكوّن الجزء الثاني من صيغ لإدانة طروحات آريوس الرئيسية. وفيه يدين المجمع كل من ينكر ما حدده في الجزء الأول، خاصة أن الابن مساوٍ للآب في الجوهر. وهذا ما ندعوه "الحرم" و"الإبسال"[٣٣٧]. يُظهر

٣٣٧ عرفت الكنيسة عدة أنواع من القصاصات: القطع من الشركة Excommunication ، الإبسال أو الحرم Anathème ، والخلع أو العزل من الوظيفة Déposition؛ كان يطبق قصاص الخلع من الرتبة، أو العزل عن كرسي الأسقفية أو الوظيفة، خصوصاً على كل أعضاء الإكليروس (أسقف أو كاهن أو شماس): وفي هذه الحالة، كانت الكنيسة توقف المذنب عن كل مهامه الطقسية والليتورجية، المتعلقة بالرتبة التي كان يقوم بها، كممارسة الأسرار وتوزيعها، والتعليم والوعظ وما إلى ذلك. واعتادت الكنيسة أن تلجأ إلى القطع أو الحرم أو الإبسال، ضد المؤمنين المجرمين أو الهراطقة؛ في القرون الأولى، لم يكن هناك فرق بين هذه الأنواع من القصاصات (الحرم والقطع والإبسال واللعن)؛ كانت فكرة الكنيسة، أن تفصل عن الجماعة المسيحية أولئك المؤمنين، الذين ارتكبوا خطأ فادحاً كالجحود أو القتل أو الزنى أو الهرطقة، وأن تمنعهم عن أخذ الأسرار المقدسة، باعتبارهم غير أهل لذلك. وكان هذا الإجراء، يؤخذ بحق المذنبين سواء لفترة زمنية معينة، أو مدى الحياة، بحسب الحكم الصادر بحقهم. ولنا شاهد على ذلك، قوانين المجامع الصادرة آنذاك (مجمع الفيرا (٣٠٥/٣٠٦) في القانون ٥٢ مثلاً؛ أو مجمع نيقيا الأول (٣٢٥) الذي أعلن، في نهاية قانون الإيمان الصادر عنه، محروماً كل من ينكر ألوهية المسيح؛ أو مجمع اللاذقية (٣٤٣/٣٨١) في قانونه الثامن والعشرين؛ أو مجمع غنغرة عام ٣٦٠، الذي ختم كل قانون من قوانينه العشرين، بحرم دوّنه الآباء على الشكل التالي: "إن كان أحد... فليكن مبسلاً". ولقد أصبحت هذه الطريقة نمطاً تقليدياً، اتبعته المجامع التالية حتى اليوم.

لكن ومع مرور الزمن، أصبح هناك تمييز بين القطع أو الإبسال أو الحرم: يقول مجمع تور Tours (عام ٥٦٧) في أحد قوانينه ما يلي: "إن الذي يغزو ممتلكات الكنيسة، ولم يرتدع بعد ثلاث إنذارات وثلاث تحذيرات...، يقع تحت لعنة يوضاس، وليمت ليس فقط مقطوعاً، بل مُبسلاً أيضاً؛ وليكن مطعوناً بالسيف السماوي". وبعد قرنين نجد التمييز ذاته بين القطع والإبسال، في القانون السادس والخمسين من مجمع مو Meaux: "الإبسال هو الإدانة بالهلاك الأبدي؛ ويجب أن يُفرض على الجرم المميت، وهو الذي ما لا يمكن إصلاحه بطريقة أخرى". لدينا دليل آخر على هذا التمييز في مجمعي رافينا (٨٧٧) وتروا Troyes (٨٧٨) اللذين يهددان بالإبسال بعض المقطوعين عن الشركة، إذا لم يصطلحوا؛ مما يدل على أن الإبسال قصاص أعظم من القطع. وفي الفترة التاريخية ذاتها، يوضح البابا يوحنا الثامن (٨٧٢-٨٨٢)، أن القطع يفصل المؤمن عن الشركة مع اخوته المؤمنين؛ بينما يفصل الإبسال المذنب عن جسم المسيح ذاته أي الكنيسة: فالأول يمنع المضروب به من الدخول إلى الكنيسة، ومن المناولة جسد

المسيح ودمه؛ بينما يفصل الحكم الثاني المؤمن عن الجماعة ككل، وعن الكنيسة كلياً؛ على كل حال، كلمة إبسال تعني لغوياً "تسليم الشخص إلى الهلاك". ونجد التمييز ذاته في، منشورات البابا كيليستينوس الثالث (١١٩١-١١٩٨)، وغريغوريوس التاسع (١٢٢٧-١٢٤١)، الذي يُميّز بين قطع صغير (عن الأسرار) وقطع جسيم (عن الجماعة)؛ ويُوضح أن القطع الجسيم عن الجماعة، هو المقصود في كل النصوص القانونية. ويُنبه المجمع التريدنتي، أن لا يلجأ الحكام الروحيين إلى الإبسال، إلا عندما لا يعود لديهم أي دواء آخر، أو أي حل آخر؛ ومنذ هذا المجمع بالذات حتى الآن، لم نعد نجد فرقاً كبيراً، بين القطع وبين الحرم: يعتبر بعض القانونيين أن القطع هو قصاص استشفائي، بينما الإبسال له صفة الحكم بالموت الروحي النهائي، علماً أن هناك دائماً، المجال للتوبة والعودة إلى الشركة مع الكنيسة.

الجدير بالذكر، أنه في المجمع المسكوني الثامن، أي مجمع القسطنطينية الرابع (٨٦٩/٨٧٠)، رفض القنصل لاون أن يبسل فوتيوس، بحجة أن الإبسال خاص بمن كان هرطوقياً، بينما فوتيوس لم يزل أرثوذكسياً؛ فقيل له آنذاك إن الإبسال يمكن رشقه لغير الهراطقة أيضاً، عندها اقتنع وقبل المبدأ، وأبسل فوتيوس.

يقول لنا الكتاب الخاص بالحرومات وبالحل منها، إن هناك ثلاثة أنواع من الحرومات ولكل حرم حلّ خاص به:

١. القطع الصغير عن الأسرار وهو وقتي؛ ولم يعد مستعملاً؛ ويمكن للكاهن أن يحل منه.
٢. القطع الجسيم من الشركة، ويرشق به الأسقف؛ وهو الذي يحل منه.
٣. الإبسال وهو كالقطع الجسيم، إنما يُرشق به بطريقة رسمية وعلنية، ويستعمل للأخطاء الجسيمة جداً: "يجلس الأسقف لابساً حلته الكهنوتية ذات اللون الليلكي كاملة، يحيط به اثنا عشر كاهناً، لابسين أيضاً حللهم وحاملين شموعاً موقدة، أمام الهيكل الأساسي، أو في مكان عام"، ويقول الأسقف صيغة الحرم التي يختمها على الشكل الآتي: "فنحن نمنعه هو وكل شركائه ومحرضيه، من تقبل جسد المسيح ودمه الثمينين، ونفصله عن شركة بقية المسيحيين، ونقصيه من حدود الأم الكنيسة في السماء وعلى الأرض، ونعتبره مقطوعاً عن الشركة ومبسلاً، ونشهد عليه أنه محكوم عليه مع الشياطين وملائكته، وكل الهالكين في النار الأبدية، إلى أن يعود ليصطلح ويتوب"؛ فيجيب كل الحاضرين: "ليكن كذلك" ثلاث مرات، وحينذاك يلقي الأسقف والكهنة الشموع من أيديهم على الأرض. ويكتب الأسقف بعد ذلك، رسائل إلى كافة كهنة الرعايا والأساقفة المجاورين، يعلمهم فيها عن اسم المحروم وسبب حرمه، كي لا يتعاطى أحد معه عن جهل.

يكون هذا الحرم نوعاً من الإدانة النهائية، المميتة روحياً للشخص المحكوم عليه؛ علماً أن فكرة التوبة موجودة في صيغة الحرم، والمجال مفتوح دائماً للتوبة والعودة إلى حضن الكنيسة. على كل حال يُعطي الأسقف المحروم، كما ذكرنا، صيغة المصالحة مع صيغة الحرم.

تعددت الآراء حول تاريخية صيغة الحرم. من المؤكد أن الكنيسة استعملت صيغاً مختلفة لكن متشابهة، ابتدأت قصيرة ثم ما لبثت أن تضمنت سبب الحرم وتوضيح حدوده، ولربما مفاعيله أيضاً، وأضيفت إليه أيضاً، فكرة التوبة والعودة إلى حضن الكنيسة...

وفي الختام نوضح أن الحرم يمنع المؤمن: أولاً، من ممارسة الأسرار؛ ثانياً، من المشاركة بكافة الطقوس الليتورجية، من صلوات ورتب ورياضات وبركات؛ ثالثاً، يحرمه من رتبة الجناز والنياحة في حال الوفاة؛ رابعاً، يحرمه أيضاً من المشاركة في الانتخابات، ومن كل صوت فاعلي وانفعالي؛ خامساً، من الدخل المادي والمساعدات، والمعاش والنفقات الأخرى بالنسبة إلى الإكليروس؛ وأخيراً يحرمه حتى مدنياً من توقيع أي عقد أو سواه بصفته الدينية. ولزيادة في المعلومات يمكن مراجعة مقالتيّ "Excommunication et Anathème" في القواميس الدينية المختصة DTC; Dict. de la Bible; Dict. de Spiritualité...

www.old-criticism.blogspot.com

كل ذلك الوجه الإيجابي، الذي لعبه هذا المجمع في تحديد العقيدة الإيمانية، التي أصبحت من صميم الإيمان المسيحي ومرتكزة على الكتاب المقدس وعلى التقليد. أما الوجه السلبي، فيكمن أولاً، في تدخل "الدولة بأمور الدين"، وثانياً، في ظهور الإبسالات، لأول مرة، باسم الكنيسة الجامعة.

لا نستطيع أن نقيّم مدى تأثير هذا القانون على الليتورجيا، نظراً لعدم توافر الوثائق لدينا في هذا الموضوع. كل ما نعرفه هو أن قانون إيمان مجمع القسطنطينية الأول، سوف يكمل قانون نيقيا، وهذا القانون الجديد، هو الذي سيترك أثراً واضحاً له في الليتورجيا. إنما لا يستطيع أحد أن ينكر، كم تُشدد الكنيسة في صلواتها، على ألوهية المسيح وعلى ولادته من الآب، وعلى مساواة جوهره بجوهر الأقنوم الأول، وكيف تدعوه إلهاً ورباً وملكاً، وهذا كله من نتائج محاربة البدع والهرطقات بنوع عام، والبدعة الآريوسية في مجمع نيقيا بنوع خاص[٣٣٨].

ب) الابن مولود من الآب

شدد الآباء خلال نقاشاتهم مع آريوس وأتباعه على دور الابن، وتمحورت أحاديثهم حول علاقة هذا الابن بالآب، وقد حاولوا أولاً أن يثبتوا الكلمة اللوغوس كإله، ثم مساواته للآب. وعندما طرح آريوس موضوع ولادته، محاولاً إظهار هذا الابن المولود، أدنى من الآب، كونه مولوداً، جاء جواب الآباء عليه، بتفصيل ما كان قد سبق وردوا به عليه، أي عدم عبادتنا وإيماننا بثلاثة آلهة، آب وابن وروح قدس، بل بإله واحد، هو آب وابن وروح قدس، ولكل واحد منهم ميزاته.

إذا ما عدنا قليلاً إلى الوراء، نجد أن الآباء في قديم الزمان، كانوا يدعون الله الآب "الإله الوحيد"، لتمييزه عن الآلهة المزيفة، وعن كثرة الآلهة عند اليونانيين. ونرى أنه مع تكوين الشعب اليهودي، أُعطي له اسم "يهوى"، وهو الأقنوم الأول الذي بدا بوضوح، عبر تاريخ هذا الشعب، بينما بقي الأقنومان الآخران في الظل،

٣٣٨ De Urbina., 87-90; Simonetti., Il Cristo. II. 99.

إلى أن جاء يسوع، في العهد الجديد، وحدثنا عن الله الآب[٣٣٩]، وأوضح لنا سر الثالوث الأقدس، لا بل أرانا إياه في معموديته وفي كلامه[٣٤٠]. حتى إن الرسل أنفسهم استعملوا العبارات ذاتها: ألم يكونوا يمنحون المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس، وفق ما طلب منهم يسوع[٣٤١]؟ ألم يكونوا يضعون أيديهم على المعمدين ليهبوهم الروح القدس[٣٤٢]؟ ألم يكن بولس يستعمل العبارات نفسها: "وأما عندنا نحن، فليس إلا إله واحد وهو الآب... ورب واحد هو يسوع المسيح"[٣٤٣]، "تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح"[٣٤٤]. ففي العهد القديم عندما كان يقال "الله"، كان المراد به الله الآب، وليس الأقانيم الثلاثة، لأن الآب يملك ويعطي كل الطبيعة الإلهية.[٣٤٥] ونستطيع أن نرى ذلك، من خلال التصميم التالي:

	بالله الآب	بل		الآب الضابط الكل
لا نؤمن	وبرب واحد يسوع المسيح		نؤمن بإله واحد	والابن الوحيد
	وبالروح القدس			والروح القدس

وعندما يعترف قانون إيمان نيقيا بـ "إله واحد" آب ضابط الكل، خالق كل الأشياء التي تُرى ولا تُرى، فهو يتابع تقليد العهد القديم في التوحيد. و"الإله الوحيد" هنا، لا يعني بصراحة وبحصر المعنى، الجوهر الإلهي، بل هو الإله-الأقنوم، أي أقنوم الآب الذي كشف عن نفسه في العهد القديم.

٣٣٩ الأناجيل مليئة بمثل هذا الحديث ليسوع عن الله الآب: ألم يُعلّمنا أن نُصلّي له وندعوه أباً؟ (راجع لو ١١/٢-٤ وما يقابلها)، ألم يُطمئن المؤمنين أن الله الآب سيعطيهم الملكوت؟ (راجع لو ١٢/٣٢).
٣٤٠ راجع لو ٣/٢٢؛ يو ١٢/٤٥؛ ١٠/٣٨؛ ٨/٣٨-٥٥.
٣٤١ راجع متى ٢٨/١٩.
٣٤٢ راجع عمل ١٩/٦؛ ٦/٦ ؛ ٨/١٧.
٣٤٣ ١قور ٨/٦؛ وراجع ١بط ١/٣؛ يهو ٢٥؛ رؤ ١/٦.
٣٤٤ ٢قور ١/٣.
٣٤٥ De Urbina., 73-79.

www.old-criticism.blogspot.com

هذا الآب بحسب إيمان نيقيا، هو رأس الوحدانية، وقمتها التي فيها يندرج أيضاً الابن والروح القدس. إنه تصور توالدي للألوهية تنبعث من الآب، وتشع بكاملها في الابن والروح. ويقين هذه الوحدانية، هو في مصدرها الآب، وليس استنتاجاً أو نتيجة لتفكير مقارن بين الأقانيم الثلاثة.

ربنا يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب: هذه العقيدة مستوحاة من العهد الجديد، لأن يسوع كان يصرح دائماً، بأنه الابن الذي جاء من لدن الآب، هو النازل من السماء، وهو يعرف الآب، ويدعوه دائما "أبي السماوي، أو أبي الذي في السماوات"[٣٤٦]. كما علّمنا أن هذا الآب هو أبونا أيضاً نحن البشر. وعلينا جميعاً أن ندعوه "أبانا"[٣٤٧]. فركز بنوع خاص، على البنوة الإلهية، ولم يميّز بوضوح بين البنوة بالتبني والبنوة بالطبيعة. وهذا ما قاد آريوس، ربما، نحو الخطأ، عندما أعرب عن اعتقاده، أن الابن مولود من الآب، معتبراً هذه الولادة بمثابة الولادة البشرية. فذلك ما حاول الكسندروس تفسيره لآريوس، لكن دون جدوى؛ وهو أيضاً ما استدعى إضافة "من جوهر الآب" للتوضيح. فالولادة هنا بحسب الطبيعة، وليس نتيجة تدخل إرادة الله الآب، كما هو الحال لدى الأبناء بالتبني؛ هي اتصال داخلي للكيان الحي نفسه، من قِبل الذي يلد. من هنا، فالكائن "المولود" يختلف جوهرياً عن "المخلوق". هذا لا يعني انقساماً في جوهر الآب، كما يعتقد آريوس، إذ ليس لهذه الولادة أعراض الولادة التي لدى المخلوقات المادية.

الابن إذاً مولود من جوهر الآب، وليس من أقنوم الآب، بل من جوهر الآب وطبيعته. ولكن هذا التمييز بين الجوهر والأقنوم، لم يكن وارداً ولا معروفاً آنذاك؛ كانت الكلمتان تستعملان كمرادفين، أي الجوهر بمعنى أقنوم وبالعكس، فعند التكلم عن أقنومين في الله أو ثلاثة، كان يُستشف من هذا القول، وجود ثلاثة جواهر، فذلك يعني بالطبع، الاعتقاد بتعدد الآلهة، وهو ما سبّب التباساً وغموضاً. لذا أضاف الآباء الواعون للموضوع: "إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق"، للاعتراف أن الآب هو إله ونور وإله حق، وأن الابن أيضاً هو إله ونور وإله

٣٤٦ متى ١٠/٣٢؛ راجع أيضاً متى ١١/٢٥-٢٦؛ ١٦/١٧؛ ١٧/٥؛ ٢٦/٦٣-٦٤؛ مر ١/١١؛ ٣/١١؛ لو ٩/٣٥؛ ١٠/٢١-٢٢؛ ١١/٢-٥؛ ٢٢/٧٠؛ ٢٣/٤٦؛ يو ١/٣٤؛ ٢/١٦؛ ٥/١٨-٢٣؛ ٦/٤٥-٤٦؛ ٨/١٨-١٩؛ ١٠/٣٠؛ ٣٨؛ ١١/٤١-٤٢؛ راجع أيضاً يو ١٤-١٧.

٣٤٧ راجع مر ١١/٢٥-٢٦؛ لو ١١/٢.

حق. ونجد الطرحين الأول والثاني في الكتاب المقدس[٣٤٨]. أما الطرح الثالث فهو من تقليد آبائي، وقد تضمنه رمز قيصرية. وفرضه الآباء ليؤكدوا على ولادة الابن الأزلية من الآب نفسه، وبالتالي على ألوهية الابن بكل معنى الكلمة، أي أنه إله مثل الآب[٣٤٩].

ج) الابن غير مخلوق

زرع آريوس بتعاليمه وبأغانيه الشعبية، الشكوك حول أصل الكلمة، وحول بنوته الإلهية، فخرج بذلك عن الطريق المستقيم. هذا ما دفع الآباء إلى التطرق إلى هذا الملف، وهرعوا إلى النظر في كل ما يوضح ألوهية المسيح، أي ركائز المسيحية، ألا وهي الكتاب المقدس، والتقليد الرسولي وأقوال الآباء القديسين.

تابع آباء المجمع لاهوت الابن بتفكير منطقي كالتالي: إذا كان ابن الله الحقيقي، هو ابن بحسب الطبيعة، فهو غير مخلوق، لذا أضافوا "مولود غير مخلوق"، ليلغوا كل الشكوك والحيرة حول التعابير الأخرى، المستعملة من قبل الفريق الآريوسي -"مصنوع" مثلاً-، والتي كانوا يستخدمونها لدى التكلم عن جوهر ابن الله؛ لا بل أدان المجمع كل استعمال لتعبير مغاير. وعندما واجه آريوس والموالون له، آباء المجمع بنص من سفر الأمثال[٣٥٠]، يعود إلى الحكمة المتجسدة، ليثبتوا أن الابن مخلوق، -هذا ما ينطبق فعلاً على الابن المتجسد، الذي يُدعى "مخلوقاً" بسبب إنسانيته المخلوقة فعلاً- قدّم الآباء أولاً نصوصاً كتابية، للرد على ذلك[٣٥١]، أهمها الفصل الأول من إنجيل يوحنا القائل: "في البدء كان الكلمة. والكلمة كان لدى الله. والكلمة هو الله"[٣٥٢]؛ ومن ثم، تحليلاً فلسفياً منطقياً قائلين: لا يمكن أن يكون هناك فارق، أو مسافة أو زمن بين الآب والابن، لأن الكتاب المقدس يقول "به

٣٤٨ راجع يو ١/١؛ ٤-١٨؛ ٥/١٩-٢٠؛ ٨/١٢؛ ١يو ١/٥؛ يع ١/١٧.

٣٤٩ De Urbina., 75-79.

٣٥٠ لاحظ باسيليوس أن هناك خطأ في قراءة نص الأمثال (٨/٢٢) إذ إن البعض يقرأ "ملكني" éktèsato بدلاً من "خلقني" éktisé . راجع De Urbina., 79-80.

٣٥١ Cf. Pollard T-E., The Exegesis of Scripture and the Arian Controversy: BJR 41 (1958). 414-429.

٣٥٢ يو ١/١.

www.old-criticism.blogspot.com

كُوِّن كل شيء"[٣٥٣]. فالابن ليس مخلوقاً، ولا من مصف المخلوقات ولا جزءاً منها، بل هو الخالق. والقوة الخالقة بطبيعتها إلهية، ولا تستطيع أن تقيم مندوبين عنها في الخلق. وإذا كان هناك فارق أو مسافة، أو زمن أو مدة بين الآب والابن، حتى خارج الزمن الذي بدأ بخلق الكائنات المنظورة، فقد أُدخل بين الآب والابن شيء ما، لم يخلقه الابن؛ وهذا يعني أن ليس كل شيء به كُوِّن، كما يقول الإنجيل المقدس. وهل يعقل أن يكون تفكيرنا أصح من الكتاب المقدس؟[٣٥٤]

د) الامووسيوس: الابن مساوٍ للآب في الجوهر

كان هذا التعبير العصب الأساسي لمجمع نيقيا، والسهم الذي أصاب جنب الآريوسية، وعلامة التناقض التي استمر النقاش حولها، أكثر من نصف قرن بعد المجمع. وكان الدفاع عن "الاومووسيوس"، في القرن الرابع، يعني الاعتراف بأرثوذكسية نيقيا. بينما رفض الآريوسيون هذه العقيدة بكل فئاتهم.

نجد هذا التعبير غير الكتابي، المتجذر خاصة في الإسكندرية، لدى الغنوصيين والمؤلفين المسيحيين الأوائل في القرنين الثاني والثالث. وكانت هذه الكلمة اليونانية "اومووسيوس"، وهي تعني الانتماء المشترك إلى جوهر أساسي واحد، دون أن يتضمن ذلك بالضرورة، وحدانية عددية بين الكائنات المتساوية في الجوهر.

رفض الآريوسيون "الاومووسيوس". والحقيقة أن أغلب الشرقيين عارضوها، لأنهم كانوا يتهمونها بالصابيلية، فكنتَ تجد المعارض علناً، كما كنت تجد المتردد، الذي لم يكن موافقاً على تعاليم آريوس، ولكنه، في الوقت نفسه، غير موافق كلياً على هذه الكلمة الجديدة. فالمعارضة كانت بالإجمال، لأن هذه اللفظة هي من المفردات الفلسفية، التي لا علاقة لها باللاهوت[٣٥٥]، وهي غير كتابية، أي أنها غير موجودة في الكتاب المقدس، وتتعارض ومبادئ الآريوسية. ومن جهة أخرى، لم يكن هناك بعد، تمييز واضح لدى الشرقيين، بين كلمتي "اوسيا"

٣٥٣ يو ١/٣.

٣٥٤ Grillmeier., I. 553.

٣٥٥ كانت كلمة "الاومووسيوس" مادية المعنى؛ فقد كانت تُستخدم في اللغة العامية لشيئين مصنوعين من نفس المادة: كالعملة المصنوعة من نفس المعدن. AA-VV., Nuova storia della Chiesa. 303

و"ايبوستاسيس"[٣٥٦] باليونانية، أي بين كلمتي "جوهر" و"شخص": الجوهر وهي "اوسيا" باليونانية. وهذا الجوهر هو الواحد والمشترك بين الآب والابن، بينما الأقنوم وهو "ايبوستاسيس" باليونانية، ويعني الشخص، كان هناك، في الواقع، عدم تمييز واضح بعد، بين هاتين الكلمتين في اللاهوت. فإذا كان الأقنوم هو المميزات الخاصة لكل شخص في الثالوث، فإعلان أن الابن هو من "اوسيا" الآب ذاتها، فهذا يعني أنه ليس شخصاً مميزاً عنه، وبالتالي نصطدم بهذا الاعتراف، بما يقوله الشكلانيون. وإعلان أن الابن من "اوسيا" مختلفة عن اوسيا الآب، يعني أنه ليس مساوٍ له، وبالتالي يكون آريوس على حق. مما يدل على أن كلمة "اومووسيوس" لم تعد تعني فقط، أن الآب والابن يشتركان في الـ "اوسيا" ذاتها، إنما هما أيضاً من نفس الـ "ايبوستاسيس"، وهذا ما يستثنيه التعليم بثلاثة "ايبوستاسيس"، المنتشر في الشرق؛ لا بل ظن البعض أن قانون الإيمان يعطي معنى مونارخياً. وأخيراً لأن بولس السميساطي (٢٠٠-٢٧٤)، كان قد استعملها سابقاً، ورفضها مجمع أنطاكية (٢٦٨) آنذاك، بعد أن درس كل أبعادها. من هنا تحفظ الكثيرون قبل القبول بهذه اللفظة، إذ رأوا فيها اعترافاً صابيلياً، أو عودة إلى الشكلانية أو المونارخية[٣٥٧]. ومما يثير الدهشة والعجب، أن ديونيسيوس أسقف الإسكندرية (٢٤٧-٢٦٤)، استعمل هذه الكلمة "اومووسيوس" فرفضها إكليروسه، واشتكاه إلى البابا ديونيسيوس (٢٥٩-٢٦٨) أيضاً[٣٥٨]؛ فكتب البابا يلوم أسقف الإسكندرية على ذلك، فاعترف هذا الأخير، بأن تعابيره غامضة، فصححها ووعد بعدم استعمال كلمة "اومووسيوس" مجدداً، لأنها غير موجودة في الكتاب المقدس.

استخدم الآباء "الاومووسيوس"[٣٥٩] في الواقع، ضد آريوس بالذات، لأنه قبل بتعبير "مشابه للآب"، معتبراً أنه يمكن تطبيقه على البشر أيضاً؛ لذا رغب الآباء

٣٥٦ سوف يحل هذا الغموض، الآباء الكبادوكيون الذين ميزوا بكل وضوح بين الكلمتين. من هنا بدأت الكنيسة وسلطتها تقول بأن في الله جوهر واحد وثلاثة أقانيم. Grillmeier, I. 525; COD., 5

٣٥٧ De Urbina., 82-87.

٣٥٨ يبدو أن العادة بوصف الابن من ذات جوهر الآب، متجذرة في الأوساط الإسكندرانية منذ سنة ٢٥٠.

٣٥٩ وقد أوضح القديس باسيليوس الكبير، فيما بعد، بخصوص "الاومووسيوس" في الرسالة ٥٢ بقوله إنه لا يمكن تطبيق هذه الكلمة "الاومووسيوس" على كائنين، إلا إذا كانا شخصين متمايزين، لأنه لا يمكن لأي شيء، أن يكون مساوياً في الجوهر لنفسه، بل دائماً لشيء آخر. من هنا لا يمكن القول إن الابن والآب متساويان في الجوهر، إلا فيما يختص بالطبيعة، وأن يكونا شخصين متميزين. ألقى باسيليوس الضوء، وفسرها كما يفسرها النيقاويون. من هنا، لم تعد كلمة "اومووسيوس" توقع في الصابيلية بل

www.old-criticism.blogspot.com

باختيار كلمة أو تعبير آخر، يشير إلى التشابه التام في الهوية بين الابن والآب، ويشير أيضاً إلى الاختلاف مع التشابه، الذي يصل إليه البشر بالفضائل. ويتضمن هذا التعبير الذي اختاره الآباء، عدم انقسام الآب والابن، المتحدين في الجوهر الواحد ذاته. فألوهية الابن في الطبيعة مثل الآب، ومساوية له في كل شيء. لم تكن الوحدانية العددية، هي محور الاهتمام[٣٦٠]، بل كان الاهتمام منصباً على طبيعة الابن. ويؤكد قانون إيمان نيقيا على وحدانية الجوهر في الله، وعلى وجود أقنومين من ذات الجوهر، فيحدد بذلك الوحدانية العددية: الآب إله، والرب أي الابن إله. وبهذا التعبير أعلن آباء نيقيا ألوهية يسوع المسيح. وأوضح اثناسيوس ما عنى المجمع بهذا التعبير، فقال: إن الابن ليس هو كالآب فحسب، ولكنه -وهو صورته- نفس الشيء الذي هو الآب. أما مشابهة الابن للآب، وكونه من الآب وعدم إمكان تحوله، فهي غير ما لنا. إنها فينا أشياء نحصل عليها، وننالها بإتمامنا الأوامر الإلهية. ثم إن الآباء أرادوا أن يدلوا بذلك، على أن جيل الابن يختلف عن جيلنا -نحن طبيعتنا بشرية-، وأن الابن هو ليس كالآب فحسب، بل هو غير منفصل عن جوهر الآب، وأنه هو والآب واحد، والجوهر هو ذاته، كما قال الابن نفسه، إن الكلمة هو دائماً في الآب، والآب هو دائماً في الكلمة[٣٦١]، كما أن الشمس وبهاءها، هما غير منفصلين أحدهما عن الآخر[٣٦٢]. وفي هذا الصدد، يعبر اثناسيوس خير تعبير، عما أراد الآباء الإفصاح عنه، وعما عنوه في هذا الموضوع: "إن الابن ليس مشابهاً للآب وحسب، بل هو المنبثق من الآب، ومساوٍ له تماماً؛ هو غير منفصل عن جوهر الآب... نحن نعترف بمبدأ واحد، ولا نقول إنَّ للوغوس الخالق، حياة مختلفة عن حياة الله الواحد. ولكن يمكن اتهام الآريوسيين بتعدد الآلهة أو بالإلحاد؛ فهم يعتقدون أن الابن خليقة إلهية غريبة، وكذلك الروح

بالعكس، أصبحت تتضمن تفنيداً لهذه البدعة. وأصبحت كلمة "اوموسيوس" شعار الأرثوذكسية. H-L., I,1. Note N° 1. 435-436

٣٦٠ لم يكن هناك، حتى ذلك الوقت، تمييز بين الوحدانية العددية والوحدانية النوعية Unité numérique et unité spécifique كان تعبير "الاوموسيوس" بالعموم، في نصوص عديدة، يعني المساواة في الجوهر في الفئة عينها (أي من الجنس عينه)، دون تحديد ما إذا كانت هذه الوحدة عددية أم نوعية، فالمعنى ينطبق على الحالتين. كانت كلمة "الاوموسيوس" في الواقع قبل نيقيا، تعني وحدة الطبيعة بين شخصين أو شيئين دون أن يكون بالضرورة بينهما وحدة عددية.

٣٦١ راجع يو ١٤/١١.

٣٦٢ م.ش.ك. ٤٤-٤٥.

القدس، مخلوق من العدم. وهكذا هم مرغمون على القول، إما أن اللوغوس ليس إلهاً، وإما أنه ليس من جوهر الآب. وبما أنهم يعترفون بأنه إله حسب قول الكتب المقدسة، فذلك يؤدي بهم ضرورة، إلى الاعتراف بعدة آلهة، بسبب اختلافهما (أي الآب والابن). وإذا قالوا إنه إله بالمشاركة كبقية الأشياء، فهم أيضاً كفرة، لأن اللوغوس يصبح واحداً من المخلوقات. وهذا ما لا نقبل به إطلاقاً. إن نوع الجوهر الإلهي واحد، وهذا ما يتصف به اللوغوس أيضاً. واحد هو الله الآب، الكائن بحد ذاته، وفوق كل شئ: يظهر في الابن، ويهيمن على الأشياء كلها، بواسطة الابن الذي فيه. وهكذا نعترف بإله واحد في الثالوث، ولا بالألوهية المتعددة الأوجه، التي ينادي بها الهراطقة، لأننا نؤمن بألوهية واحدة في الثالوث"[٣٦٣].

٢- القوانين الإدارية والتنظيمية

أراد آباء المجمع الاستفادة من الفرصة الفريدة، المتاحة لهم للاجتماع، لمناقشة بعض المسائل التنظيمية، التي لم تكن على جدول أعمال المجمع الذي قدمه قسطنطين، ففعلوا وأصدروا، في التاسع عشر من حزيران، عشرين قانوناً في نهاية مناقشاتهم، حول المواضيع المطروحة[٣٦٤].

طبعاً، سبق وأن أصدرت الكنيسة قوانين خاصة، على أثر العديد من مجامعها، سواء في القرنين الثاني والثالث، التي لم تصلنا منها أي مجموعة، أو في القرن الرابع، وقد بقي لنا منها قوانين مجمع الفيرا (بين ٣٠٠ و٣١٤؟)، وانقيرة وقيصرية الجديدة (حوالي سنة ٣١٥). لم تكن قوانين هذه المجامع المحلية عامة لكل الكنيسة، إنما تبقى مهمة بالنسبة إلينا، لأنها نقطة مقارنة لإدراك قوانين نيقيا. فالأولى حددت أو ثبتت نهائياً، قوانين كانت قيد الاستعمال، ولربما من زمن طويل. فلم يقم، ولم يزعم الآباء القيام بثورة في الحقل القانوني. وتبقى هذه القوانين شهادة للظروف التاريخية، التي حصلت ونمت وانتشرت بخطوط متفاوتة، في الحقبة السابقة من تاريخ الكنيسة؛ ومن هنا أهميتها العظمى. أما مع مجمع نيقيا، فقد أراد الآباء، أن

٣٦٣ Grillmeier., I. 522-525.

٣٦٤ Cf. EO 24 (1925). 395.

www.old-criticism.blogspot.com

يُصدروا قوانين ملزمة وشرعية، لكل الكنيسة الجامعة الرسولية، لأنهم يمثلون العالم المسيحي[٣٦٥]. وتعود أهمية هذه القوانين، إلى أنها رمز اتفاق الكنيسة على إصدارها، ورمز انفتاح في التفكير أكثر مما كان في المجامع السابقة. وهي أول مرة يجتمع فيها الشرقيون مع الغربيين، ليتناقشوا معاً، ويقرروا سوية، حلّ قضايا قديمة عالقة، مثل إعادة معمودية الجاحدين وقبولهم، وغيرها من المواضيع، فأضحى ذلك نموذجاً للمجامع اللاحقة، سواء المحليّة أو المسكونية.

وافق جميع آباء مجمع نيقيا على ما صدر عنه من قوانين، أقرها الإمبراطور قسطنطين، وأعلنها للملأ بسلطانه وسلطان الكنيسة، واعتمدها كقوانين دولة أو مدنية فأصبحت، من ثم، شريعة كنسية، ملزمة للكنيسة كلها، وبالتالي مسكونية. ولهذه القوانين أهمية كبيرة أيضاً، لأنها اهتمت أولاً بأمور قديمة كانت عالقة، وأعادت النظر في تركيبة الكنيسة، وشددت على المحافظة على كرامة الإكليروس، ورتبت التوبة العلنية، ومكانة الشماس في التراتبية العامة وغيرها من الأمور الليتورجية. إن ما نلحظه في هذه القوانين، هو الانفتاح في التفكير أكثر مما كان عليه في المجامع السالفة. وفضل هذه القوانين أيضاً، على ما سبقها من قوانين في الكنيسة، هو أنها حددت وثبتت نهائياً، قوانين قديمة كانت قيد الاستعمال، فأعطتها صفة المسكونية، والجامعة الرسولية[٣٦٦].

آ) قوانين نيقيا وعددها

من المعروف أن قوانين مجمع نيقيا، هي عشرون قانوناً. غير أن بعض المخطوطات العربية والسريانية، نسبت إلى هذا المجمع قوانين إضافية، هي في الواقع غير أصيلة[٣٦٧]. لذا اختلف المؤرخون حول عدد قوانين مجمع نيقيا الصحيح، فقد شاع في الشرق خاصة، أن المجمع المذكور، قد أصدر قوانين كثيرة، ربما فاقت الخمسين قانوناً، بينما أكدت شهادات المؤرخين اليونان واللاتين، أنها عشرون

٣٦٥ De Urbina., 96-97.

٣٦٦ من المستغرب أننا لا نجد قرار المجمع بخصوص عيد الفصح ضمن قوانينه.

٣٦٧ رستم، ج ١. ٢٠٥؛ H-L., I,1. 503-515 ؛ F-M., III, 89; De Urbina., 96;

قانوناً فقط. ولعل ما قاد أولئك إلى الخطأ، هو وجود مخطوطة عربية في مكتبة الفاتيكان، تنسب إلى المجمع المسكوني الأول ثمانين قانوناً. ونجد هذه القوانين الثمانين أيضاً، بالسريانية والكلدانية والحبشية، وربما بالأرمنية أيضاً. وتُرجمت هذه المخطوطة إلى اللاتينية في القرن السادس عشر، وتوزعت، فكان لها صدى واسعاً، دعا العديد من الباحثين إلى تأكيد الإشاعة الشرقية، وتثبيت مضمون المخطوطة الفاتيكانية . كما اعتقد بعض الشرقيين، أن مجمع نيقيا أصدر ثلاث مجموعات من القوانين: الأولى من ٨٤ قانوناً، وتُعنى بالإكليروس؛ والثانية من عشرين قانوناً وهي القوانين الأصلية؛ والثالثة هي أوامر للملوك والرؤساء[٣٦٨].

إن كل المجموعات التي تضم القوانين القديمة سواء في اليونانية أو في اللاتينية أو حتى في العربية، لا تذكر في الواقع إلا عشرين قانوناً لمجمع نيقيا المسكوني الأول؛ أضف إلى ذلك، شهادات "الذين ظهروا في العصر المتصل بزمن المجمع، أمثال ثيودوريتوس وجيلاسيوس، أسقف كيزيكو وروفينوس. ولم يعترف علماء القانون اللاتين في القرون الوسطى بغير العشرين قانوناً، كما لم تعترف بها مجموعة ايسيدوروس وادريانوس الأول وهنكمار[٣٦٩].

٣٦٨ يُعتقد أن سبب تضخم عدد قوانين مجمع نيقيا في النسخ العربية، يعود إلى إهمال النساخ ذكر اسم المجمع للقوانين التي تلت مجمع نيقيا، أي أنه كان هناك مجموعات من قوانين مجامع مختلفة، ومن بينها قوانين مجمع نيقيا، فاختلط الأمر بسبب عدم التدقيق فيها وترتيبها بحسب مجامعها، كما لعب مرور الزمن دوره في عدم تحديد أو نسبة القانون للمجمع الذي أصدره. كما أن "التقليد الشعبي" لم يكن ليتصور ويقتنع، بأن مجمعاً بهذه الأهمية والضخامة، وهو أول مجمع مسكوني، يمكن أن يصدر فقط عشرين قانوناً. H-L., I.1. 515-519

وإليك نموذجاً من القوانين المنسوبة إلى مجمع نيقيا، والتي هو منها براء، مع سبب عدم نسبتها إليه:

القانون ٣٨: يأمر بطريرك افسس بالانتقال إلى القسطنطينية، مدينة الملك والكهنوت...

الانتقاد: لم تكن القسطنطينية قد شُيدت أو انتهى بناؤها إلا سنة ٣٣٠/٣٣١؛ ولم تكن قد رُفعت بعد إلى بطريركية، لأن ذلك حصل في المجمعين الثاني والرابع (القانون ٣ من الثاني، و٢٨ من الرابع).

القانون ٤٢: يمنع الأثيوبيين من انتخاب بطريرك، يحمل رئيسهم الروحي لقب كاثوليكوس فقط، وهو تحت سلطة بطريرك الإسكندرية.

الانتقاد: زمن مجمع نيقيا، لم يكن للحبشة بعد أسقف، كذلك البطريركيات لم تكن قد أُنشأت بعد.

القانون ٤٣: تبعية كنيسة قبرص لأنطاكية.

الانتقاد: هذا قرار اتُخذ في المجمع الثالث، مجمع افسس (٤٣١). وهناك العديد من البراهين، التي تؤكد عدم أصالة هذه القوانين الإضافية: كسيامة الرهبان كهنة، أو جعل الحياة الرهبانية المشتركة منتظمة جداً، وكأننا في العصور الوسطى؛ ثم إن قانون الإيمان يحمل إضافات مجمع القسطنطينية الأول وغيرها.

٣٦٩ م.ش.ك. ٩٦-١٠٠.

www.old-criticism.blogspot.com

جاءت قوانين نيقيا غير مرتبة بحسب المواضيع؛ إنما بالإمكان تقسيمها إلى خمسة مواضيع، وأغلبها إدارية وتنظيمية وحياتية.

١) هيكلية الكنيسة (ق.ق. ٤-٧، ١٥-١٦)

ترتب هذه القوانين بعض الأمور الكنسية، لتقويم بعض التعديات والاعوجاجات التي كانت تحصل قبلاً. وتُظهر القوانين الستة المذكورة منها، بنية الكنيسة المحلية آنذاك، وكيف كان المتروبوليت يرئس المقاطعة وأساقفتها، يساعده الشمامسة، الذين كانوا يتمتعون بأهمية كبرى، ويأتون في المرتبة التي تلي الكهنة، ثم الشعب.

القانون الرابع

يجب الاعتناء للغاية بأن يُسام الأسقف من قبل أساقفة المقاطعة كلهم. وإذا تعذّر ذلك لضرورة قاهرة أو لأسباب طارئةٍ أو لبعد المسافات، فينبغي أن يجتمع ثلاثة أساقفة في مكان واحد على الأقل لشرطنته، بعد أن يوافق الغائبون كتابة. أما تثبيت ما أُنجز فيعود أمره في كل مقاطعة إلى المتروبوليت.[٣٧٠]

٣٧٠ تبنت الكنيسة منذ القِدم التقسيمات الإدارية للدولة لتنظيم أمورها: كان الرسل يبشرون في المدن الكبرى من كل مقاطعة، وكانوا يعتبرون المؤمنين هناك جماعة واحدة. فنرى القديس بولس مثلاً يكتب إلى كنيسة الله في كورنثس وإلى جميع المؤمنين في آخائية (راجع ٢قور ١/٢١)، فهو يجمع كل مؤمني آخائية في وحدة، وعلى رأس كنائس هذه المقاطعة، كورنثس التي كانت المحافظة. وفي روم ١٥/٢٥ و٢٦: يتكلم عن مقدونيا وآخائيا بانفصال؛ لأن مدنهما المتروبوليتية كانت تسالونيكي وكورنثس، وهما مختلفتان مدنياً. ونفس الأمر بالنسبة للرسالة إلى الغلاطيين (راجع غل ١/٢). وكذلك في رسالة بطرس الأولى: "من بطرس رسول يسوع المسيح إلى المختارين الغرباء، المشتتين في البنطس وغلاطية وكبدوكيا وآسيا وبيثينيا" (١بط ١/١). هذا التقسيم هو نفس التقسيم الإقليمي للإمبراطورية الرومانية، فمنذ بدء الكنيسة كان هناك ميل أن تطابق خطوط الدوائر الكنسية الدوائر المدنية.
وجّه بولس رسالته الأولى إلى أهل كورنثس (المدينة المتروبوليتية) التي تبلّغ بقية مدن المقاطعة رسالته (١تس ٤/٩-١٠). وكان بولس، في رسائله إلى المدن الصغرى، يؤكد على ضرورة تبليغها إلى المدينة المتروبوليتية (قول ٤/١٥-١٦). وكذلك إقامة الأساقفة في المدن الكبرى. فأصبحت هذه المدن مركز المسيحيين (راجع القانونين ١٧ و٢٨ من مجمع خلقيدونيا). من هنا كان يعتبر أساقفة المقاطعة ذاتها أن هناك رابطاً بينهم، وكان المتروبوليت الأعلى بينهم (بسبب أهمية مدينته المدنية). وذلك لأن الكنيسة المتروبوليتية قد قبلت الإيمان أولاً في هذا الإقليم، التي بدورها بشرته لبقية المدن. لهذا نرى أن هذه المدن، وقت الصعوبات، تلجأ إلى المتروبوليتية لأنها الكنيسة-الأم، فهي مصدر ومستودع التقليد العقائدي والتنظيمي. وكذلك هي مؤسسة كنائسها. وقد قبل مجمع نيقيا، في قانونه الرابع، التقسيم الإداري المدني، فأمر بانتخاب الأسقف من قِبل أساقفة المقاطعة، على أن يدير المتروبوليت شؤون هذه

تبنت الكنيسة منذ القديم، التقسيمات الإدارية للدولة، وتنظمت الديانة المسيحية كديانة مدنية، وتطابقت مع الإطار الروماني: كنيسة المدينة متميزة، فيها الرئيس أي الأسقف؛ والجماعات الريفية تتبعها. وتكونت السلطة الكنسية على مثال السلطة المدنية: إخضاع المدن البسيطة لمدينة المتروبوليت في الإقليم، ثم رئيس الإقليم كله الذي أصبح، فيما بعد، البطريرك. من هنا كان أساقفة المقاطعة ذاتها، يعتبرون أن هناك رابطاً بينهم، وكان المتروبوليت الأسمى فيما بينهم، بسبب أهمية مدينته من الناحية المدنية؛ كذلك الكنيسة المتروبوليتية قبلت الإيمان أولاً في هذا الإقليم، وهي بدورها بشرته لبقية المدن. لذا نرى هذه المدن تلجأ وقت الصعوبات إلى المتروبوليتية، لأنها الكنيسة-الأم مصدر ومستودع التقليد العقائدي والتنظيمي. ويظهر المتروبوليت، في القانونين الرابع والخامس، كجزء من البنية الكنسية، فوق بقية الأساقفة: هو رئيس عدة أبرشيات متحدة في إقليم[٣٧١] كنسي.

كان انتخاب الأسقف يعود للأساقفة، على أن تعلن الجماعة رأيها في هذا الانتخاب. ثم اختفت هذه العادة[٣٧٢]. وأصبح القانون، بأن "يجتمع أساقفة المقاطعة

المقاطعة. انتخاب الأساقفة: أولاً الرسل اختاروهم؛ ثم تلاميذ الرسل (اقليمس الروماني إلى أهل كورنثس: الانتخاب للرسل، للأساقفة، وللشعب)، ولكن يجب أن تعلن الجماعة رأيها في ذلك. ثم اختفت هذه العادة: "يجتمع أساقفة المقاطعة القريبون، في مدينة الكرسي الشاغر، فينتخب الأسقف من جميع الحاضرين، ويحضر الشعب الانتخاب (لأنه يحيي بالكمال حياة الأفراد) لأن منح الأسقفية إذاً يتم من قِبل الاخوة أجمعين، وباقتراع الأساقفة وقرارهم" (كبريانوس، رسالة ٦٨).
من المرجح أنه كان للإكليروس والشعب كلمة في الانتخاب: خاصة الشعب في الترشيح (طلب شخص ما)؛ وفي الاقتراع أيضاً، لكن الكلمة الفصل تبقى لأساقفة المقاطعة، وكذلك سيامتهم، فإنه ربما اختار الشعب شخصاً سيئاً.
حافظت عليه الكنيستان اللاتينية واليونانية، وأُدخل في مختلف مجموعات الشرع الكنسي. ثلاثة أساقفة: لمنع السيامات المرتجلة.
تفسيرات مختلفة حول هذا القانون:
- الشرق: عدم اشتراك الشعب في الانتخاب والاقتراع، فهذا من اختصاص الأساقفة وحدهم.
- الغرب: بعكس الشرق، لم يُنحَّ الشعب عن الاقتراع فيها إلا في القرن التاسع، وكذلك أساقفة المقاطعة، فأضحى انتخاب الأسقف من اختصاص إكليروس الكنيسة الكاتدرائية. ثم أصبح حق التثبيت للبابا فقط، خاصة بعد معاهدة اشافينبورغ Aschaffenbourg. CF. H-L., I,1. 539-547.

٣٧١ إقليم أو ولاية Eparchie . كانت مراكز الحكم في الولايات الرومانية تتمتع، في غالبية الأحيان، برتبة متروبوليس أي المدينة-الأم. وكانت الولاية التابعة لها تدعى "أبرشية". فأصبح أسقف المتروبوليس متروبوليت الأبرشية. راجع رستم، ج ١. ١٥٩.

٣٧٢ من المرجح أنه كان للإكليروس والشعب كلمة في الانتخاب؛ خاصة للشعب في مرحلة الترشيح، وفي مرحلة الاقتراع أيضاً، لكن الكلمة الفصل تبقى لأساقفة المقاطعة، وكذلك السيامة. Cf. H-L., I,1.

www.old-criticism.blogspot.com

القريبون في مدينة الكرسي الشاغر، فينتخب الأسقف من جميع الحاضرين، ويحضر الشعب الانتخاب، لأن منح الأسقفية يتم من قبل الاخوة أجمعين، وباقتراع الأساقفة وقرارهم"[٣٧٣]. ويجب أن يقوم بسيامة الأسقف ثلاثة أساقفة، وهذا ما يحافظ عليه حتى اليوم[٣٧٤]. والدافع إلى اتخاذ مثل هذا القرار، هو ملاتيوس الذي عيّن أساقفة، بدون أن يشترك بالرأي، مع باقي أساقفة الأبرشية، وبدون موافقة متروبوليت الإسكندرية، مما سبب انشقاقاً.

القانون الخامس

على الأساقفة، فيما يختص بالذين قُطعوا من الشركة من إكليريكيين وعلمانيين، مراعاة القانون الذي يمنع أن يقبل أساقفة آخرون مثل هؤلاء الأشخاص. غير أنه من الواجب في الوقت عينه فحص قضاياهم لئلا يكونوا قُطعوا من الشركة بسبب حزازة شخصية مع الأسقف أو خصومة أو كراهية أو غير ذلك. ولكي يتم هذا الفحص كما يليق، استحسنا أن ينعقد سينودس إقليمي مرتين كل سنة، بحيث يفحص جميع أساقفة الأقليم سوية القضايا والمسائل. فالذين يظهر ذنبهم وعصيانهم لأسقفهم يشهد الجميع بأن قطعهم من الشركة أمر صحيح ومناسب؛ ويبقى القطع ساري المفعول إلى أن يرى مجمع الأساقفة أو الأسقف أن يخفف الحكم الصادر عليهم. يجب أن يلتئم السينودس الأول قبل الصوم الكبير، لأننا بعد إطراح كل حقد وخلاف يمكننا أن نقرّب لله ذبيحة طاهرة؛ والثاني في الخريف.[٣٧٥]

٣٧٣ راجع كبريانوس، الرسالة ٦٨.

٣٧٤ يجب أن نوضح أنه لا يكفي أسقف واحد في الأبرشية لتعيين أسقف آخر؛ بل يجب أن يكونوا أقله ثلاثة أساقفة؛ ولا يمكن لهؤلاء إنجاز الانتخاب إلا بموافقة الأساقفة الغائبين؛ ويجب أن يقوم المتروبوليت بعد ذلك بتثبيت عمل الانتخاب. راجع م.ش.ك. ٥٢-٥٤.
إن فرض ثلاثة أساقفة ضروري لمنع السيامات المرتجلة، كما حدث مع ملاتيوس في الإسكندرية. ونرى مثل هذا القرار في قانون الرسل، البند الاول؛ ومجمع آرل (٣١٤)، البند ٢٠؛ ومجمع اللاذقية، البند ١٢؛ ومجمع توليدو الرابع، البند ١٩؛ ونيقيا الثاني، البند الثالث. نلاحظ أن الجميع قبلوا هذا القرار، وقد أدخلته مختلف مجموعات الشرع الكنسي ضمن إطارها. وحافظت عليه كل من الكنيسة اللاتينية واليونانية.

٣٧٥ يبدو هذا القانون (اجتماع سينودسين سنويين)، وكأنه إعادة اعتبار للأساقفة، ويبرهن عن القلق، بشأن عدم أهميتهم في الاجتماعات الإقليمية، حيث قلة عدد أعضائه لا تكفي دائماً لانتشال الأساقفة من السطحية، مما يضعهم تحت رحمة شماس (مثل اثناسيوس في نيقيا)، أو كاهن رفيع الشأن بالطبع (مثل مالكيون في مجمع أنطاكية سنة ٢٦٨)، لكنه أدنى منهم بالدرجات والسلطة. يستعرض هذا القانون: حالة المقطوعين واجتماع السينودس مرتين في السنة، كي يحافظ على مبدأ وحدانية الأسقفية. والكنيسة التي رشقت بالقطع وحدها ترفعه. ويقرر المجمع اجتماعات الأساقفة وبعضاً من أعمالها. Cf. H. L., I,1. 548-552.

نرى في القانون الخامس، أن القطع هو نظام قديم في الكنيسة وواضح: يسري على الأبرشية الواحدة، وبالاتصال مع بقية الأساقفة على بقية الكنيسة. وأراد الآباء في هذا القانون، تجنب المحاباة والتحيز في الانتخابات والسيامات، على حسب ما ترسمه العادة الكنسية القديمة. ولكن هذا لا يتمّ آلياً إلا في الأبرشية نفسها. ويبدو القرار، وكأنه يعيد الاعتبار إلى الأساقفة، ويطالب باجتماع سينودسي، مرتين في السنة، لحل الأمور المستعصية بهذا الخصوص. كان تأمين التئام مجامع الأبرشيات النظامية، من الصعوبة بمكان، من أقدم الأزمنة حتى الآن. وعلى الرغم من القوانين وفرض العقوبات على المتلكئين، فقد ندر انعقادها في مناطق عديدة[٣٧٦].

القانون السادس

فلتُحفظ العادات القديمة في مصر وليبيا والمدن الخمس في أن لأسقف الإسكندرية السلطان والرئاسة على كل هذه الأقاليم؛ وعلى ما هي عليه العادة من جهة أسقف روما أيضاً. ولتُحفظ كذلك في أنطاكية وبقية المقاطعات امتيازات كل كنيسة وحقوقها القديمة.

وليكن معلوماً لدى الجميع في كل مكان أن كل من يصبح أسقفاً دون موافقة المتروبوليت، فإن المجمع الكبير هذا لا يعتبره أسقفاً. على أنه إذا عارض أسقفان أو ثلاثة لأسباب شخصية انتخاباً أجراه سائر الأساقفة بطريقة قويمة منسجمة وشرائع الكنيسة، فليكن انتخاب الأكثرية ثابتاً.[٣٧٧]

٣٧٦ أولاً يعتقد البعض، أن قلة عدد أعضاء الأبرشيات، هو السبب في ندرة مثل هذه الاجتماعات. ويعتقد غيرهم أن السبب هو الفكرة السائدة التي يوضحها لنا القديس غريغوريوس النزينزي، في رسالته إلى بروكوبيوس، عندما رفض حضور جلسات المجمع الثاني: "إنني عزمت على تجنب حضور أي اجتماع للأساقفة، لأني لم أرَ حتى الآن مجمعاً انتهى على خير، ولم أرَ مجمعاً تمكن من القضاء على الفوضى، بل بالعكس كان سبباً لتفاقمها". راجع م.ش.ك. ٥٥.

٣٧٧ يُعتبر هذا القانون أهم قانون في المجمع، لأنه أثبت المساواة في الولاية والسلطة بين أسقف روما وبطريركي الإسكندرية وأنطاكية. نظّم أمور المقاطعات الكنسية، بخلق مؤسسة سلطوية هرمية عليا، وهي ليست شيئاً جديداً، بل من تقليد قديم. فاعترف بها المجمع وصادق عليها. بالطبع لم تكن حدودها مثبتة، بل كانت معروفة بالتقريب، إذ لم يذكر القانون أين تقع حدود هذه الولاية.
سوف يُعرف موضوع هذا القانون فيما بعد، باسم قانون البطريركيات: ولاية على عدة مقاطعات كنسية لها متروبوليت (أي على عدة متروبوليتيات)، أي ليس بمعنى أنه متروبوليت فقط. هذا لا يعني سلطات المتروبوليت العادية بل أرفع. فأسقف الإسكندرية له سلطان على مصر وليبيا وطيبة Thèbes ou Thébaïde والمدن الخمس. ويُعطى أسقف أنطاكية السلطات عينها كما لأسقف الإسكندرية. وهي تتضمن (راجع القانون الثاني من مجمع القسطنطينية الأول ٣٨١) فلسطين وفينيقيا وسوريا وكيليكيا وقبرص والعربية وايصوريا وفلسطين الطيبة Salutaris وفلسطين الثانية وفينيقيا-لبنان وما بين النهرين وسوريا الطيبة Syrie Salutaris واوسروهيني Osrhoène وكيليكيا الثانية. ويُعطي أسقف روما الحقوق نفسها: لا يذكر أي شيء عن أولية أسقف روما العالمية، بل عن سلطته البطريركية

www.old-criticism.blogspot.com

يُعتبر القانون السادس، أهم قانون وضعه المجمع، إذ إنه يعطينا التقليد القديم، المتبع في الكنيسة، بين المتروبوليتيات[٣٧٨]، وموضوع مساواة السلطة فيما بينها. والقسم الأول من القانون، هو من العادة والعرف، ولا يذكر أحد أنه من حق إلهي ولا رسولي. وُضع خصيصاً لكنيسة الإسكندرية، بسبب ما أثارته من اضطرابات، تصرفات ملاتيوس الشاذة، وصيانة ما جرى الاعتداء عليه، من امتيازات ذلك الكرسي القديم.

أما القسم الثاني من القانون، فيتناول المطرانيات ويثبت امتيازاتها القديمة: روما ثم الإسكندرية ثم أنطاكية وأخيرا أورشليم: كان للإسكندرية سلطة -هذا واضح منذ القرن الثالث- على مصر وليبيا وطيبة والمدن الخمس. بينما كان لروما السلطان على وسط إيطاليا وجنوبها، وعلى صقلية وسردينيا، وعلى ايلليريا وأفريقيا ومقاطعة غاليا وإسبانيا والمقاطعات السبع وبريطانيا؛ ولأسقف أنطاكية السلطة ذاتها على فلسطين وفينيقيا وسوريا، وكيليكيا وقبرص والعربية وايصورية، وفلسطين الثانية وفينيقيا الليبية، وما بين النهرين والرها وكيليكيا الثانية* . ولا يذكر القانون من هي الأبرشيات الأخرى، ولا سبب منح هذه الامتيازات، لهذه الأبرشيات، هل لأنها كرسي رسولي أم غير ذلك[٣٧٩].

فقط. إنه تثبيت سلطة أسقف روما كبطريرك الغرب كله. ليس فيه أي شيء ضد أولية البابا. لم يتكلم أحد عن بطريركية أخرى في الغرب غير روما. بطريركية روما: صقلية Sicile وسردينيا Sardaigne وايلليريا Illyrie وأفريقيا Afrique ومقاطعة غاليا Gaulles وإسبانيا Espagne والمقاطعات السبع أو الجنوبية Pays septentrionaux وبريطانيا Bretagne .

ثم يتكلم القانون كذلك عن الحفاظ في المقاطعات الأخرى على حقوق الكنائس: يبدو أنه يتكلم عن مقاطعات لها امتيازات خاصة مثل تراقيا وميتروبوليتها هيراكليا Héraclie ، ثم القسطنطينية، ولاية آسيا (افسس)، والبنطس (قيصرية الكبادوك)، التي أصبحت فيما بعد اكسرخسيات. لكن القانون السادس لم يحددها أو يسميها، بل حدث ذلك في القسطنطينية الأول، القانون ٢ وفي قوانين مجامع مسكونية لاحقة خاصة خلقيدونيا. Cf. H-L., I,1. 552-569

٣٧٨ وليس البطريركيات، لأنها لم تكن قد وُجدت كنظام بعد. إنما موضوع هذا القانون سوف يُعرف فيما بعد باسم البطريركيات. وقد استعمل لقب "بطريرك" لأسقف روما لأول مرة في عهد ثيودوسيوس الثاني الملقب بالصغير (٤٠٨-٤٥٠)؛ وقد كان يُدعى قبلاً "أسقف الكرسي الرسولي".

* فلسطين Palestine ؛ فينيقيا Phénécie ؛ سوريا Syrie ؛ كيليكيا Cilicie ؛ قبرص Chypre العربية Arabie ؛ ايصورية Isaurie ؛ فلسطين الطيبة Palestine salutaris ؛ فينيقيا الليبية Phénécie Lybienne ؛ ما بين النهرين Eufratensis ؛ الرها Edesse ؛ كيليكيا الثانية Cilicie Seconde...

٣٧٩ De Urbina., 99-103.

في الحقيقة، نشأ النظام المتروبوليتي بشكل عفوي، منذ القرون الأولى للكنيسة، مع نمو الجماعة المسيحية؛ واتبع شكل التقطيعات الإدارية المدنية؛ لذا لا يذكر الآباء أي إشارة إلى أنظمة أو تقاليد، أو أوامر إلهية أو رسولية حول هذه التركيبة. كما لا نجد في هذه القوانين، أي ذكر عن أولية البابا[٣٨٠].

القانون السابع

إذا كان من العادات الشائعة والتقاليد القديمة أن الإكرام واجب لأسقف أورشليم، فليكن له هذا الإكرام، مع حفظ الكرامة المتروبوليتية.

يظهر في القانون السابع، تقدم كرسي قيصرية -عاصمة المقاطعة المدنية لفلسطين وكذلك كنسياً- على كرسي أورشليم، وذلك عائد إلى أن أورشليم، كانت مدينة خربة آنذاك، وقد وُضع أسقفها مباشرة بعد أسقف قيصرية. دُمرت مدينة أورشليم تدميراً كاملاً، للمرة الأولى، في ٣١ آب سنة ٧٠ على يد تيطس؛ ثم خربها، للمرة الثانية، الإمبراطور ادريانوس حوالي سنة ١٣٠، ولم يبقَ من المدينة سوى أطلال قليلة جداً، فهرب منها جميع سكانها بمن فيهم المسيحيون. ثم أعاد ادريانوس بناءها سنة ١٣٢، ودعاها ايليا كابيتولينا*، ورجع المسيحيون وعلى رأسهم الأسقف مرقس، وهو الأسقف السادس عشر عليها، بخجل وبأعداد قليلة إلى المدينة الجديدة، التي لم ينتهِ بناؤها إلا نحو سنة ١٣٥. هذا ما سبب هبوط مكانة أورشليم، وارتفاع مكانة قيصرية فلسطين. لذا لم يظهر اسم أورشليم في التاريخ، لمدة تقارب المائتي سنة، لأنها لم تعد المتروبوليتية، بل أصبحت تابعة لقيصرية فلسطين، عاصمة المقاطعة المدنية، وكانت قيصرية المتروبوليتية الكنسية، وبالتالي، كان أسقف ايليا كابيتولينا (أورشليم أو القدس حالياً)، أسقفاً تابعاً لمتروبوليت قيصرية. إلا أن احترام المسيحيين للأماكن المقدسة، ولذكرى حياة المسيح وآلامه وموته وقيامته فيها، ساهم في رفع شأن أورشليم من جديد، وبالتالي، من شأن كنيستها وأسقفها. ولعل شعور الاحترام والإجلال للأراضي المقدسة، هو الذي دفع بآباء المجمع، إلى سنّ هذا القانون الذي يضع أورشليم وكرسيها، على قدم المساواة مع الكراسي البطريركية الأخرى، ويحافظ على سلطة

٣٨٠ De Urbina., 104-105.

* ايليا كابيتولينا Ælia Capitolina

www.old-criticism.blogspot.com

متروبوليت قيصرية. هل هذا يعني تقدم أسقفها على المتروبوليت القيصري؟ لن تحل هذه المسألة إلا في مجمع افسس، حيث ثُبتت بطريركية أورشليم، ولسوف يصادق على مثل هذا القرار، مجمع خلقيدونيا أيضاً. ويبدو أن اكتشاف قبر المسيح، الذي تمّ بعد مجمع نيقيا، سوف يُعيد إلى المدينة المقدسة أولاً اسمها القديم أورشليم، ومن ثم نفوذها فيما بعد.[٣٨١]

القانون الخامس عشر

لقد استحسنا، بسبب الخلافات والتشويشات الحاصلة، إلغاء العادة الشائعة في بعض الأماكن، والتي تخالف القانون الكنسي، فلا يُسمح بعد الآن للأساقفة ولا للكهنة ولا للشمامسة الانتقال من مدينة إلى أخرى. وإذا خالف أحد أوامر المجمع المقدس الكبير واتبع العادة القديمة، فالانتقال يُعَد باطلاً، ويجب أن يعود إلى الكنيسة التي اختير لخدمتها أسقفاً كان أم كاهناً أم شماساً.

القانون السادس عشر

إن أي كاهن أو شماس أو إكليريكي يتجاسر، من دون أن يضع خوف الله نصب عينيه، ولا يحترم قوانين الكنيسة فيترك كنيسته، لا يجوز قبوله على الإطلاق في كنيسة أخرى، بل يجب أن يُرغم على الرجوع إلى أبرشيته، وإذا رفض فليُقطع من الشركة. وإذا حاول أحد أن يختطف شخصاً ممن ينتمي إلى أسقف آخر، ويشرطنه في كنيسته ضد إرادة الأسقف الذي ينتمي إليه هذا الإكليريكي، فسيامته باطلة.

يمنع المجمع في الإطار نفسه، في القانونين الخامس عشر والسادس عشر، الانتقال من أبرشية إلى أبرشية، والتعدي على أبرشيات الغير، كما يطالب بعودة الإكليروس إلى كنائسهم، وعدم سيامة أسقف لإكليريكي، ليس من الأبرشية. ولعل أهم ما دعا إلى هذا المنع، هو ما كان ينشأ من خصومات وشواذات في الكنيسة؛ كما أن الانتقال من أبرشية إلى أخرى، يُعتبر غير قانوني؛ فعهد الأسقف مع كنيسته هو رباط زواج؛ وهذا الرباط لا يُفسخ[٣٨٢]. فكم من فسخ زواج وافقت عليه الكنيسة، كما جرى مثلاً مع اوسابيوس أسقف نيقوميديا، الذي كان

٣٨١ راجع م.ش.ك. ٥٦-٦٢. H-L., I,1. 559-576

٣٨٢ راجع اف ٥/ ٣٢ و٢٥؛ ١قور ٧/٢٧؛ H-L., I,1. 597-601
يقول القديس غريغوريوس، إن الأبرشية هي عروس الأسقف، فإذا هجرها، وانتقل إلى أبرشية أخرى، كان عمله طلاقاً غير جائز شرعاً.

سابقاً أسقف بيروت، أو افستاثيوس الأنطاكي الذي كان سابقا أسقف بيريا (حلب)، أو غريغوريوس النزينزي أو ملاتيوس الأنطاكي[٣٨٣]. ومن المؤسف أن هذه القوانين المهمة جداً، لتنظيم العلاقات داخل الأبرشية أو مع غيرها من الأبرشيات، لم تُحترم دائماً، وهذا ما سبب الكثير من المشاكل، وما دعا الآباء إلى وضع مثل هذه القوانين، لردع مثل هذه التصرفات في المستقبل.

٢) كرامة الإكليروس (ق.ق. ١-٣، ٩-١٠، ١٧)

القانون الأول

كل من خصاه الأطباء لمرض ما، أو خصاه البربر، فليبقَ في السلك الإكليريكي. ولكن كل من خصى نفسه، وهو في صحة جيدة، فإذا كان إكليريكياً، فليُجرد من رتبته؛ ولا يجوز من الآن فصاعداً، لمثل ذاك، أن يُقبل في الدرجات الكهنوتية. من الواضح مما سبق، أن ذلك لا يخص إلا الذين خصوا أنفسهم عن قصد وتعمد؛ أما كل من خصاه البربر أو أسياده، وكان في الوقت نفسه، مستحقاً ومستوفياً الشروط الأخرى، فإن القوانين تجيز قبوله في الكهنوت.[٣٨٤]

٣٨٣ تجدر الإشارة إلى أن انتقال الأسقف من أبرشية الى أخرى، لم يكن دائماً بسبب الطمع والطموح. لقد سمحت الكنيسة نفسها ببعض الاستثناءات لمصلحة بعض الكنائس المحلية؛ لذا فالقانون لا يمنع المجامع المحليّة من نقل الأساقفة، ولكن يمنع الأساقفة من التنقل حسب أهوائهم. وقد تدخل الملوك والأباطرة أحياناً لنقل أساقفة. يرى بعض المؤرخين واللاهوتيين أن هناك تمييزاً بين عدة أنواع من نقل الأساقفة: أولاً، هناك مثل غريغوريوس النزينزي وهو أسقف مشهور بالعلم والتقوى، أُرغم على الانتقال من أبرشية صغيرة إلى أخرى كبيرة، ليتمكن من تأدية خدمة أكبر وأجلّ للكنيسة. ثانياً، انتقال أسقف من أبرشية انحط شأنها، بسبب الغزوات والحروب، إلى أخرى شاغرة. ثالثاً، عندما يغتنم أسقف شغور أبرشية ما، فينتقل إليها من ذاته، أكان صاحب أبرشية أم لا. راجع م.ش.ك. ٨٣ ؛ De Urbina., 97

٣٨٤ حكم ليكينيوس على مخالفي رأيه، بمنع النساء من الاجتماع مع جماعة المؤمنين، وألا يعلّمهن الأساقفة، بالخصي. دخلت عادة الخصي في المسيحية، لدحض آراء الوثنيين حول فجور العبادة المسيحية، ولأسباب أخرى كالحفاظ على العفة، وإتباع قول المسيح... وكانت على كل حال قليلة الانتشار. والمثال المعروف جداً كان اوريجانوس. كانت قوانين المجامع تكرر منع الخصي باستمرار (راجع القانون السابع من مجمع آرل سنة ٣١٤). كان المخصيون عرضة للاستهزاء سواء عند الوثنيين أو عند المؤمنين. وكان هناك عدد كبير من الآريوسيين خصيان، خصوا ذواتهم للمحافظة على العفة؛ ولكن ذلك كان فهماً سيئاً لقول الرب في إنجيل متى ١٢/١٩، كما هو نوع مشوه من التقوى؛ لذا أصدر الإمبراطور قسطنطين الشريعة التالية في هذا الشأن: "كل من أقدم في أي بقعة من الإمبراطورية، على خصي أحد الناس يُعاقب بالإعدام. وإذا كان صاحب الملك الذي يرتكب هذا الجرم في ملكه، على علم بما يجري فيحكم عليه بمصادرة ملكه". راجع م.ش.ك. ٤٦-٤٧؛ H-L., I,1. 528-532

www.old-criticism.blogspot.com

انتشرت عادة الخصي بين المسيحيين، في القرون الأولى، لأسباب عديدة: فمنهم من خصى نفسه لدحض آراء الوثنيين حول فجور العبادة المسيحية؛ ومنهم من خصى نفسه حفاظاً على العفة، أو لصد اتهامات ضده بالفسق؛ ونشأ نوع ثالث من حالات الخصي من إساءة لفهم قول الرب[٣٨٥].

أراد الآباء، في القانون الأول، استنكار نوع مشوّه من التقوى، وإغلاق باب الكهنوت أمام الخصيان؛ ومن المعلوم كيف كان الخصيان يغزون القصور، في ذلك الحين، مقدمين ألعاباً كريهة منفرة، عن مؤامرات القصور وغيرها، مما سبب سوء سمعتهم، لأن خِصاءَهم كان يجعلهم محتقرين مزدرين، ومعرضين للسخرية.

يميّز القانون بين نوعين من الخصيان: الأول، وهو الخصاء الاضطراري، المفروض على الشخص عن مرض أو بالقوة، وهو مستثنى من العقوبة الجنائية (الجزائية)؛ والنوع الثاني، وهو الخصاء الحر الإرادي والطوعي، وهو المقصود: يعتبر القانون أن هذا النوع من الخصاء، يكوّن حالة شاذة للمؤمن، تمنعه من ارتقاء الدرجات الكهنوتية.

إن الباعث على اتخاذ مثل هذا المنع، حالات معينة عاشتها الكنيسة، نعرف منها حالتين، أثارتا شكاً كبيراً في الكنيسة: الأولى قضية اوريجانوس الذي خصى نفسه لأجل المسيح[٣٨٦]؛ والثانية، وهي السبب الأساسي لإصدار هذا القانون، إذ إنها حديثة وأقرب تاريخياً من المجمع، وهي وضع الكاهن الأنطاكي لاونديوس[٣٨٧]، الذي كان يُساكن فتاة اسمها افستوليا*؛ ولدى منعه من مساكنتها للشك الذي يسببه، خصى ذاته، كي يبقى عائشاً معها في ذات البيت، ظناً منه أن عملية الخصاء تُلغي الشك. ولكن ذلك لم يمنع الجميع من انتقاده، لأنه فضّل أن

٣٨٥ راجع متى ١٢/١٩.

٣٨٦ والجدير بالذكر هنا أن اوريجانوس شعر بخطأه لكن بعد فوات الآوان واعترف أن مثل هذا الفعل يسبب إزعاجاً وانحرافاً في المزاج؛ وهو عديم الفائدة لأنه يضع الفوضى في الجسم دون أن يؤدي بالنفس لا إلى الراحة ولا إلى الطمأنينة؛ وهو يلوم أولئك الذين يفهمون المقطع الإنجيلي بهذا الخصوص بمعناه الحرفي..

٣٨٧ انتسب لاونديوس هذا إلى الآريوسية. وهو سيجلس ويموت بطريركاً على كرسي أنطاكية (٣٤٤-٣٥٠)، رغماً عن كل القوانين.

* افستوليا Eustolie

يفترق عن جسمه، من أن يفترق عنها. وكان أسقفه افستاثيوس الأول قد أنزله عن رتبته وحرمه[٣٨٨].

القانون الثاني

جرت أمور تخالف القوانين الكنسية، إما بسبب الحاجة أو بسبب إلحاح البعض. فقد حدث أن قُدِّم حالاً بعض المرتدين حديثاً من الوثنية إلى الإيمان، إلى الغسل الروحي، وهم لم يتلقّوا بعد من التعليم إلا النزر اليسير، ورُقّوا، فوراً بعد عمادهم، إلى درجة أسقف أو كاهن. فبدا من الصواب، من الآن فصاعداً، ألا يتكرر حدوث شيء من هذا القبيل، لأن الموعوظ يحتاج بعد المعمودية إلى التعليم، وإلى وقت للاختبار مدة أطول. فإن قول الرسول واضح في هذا الشأن: "ليس حديث الإيمان، لئلا يتكبر، فينزل به الحكم الذي نزل بإبليس"[٣٨٩]. وإذا وُجد إكليريكي مذنباً في فعل مشين وخطير، بشهادة شاهدين أو ثلاثة، فليُخلع من الرتبة الإكليريكية. وكل من يتجاسر ويخالف هذه الإجراءات، ويعصي أو يتمرد على هذا المجمع الكبير، يعرّض مركزه الإكليريكي نفسه للخطر.

يطلب الآباء في هذا القانون، التحقق من المرشح للكهنوت وعدم التسرع في اختيارهم، كي يُصار إلى التأكد من سيرة المرشح ومن أخلاقه... لأن الكنيسة إنما تطلب من هو بلا عيب، لذا يطلب الآباء من الأساقفة، أن يمرّ المرشح بوقت التجربة اللازم والكافي.[٣٩٠]

القانون الثالث

يمنع المجمع الكبير هذا منعاً باتاً على الأساقفة والكهنة والشمامسة، وبشكل عام، على أي عضو من السلك الإكليريكي، أن تسكن معه امرأة، ما عدا الأم والأخت، والعمة والخالة، وكل من هي منزهّة عن كل شبهة أو ريبة.

يهدف القانون الثالث، إلى حماية الإكليروس من الشكوك، عندما يمنع أي امرأة كانت، والمنع هنا شامل، باستثناء الأم والأخت والعمة والخالة، من السكن في بيت الإكليريكي.

٣٨٨ De Urbina., 105-106; Tillemont., Mémoires pour servir à l'histoire ecclésiastique des six premiers siècles. III. 262; H-L., I. 528-532.
راجع أيضاً قانون الرسل ٢١-٢٤ أو ٢٠-٢٣؛ وقانون مجمع آرل البند السابع.

٣٨٩ ١طيم ٦/٣.

٣٩٠ H-L., I,1. 532-536.

www.old-criticism.blogspot.com

يتكلم القانون عن "أخوات المحبة"* ، ولا يتكلم عن الزواج الشرعي. فقد جرت العادة، منذ القديم، على عقد زواج روحي بين شخصين غير متزوجين، فيسكنان معاً، دون أي ممارسة زوجية، بل لتشجيع بعضهما بعضاً على ممارسة الحياة المسيحية. ويبدو أن بولس السميساطي، كان أول من أعطى مثالاً عن مثل هذا الزواج. ولكن هذه الزيجات سببت سقطات كثيرة وكبيرة، فمنعتها الكنيسة صراحة، تحت طائلة عقوبات صارمة وقاسية، أقسى ممن يسقط في الزنى؛ إذ كان بعض المسيحيين، الذين لم يتجاسروا على العيش في الاستسرار*، قد لجأوا إلى هذا الزواج الروحي، مما أدى إلى سقوطهم وضلالهم. فمنع آباء نيقيا ذلك، بالإضافة إلى منع كل امرأة من الدخول إلى بيت الإكليريكي للسكن. ولكنه ترك بعض الاستثناءات، لأن الأم أو الأخت والعمة والخالة، لا تستطيع عقد زواج روحي معه[٣٩١].

القانون التاسع

إذا رُقي البعض إلى الكهنوت بدون الفحص اللازم، وإذا اعترفوا خلال فحصهم بخطايا ارتكبوها، وبالرغم من ذلك قد نالوا السيامة خلافاً للقانون، فالشرع الكنسي لا يعترف بهم، وتُعتبر سيامتهم باطلة، لأن الكنيسة الجامعة، إنما تطلب من كان بلا عيب.

يطالب القانون التاسع بفحص المرشحين للكهنوت، والتحقق من سيرتهم. أما الخطايا التي كانت تُعتبر مانعة للانخراط في سلك الكهنوت، فهي مثلاً: التجديف وتعدد الزوجات، والهرطقة وعبادة الأوثان، والسحر بعد المعمودية[٣٩٢].

القانون العاشر

إذا تمت سيامة أحد ممن أنكروا الإيمان، سواء أكان الذي سامه على علم أو عن جهل بأمره، فهذا لا يُبطل حكم قانون الكنيسة: عندما يُكتشف أمره، يجب أن يُخلع من الكهنوت.

---

* أخوات المحبة Sœurs agapètes

* استسرار Concubinage

٣٩١ H-L., I,1. 536-539.

٣٩٢ Id., 587-588.

يمنع القانون العاشر الجاحدين، من سر الكهنوت وترقيتهم في الدرجات المقدسة. ولا يحدد عقوبة الأسقف الذي يرسمهم عن وعي. ولا يمكن قبول هؤلاء الجاحدين في الدرجات الكهنوتية، حتى بعد إتمامهم التوبة. لأن الكاهن يجب أن يكون بلا عيب[٣٩٣].

القانون السابع عشر

بما أن الكثير من الإكليروس، مملوئين بروح البخل والربا وشهوة الربح، متناسين ما جاء في الكتاب الإلهي: "لا يقرض بالربا فضته"[٣٩٤]، يقرضون أموالهم مقابل فائدة معلومة، فيحدد المجمع المقدس الكبير بعدل، أن أي إكليريكي، بعد صدور هذا القرار، يقبل فائدة على مال، أو يقوم بمهنة مرابي بأي شكل آخر، كأن يطلب المبلغ كاملاً، مع زيادة عليه مقدار نصفه، أو بأسلوب آخر، للحصول على ربح خسيس، فليُخلع من سلك الإكليروس، وليُمحَ اسمه من اللائحة.[٣٩٥]

لقد أدركت الكنيسة منذ القدم، مجانية العمل الكهنوتي، لذا فهي تطالب، في القانون السابع عشر، خلع المرابين من الإكليروس. والربا قديم العهد، لأننا نجد منعاً لممارسته في العهد القديم[٣٩٦]؛ لأنه يعتبر سرقة، إذ يأخذ مال الغير، بصورة غير جائزة؛ وهو ضرب من السرقة والاحتيال، واغتنام الفرصة في وقت حاجة الغير، إلى المال، للاستفادة من الظرف والربح، لذا يجب أن يُعطى المال المجني من الربا للفقراء ولمساعدة المحتاج؛ وقد منعت الكنيسة الربا هنا، على الإكليروس فقط، دون أن تفرض قصاصاً أو أي توجيه آخر على العوام المرابين[٣٩٧].

---

٣٩٣ Id., 588-590.

٣٩٤ مز ١٥/٥.

٣٩٥ اعتقد الكثير من الآباء أن العهد القديم منع الربا (راجع حز ١٨/٨)، فمنعوه عند المسيحيين أيضاً، وشددوا بعكس ذلك على مساعدة المحتاج بمحبة وكرم. وكان الربا شائعاً عند الرومان، وكان المرابون يأخذون النسب التالية وذلك حسب المناطق: ١٢٪، ٢٤٪، ٤٨٪ سنوياً. دخلت هذه العادة عند المسيحيين في القرن الرابع. فمنع المجمع الربا عند الإكليروس، الذي يجب أن يعطي ما يجنيه للفقراء والكنيسة، دلالة على مجانية العمل الكهنوتي. Cf. H-L., I,1. 604-610

٣٩٦ راجع خر ٢٢/٢٥؛ تث ٢٣/١٩-٢٠؛ حز ١٨/٨؛ لو ٦/٣٤.

٣٩٧ De Urbina., 106-107; H-L., I,1. 593-610; م.ش.ك. ٨٥-٩١. حيث نجد نظرة عامة على الربا عبر تاريخ الكنيسة. ننقل عنه ما قاله القديس باسيليوس بهذا الخصوص: "يجوز قبول المرابي في الكهنوت، شرط أن يوزع الثروة التي حصل عليها على الفقراء، وأن يمتنع في المستقبل عن المراباة". ويقول القديس غريغوريوس النيصصي بهذا الخصوص أيضاً ما يلي: "إن الربا لا يُعد كالسرقة وتدنيس القبور والتجديف، لذلك يجوز الصفح عن مرتكبه بدون قصاص، على الرغم من ورود الوصية بمنعه في الكتب المقدسة".

www.old-criticism.blogspot.com

٣ً) التوبة العلنية (ق.ق. ١١-١٤)

القانون الحادي عشر

يقضي المجمع المقدس هذا: إن الذين سقطوا وضعفوا دون إكراه، وبدون حجز أملاكهم أو سلب أموالهم، وبدون أن يتعرّضوا لأي خطر أو ضيق، أثناء اضطهاد ليكينيوس، أنه يجب معاملتهم بلطف وتفهم، على الرغم من أنهم لا يستحقون الشفقة. فالذين يتوبون ممن كانوا من المؤمنين سابقاً، توبة صادقة يُفرض عليهم ثلاث سنوات مع السامعين، وست سنوات مع الراكعين، ويستطيعون في السنتين التاليتين، الاشتراك في الصلوات والقداس مع الشعب، دون أن يحق لهم الشركة في القربان المقدس.[٣٩٨]

يجب ألا يغيب عن أعيننا، كم كانت الاضطهادات الرومانية قاسية على المسيحيين، مما اضطر الكثيرين إلى جحود الإيمان. وما أن هدأت الحالة، حتى رغب أغلبهم العودة إلى حضن الكنيسة، لأن إتباعهم الوثنية، كان إما قهراً أو عن خوف. شدد آباء المجمع النيقاوي، على إعطاء جميع الخطأة الغفران دون تمييز، على أن تكون المعاملة مع الجاحدين حسنة، وقد رغب المجمع رؤية الظروف المحيطة بهؤلاء، كي يكون عقابهم مناسباً وخطأهم. يميّز القانون الحادي عشر، عدة فئات من التائبين، عرفتها الكنيسة منذ القديم، ولم يرفضها المجمع، بل ثبتها بتحديد الفئة التي يجب على التائب الانتماء إليها. وهذه الفئات هي كالتالي:

أولاً: "السامعون" وهم الذين يقفون في النارثكس، أي في الفسحة التي تفصل بين مدخل الكنيسة الخارجي، والمدخل الداخلي لها. وفي هذه الفسحة يقف المبتدعون والمنشقون والموعوظون وقت الصلاة. ويخرج السامعون خارج الكنيسة، بعد العظة في الليتورجية الإلهية مع الموعوظين.

ثانياً: "الراكعون" وهم يقفون إجمالاً في صحن الكنيسة، قبل المنبر وقرب الباب الملوكي، ويُسمح لهم بالبقاء والاشتراك في بعض الصلوات، التي وُضعت من أجلهم؛ وقد دُعوا كذلك، لأنهم كانوا يركعون قبل خروجهم، وينكبون على وجوههم، معفرينها في الأرض. وهم أيضاً يخرجون مع الموعوظين.

٣٩٨ كان اضطهاد ليكينيوس، الذي انتهى سنة ٣٢٤، قاسياً جداً، مما اضطر الكثيرين إلى جحود الإيمان. نرى في هذا القانون الفئات الأربعة، للقصاص العلني للتائبين في الكنيسة. H-L., I,1. 590-591

ثالثاً: "المشتركون في الصلاة" وهم يقفون مع المؤمنين في صحن الكنيسة، ويبقون حتى بعد خروج الموعوظين، والصفوف الأخرى من التائبين. ولكن لا يحق لهم الاشتراك في الأسرار.

رابعاً: "النائحون أو الباكون" وهؤلاء لم يذكرهم هذا القانون؛ إنما من المعروف، أنه لم يكن يسمح لهذا الصنف من التائبين، بالدخول إلى باحة الكنيسة، لذا يبقون خارج بوابتها، ويغطون أنفسهم بالخيش والرماد، وهم يبكون توبة على خطاياهم[٣٩٩].

القانون الثاني عشر

إن الذين دعتهم النعمة، وأظهروا حماسة بادئ الأمر، فنبذوا الخدمة العسكرية، ولكنهم ما لبثوا أن رجعوا كالكلاب إلى قيئهم[٤٠٠]، حتى إن البعض منهم سعوا إلى استرجاع وظائفهم العسكرية بالأموال والهدايا، فأمثال هؤلاء، يجب أن يبقوا ثلاث سنوات مع السامعين، وعشر سنوات مع الراكعين، ثم يُدقَق في امتحان إرادتهم وعزمهم ونوع ندامتهم. فالذين يبرهنون عن صدق ارتدادهم، بما يرافقه من أدلة: خشية ودموع وصبر، ومواظبة على الأعمال الصالحة، يجوز السماح لهم، بعد انقضاء الوقت المحدد لهم كسامعين، الاشتراك في صلوات المؤمنين؛ بعد ذلك يستطيع الأسقف اتخاذ أي قرار أوفر لينة ورأفة. أما الذي يُظهر عدم مبالاة، ويظن أن هذه التوبة تكفي للتكفير عن خطاياه، فيجب أن يتم مدة القصاص المعينة بكاملها.[٤٠١]

لفهم هذا القانون، الثاني عشر، من المفترض أن نعلم خلفياته؛ وإلا لفهمناه بطريقة خاطئة، واعتبرناه وكأنه يمنع الخدمة العسكرية تماماً، إنما الواقع أن بعض المسيحيين في الجيش، ساندوا ليكينيوس في قضيته ضد المسيحية؛ والبعض الآخر دفع أموالاً للعودة إلى الجيش، بعد أن كان قد صُرف من الخدمة، لأن الدولة عرفت آنذاك، أنهم من أتباع "المسيح الملك"، إذ أنهم لم يجحدوه، ولم يقدموا ذبائح للأوثان. فالقانون في الواقع يستهدف هؤلاء الجنود بالذات.

٣٩٩ راجع م.ش.ك. ٧٢-٨٢.
٤٠٠ راجع مثل ١١/٢٦.
٤٠١ كان ليكينيوس في اضطهاده، يعتبر نفسه بطل الوثنية، فاعتُبرت هزيمته انتصاراً للمسيحية. وبالتالي اعتُبر الخطأة الجاحدين أيضاً، هم الذين ساندوه في قضيته. وكذلك الذين دفعوا أموالاً للعودة إلى الجيش، وكان ليكينيوس يطلب من هؤلاء جحوداً صريحاً، والاشتراك في ذبائح الأوثان، وأن يُطرد كل من لا يجحد. فقانون المجمع هذا، ضد الجنود أو الضباط الذين رفضوا أولاً تقديم الذبائح فطُردوا، ثم ندموا على ذلك، فجحدوا إيمانهم، ليعودوا إلى الخدمة. Cf. H-L., I,1. 591- 593

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الثالث عشر

يبقى القانون القديم معمولاً به، فيما يختص بالمحتضرين: يجب ألا يُحرم المحتضر، أو المشرف على الموت من الزاد الأخير الذي لا غنى عنه. أما إذا لم يرقد بعد أن صُفح عنه، وأُعيد إلى الشركة، فليقف مع مصاف المشتركين بالصلوات لا غير. بالإجمال، يجب أن يمنح الأسقف القربان المقدس، للشخص المحتضر الذي يطلبه، بعد الفحص.

علينا أن نعود أيضاً إلى مسيحية القرون الأولى، لنفهم جيداً هذا القانون، الثالث عشر: كانت الكنيسة تفرض نظام تأديب قاسٍ جداً، على المؤمن الذي يقع في خطيئة جسيمة، كالجحود والزنى والقتل، فتمنعه مثلاً من "المشاركة" في المناولة لمدة سنوات عديدة، وتسمح له بالاستماع أو بالبكاء على خطائه، تعبيراً عن توبته: ولقد قسمت المؤمنين آنذاك، إلى أربعة أصناف: السامعين والراكعين، والمشتركين في الصلوات، والنائحين أو الباكين. والقانون هنا يقول بأنه لا يمكن منع الزاد الأخير، نعني المناولة عن المحتضر المصنّف بين أحد هذه الأصناف الأربعة المذكورة، والممنوع عنها لأي سبب كان[٤٠٢].

القانون الرابع عشر

يحدد المجمع المقدس الكبير هذا، أن الموعوظين الذين جحدوا الإيمان أثناء الاضطهاد، أن يقضوا ثلاث سنوات سامعين، ومن ثم يعودون إلى الصلاة مع الموعوظين.

يتعلق القانون الرابع عشر بالموعوظين، والوقوع هنا، يعني الجحود أو أي خطأ جسيم آخر. وفي حال الزلة يبقى الخاطئ مع "السامعين" وليس مع "المشتركين" في الصلاة، أي في الدرجة الأدنى بين الموعوظين.

٤) قبول المنشقين والهراطقة (ق. ق. ٨ ، ١٩)

القانون الثامن

يحدد المجمع الكبير هذا أن الذين يُسمون أنفسهم "كتار"، أي أنقياء، إذا أرادوا العودة إلى الكنيسة الجامعة الرسولية، ومن نال منهم وضع الأيدي، يبقى في سلك الإكليروس. ولكن ينبغي عليهم قبل كل شيء

٤٠٢ م.ش.ك. ٦٦-٨٢؛ De Urbina., 109-111; H-L., I,1. 587-597

أن يتعهدوا ويعترفوا كتابة، بقبول تعاليم الكنيسة الجامعة الرسولية وإتباعها، أي مخالطة من تزوج زيجة ثانية، ومن ضعف أثناء الاضطهادات، وقضى مدة توبته المفروضة عليه. فعليهم إذاً إتباع قرارات الكنيسة الجامعة الرسولية في كل شيء. وهكذا ففي القرى والمدن، حيث لا يوجد إكليروس سوى من هذه الجماعة، فليبقوا في رتبهم. وحيث يتواجد أسقف كاثوليكي، فالأمر واضح: يجب أن يتمتع أسقف الكنيسة بكرامة رتبته، أما الذي كان مع الأنقياء يُدعى أسقفاً، فلتكن له كرامة كاهن، إلا إذا رضي الأسقف أن يقبله، ويشاركه في شرف اللقب. وإذا لم يرضه، هذا فليدبر له الأسقف مركز خورأسقف أو كاهن، ويبقى هكذا من أعضاء سلك الإكليروس؛ ولا يكون أسقفان في مدينة واحدة.

الحديث موجه هنا إلى النوفاتيين[٤٠٣]، الذين أرادوا إبعاد الساقطين أثناء الاضطهاد، عن الكنيسة مدى الحياة. ظهرت هذه الفرقة على أيام اضطهاد داكيوس في منتصف القرن الثالث. وهي تنادي بالتشدد في المعاملة والصرامة مع الخطأة، خاصة أولئك الذين جحدوا إيمانهم أيام المحنة، والذين يرغبون الآن العودة إلى حضن الكنيسة. اتهم النوفاتيون الكنيسة بالتمادي في المسامحة، في الكثير من الأمور

٤٠٣ اتباع نوفاتيانوس Novatien المدعو احياناً نوئيطوس، وأصله من فريجيا. ربما كان لهذا المبتدع اتصالات مع المونتانية Montanisme. وكان كاهن مدينة روما، أحدث انشقاقاً فيها بسبب مبادئ البابا كورنيليوس المعتدلة، إذ اعتبر أن لا أمل إطلاقاً في المصالحة للجاحدين والخطأة. سامه ثلاثة أساقفة إيطاليين أسقفاً؛ ومنذ تلك اللحظة، نشر تعاليمه، معتبراً أن إنكار الإيمان خطيئة لا تغتفر، وأن الجاحد لا يمكنه أن يشترك في المناولة إطلاقاً، ولا حتى ساعة الموت، لكنه يُقبل في التوبة. ثم علّم أتباعه: عدم غفران أي خطيئة ترتكب بعد المعمودية، خاصة الخطايا المميتة. ومصالحتهم تتم بواسطة رحمة الله فقط، وليس بواسطة الكنيسة، لأن المسيح قال: "من أنكرني أمام الناس، أنكره أمام أبي الذي في السموات" (لو ٩/٧).
كان أعضاء هذا المذهب يُسمون "أنقياء أو كتار" Cathars، لأن جمعيتهم في نظرهم، هي عروس المسيح الطاهرة، بينما الكنيسة الجامعة قد تدنست بقبول الجاحدين. من الملاحظ أن الكنيسة الجامعة كانت صارمة، في ذلك الوقت، وكانت تقبل التوبة مرة واحدة فقط بعد المعمودية، فكل من سقط ثانية، يُقطع إلى الأبد (المونتانية هنا مثل النوفاتية). أدان النوفاتيون مثل المونتانيون الزيجة الثانية. كان لديهم أسقفيات في عدة مناطق، خاصة فريجيا وبافلاغونيا Paphlagonie. حُرم نوفاتيانوس في مجمع روما سنة ٢٥١. بالرغم من ذلك جمع حوله الكثيرين من العناصر، لتكوين مركز كنسي منظم يضم: أسقف وإكليروس وكنائس ومقابر وشعب. لم تضمحل هذه البدعة إلا في القرن الخامس، نحو سنة ٤١٢ في الإسكندرية؛ ونحو سنة ٤٢٢ في روما؛ وهم لم يتأثروا بالآريوسية. من الواضح أنهم لم يكونوا هراطقة بل منشقين، وهذا ما يفسر مراعاة مجمع نيقيا كهنتهم: عاملهم مثل الملاتيوسيين: وضع الأيدي عليهم، وليس إعادة سيامتهم. واشترط ضرورة قبولهم بتعاليم الكنيسة الجامعة: فيما يختص بالجاحدين والخطأة خاصة، والزيجة الثانية التي كانت تعتبر كزنى. اعترف المجمع بصحة سيامتهم، ولكن بعد تصحيحها (لهذا فقط وضع الأيدي: نوع من البركة). راجع م.ش.ك. ٦٣-٦٥؛ رستم، ج ١. ١٦٤-١٦٥؛ De Urbina., 111-115 ؛ H-L., I,1. 576 -587

www.old-criticism.blogspot.com

الهامة والمهمة، في الإدارة والنظام، وحتى في مواضيع تهم العقيدة أحياناً. وفي هذا القانون الثامن، يعني وضع الأيدي، البركة لمنح الغفران بعد التوبة وليس للسيامة.

القانون التاسع عشر

يجب أن تعاد معمودية أتباع بولس السميساطي، الذين يريدون الرجوع إلى الكنيسة الجامعة. وإذا كان أحدهم من الإكليروس سابقاً، ووُجد بعد الفحص أنه بلا عيب، يمكن سيامته من قِبل أحد أساقفة الكنيسة الجامعة، بعد المعمودية. أما من وُجد غير مستحق، فيجب أن يُسقَط. ولتراعَ هذه القاعدة في شأن الشماسات، وكل من لديه وظيفة كنسية عامة. وفي هذه الحالة، نذكّر أنه يجب اعتبار الشماسات، اللواتي لم ينلن السيامة، من مصاف العلمانيين.

من الواضح أن هذا القانون، هو ضد أتباع بولس السميساطي، الذين كانوا يعطون سر المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس، لكنهم يعطون هذه الصيغة معنى مزيفاً محرفاً، لأنهم أوّلوا معنى كلمتي الابن والروح القدس، فهم ينكرون وجود الثالوث، لذا كانت معموديتهم غير صحيحة. وكذلك يطالب القانون بإعادة سيامة الإكليروس الذي ظهر بلا عيب منهم. أما بالنسبة للشماسات[٤٠٤]، فإن وضع الأيدي عليهن، لم يكن يُعتبر سيامة بالمعنى الحصري، بل علامة خارجية لحلول نعمة روحية خاصة[٤٠٥].

٥) ترتيبات ليتورجية (ق.ق. ١٨، ٢٠)

القانون الثامن عشر

لقد بلغ إلى هذا المجمع المقدس الكبير، الخبر أن الشمامسة في بعض الأماكن والمدن، يقومون بمناولة الكهنة، بالرغم من أن القوانين والعادات، تمنع الذي لا سلطة له بتكريس السر، بمناولة جسد المسيح للذين

٤٠٤ نشأت عادة قبول النساء لخدمة الكنيسة منذ عهد الرسل (راجع روم ١٦/١-٢؛ ١طيم ٥/٩)؛ وفي صلاة وضع اليد على الشماسة، طلبة يسأل فيها العون، لتتمكن من المحافظة على العفة. كانت أهم أعمال الشماسات التعليم المسيحي ومساعدة الإناث المرشحات للمعمودية، التي كانت تتم بالتغطيس؛ ولم يكن يسمح للشماسات بالمشاركة في الخدمة الكهنوتية. لم يطل العهد على وجود الشماسات في الكنيسة، وبدأت هذه الدرجة تختفي مع القرن الرابع: ففي أحد قوانين مجمع اللاذقية (٣٤٣-٣٨١؟) منع لبعض الفئات من تعيينهن شماسات؛ ومجمع اورانج الأول (سنة ٤١٤) يمنع تعيينهن إطلاقاً. ولقد اختفت هذه الرتبة والخدمة نهائياً، في القرن العاشر. راجع: م.ش.ك. ٩٤-٩٦.

٤٠٥ م.ش.ك. ٩٣-٩٤؛ H-L., I,1. 615-618

يقرّبونه. وقد عرف المجمع أيضاً، أن بعض الشمامسة يتناولون الإفخارستيا حتى قبل الأساقفة. يجب إيقاف كل هذا، ولا يتجاوزن الشمامسة حدودهم، وليعتبروا أنفسهم في خدمة الأساقفة، وأدنى درجة من الكهنة، وليتناولوا القربان المقدس، حسب النظام، بعد القساوسة، وليقم الأسقف أو أحد الكهنة بمناولتهم إياه. وليمتنع الشمامسة عن الجلوس بين الكهنة، لأن هذا مخالف للقانون والنظام. وكل من يرفض الإذعان والطاعة، بعد صدور هذا القرار، فليُخلع من الخدمة الشماسية.

اتخذ الشمامسة في بداية الكنيسة دوراً مهماً، نظراً لوجودهم في خدمة الأساقفة. وقد سمحوا لأنفسهم لدى مشاركتهم بالقرابين، أن يتناولوا قبل الأساقفة أنفسهم، وأن يناولوا القساوسة، وأن يجلسوا فيما بينهم. لذا اضطر آباء المجمع أن يصدروا هذا القانون الثامن عشر، وفيه يمنعون الشمامسة من المناولة قبل الأساقفة والكهنة. كما يمنعونهم من أن يناولوا القساوسة، بل بالأحرى فرضوا عليهم أن تكون مناولتهم، على يد الأسقف أو أحد القساوسة. كما منع الآباء الشمامسة من الجلوس فيما بين الكهنة. هذا القانون يعيد الشمامسة في الواقع، إلى حجمهم الطبيعي، وإلى مكانهم بعد الأساقفة والكهنة. كان الشمامسة يوزعون القرابين المكرّسة على الشعب. ثم أصبح الأسقف أو الكاهن المحتفل، من يوزع الخبز المقدس، والشماس يحمل الكأس[٤٠٦]. وهنا لا يتكلم الآباء عن حق الشمامسة في توزيع القرابين على الشعب؛ كما أنهم لا يتكلمون عن تكريس القرابين، بل عن توزيعها. فقد حصل أن تجاوز الشمامسة في بعض الأماكن حقوق سلطتهم: توزيع القرابين على الكهنة، وتناولهم قبل الأساقفة. فوضع المجمع نظام المناولة. وربما لا يتكلم هذا القانون عن الأساقفة الذين يحتفلون بالقداس، بل عن الذين يشاركون فيه دون الاحتفال (زيارة أو غيره). وكان الأسقف عادة، يتناول فوراً بعد المحتفل، وبما أن الشماس يشارك في هذا القداس محتفلاً، كان يتناول قبل الأسقف الحاضر. وهذا ما أراد المجمع اقتلاعه[٤٠٧].

القانون العشرون

لقد استحسن المجمع المقدس هذا، بعدما رأى أن البعض يركعون أيام الآحاد وأيام الخمسين، ولكي يكون النظام موحّداً، أن تُرفع الصلوات لله في هذه الأيام، ونحن منتصبون وقوفاً.

٤٠٦ راجع قانون الرسل ٨/١.

٤٠٧ م.ش.ك. ٩١-٩٦؛رستم، ج ١. ١٥٩-١٦٥؛ H-L., I,1. 610-614

www.old-criticism.blogspot.com

كانت العادة منذ أقدم العصور، أن يركع المؤمنون أثناء الصلاة[٤٠٨]. ثم ابتدأت العادة أن يقف الشعب، أيام الآحاد وزمن الفصح حتى العنصرة. وعلى ما يبدو، فإن البعض تراخى في إتباع هذه العادة، مما دعا آباء المجمع إلى فرض عادة الوقوف وقت الصلاة، في الفترة ما بين الفصح والعنصرة و أيام الآحاد. وهذا ما يرمز إلى قيامة المسيح، وإلى الاحتفال بها في الواقع، وإعلان الفرح والراحة، بسبب قيامتنا الخاصة، التي حققها لنا الرب، وإلى تحريرنا من قِبل المسيح القائم. كما أن ذلك يدلنا على اهتمام الكنيسة بوحدة الأسلوب في إقامة الطقوس، في كل الكنائس[٤٠٩].

ب) الرسالة المجمعية إلى مصر

وجّه المجمع رسالة مجمعية إلى كنائس مصر، يعرض فيها الحكم على آريوس وأسبابه، ويبلغ الاخوة الأحباء، ما تقرر بشأن ملاتيوس: "السماح له بالبقاء في مدينته، لكن دون أن تكون له أي سلطة: لا في ترشيح ولا في سيامة أساقفة، ولا الذهاب إلى الريف والمدن، تحت لقبه وشرفه الأسقفي. أما الذين سامهم، فبعد أن يساموا من قِبل أيدي مقدسة، يمكن قبولهم بالشركة، شرط أن يبقوا، مع الحفاظ على رتبتهم الإكليريكية وممارسة الخدمة، في درجة أدنى..." [٤١٠]. بشّرت الرسالة أيضاً بإعادة الوحدة حول عيد الفصح: "فكل الاخوة في الشرق، الذين كانوا يحتفلون بالفصح مع العبرانيين، سيحتفلون به من الآن فصاعداً مع الرومانيين ومعنا ومع الآخرين، الذين احتفلوا به دائماً معنا". وترك آباء المجمع إلى الكسندروس أسقف الإسكندرية، مهمة إبلاغ بقية القرارات المتخذة لمؤمني مصر[٤١١].

٤٠٨ كان القديس بولس يصلي راكعاً في الفسحة بين الفصح والعنصرة: راجع عمل ٢٠/٣٦ و ٢١/٥.
٤٠٩ De Urbina., 108-116 ؛ H-L., I,1. 618-620. ؛ م.ش.ك. ٩١-٩٦.
٤١٠ راجع نص الرسالة في الملحق رقم ٤، في نهاية المجلد.
٤١١ De Urbina., 66; F-M., III. 92-93; Jedin, 23-24; H-L., I,1. 620-627 ؛ رستم، ج ١. ٢٠٥-٢٠٧.

خامساً- اختتام المجمع ونتائجه

دعا الإمبراطور قسطنطين، الذي كان يحتفل أيضاً بالذكرى العشرين لتوليه العرش[٤١٢]، الجميع في نهاية المجمع، إلى مأدبة رسمية على شرف الأساقفة، في الخامس والعشرين من شهر تموز سنة ٣٢٥ في القصر الإمبراطوري. وانعكس في هذه الاحتفال، كل بهاء الإمبراطورية على المجمع المسكوني الأول للكنيسة الخارجة من الاضطهادات. وكتب اوسابيوس، في هذا الصدد، يقول: "قبل أن يجلس الأساقفة في أمكنتهم، كان عليهم أن يمروا أمام الحرس، الذين كانوا يؤدون لهم تحية الشرف برفع سلاحهم"[٤١٣]. وخلال المأدبة، ألقى الإمبراطور خطاب شكر، قال فيه جملته الشهيرة والمعبّرة: "أنتم أساقفة لما في داخل الكنيسة، وأنا الأسقف الذي أقامه الله للأمور الخارجية"[٤١٤]. وعند الوداع، حث الإمبراطور الأساقفة على السلام والوفاق حول الإيمان، ومنحهم الهدايا، وأمر بتوزيع الحنطة على الكنائس، لسد رمق الفقراء والمساكين؛ ثم دعاهم في النهاية، أن يصلّوا بحرارة، ويتضرعوا إلى الله، في كل مناسبة، من أجله ومن أجل أبنائه، ومن أجل مملكته. سُرّ الجميع وتفاءلوا بالخير "حتى تساءل العديد منهم، إن لم يكونوا الآن في ملكوت الله!"[٤١٥]. وبعد عدة أيام، دعا الإمبراطور الآباء من جديد، إلى عقد جلسة أخيرة، حثهم فيها على العمل من أجل السلام، وطلب منهم أن يصلّوا من أجله، ثم أطلقهم وسمح لهم بالرحيل، والعودة كل إلى وطنه. فغادر الآباء نيقيا مسرورين، عائدين إلى بلادهم.

ومن المؤسف أنه لم يبقَ لنا الشيء الكثير من هذا المجمع المسكوني الأول، وأن كل ما ذكرناه، كما سبق وألمحنا، هو مستخلص من المؤرخ اوسابيوس القيصري، ومن رسالة للشماس اثناسيوس إلى الإمبراطور يوفينيانوس[٤١٦]، وأخيراً،

٤١٢ كان من عادة الرومانيين أن يحتفلوا كل عشر سنوات، بذكرى تنصيب الإمبراطور؛ وصادفت نهاية المجمع مع هذه الذكرى الثانية بتنصيب قسطنطين. ومنها يبدو أن المجمع انتهى في ٢٥ تموز وليس في ١٩ حزيران، كما يقول بعض المؤرخين، لأن الاحتفال بذكرى تنصيب قسطنطين للمرة الثانية، ابتدأ رسمياً في ٢٥ تموز عام ٣٢٥.
٤١٣ De Urbina., 65; Eusèbe., Vita Constantini. III. 15; PG 20. 1072.
٤١٤ De Urbina., 65; Eusèbe., Vita Constantini. IV. 24; PG 20. 1172.
٤١٥ H-L., I,1. 624-627.
٤١٦ راجعها في PG 28. 531-532

www.old-criticism.blogspot.com

من رسالة مركلوس أسقف انقيرة إلى تلاميذه[٤١٧]، ومن المؤرخين القدامى الذين استقوا بعض المعلومات منهم. أضف إلى ذلك بعض المجامع اللاحقة، التي ستذكر أحياناً ما تقرر في نيقيا، خاصة قانون الإيمان، أو بعض القوانين التنظيمية. لكن يمكننا أن نختصر نتائج هذا المجمع المسكوني الأول، على الشكل التالي:

أولاً: نفي آريوس وزميليه ثيوناس وسيكوندوس إلى ايلليريا، مع كل محازبيه من كهنة وشمامسة، إضافة إلى حرق كتابات آريوس وكتابات أصدقائه، مع منع الاحتفاظ بها.

ثانياً: فرض قانون إيمان جديد، يحتوي على كلمة "اوموسيوس" الشهيرة.

ثالثاً: تعيين أساقفة جدد بدل المنفيين.

رابعاً: توحيد تاريخ عيد الفصح.

خامساً: إصدار عشرين قانوناً تنظيمياً.

وبذلك يكون قسطنطين، قد أعطى هذه القرارات شرعية مدنية، وليس فقط روحية وكنسية. فكان مجمع نيقيا، نجاحاً باهراً لسياسة قسطنطين الدينية. واعتقد أغلب الآباء، أن العناية الإلهية قد استخدمته، لتحقق الكنيسة في هذا الاجتماع، دفاعاً فعالاً ضد الأخطاء العقائدية، وتجديداً حكيماً للأنظمة. وكل هذا لخير المؤمنين. واعتبر المسيحيون هذا المجمع، كعامود الحق، وكرمز لانتصار الإيمان على الهرطقة. ولكن، مع الآسف، لن يطول هذا السرور والأمل، لأن المرحلة القادمة، ستكون فترة نزاعات دينية شديدة، سوف تستمر قرابة نصف قرن[٤١٨].

٤١٧ راجعها في PG 18. 1277-1302

٤١٨ ابتدأت المشاكل، في الواقع، بعد المجمع، بالخلاف الواضح بين اوسابيوس أسقف قيصرية، وافستاثيوس أسقف أنطاكية: اتهم الأول افستاثيوس أنه "صابيلي"، بينما نعت الثاني اوسابيوس بأنه "نيقاوي خجول، ودون قناعات". ولسوف نرى أنه بسبب صداقة اوسابيوس مع الإمبراطور قسطنطين، وبسبب اتهامات باطلة، سوف يأمر قسطنطين بنفي أسقف أنطاكية عام ٣٣٠. وسوف يجلس مكانه بولينوس، أحد اصدقاء اوسابيوس القيصري (كان قبلاً أسقف صور)، ولكنه توفي بعد ستة أشهر، فخلفه افلاليوس "الذي اختفى، على ما يبدو، في السنة الثانية أو الثالثة لمهمته". Devresse R., Le patriarcat d'Antioche depuis la paix de l'Eglise jusqu'à la conquête arabe. Paris 1945. 5.

الفصل الرّابع

مجمع نيقيا علامة تناقض

بعدما بدأ عصر قسطنطين بوقف الاضطهادات الشرسة، التي سقط فيها الكثير من الشهداء، أبطال الإيمان المسيحي، وبعد كل ما ذكرناه عن أجواء الأمان والطمأنينة والسلام، التي عمت الكنيسة ومجمع نيقيا، يتصور القارئ، أن الكنيسة راحت تنعم بهذا الهدوء السياسي والأمني، وتنشر الإيمان وتعمّر الكنائس، ويلتقي الاخوة معاً في جو من النعيم. كما يتصور المرء، أن مجمع نيقيا جاء أيضاً، ليحل السلام في قلوب المؤمنين، وينهي مشكلة لاهوتية هامة جداً، أدت بكنيسة الإسكندرية أولاً إلى الانقسام، ثم بالكنيسة الشرقية عامة إلى الشرذمة، والفوضى بين صفوف مؤمنيها، خاصة وأن الإمبراطور قسطنطين، قد دعم قرارات هذا المجمع المسكوني الأول، وثبّتها بإعلانها كمرسوم إمبراطوري، وعمّمها على الكنيسة جمعاء.

لكن ما إن خُذل الفريق الآريوسي في نيقيا، حتى توجه أغلب داعمي آريوس وعقيدته اللاهوتية (بخصوص اللوغوس)، إلى نيقوميديا، ليكوّنوا هناك تجمعاً معارضاً، لا يعتبر ذاته منتسباً إلى آريوس ولا إلى اوسابيوس، بل إنما إلى معلمه القديم، القديس الشهيد لوكيانوس. وحاول هذا الفريق "اللوكياني"، المعارض التقرب من الإمبراطور قسطنطين، الذي ما لبث أن تراجع، في الواقع، عن موقفه العدائي تجاه الآريوسيين، وابتدأ يدعم حزب اوسابيوس النيقوميدي، ضد افستاثيوس أسقف أنطاكية وسائر النيقاويين. ثم، وبناء على طلب اللوكيانيين والاوسابيين، بدّل موقفه المشتبه به، تجاه اثناسيوس الإسكندري، ممثل الإيمان القويم، وفكر في إعادة آريوس من المنفى. هذا ما شدد من عزيمة أعداء مجمع نيقيا، وأعاد الصراع الضاري إلى سابق عهده، أي إلى ما كان عليه قبل المجمع. أضف إلى أن ظهور حزب وسط بين الأرثوذكسية والآريوسية، برئاسة اوسابيوس

www.old-criticism.blogspot.com

النيقوميدي، "زاد في الطنبور نغماً". وعوض أن يكون مجمع نيقيا، مجمع سلام وأمان وطمأنينة للكنيسة، نراه يضحي سبب خلاف وانشقاق وانقسام. وبات المؤمنون على أثره، متحيرين ضائعين، لا يعلمون من يتبعون.

أولاً– مؤتمرات ضد نيقيا حتى وفاة قسطنطين الكبير (٣٣٧)

أمر الإمبراطور في نهاية المجمع، بحرق كتب آريوس، وهدد بإنزال أشد العقوبات، بكل من يحتفظ بها؛ وأمر بإعطاء الآريوسيين اسم "البورفريين"، باعتبارهم أكبر أعداء للكنيسة. وكتب قسطنطين إلى الكنائس الأخرى، أساقفة وعلمانيين في كل مكان، يطلب منهم أن يعتبروا آريوس ومحازبيه كفرة، وأن يحرقوا كتاباتهم عندما يجدونها، بحيث لا تنتشر، من بعد، ذكرى آريوس ولا تعاليمه؛ أما إذا ضُبط أحد بالجرم المشهود، أي وهو يخبئ هذه المذكرات ولا يسارع إلى الكشف عنها ولا يحرقها، فسيُحكم عليه، وسيدفع ثمناً باهظاً. وخصص كنيسة الإسكندرية، التي كانت تعاني من انشقاق ملاتيوس، برسالة يدين فيها هذا الانشقاق، ويشرح موقف المجمع من النزاع الآريوسي، ويعطي هذا الكرسي امتياز تحديد تاريخ الفصح[٤١٩].

وإن من يقرأ بعمق "حياة قسطنطين" التي دوّنها اوسابيوس القيصري، يجد العلاقة الوثيقة، التي كانت تربط الأساقفة بالإمبراطور المنقذ، ومحبة الإمبراطور للكنيسة، وبالتالي للأساقفة ممثليها. ومن أهم الأسماء التي كان لها صداها في الكنيسة والمجتمع آنذاك، اوسابيوس النيقوميدي واوسابيوس القيصري، واثناسيوس الإسكندري ومركلوس الانقيري، واوسابيوس الحمصي وكيرلس الأورشليمي، وديونيسيوس الإسكندري والخطيب استيريوس السفسطائي وسواهم. كما يشعر القارئ برغبة قسطنطين الملّحة، في توحيد الكنيسة وجعلها قوية ومتماسكة[٤٢٠].

---

٤١٩ De Urbina., 121-124.

٤٢٠ يخبرنا سوزومينوس بهذا الصدد، أن قسطنطين المهتم باتفاق المسيحيين جميعهم، دعا اكيسيوس Acésius أسقف النوفاتيين، إلى الموافقة على قرارات مجمع نيقيا، والاحتفال بالفصح مع الباقين؛ فرد عليه الأسقف بالإيجاب قائلاً، إن المجمع لم يحدد شيئاً جديداً بالنسبة إليهم وأنهم يحتفلون على نفس النمط بالعيد منذ القديم، لذا فهو موافق على قرارات هذا المجمع. إنما الاختلاف لا زال وارداً، بما يخص من يرتكب خطيئة بعد المعمودية، فهذا يُعتبر غير مستحق نهائياً الاشتراك في الأقداس، "لأن خطيئته

لكن، وللأسف، لم يستطع شيئاً تجاه ما عاشته الكنيسة، في تلك المرحلة من مجمع نيقيا، حتى وفاته.

كان المجمع قد اختُتم بانتصار ظاهر للرأي القويم، وانكسار المعادين له، ولكن الحقيقة، أن آريوس ومؤيديه لم يرموا أسلحتهم بعد المجمع، وبعد حُكم الإدانة الذي استهدفهم، بل سعوا جاهدين، إلى استعادة اعتبارهم مع تعاليمهم، وشنّوا حرباً قوية ضد إيمان نيقيا والقائلين قوله. والبرهان على ذلك أولاً، إعلان كل من اوسابيوس النيقوميدي، وماريس الخلقيدوني، وثيوغنيس النيقاوي[٤٢١]، سحب تواقيعهم على أعمال مجمع نيقيا، حتى إنهم استطاعوا إقناع حافظ نصوص مجمع نيقيا، أن يمحو تواقيعهم؛ وعادوا ليعلّموا آراء آريوس، أن الابن غير مساوٍ للآب في الجوهر[٤٢٢]؛ وثانياً اتهام اوسيوس بتغيير طبيعة العقيدة الكنسية حول المسيح، لدرجة اتهامه بالصابيلية؛ وثالثاً نفي كل التهم الموجهة ضد آريوس، قائلين إنه لم يُعلّم ولا اعترف بهذه الأخطاء؛ ورابعاً ازدهار الآريوسية في منطقة الايلليريكوم حيث نُفي آريوس وزميلاه.

حاول الإمبراطور إعادتهم عن غيهم في بادئ الأمر، لكنه عندما رأى موقفهم المتصلب، وتمسكهم بآرائهم الخاطئة، ورفضهم لسواها، اضطر إلى نفيهم إلى بلاد الغال، وطلب من كنيستي نيقوميديا ونيقيا، الانضمام إلى دستور إيمان المجمع، وانتخاب أسقفين أرثوذكسيين آخرين وإطاعتهما، وعدم ذكر الأسقفين السالفين؛ وهدد كل من يحاول مدحهم مع آريوس، أو مقاسمتهم أفكارهم، بالقصاص[٤٢٣]. وهذا ما تمّ: نُفي إذاً اوسابيوس وثيوغنيس بمراسيم إمبراطورية، بعد أن خلعا عن كرسيهما، وصار امفيون أسقف نيقوميديا، وخريستوس أسقف نيقيا.

تؤدي به إلى الهلاك" (١يو ١٦/٥)... فرد عليه الإمبراطور قائلاً: "عزيزي اكيسيوس، انصب سلماً واحداً، واصعد وحيداً إلى السماء". سوزومينوس ١: ٢/٢٢.

٤٢١ لعب ثيوغنيس دوراً هاماً في محاربته اثناسيوس الإسكندري. وسيدين مجمع القسطنطينية الأول عام ٣٨١، تعاليمه الآريوسية الخاطئة . Cf. De Bruyne D., Deux lettres inconnues de Théognius l'évêque arien de Nicée: ZNW 28 (1928). 106-110.

٤٢٢ سوزومينوس ٢: ٦/٢١.

٤٢٣ يُظهر قسطنطين في هذه الرسائل وغيرها مقته لاوسابيوس، لأنه كان فيما مضى إلى جانب الطاغية ليكينيوس، ولأنه نصب له مكائد H-L., I,1. 95; De Urbina., 118-119.

www.old-criticism.blogspot.com

لكن، ولأسباب غير واضحة حقاً، ما لبث قسطنطين أن أعاد أولئك المنفيين سنة ٣٢٧. فعادوا وتسلّموا، من جديد، قيادة كنائسهم في السنة التالية، بعد أن طُرد الأساقفة البدلاء[٤٢٤]. ولعل وراء ذلك، بوجه خاص، تأثير هيلانة والدة قسطنطين[٤٢٥]، وأخته كونستانسيا[٤٢٦]، أرملة ليكينيوس، وتقرّب اوسابيوس من الإمبراطور نفسه.

في هذه الأثناء، أي في السابع عشر من نيسان عام ٣٢٨، رقد بالرب الكسندروس أسقف الإسكندرية، وفي الثامن من حزيران من السنة ذاتها، تمّ انتخاب الشماس اثناسيوس، مرافق الكسندروس إلى نيقيا، خلفاً له على كرسي الإسكندرية، وقد كان في المجمع، من ألد أعداء الآريوسية وأكثرهم حيوية، وكان عمره آنذاك اثنتين وثلاثين سنة، علماً بأنه حاول الهرب إلى الصحراء ليتفادى الأسقفية، على ما يذكره لنا صديقه ابولیناریوس[٤٢٧]، لكن أساقفة الإسكندرية وإكليروسها وشعبها، لم يرضوا عنه بديلاً، فانتخبوه رئيس أساقفة عليهم، وثبت

٤٢٤ ترك لنا سوزومينوس رسالة التوبة والندامة، التي دوّنها اوسابيوس النيقوميدي وثيوغنيس النيقاوي إلى مجمع الأساقفة، قبل أن يستعيد كل منهما كرسيه. تجد نصها في الملحق رقم ١٧.

٤٢٥ كانت هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين، من بنات دريبانوم Drepanum في بيثينيا؛ وفي هذه المدينة، كان مثوى لوكيانوس الأنطاكي الشهيد الشهير، استاذ آريوس ورفقائه؛ وكان قبره مزاراً فيها، وكانت هيلانة شديدة العناية بهذا المزار. وكان اوسابيوس أحد تلاميذه، ومعه ثيوغنيس أسقف نيقيا؛ فلما أمر قسطنطين بإبعادهما إلى الغال، لتمسكهما بآراء آريوس، شفقت هيلانة عليهما، وتشفعت لهما عند ابنها فقبل شفاعتها وأعادهما إلى مراكزهما سنة ٣٢٨. راجع رستم، ج ١. ٢٠٧.

٤٢٦ كونستانسيا Constantia ؛ توسطت كونستانسيا لدى أخيها قسطنطين لصالح الآريوسيين؛ وكان كاهنها الآريوسي، قد أكد لها براءة آريوس، وأقنعها بأن أخاها قسطنطين ظلمه. ولما شعرت بقرب أجلها، وكانت على فراش الموت، وجاء أخوها لزيارتها، حذرته من أن يعرّض نفسه للغضب الإلهي، بمعاقبته أناساً ورعين أتقياء بارّين، وكانت تعني آريوس ورفاقه. H-L., I,1. 638-641.

٤٢٧ يتفرد ابولیناریوس، أسقف اللاذقية وصديق اثناسيوس، بهذا النص الذي حفظه لنا سوزومينوس: "بعد ذلك لم يتردد الكفر عن شن حروبه: ابتدأ أولاً بالتسلح ضد مربّي [الكسندروس] هذا الطوباوي [اثناسيوس]، وقد كان يحميه كأب لابنه؛ ثم ما لبث أن حارب اثناسيوس، بعد أن انتخب أسقفاً خلفاً لالكسندروس. مع العلم أن اثناسيوس، كان قد هرب بعيداً، ولكنه اكتشف بإرادة الله، لأن الإلهام الإلهي، أوحى إلى الطوباوي [الكسندروس] أن يسلّمه الأسقفية، دون سواه، خليفة له.
وفي فترة احتضاره، عندما كان مغادراً هذه الحياة، بدأ بذكر اسم اثناسيوس الذي كان غائباً؛ وصادف أن كان عنده مساعد، اسمه أيضاً اثناسيوس، فلما أراد الرد عليه، صمت الكسندروس لأنه لم يكن هو من استدعاه؛ وكرر ذكر اثناسيوس... وبطريقة نبوية ردد الكسندروس: "أتظن أنك تهرب يا اثناسيوس؟ إنك لن تتمكن من الهرب". كان ذلك، في الواقع، دعوة اثناسيوس إلى المجابهة والصراع. سوزومينوس ٢: ١٧/٢-٣.

هذا الانتخاب، مجمع إسكندري، معلناً إياه الأسقف الشرعي على الإسكندرية. وتمّت سيامته في الرابع عشر من شهر حزيران سنة ٣٢٨.

بالطبع لم يُرضِ ذلك الآريوسيين، فابتدأوا بمضايقة الأسقف الجديد، بكل ما لديهم من قوة، لأن محاربته تعني محاربة نيقيا، والانتصار عليه يؤدي إلى انهيار كل مقاومة ضدهم. ولم يُقصِّر اثناسيوس، من ناحيته، في مقاومته هذه البدعة بضراوة، مما حمل القديس ايرونيموس على قول جملته الشهيرة: "لو أصبح العالم كله آريوسياً، يكفي أن يحمل اثناسيوس راية الأرثوذكسية، حتى لا نشك بانتصارها. فهو وحده يعادل جيشاً".[٤٢٨]

١) مجمع أنطاكية (٣٣٠)

تعززت مواقع الحزب اللوكياني الآريوسي، بزعامة اوسابيوس النيقوميدي، خاصة بعد عودة هذا الأخير، مع زميله ثيوغنيس النيقاوي من المنفى، وهما من مناصري آريوس. واحتل اوسابيوس مركزاً مرموقاً، حتى إنه أصبح مستشار قسطنطين، بدعم من كونستانسيا؛ وأصبح ذا نفوذ وتأثير كبيرين على الإمبراطور، فاستفاد من مركزه، ليُحضّر هزيمة لأنصار نيقيا. ثم إنه استغل حيرة اوسابيوس القيصري، أحد أبرز الموالين لحزب الوسط، المتردد بين قبول "الاوموسيوس" أو رفضها، ليتحالف معه؛ كما تحالف أيضاً مع الملاتيوسيين، للقضاء على كل من يخالفه الرأي. ولما رأى هذا التحالف، مكانة اثناسيوس القوية، ودعم الشعب المصري له، توجهت أنظاره إلى رمز آخر من رموز المدافعين عن نيقيا الصناديد، افستاثيوس أسقف أنطاكية، ليحاربه ويُبعده عن الأنظار، ويُفقد النيقاويين واحداً من أهم مناصريهم.

قرّ رأي الاوسابيين، على الدعوة إلى مجمع من أجل محاكمة افستاثيوس المتهم بالصابيلية، لتثبيت التهمة عليه. فدعا أولاً إلى مجمع في أنطاكية سنة ٣٣٠، جمع فيه أغلب الآريوسيين أو الموالين لآريوس، وخلعوا افستاثيوس أسقف أنطاكية عن

٤٢٨ F-M., III. 92-99.

www.old-criticism.blogspot.com

كرسيه، بحجة أنه يشوّه الكهنوت بأفعال شائنة (إغواء امرأة، تكوين جبهة معارضة، ضد هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين)، بالإضافة إلى أن أفكاره اللاهوتية خاطئة، وموسومة بالهرطقة الصابيلية. وانتخبوا مكانه بولينوس أسقف صور[٤٢٩]؛ وأقنعوا الإمبراطور بأن افستاثيوس المخلوع عن كرسيه، والمعارض لوالدته هيلانة، يهدد سلامة الدولة. وكانت كل هذه التهم ضد افستاثيوس، مجرد افتراء. ولكن قسطنطين اقتنع، ونفاه إلى ترايانوبوليس في تراقيا، ثم حوّله إلى فيليبي حيث توفي بعد عدة سنوات (٣٣٧).

لم تهدأ نفوس الاوسابيين، ولم يكفهم نفي افستاثيوس، بل أرادوا تحطيم كل رموز نيقيا وأبطالها، وكل من بقي يخالفهم الرأي. فبعد افستاثيوس، جاء دور العديد من الأساقفة الآخرين، المدافعين عن إيمان نيقيا، أمثال كيروس أسقف بيريا، ودومنينوس* أسقف ازمير[٤٣٠]. ولم يكن الاوسابيون يتهمون مناوئيهم بالمسائل العقائدية الآريوسية بل كانوا يجدون أسباباً أخرى، ليصلوا، بالتأكيد، إلى غايتهم، ألا وهي إقصاء كل من يدعم الأرثوذكسية. وفي سبيل ذلك، تحاشوا الطعن المباشر في دستور إيمان نيقيا، ولم يتلفظوا بشيء من عبارات آريوس. ولكنهم ساووا بين عقيدة نيقيا وعقيدة صابيليوس، فاستطاعوا بذلك اتهام اثناسيوس وافستاثيوس وغيرهما[٤٣١].

٢) ملاحقة اثناسيوس

لم يترك الآريوسيون وسيلة إلا واستخدموها للوصول إلى مآربهم. فقد ظلوا يدسون الأخبار والشائعات المغلوطة، حتى تمكنوا من إقناع قسطنطين، بخطر

٤٢٩ توفي بولينوس بعد ستة أشهر من تنصيبه على كرسي أنطاكية. بعد بولينوس نصّب الاوسابيون افلاليوس، Eulalios الذي توفي بعد سنتين أو ثلاثة (٣٣٢-٣٣٣)؛ ثم اعتلى ايفرونيوس كرسي أنطاكية (٣٣٣-٣٣٤).

* كيروس أسقف بيريا Cyrus de Bérée ؛ دومنينوس أسقف ازمير Domnion d'Izmir

٤٣٠ رستم، ج ١. ٢٠٨-٢١٠؛ De Urbina., 118-123; F-M., III. 102-104

٤٣١ لم يُكوِّن الاوسابيون أو النصف آريوسيون، مدرسة أو مذهباً بحصر المعنى؛ لكنهم لم يعترفوا بكل نقاط عقيدة آريوس، خاصة تلك المتعلقة باللوغوس المخلوق؛ كما أنهم لم يكونوا مع إيمان نيقيا. هذا ولم يتورطوا في عرض تعاليمهم الخليطة الحائرة. De Urbina., 128

العقيدة الأرثوذكسية الجديدة، التي أقرت في مجمع نيقيا، على الإمبراطورية وعلى سلطته، قائلين: إن الإمبراطورية تمثل مملكة السماء، التي يحكمها الملك الأزلي، الله الآب نفسه، فإذا اعترف المسيحيون الآن، أن الابن هو إله ومساوٍ للآب، يصبح هناك ملكان، ويعرضون بذلك الملكية الأرضية للخطر، إذ هي صورة الملكية السماوية، التي يجب ألا يحكمها إلا إمبراطور واحد، يمثل الله على الأرض[٤٣٢].

استفاد الحزب الاوسابي، من تأثير والدة الإمبراطور وأخته عليه، ليقود صراعاً لا هوادة فيه، ضد اثناسيوس الذي أصبح أسقف الإسكندرية. فابتدأ اوسابيوس يزرع الشكوك أولاً، حول صحة انتخابه على كرسي الإسكندرية، ولكن محاولاته هذه، باءت بالفشل بسبب تصريحات الأساقفة المصريين، بعد موت ملاتيوس[٤٣٣]. فكتب ضده إلى قسطنطين، واتهمه بشتى الافتراءات. وعلم اثناسيوس بذلك، فكتب بدوره إلى الإمبراطور، يخبره عن يوحنا اركاف، الذي قام بسيامات باطلة وحملات ضد نيقيا؛ وأن إيمان يوحنا هذا غير قويم، بالإضافة إلى تمرده وتمرد الآريوسيين على الكنيسة، وخلق فوضى فيها. وتحيّر قسطنطين ولم يعد يعلم من يصدق. وبما أن همّه الأكبر، كان وحدة المؤمنين، ردّ على اثناسيوس، وطلب منه ما يلي: "بما أنك علمت الآن رغبتي، فلا تمنع أحداً، ممن يريدون دخول الكنيسة من ولوجها. أما إذا علمت أنك منعت البعض من دخولها، ممن يرغبون الاشتراك في الصلوات، فسأوفد فوراً مفوضاً يمثلني، ليخلعك ويبعدك عن مكانك"[٤٣٤].

٤٣٢ Dvornik., 25.

٤٣٣ بعد قطع آريوس وأتباعه في نيقيا، وقبول الملاتيوسيين في الشركة، ولدى عودة اثناسيوس إلى مصر، أعاد ملاتيوس الكنائس التي كانت خاضعة له، وانسحب إلى ليكوبوليس؛ لكنه ساعة احتضاره، عيّن محله يوحنا اركاف Jean Arkaph ، وهو أحد اقربائه، وهذا ضد قوانين مجمع نيقيا التي تمنعه من إقامة سيامات جديدة. وكان يوحنا اركاف هذا، أسقفاً قبل مجمع نيقيا، ولكن كأسقف مساعد لرئيس أساقفة ممفيس؛ ولكن سيامته بعد المجمع، أسقفاً على ليكوبوليس، هي التي تعد مخالفة لقوانين نيقيا، خصوصاً وأن ملاتيوس لم يطلب موافقة اثناسيوس أسقف الإسكندرية، مما سوف يسبب متاعب جديدة في الكنيسة، لأن الآريوسيين سوف يستفيدون من معارضة اثناسيوس هذه السيامة، ليستميلوا الملاتيوسيين إلى جهتهم، ويحوّلوا كرههم المشترك السابق، باتجاه واحد ضد إكليروس الإسكندرية، حتى إن الآريوسيين، باتوا يسمّون في مصر بالملاتيوسيين. ويجب الانتباه إلى أن الملاتيوسيين، اختلفوا مع الأرثوذكسيين، فقط على موضوع رئاسة الكنيسة، بينما بات الآريوسيون هراطقة. راجع سوزومينوس ٢: ٢١/٣-٥.

٤٣٤ كان اوسابيوس النيقوميدي، قد اتهمه أمام قسطنطين، بأنه يرفض الشركة مع الكثيرين كالملاتيوسيين واللوكيانيين. ولدينا مقاطع من رسالة اثناسيوس ضد الآريوسيين (٦/٥٩). سوزومينوس ٢: ٢٢/٥.

www.old-criticism.blogspot.com

حاول اثناسيوس إقناع قسطنطين، في رسالة جوابية، بأنه لا يجوز قبول الآريوسيين في الشركة الكنسية. وأدرك اوسابيوس أنه لن يحقق الغاية المنشودة، ما دام اثناسيوس يدافع عن موقفه بشدة، فرأى أن الحل السليم يكون في إبعاده. فسعى إلى تحقيق ذلك، بكافة الوسائل المتاحه لديه، ولم يدخر بذل الجهود الحثيثة، لتحقيق مآربه. فاتفق مع الملاتيوسيين الذين تحالفوا معه ضد اثناسيوس، فأرسلوا، بتحريض من زعيمهم جان اركاف، خليفة ملاتيوس، أربعة أساقفة[٤٣٥] إلى البلاط الإمبراطوري، يرفعون الشكاوى ضده، بحجة أنه فرض إتاوة قميص صوف عليهم، وكسر الكأس المقدسة أثناء الاحتفال بالقداس، الذي كان يقوم به الكاهن ايسخيراس*، وأمر بجلد ارسانيوس الملاتيوسي، أسقف ايبسالا*، وأعطى شخصاً مشكوكاً بخيانته للإمبراطور، كمية من المال. وكلها، كما نلاحظ، اتهامات غير عقائدية. فاستحضره الإمبراطور، فلبى اثناسيوس الدعوة، وبرر نفسه من كل تلك التهم الباطلة، ودعمه في ذلك الكاهنان ابيس ومكاريوس، القاطنان في القصر.

إلا أن ذلك الحزب، وبتحريض من اوسابيوس، تابع مؤامراته ضد اثناسيوس. فاتهمه من جديد، بقتل ارسانيوس أسقف ايبسالا، وهو من حزبهم. عندها، كلّف الإمبراطور قسطنطين دالماتيوس، التحقيق في هذه القضية، فوجد هذا الأخير، الأسقف المذكور ارسانيوس حياً مختبئاً في أحد الأديرة، لأنه كان قد ارتكب خطأ ضد حالته الإكليريكية، وكان يخشى الحساب أمام الأسقف وفرض العقاب عليه. هذا وأعلن ايسخيراس أنه لا يعلم شيئاً عن الكأس المكسورة[٤٣٦].

حينذاك هرع اثناسيوس إلى قسطنطين، وأخبره بكل تلك التهم وبظهور براءته. فردّ عليه الملك وطلب إليه أن يبقى ملازماً لمهامه الكنسية والأسقفية، وأن يسهر للحفاظ على النظام والأمن والعبادة لدى الشعب، ويعتبر كل تلك المؤمرات الملاتيوسية باطلة، لأنه يعرف أن الحسد وحده، هو وراء كل تلك الافتراءات الآريوسية والملاتيوسية، والاتهامات الكاذبة والوهمية التي من شأنها فقط زرع

٤٣٥ الأساقفة الأربعة هم: ايزيون Ision واودیمونوس Eudœmon وكالينيكوس Callinicus وهييراكامون Hiéracammon

* ايسخيراس Ischyras

* ارسانيوس أسقف ايبسالا Arsène d' Hypsélé

٤٣٦ F-M., III. 100-107.

القلائل في الكنيسة. وسلمه رسالة يُعرب فيها عن عدم قبوله، في المستقبل، مثل هذه الشكاوى، لا بل وعده بأنه سيحاكم مخترعيها، حسب القوانين المدنية بتهمة تشويه السمعة واتهام الأبرياء. ولأن ذلك يضر بنظام الكنيسة والديانة. وطلب منه أن يقرأ هذه الرسالة علانية، حتى يعلم الجميع بالقرار الملكي. عاد اثناسيوس إلى أبرشيته، في فصح عام ٣٣٢، وقرأ رسالة الملك قسطنطين، ضد المخلّين بالأمن العام، واعتبارهم أعداء ومجرمين. فخزي الملاتيوسيون، وعاد العديد منهم إلى طاعة اثناسيوس، لأنهم خشوا تهديد الملك.

٣) عودة آريوس

لم يمل اوسابيوس ولم يستسلم، بل على العكس، كان كلما فشل مرة في مخططاته، ازداد إصراراً على متابعة السير في هذه الطريق. فاستغل صداقته مع الإمبراطور، ليوقع باثناسيوس ويعيد آريوس من منفاه. فاستطاع أولاً، أن يُقنع قسطنطين بإعادة آريوس إلى الشركة، بعد أن يتحقق من توبته. واستدعي آريوس إلى البلاط عام ٣٣١، ليشرح أفكاره ويظهر توبته[٤٣٧]، ولكنه لم يقبل الحضور، بسبب عدم ثقته بنفسه. ثم إنه عاد فاستدعاه من جديد سنة ٣٣٤، وكان اوسابيوس قد أقنعه بالحضور هذه المرة، شارحاً له أهمية مثل هذه المقابلة مع الملك، لتبرير نفسه أمامه، وأكد له أن هذه الفرصة، لن تسنح له مرة ثانية، وأنها ستكون له مناسبة لاسترداد حقوقه المغتصبة، وإعادة تأهيله، وبالتالي قبوله في الشركة الكنسية، بضغط من قسطنطين نفسه، كما أنها ستكون برهاناً على موقفه وموقف الاوسابيين أجمعين. طبعاً، أدان قسطنطين آريوس بسبب هرطقته، لكنه، من جهة ثانية، طلب الاتصال به، بالرغم من إدانته لعقيدته، لأنه كان مستعداً لمسامحة الخاطئ التائب. حضر آريوس إلى البلاط عام ٣٣٤، وقدم اعتراف إيمان حيادي، لا يمس تعليم نيقيا، كان بمثابة حجر الأساس لعودته، ورد اعتباره. ويستند قانون

٤٣٧ يدعو قسطنطين آريوس إلى البلاط، ليكتشف أسرار قلبه، فيكتب إليه في رسالته: "تعال إلي، أقول لرجل الله. ثق أني أروم اكتشاف أسرار قلبك بأسئلتي؛ وإذا بدا لي أن فيه بعد بعض الحماقة، فإني سأشفيك تماماً بنعمة الله. أما إذا ظهرت سليماً، فسأعترف أن فيك نور الحقيقة، وابتهج معك لتقواك" Grillmeier., I. 507. وهنا أيضاً نرى ثقة قسطنطين بنفسه، في تقرير أرثوذكسية إيمان آريوس أو عدم أرثوذكسيته.

www.old-criticism.blogspot.com

إيمان آريوس على الكتاب المقدس، وهو مؤلف من عبارات بسيطة ومعروفة، على أساس أن هذا هو إيمانه، وأن الآراء الموجودة فيه، تعبّر حقيقة عن مشاعره، وأن ليس في رأسه أي شيء غير موجود في هذا الكتاب الذي يقول فيه: "...نؤمن بربنا يسوع المسيح ابن الله، الذي أصبح إلهاً، الكلمة قبل كل الدهور، الذي به كان كل شيء، مما في السماء وعلى الأرض"[٤٣٨]. أقرّ آريوس إذاً في هذا القانون، بأن الابن وُلد من الآب قبل كل الدهور، إلا أنه تمنّع عن قبول "الاوموسيوس"، ولم يتعرض لموضوع مساواة الآب والابن في الجوهر؛ ثم إنه استخدم تعبير "أصبح"* بدلاً من كلمة "وُلد"*، فيكون بذلك، قد خدع الإمبراطور قسطنطين الذي اعتبر آريوس أرثوذكسياً، وقرر إعادته ورفيقه افذويوس من المنفى[٤٣٩]. وهذا مثال آخر على حذق آريوس في التمويه، وإخفاء أفكاره الحقيقية، خلف صيغ لا عيب فيها ظاهرياً. ومهما يكن، فهذه الرسالة تمثّل لحظة مهمة في تاريخ الحركة المضادة لنيقيا، التي بدأت بعد المجمع سنة ٣٢٥، والتي دعمها قسطنطين، ظناً منه أنه قد حارب الآريوسية بقسوة في نيقيا، فحاول إعادة توازن الموقف، عاملاً لمصلحة فريق من المعتدلين، ضد المتطرفين النيقاويين والآريوسيين. إن نصاً كهذا، لم يكن ليستطع خداع خصوم آريوس، لكن الرياح كانت تجري في مصلحته. وهكذا كفت هذه الأسطر القليلة، التي لا يمكن لومها في عمومياتها، في إعادة اعتبار آريوس.

٤) مجمع صور (٣٣٥)

وعندما تأكد قسطنطين، أن كل تلك الاتهامات ما هي إلا افتراءات ومؤامرات، ضد أسقف الإسكندرية، أراد جمع الأساقفة، بهدف توضيح الأمور،

٤٣٨ راجع نص الرسالة كاملاً في الملحق رقم ١٨.

* أصبح γεγενημενον

* ولد γεγεννημενον

٤٣٩ نرى هنا أيضاً تدخل قسطنطين في الأمور العقائدية بطريقة واضحة، لأنه ادّعى أنه قادر على الحكم، حول أرثوذكسية إيمان آريوس وافذويوس؛ وكان افذويوس قد كتب مع آريوس الدستور نفسه، لإعادتهما إلى الشركة، حسب المقياس النيقاوي. وبعدما تفحص قانون الإيمان الحيادي، استنتج أنهما أرثوذكسيان، ولهذا سوف يطالب اثناسيوس بإعادتهما إلى الشركة.

والدفاع عن اثناسيوس، فدعاهم إلى مجمع في قيصرية فلسطين سنة ٣٣٤. وقد حبّذ الاوسابيون فكرة المجمع، إذ اعتبروها فرصة لهم، للنيل من اثناسيوس من جديد. ولكن قسطنطين عاد فألغى فكرة الاجتماع، بطلب من اثناسيوس نفسه، الذي اكتشف وجود مناورة ومؤامرة ضده من قِبل أعدائه، واعتبر أن المجمع سيكون مكوّناً بأغلبيته من خصومه. آنذاك، اكتفى قسطنطين بأن أرسل إليه مكتوب مديح ضمنه كلمات قاسية جداً، ضد أولئك المفترين عليه. فسكنت كنيسة مصر لفترة، وعاشت في سلام تحت سلطة اثناسيوس وتعليمه.

أقنع اوسابيوس وثيوغنيس الإمبراطور، بضرورة عقد مجمع لإعادة الوحدة والسلام إلى الكنيسة، ووضع حد للانقسامات في كنيسة الإسكندرية. وهذا ما كان يرومه الإمبراطور، الذي اعتبر أن مناسبة تكريس كنيسة القبر المقدس، التي بناها في أورشليم، إذ كان مزمعاً دعوة عدد كبير من الأساقفة لهذا الاحتفال، الوقت الأكثر ملائمة لعقد مجمع عام. فأمر الأساقفة أن يعقدوا مجمعاً في صور؛ ثم ينتقلوا من هناك، بعد انتهاء المناقشات، إلى أورشليم، للاشتراك في الاحتفال الكبير. إذاً، وبهدف أو حجة إعادة الوفاق إلى الكنيسة عموماً، وإنهاء قضية اثناسيوس خصوصاً، دعا الإمبراطور في السابع من شهر أيار سنة ٣٣٥، إلى عقد المجمع في صيف السنة ذاتها، في صور، عوضاً عن قيصرية فلسطين. ومن جديد، رفض اثناسيوس أن يمثل أمام الاوسابيين ليحاكموه. ولكن الملك ضغط عليه ليحضر، فوصل إلى صور في ١١ تموز.

حضر المجمع حوالي ٦٠ أسقفاً، أغلبهم من الشرق ومن الآريوسيين، نذكر منهم اوسابيوس النيقوميدي واوسابيوس القيصري، وثيوغنيس النيقاوي وماريس الخلقيدوني. كما حضره القديس اثناسيوس مرغماً، ومعه ٤٨ أسقفاً مصرياً. وكما كان متوقعاً، تحول المجمع إلى اجتماع آريوسي-ملاتيوسي لمحاكمة اثناسيوس، وعادت التهم نفسها تتراكم ضده، من كالينيكوس الملاتيوسي وايسخيريونوس، الذين اتهماه بهدمه مذبحاً أو هيكلاً، وكسره كأساً مقدسة، وعدم صحة انتخابه، واعتماده على السلطة المدنية ضد أعدائه، وخلعه أسقفاً من أسقفيته... لكن أسقف الإسكندرية استطاع أن يدحض كل تلك التهم، ويبرر نفسه. ولكنهم عادوا فاتهموه بقتل ارسانيوس، وعرضوا يداً مبتورة، مدّعين أنها يده. لكن، ولحسن حظ

www.old-criticism.blogspot.com

اثناسيوس جاء ارسانيوس، الذي أخفاه الآريوسيون الاوسابيون، إلى صور، مدفوعاً بفضوله، ليعرف ما يحدث، فتعرف إليه الكثيرون، وأخبروا عنه السلطات التي قبضت عليه، كما تعرّف إليه أيضاً بولس أسقف صور، الذي نبّه اثناسيوس إلى ذلك. فلما اتهمه الاوسابيون باغتيال ارسانيوس، أدخله إلى قاعة الاجتماع، وأظهر براءته. ولكن خصومه اتهموه مجدداً بالسحر، وبرروا موقفهم.

وتابع الآريوسيون اتهام اثناسيوس، فزوّروا تهمة أخرى: أحضروا امرأة، زعمت أن اثناسيوس قد اغتصبها عدة مرات. فتدخل أحد أصدقائه، وهو الكاهن تيموثاوس الإسكندري، وسألها: "أصحيح أني اغتصبتك؟"، فأكدت المرأة ذلك، مما يعني أنها لا تعرف اثناسيوس . فانكسر أعداؤه مرة جديدة أمامه. وهكذا دحض اثناسيوس كل التهم الموجهة ضده. لكن أعداءه ثاروا من جديد، واتهموه بالسحر والشعوذة. وشعر اثناسيوس أن خصومه أقوى منه وأكثر عدداً، وأنهم سيحاولون خلعه عن كرسيه سراً، رغم ظهور براءته، فطالب بفتح تحقيق، لمعرفة مصدر كل تلك الاتهامات. لكن الاوسابيين جددوا اتهاماتهم، وقرروا إرسال وفد إلى مصر للتحقيق فيها؛ وبما أن كل أعضاء الوفد كانوا آريوسيين -من بينهم ثيوغنيس النيقاوي عدوه اللدود-، لم يأخذوا بعين الاعتبار كلام الإكليروس المصري، بل اتكلوا على آراء بعض الشهود الذين اختاروهم فاعتبروه مذنباً. وحرض الآريوسيون أيضاً، الجماهير المحيطة بالمحكمة، فعلا أيضاً في الخارج، صراخ المتآمرين وهم يطالبون بطرد اثناسيوس المشعوذ، لأنه غير جدير بالكهنوت ورئاسة الكهنوت. وخشي الموظفون المكلفون من الملك، بالحفاظ على النظام والأمن، أن يُقتل اثناسيوس في هذه الثورة ضده، فأخرجوه سراً من القاعة من باب سري، وأفهموه أنه في خطر، وأن ليس من أمل بتبرئته في محكمة، أغلب حضورها أعداء له ويشهدون ضده، وقضاتها يكرهونه. فلما شعر اثناسيوس أن لا سبيل له إلى النجاة، اضطر أن يترك صور في تشرين الأول، ويهرب إلى القسطنطينية، حيث قابل الإمبراطور بعد طول عناء، وطلب منه حكماً عادلاً. اعتبر قسطنطين طلب اثناسيوس محقاً، فكتب رسالة إلى أساقفة صور، يطلب إليهم الحضور إلى القسطنطينية، ليقدموا له حساباً عما فعلوه ويبرهنوا عن عدالة حكمهم ونزاهته[٤٤٠].

٤٤٠ راجع نص الرسالة في الملحق رقم ١٩.

وفي غضون ذلك، أدان المجمع اثناسيوس غيابياً، وقرر خلعه عن كرسيه، ومنعه من العودة إلى الإسكندرية والإقامة فيها، حتى لا يسبب حضوره الفتن والقلاقل والفوضى؛ كما قرر الآباء إعادة الملاتيوسيين إلى الشركة، وبالتحديد يوحنا اركاف وأتباعه. وأرسلت تلك القرارات، بسرعة، إلى الإمبراطور وإلى جميع الأساقفة بغية قطع كل علاقة باثناسيوس.

٥) مجمع القسطنطينية (٣٣٥)

ولما كان قسطنطين مقيماً في القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية، أرسل وأمر آباء مجمع صور بالانتقال إلى العاصمة، كي يتسنى له الدفاع عن أسقف الإسكندرية. فسيطر الخوف على البعض، فعادوا إلى ديارهم، ولم يحضر إلى القسطنطينية، سوى عدد قليل من آباء مجمع صور، وكلهم من الآريوسيين. وفي القسطنطينية، تآمر اوسابيوس النيقوميدي، ومحازبيه الذين رافقوه، على اثناسيوس، مؤكدين عدالة حكمهم ضده في مجمع صور. ولكنهم تحفظوا من إعادة التهم ذاتها ضده، فوجدوا تهمة جديدة تمس بالدولة، وهي استخفاف اثناسيوس بالمراسيم الإمبراطورية، واعتبار نفسه قادراً على منع تصدير قمح الإسكندرية إلى القسطنطينية. وقدموا شهودهم، وهم ثيوغنيس وماريس وثيودوروس وفالنس واورساس، الذين قالوا إنهم سمعوه يفتخر، بأنه قادر على تجويع القسطنطينية، بمنعه مراكب القمح المخصصة لها، من مغادرة مصر. ولما لم ينجح المتهَم في إقناع الملك ببراءته، اضطر قسطنطين إلى الموافقة على إدانته، فنفاه إلى تريف* في بلاد الغال[٤٤١].

ما إن علم الشعب في الإسكندرية، بالقرارات ضد اثناسيوس، حتى قامت المظاهرات ضد الإمبراطور لنفيه أسقفهم، وطالبه الكثيرون من الإسكندريين، ومن بينهم القديس انطونيوس الكبير، بالعدول عن قراره. ولكنه رفض معتبرا أن اثناسيوس هو رجل فتنة ومتكبر، عكّر صفو الأمن والسلام، وأن إدانته كانت

* تريف Trèves وهي الآن مدينة المانية.

٤٤١ هذا النفي هو الأول، وقد دام من ١١ تموز سنة ٣٣٥، حتى ٢٢ تشرين الثاني سنة ٣٣٧؛ ولسوف يُنفى القديس اثناسيوس أربع مرات أخرى. F-M., III. 107-111; H-L., I,2. 647-666 ; De Urbina., 124-126.

www.old-criticism.blogspot.com

مطابقة للقوانين، لأن مجمعاً بهذا الحجم والسلطان، لا يمكنه ارتكاب خطأ في إدانته. ولقد نفى قسطنطين اثناسيوس معتقداً، على ما يبدو، أن ذلك يساعد في إعادة السلام إلى الكنيسة. وقد صرح ابنه قسطنطين الصغير، الذي استقبل اثناسيوس في تريف، وقدم له كل ما يريد، أن والده نفى اثناسيوس، ليحرره من أعدائه، دون أن يكون في نيته، لا معاقبته ولا إدانته. وبرهاناً على ذلك، منع الإمبراطور انتخاب خلف لاثناسيوس في الإسكندرية. واضطر الأسقف الأرثوذكسي المظلوم، أن ينتقل إلى منفاه. وفي طريقه مرّ بروما حيث انطلقت أجراس الحزن تُقرع في الغرب، الذي يجهل كل تلك الأمور. وكان ذلك في شباط سنة ٣٣٦[٤٤٢].

٦) مجمع أورشليم (٣٣٥)

بعدما أنهى مجمع صور نقاشاته، وقرر إدانة اثناسيوس، شعر الآريوسيون[٤٤٣] بأنهم حققوا انتصاراً باهراً؛ فترك الآباء صور، وتوجهوا إلى أورشليم كما أمرهم الإمبراطور قسطنطين، للاحتفال بتكريس كنيسة "الصليب المقدس" المعروفة بكنيسة القيامة، وكان ذلك في أيلول عام ٣٣٥. أمل الملك في أن يكون الآباء، قد سوّوا خلافاتهم في صور، ومن ثم فهم يحضرون تكريس الكنيسة بعد أن أزالوا كل خلاف فيما بينهم. ولا شك أن وفاق الأساقفة واتحادهم فيما بينهم سيضفيان

٤٤٢ F-M., III. 112-113; De Urbina., 126.

٤٤٣ يخبرنا سوزومينوس أن عقيدة آريوس نالت حظوة كبيرة لدى الكثيرين، ومع ذلك لم تُحدث انشقاقاً، بحيث يُدعى الذين تبعوه باسمه "آريوسيون"، بل كان الجميع يحتفلون بالصلوات مع الأرثوذكسيين، ويشتركون بشركتهم، على خلاف ما حدث في بدع أو هرطقات أخرى، مثل النوفاتيين، وأولئك المدعوين فريجيين (أي المونتانيين)، والفالنتنيين، والمركيونيين، والبولسيين أتباع بولس السميساطي، وما إلى سوى ذلك من البدع والمذاهب الأخرى. ويبدو أن قسطنطين سنّ في تلك الفترة بالذات، قانوناً ضد كل هذه الهرطقات، وقانوناً آخر يأمر فيه بمصادرة أماكن اجتماعاتهم، وتدمير كنائسهم ومنعهم من الاحتفالات بشعائرهم، إن في المنازل الخاصة أو العامة، ونصحهم بالعودة إلى شركة الكنيسة الجامعة والالتحاق بها. ومنذ تلك اللحظة، خشي معظمهم العقاب، فانضموا إلى الكنيسة الجامعة. أما الذين بقوا معاندين، فقد محا موتهم أثرهم، لأنهم لم يتركوا خلفاء لهم، ثم إن حقهم في الاجتماع قد مُنع عنهم وكذلك حرية التبشير بمبادئهم. ويجدر القول إن عدد أتباع معظم هذه الهرطقات -باستثناء النوفاتيين- كان محدوداً منذ البدء، بسبب غرابة تعاليمهم وضعف مبتدعيها. سوزومينوس ٢: ٣٢/١-٥؛ اوسابيوس، حياة قسطنطين، الفصل ٦٥.

رونقاً وبهاء على حفلة التكريس . وذلك ما حصل فعلاً، إذ حضر الأساقفة، وكرسوا الكنيسة والأواني المقدسة والتقادم الفخمة، النفيسة والغالية الثمن، المرسلة من قسطنطين، والموجودة في الكنيسة[٤٤٤].

وفي أورشليم، انتهز الأساقفة الآريوسيون فرصة تجمعهم، كي يعقدوا مجمعاً، ويقرروا فيه إعفاء آريوس وشماسه افذويوس، من قصاصهما، وإعادتهما إلى شركة الكنيسة، إستناداً إلى قانون الإيمان الذي قدمه آريوس إلى قسطنطين. فأقروا إعادة الآريوسيين إلى شركة الكنيسة، وأبلغوا قراراتهم إلى جميع الأساقفة والإكليروس، خاصة في مصر[٤٤٥]؛ وأرادوا أيضاً محاكمة مركلوس الانقيري، خصم الآريوسية الآخر. لكن أوامر الإمبراطور أرجأت ذلك، لأنه كان على الجميع، التوجه إلى القسطنطينية لعقد مجمع هناك[٤٤٦].

٧) مجمع القسطنطينية (٣٣٥ أو ٣٣٦؟)

بعدما نجح الاوسابيون إذاً، في إبعاد اثناسيوس، جاء دور مركلوس أسقف انقيرة في غلاطية، فانتقلوا إلى العاصمة القسطنطينية، على طلب من الإمبراطور، وهناك اجتمعوا وعرضوا موضوع مركلوس، متهمين إياه بالصابيلية، ولما لم يوجد من يدافع عنه، أكدوا الاتهام، فحكموا عليه وخلعوه.

يبدو أن مركلوس فصل اللوغوس إلى اثنين: الباقي مع الله، والمنبثق عنه، الذي سيعود إليه في نهاية العالم، بما أنه يسكن فيه. كما فصل بين طبيعتي المسيح: الأولى تنازلت حتى التأنس، بينما بقيت الثانية في الحياة المطلقة الأزلية[٤٤٧]. ويبدو أنه لم

٤٤٤ تعيّد الكنيسة البيزنطية لهذا التذكار (تدشين كنيسة القيامة سنة ٣٣٥) في الثالث عشر من شهر أيلول.

٤٤٥ يبدو أن هناك ضغطاً معنوياً من قسطنطين في هذا الموضوع بالذات، نعني إعادة الذين بقوا خارج الكنيسة مدة طويلة بسبب الغيرة والحسد؛ لأن آباء المجمع كتبوا إلى أساقفة مصر، يفيدون أن رغبة قسطنطين هي إعادة مناصري آريوس؛ ويؤكد الإمبراطور في رسالته على أرثوذكسية هؤلاء، بعد أن قبل هو اعتراف إيمانهم، وأقنع الأساقفة بذلك. لهذا دعا الإمبراطور عن حق الأساقفة إلى قبول هؤلاء الرجال في شركة كنيسة الله؛ وبالتالي خضع أساقفة مصر . Grillmeier., I. 498

٤٤٦ H-L., I,2. 666-667.

٤٤٧ H-L., I,2. 667-674.

www.old-criticism.blogspot.com

يفهم ولادة الابن إلا كونها تشكل بدءاً، وهذا لا يتوافق وأزلية الابن؛ وإن الابن لم يولد إلا في إنسانيته، ولا يمكن أن يولد في أزليته، وأنه ليس هو صورة الآب في أزليته، لأن الصورة تمثل ما هو موجود، وبالتالي، فالذي أصبح إنساناً من العذراء هو صورة الآب. عندما يتكلم اللوغوس، وينسب إليه القوة والفعل، ينسب إليه بكلمة "الفعل"، القوة الفاعلة وخالقة العالم، واللوغوس الآتي من الله، لكنه يعمل خارجاً عنه، ويبقى باتحاد معه في الوقت عينه بما أنه قوة. فاللوغوس إذاً وفي الوقت عينه قوة مع الله وفاعلاً خارجاً عنه، إنه في الله وبجانب الله.

٨) وفاة آريوس (٣٣٦)

تشجع اوسابيوس النيقوميدي ومحازبوه، بعدما حقق لهم الإمبراطور مآربهم، فطالبوا قسطنطين بالوفاء بوعده وإعادة آريوس، للاحتفال بالأسرار الإلهية، بمناسبة عيد الفصح سنة ٣٣٦، فوافق على طلبهم. لكن الشعب في الإسكندرية لم يحتمل ذلك، فشبّت نار الفتنة مما اضطر القيصر إلى السماح بمجيئه إلى القسطنطينية. واجتهد الآريوسيون في إقناع الكسندروس أسقفها بقبول آريوس في الشركة، لكنه رفض. ولما أمره قسطنطين بذلك، التجأ إلى الكنيسة وجثا وصلى، مبتهلاً إلى الله ألا يتم مثل هذا التدنيس والانتهاك للقدسيات. وفي الليلة السابقة لإعادة آريوس إلى العاصمة، اجتمع أشياعه لديه، فاضطر أن يقضي حاجته. فدخل إلى المراحيض العامة، وهناك اندلقت أحشاؤه، وقضى نحبه فوقها، عام ٣٣٦، واستجاب الله صلاة الكسندروس الأرثوذكسي[٤٤٨].

٤٤٨ تقارن أغلب المراجع موت آريوس بموت يهوذا حسب أعمال الرسل ١/١٨. وعلى كل حال، فقد اختلفت الآراء حول موته: فمنهم من اعتبر أنه توفي تواً ضحية أزمة قلبية؛ ومنهم من قال إن الفرح الشديد لنجاحه وتحول الأمور لصالحه، سبب له سكتة دماغية أو حصول نزيف في الأمعاء أو انفجارا في الزائدة. وظن البعض الآخر أنه عوقب على كفره. واخترع أنصاره هذه الخرافة، وهي أنه قتل بعمل سحري. ولاثناسيوس رأي خاص في وفاة آريوس، يمكن مراجعته في التاريخ الكنسي لسوزومينوس ٢: ٣٠/١-٧؛ ورستم، ج ١. ٢١٥؛ De Urbina., 126-127; Sozomène., Hist. Eccl. II.29. 363-365; Leroy-Molinghen A., La mort d'Arius: Bz (1968). 105-111; PL 16. 556-557.

٩) وفاة قسطنطين الملك (٢٧٠؟-٣٣٧)

احتفل الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٣٧ بالفصح، وبعد الفصح بقليل، بقي طريح الفراش، بسبب حمى قوية. فذهب إلى المدينة القريبة، التي دعاها باسم أمه، نعني هيلينوبوليس، للاستشفاء بمياهها الكبريتية، ومن هناك انتقل إلى انقيرونة*، بالقرب من نيقوميديا، حيث اقتبل سر المعمودية على يد اوسابيوس أسقف نيقوميديا[٤٤٩]. وبعد معموديته، رفض قسطنطين لبس البرفير، وبدأ يستعد للموت. وفي ٢٢ أيار سنة ٣٣٧ في يوم العنصرة، توفي قسطنطين، ودُفن في كنيسة الرسل في القسطنطينية[٤٥٠].

ثانياً- الصراعات حول نيقيا أيام حكم كونستانس الثاني (٣٣٧-٣٦١)

اجتمع أبناء قسطنطين الثلاثة، بعد أقل من أربعة أشهر على وفاته، في فيمي ناكيوم*، الواقعة على نهر الدانوب، واقتسموا الحكم حسب وصيته. فنال ابنه البكر قسطنطين الثاني[٤٥١]، بلاد الغال وبريطانيا وإسبانيا، وحكم ابنه الثاني كونستانس الثاني، آسيا الصغرى وسوريا ومصر، أما ابنه الثالث قسطنديوس، فإيطاليا وأفريقيا وأقاليم الدانوب الأعلى. وترك قسطنطين أيضاً لدالماتيوس وهنيباليانوس -ولدي أخيه دالماتيوس- أقاليم الدانوب الأخرى، حتى البوسفور للأول، والبنطس والأقاليم المتاخمة لأرمينيا للثاني، الذي نال لقب "ملك البنطس".

* انقيرونة أو انكيرونا Ancyrona

٤٤٩ Cf. Dœlger F-J., Die Taufe Konstantins und ihre Probleme: Konstantin der Grosse and seine Zeit. 381 sq.; Cf. aussi Eusèbe de Césarée, De vita Constantini. 4. 63-64. PG 20.

٤٥٠ القسطنطينية وهي بيزنطية قديماً. اختارها قسطنطين لتكون مقراً له، وعاصمة الإمبراطورية، ودعاها باسمه؛ واعتبرت روما الثانية. وهنا لا بدّ من التنويه من أن الكنيسة البيزنطية، اعتبرت قسطنطين قديساً معادلاً للرسل، فأدرجت له تذكاراً ممتازاً خاصاً (مع والدته هيلانة)، في روزنامتها الليتورجية في الحادي والعشرين من شهر أيار من كل سنة. راجع رستم، ج ١. ٢١٥-٢١٦؛ De Urbina., 127; H-L., I,2. 678-679.

* فيمي ناكيوم Viminacium

٤٥١ كان عمر قسطنطين الثاني لدى استلامه الحكم ٢١ سنة، وكونستانس ٢٠ سنة، وقسطنديوس ١٤ سنة. H-L., I,2. 682-683.

www.old-criticism.blogspot.com

وبعد أن اقتسم الأبناء الملك حسب الوصية، أُضيفت إلى حصة قسطنديوس مقاطعة "الايلليريكوم"*. وما لبث أن اختلف الورثة فيما بينهم، فقُتل أولاً شقيقا قسطنطين وهما دالماتيوس ويوليوس كونستانس، وكذلك دالماتيوس وهنيباليانوس، ولدي دالماتيوس. وتبعهما في المصير ذاته، ابن يوليوس كونستانس الأكبر، واوبتات* زوج أخته انستاسيا وسواهم.

ونشبت حرب بين قسطنديوس، وأخيه قسطنطين الثاني أول عام ٣٤٠، أسفرت عن مقتل هذا الأخير في التاسع من نيسان، وانتصار قسطنديوس الذي أحكم سيطرته على الغرب بأكمله، بينما تفرد كونستانس الثاني بالشرق. وفي سنة ٣٥٠ قام ماغنانس*، وهو أحد كبار ضباط الجيش، بحرب ضد قسطنديوس، على الحدود الإسبانية وقتله فيها، ليصبح بذلك قيصر الغرب. وهنا هب كونستانس يثأر لدم أخيه قسطنديوس عام ٣٥٠، فانتصر على ماغنانس في مورسا في منطقة الايلليريا، وطرده من إيطاليا، ليصبح الإمبراطور الأوحد لفترة فاقت عن عشرة سنين.

من المؤسف جداً أن يكون الإيمان القويم، قد عرف أسوأ أيامه في هذه المرحلة: كانت البداية مريحة مع كونستانس في أول عهده، لكنه ما لبث أن دعم الآريوسية، فكان موالو نيقيا الضحية؛ وكان أبرزهم أسقف الإسكندرية اثناسيوس. وراح الشرق، في هذه الأثناء، يتخذ، بالإجمال، موقفاً معادياً لنيقيا، بينما راح الغرب يحافظ على إيمان نيقيا ويدافع عنه، ذلك لأن الشرقيين رأوا في "الاومووسيوس" قرابة مع الصابيلية. ولكنهم لم يكونوا موافقين، في الوقت عينه أيضاً، على تعاليم آريوس التي أدانها مجمع نيقيا. وسلكوا الطريق الوسط: ثالوثية الأقانيم الإلهية وألوهية المسيح، مركزين بنوع خاص على الثالوث، مما أدى إلى الدونية، ولكنهم رفضوا أن يكون الابن خليقة. لذلك حاربوا المدافعين عن إيمان نيقيا[٤٥٢].

* ايلليريكوم Illiricum
* اوبتات Optat
* ماغنانس Magnence

٤٥٢. F-M., III. 113-115.

١) شن حرب جديدة ضد نيقيا وضد اثناسيوس

بدأ كونستانس الثاني، إذاً، حكمه بنفسية أبيه قسطنطين الكبير -أو ربما بتأثير من أخيه قسطنطين الثاني- فنهج سياسة التسامح، وأصدر قانون عفو عام وشامل في حزيران سنة ٣٣٧، يسمح فيه لجميع المنفيين، بالعودة إلى أمكنتهم الأساسية. ولكن كونستانس، وبعد فترة وجيزة، ما لبث أن بدأ يتخذ مواقف من النزاعات الجارية على الساحة؛ غير أنه لم يقف إلى جانب الإيمان النيقاوي، كما فعل أبوه، بل على العكس انحاز إلى الفريق ذي النزعة الآريوسية، ربما بسبب ما لهذا التيار من حظوة أو من موالين في البلاط الملكي. ولن يتمكن الملك، خلال فترة حكمه الطويلة، من انتزاع فتيل الخصومات ولا في تبريدها؛ بل إن الأجواء ستحتدم أكثر فأكثر، وسيطول النزاع، ولن يرى موضوع الخلافات أي حل جذري، بل حلولاً مؤقتة كثيرة لن تنفع في نهاية المطاف في بسط الوفاق والسلام.

آ) عودة اثناسيوس من المنفى

استفاد اثناسيوس أسقف الإسكندرية من هذا العفو، فرجع إلى مدينته، واستلم إدارة أبرشيته، في شهر تشرين الثاني من سنة ٣٣٧، إذ لم يخلفه أحد عليها. ولم ترضِ سياسة الإمبراطور، في إعادة جميع المنفيين، الآريوسيين المتحلقين حول بيستوس الكاهن، فراحوا يحرّضون الأساقفة على عدم الشركة مع اثناسيوس، وأرسلوا إلى البابا يوليوس الأول رسولاً، هو الكاهن مكاريوس ومعه الشماسين ايزيخيوس ومرتيريوس، ليُطلعوه على قرارات مجمع صور، ويبرهنوا له عن عدم شرعية عودة اثناسيوس[٤٥٣]. ولكن موقف شعب الإسكندرية، كان مغايراً تماماً لموقف الآريوسيين: فهو الذي طالب مراراً بعودة أسقفه، ولم ييأس من المطالبة[٤٥٤]، بالرغم مما اتهمه الإمبراطور في رسالة خاصة، بأنه يسبب الفوضى في الإسكندرية. بدا الفرح واضحاً على وجوه المؤمنين الأرثوذكسيين، والإكليروس والعذارى المكرسات، بعودة أسقفهم الأصيل: فما أن وصل اثناسيوس إلى

٤٥٣. F-M., III. 115-117; De Urbina., 128.

٤٥٤. لعب القديس انطونيوس الكبير دوراً مهماً، وكتب عدة مرات إلى الإمبراطور بهذا الخصوص. كما أنه دافع بكل قواه عن اثناسيوس، رافضاً كل اتهام موجّه نحو شخصه أو نحو آرائه اللاهوتية.

www.old-criticism.blogspot.com

الإسكندرية، حتى خرج المؤمنون فرحين ومهللين لعودته بالسلامة، وأقاموا له استقبالاً شعبياً حافلاً، وأعياداً متواصلة.

ب) مجمع الإسكندرية (٣٣٨)

عندما عاد اثناسيوس إلى كرسيه ورأى هذه الأوضاع، قرر عقد مجمع كي يحتج على قرارات مجمعي صور والقسطنطينية، ولكي يثبت موقفه كأسقف الإسكندرية الشرعي، ويبرهن عن أن خلعه كان ضد القوانين، وأن عودته شرعية، ويمحو بذلك آثار الظلم التي لحقت به. فدعا إذن إلى عقد مجمع، وكان ذلك سنة ٣٣٨. ولبى الدعوة جميع أساقفة مصر ذوي الإيمان النيقاوي، فاجتمعوا في الإسكندرية، وأكدوا على استمرار ثقتهم بأسقفهم ورئيسهم اثناسيوس، الذي انتخب أسقفاً بكل حرية، وسيم بطريقة شرعية؛ واضطُهد وأُنزل عن كرسيه، ونُفي بطريقة مخالفة للقوانين. وعلى كل حال، فإن عدم وجود أسقف بديل[٤٥٥]، يجعل عودته إلى كرسيه شرعية، وهم من ثم، يعترفون به أسقفاً شرعياً عليهم. ثم أبلغ اثناسيوس والآباء، قرارات هذا المجمع إلى جميع أساقفة العالم، وإلى الأباطرة الثلاثة؛ وأرسل اثناسيوس بعض الكهنة إلى البابا في روما، ليحملوا إليه نسخة عن هذه الرسالة المجمعية[٤٥٦].

ج) إعادة الحرب ضد اثناسيوس ومجمع روما (٣٤٠)

في هذه الأثناء، أصدر الإمبراطور كونستانس، مرسوماً بتعيين غريغوريوس الكبادوكي خلفاً لاثناسيوس المخلوع. وقد رسمه بيستوس الاوسابي ضد كل القوانين الكنسية. واقتحم الشعب الكنائس، ليمنع الآريوسيين من الاستيلاء عليها؛ لكن والي مصر طردهم بقسوة منها. ومن ثم حاول القبض على اثناسيوس، الذي لاذ بالفرار متوجهاً إلى روما، وذلك قبل وصول غريغوريوس الكبادوكي إلى

٤٥٥ لم يكن الكاهن بيستوس Pistus الآريوسي قد سيم أسقفاً؛ لا بل لعل هذا الموقف من الأساقفة الأرثوذكسيين هو ما دفع بالآريوسيين إلى سيامة غريغوريوس الكبادوكي أسقفاً بديلاً على الإسكندرية.

٤٥٦ رستم، ج ١. ٢١٦؛ F-M., III. 117.

الإسكندرية (آذار ٣٣٩). ولما دخل هذا الأخير إلى الإسكندرية، حدثت فتن واضطرابات دموية، ورغم كل ذلك -أو ربما بسبب كل ذلك- بقي الشعب وفياً لأسقفه الأصيل، فلم تعترف الأغلبية بغريغوريوس، مما دفعه إلى التضييق كثيراً على الأرثوذكسيين، حتى إنه منعهم من ممارسة واجباتهم الدينية، وقد دعمه في ذلك والي مصر. ومن روما، كتب اثناسيوس إلى جميع الأساقفة، رسالة يشرح فيها اغتصاب كنيسة الإسكندرية[٤٥٧].

لما عرف البابا يوليوس بما حصل، ولما كان قسم من الآريوسيين قد لجأ إليه لحل مسألة اثناسيوس، أخذ المبادرة ودعا الجميع إلى روما، لمناقشة الموضوع، وتوضيح حقيقة الأمور، بناءً على طلب من الفريق الاوسابي نفسه[٤٥٨]. وأرسل اثناسيوس، من جديد، وفداً من قِبله إلى روما ليشرح الوقائع، بينما رفض الفريق الاوسابي، أن يُعقد المجمع في الغرب، بحجة أن الموضوع قد حُسم في مجمع صور، وأنهم يرفضون تدخل البابا للحكم في قضية محض شرقية، يجب أن تُحل في الشرق، كما هدد هذا الفريق البابا بالقطع، إذا اعترف باثناسيوس، إلا أن الحبر الأعظم، البابا يوليوس، لم يأبه لذلك[٤٥٩]. ولم يستمع إلى تهديداتهم، بل عقد المجمع سنة ٣٤٠، فحضره اثناسيوس ونحو خمسين أسقفاً، موالين لنيقيا، وممثلين الطرف الأرثوذكسي في مصر، بينما تغيّب عنه الاوسابيون؛ وفيه قرر الآباء إعادة مركلوس الانقيري إلى الشركة وإلى منصبه، وتبرئة اثناسيوس، واعتبار كل التهم الموجهة إليه مؤامرة، والاعتراف به كأسقف شرعي للإسكندرية، وبالتالي، القول بعدم شرعية انتخاب غريغوريوس الكبادوكي. ثم أطلع البابا الشرقيين، بواسطة رسالة بعث بها إليهم، على قرارات مجمع روما، ووبخ الاوسابيين لعدم حضورهم، بالرغم من أن فكرة الدعوة إلى مجمع كانت من وحيهم وبطلب منهم. إلا أن الشرقيين أهملوا ذلك، وبقي اثناسيوس في روما، يدير من منفاه شؤون المؤمنين[٤٦٠].

٤٥٧ De Urbina., 129; F-M., III. 117-118; H-L., I,2. 687-698.

٤٥٨ Cf. Piétri Ch., La question d'Athanase vue de Rome 338-360: Politique et Théologie chez Athanase. Paris 1974. 93-126.

٤٥٩ De Urbina., 128.

٤٦٠ F-M., III. 119-121; H-L., I,2. 699-702.

www.old-criticism.blogspot.com

د) مجمع أنطاكية للتدشين (٣٤١)

كان قسطنطين قد أعطى سنة ٣٢٧، أمراً ببناء كنيسة في أنطاكية، مثمنة الأضلاع، تعلوها قبة كروية مغطاة بالذهب. وتوفي قسطنطين قبل أن يرى تحقيق ما أمر به، ولم ينتهِ عمل البناء إلا أيام حكم كونستانس الثاني عام ٣٤٠. وكانت العادة الجارية، أن يكرس أسقف الميتروبوليتية، الكنيسة الجديدة قبل البدء بالصلاة فيها ويدعو إلى مشاركته التدشين، أكبر عدد ممكن من الأساقفة والإكليروس؛ وهذا ما حدث في خريف عام ٣٤١، إذ حضر ليشارك بتدشين هذه الكنيسة، المعروفة بالذهبية، مع فلاكيلوس أسقف أنطاكية (٣٣٤-٣٤١)، نحو مائة أسقف شرقي. ولقد كان هذا الاحتفال الديني، مناسبة لانعقاد مجمع، يلي حفلة التدشين، لذا عُرف "بمجمع التدشين".

حضر هذا المجمع النصف-آريوسي، باستثناء فلاكيلوس أسقف أنطاكية، كلاً من اوسابيوس النيقوميدي، الذي نقل إلى كرسي القسطنطينية، واكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين[٤٦١] خليفة اوسابيوس، المتوفى عام ٣٤٠، وجاورجيوس أسقف اللاذقية، وغيرهم من الأساقفة الشرقيين، بينما لم يحضر أي أسقف غربي. ويبدو أن الفريق اللوكياني، استفاد من هذا الاجتماع، ليعيد وحدته وتضامنه. وفي هذا المجمع جدد المجتمعون، بأغلبيتهم، إدانة الآريوسية، وأعلنوا إيمانهم القويم، الموافق لإيمان الكنيسة الأولى[٤٦٢]، كما أعطوا قانون إيمان جديد، تجنبوا فيه جميع التعابير الآريوسية والنيقاوية، ونصوه بأربع صيغ[٤٦٣]. وأدانوا مركلوس الانقيري وبولس السميساطي وصابيليوس. كما سنّ آباء المجمع خمسة وعشرين قانوناً، أُرسلت إلى

٤٦١ اكاكيوس هو تلميذ اوسابيوس القيصري، وخليفته على كرسي قيصرية (٣٤٠-٣٦٦)؛ وسوف نجده على رأس فريق "الاومية" في الشرق.

٤٦٢ F-M., III. 121.

٤٦٣ يقول لنا سوزومينوس في "تاريخ الكنيسة" إن الفريق اللوكياني لم يتجاسر على الدفاع علناً عن آريوس، لأن ذلك يُعرّض أفراده للخطر، ولكن بالمقابل، اقترح قانون إيمان لوكيانوس الشخصي وفي أنطاكية بالذات، حيث كان القديس الشهيد لوكيانوس يُعلّم، واعتبر ذلك انتصاراً له. راجع ٣: ٥.
يبدو أن الصيغة الثانية من هذه الصيغ الأربعة هي الأهم، ولكنها لا تحتوي على "الاومووسيوس".
قد يستغرب القارئ تعدد قوانين الإيمان في هذه الفترة من تاريخ الكنيسة، لاسيما بعد أن اتخذ المجمع المسكوني الأول قراره الشهير. ولكن الواقع التاريخي، هو أن مجمع نيقيا جعل من قراره هذا، رداً على بدعة آريوس، لا قانون إيمان كامل، وأنه ترك المجال مفتوحاً، للقول بالقوانين المحلية القديمة المتوارثة عن الرسل. راجع رستم، ج ١. ٢١٥-٢١٩ ؛ F-M., III. 117-123 ; H-L., I,2. 724-735.

جميع الأساقفة لقبولها. وحدد المجمع أيضاً، أن روما والإسكندرية، تعلنان كل سنة، ولمدة خمسين سنة، يوم الفصح العظيم. وأُدخلت هذه القوانين فيما بعد، في صلب الشرع الكنسي الروماني، على الرغم من كل المعارضة التي واجهتها[٤٦٤].

ثم أوفد الآباء في نهاية المجمع، أربعة من الآباء[٤٦٥] إلى البلاط في تريف، لينقلوا قرارات مجمعهم إلى الإمبراطور قسطنديوس. ولما خشي هؤلاء ألا يرضى الإمبراطور بنص قرار المجمع، نقلوا إليه "دستور أنطاكية الرابع"، وهو الذي يؤكد أزلية الابن، ويثبت ملكه إلى الأبد.

هـ) مجمعا سرديقيا (٣٤٣) وفيليبوبوليس المضاد (٣٤٣)

تدخل البابا يوليوس لدى الإمبراطور قسطنديوس في الغرب، ليقنع أخاه كونستانس، بالدعوة إلى مجمع مسكوني في سرديقيا، كي يصار إلى اتخاذ قرار

٤٦٤ لتراجع مع الصيغة الرابعة لقانون الإيمان في الملحق رقم ٢٣. وجّه المجمع هذه القوانين، إلى جميع الأساقفة لقبولها والموافقة عليها. والجدير بالذكر هنا أن القانونين الرابع والثاني عشر هما ضد اثناسيوس ويطالبا ضمنياً بتثبيت خلعه؛ ولقد صادق المجمع عليهما. H-L., I,2. 722-723 .
بخصوص هذا المجمع بالإجمال، يقول لنا ايلاريون أسقف بواتييه المعاصر له، إنه "مجمع القديسين" ؛ ونذكر أن قانونين من قوانينه تليا في مجمع خلقيدونيا، على أنهما من قوانين الآباء القديسين. وقد وضع دستور إيمان، ينافس به الدستور الذي وضعه مجمع نيقيا. يقول هيفيليه إن اثناسيوس وضع الاوسابيين في صف الآريوسيين، بينما اعتبرهم أغلب المؤرخين نصف-آريوسيين. ولكنهم بعد أن أعلنوا اعترافهم بالإيمان الأرثوذكسي، وصرحوا غير مرة برفضهم البدع التي نبذها مجمع نيقيا، ومنها الآريوسية، اعتبرتهم الأغلبية أساقفة أرثوذكسيين، حسني العبادة، ويجوز بلا تردد ولا ممانعة، أن يجتمعوا معهم في المجمع. نجد في ذلك تحولاً جلياً لمواقف بعض الآباء، نذكر منهم اوسابيوس النيقوميدي († ٣٤١)، الذي يبدو أنه تخلّى عن دعم الآراء الآريوسية الراديكالية، وانضم إلى آراء مجمع أنطاكية (٣٤١).
وخاطب البابا يوليوس بالذات، آباء هذا المجمع ودعاهم "اخوة أحباء"؛ إلا أنه لامهم على إدانتهم اثناسيوس، وطلبهم إلى مجمع عام لفحص التهم ضد اثناسيوس. من هنا يمكننا أن نستنتج أن الأساقفة الأرثوذكسيين والاوسابيين، اجتمعوا معاً عند تدشين كنيسة الإمبراطور الجديدة؛ وأن الكنيسة الجامعة جعلت، فيما بعد، للقوانين التي وُضعت آنذاك، رتبة معادلة لقيمتها وفائدتها، بدون أدنى مراعاة أو اعتبار، لبواعث أو ظلال الآراء اللاهوتية، التي حملت هؤلاء الآباء على وضعها وإثباتها. راجع م.ش.ك. ١٧١-١٧٣. Bardy G., Le symbole de Lucien d'Antioche et les formules du synode In Encaeniis (341): RSR. 3(1912). 139-155.

٤٦٥ وهم نيرونياس Neronias أسقف بانياس، وماريس أسقف خلقيدونيا، وثيودوروس أسقف هراكليا، ومرقس أسقف اريتوزا Arethusa ؛ ويبدو أن قسطنديوس طلب من أخيه معلومات عن وضع الأساقفة الشرقيين، مما دفع بهم إلى إرسال الوفد إليه في تريف. رستم، ج ١. ٢١٧-٢١٨؛ م.ش.ك. ١٧١-١٧٣. F-M., III. 122.

www.old-criticism.blogspot.com

نهائي في قضية اثناسيوس، ومركلوس الأنقيري وبولس القسطنطيني، وفي كل القضايا والخلافات العالقة، التي تفرق بين الشرقيين والغربيين[٤٦٦]. فوافق الإمبراطوران على اقتراح البابا نفسه، على أساس الدعوة إلى مجمع مسكوني في سرديقيا، على حدود الإمبراطورية الغربية (هي اليوم صوفيا عاصمة بلغاريا) "لإعادة الوئام إلى الكنيسة". وعُقد المجمع سنة ٣٤٣، لكنه، في نهاية المطاف، باء بالفشل. ولهذا لن يعتبر مجمعاً مسكونياً، كما كان مقرراً في الدعوة إليه. ولم تأتِ نتائجه كما تمناها الأرثوذكسيون، الذين كان هدفهم منه: أولاً، وضع حد للخلافات، ثانياً، اقتلاع الأخطاء اللاهوتية كلها، ثالثاً، اعتراف الجميع بالإيمان الحقيقي حول المسيح[٤٦٧].

شارك في هذا المجمع حوالي تسعين أسقفاً غربياً، وثمانين أسقفاً شرقياً تقريباً. نذكر من الغربيين: اوسيوس أسقف قرطبة، وممثلين عن البابا، هما الكاهنين ارخيداموس وفيلوكسين مع شماس يدعى ليون، يعاضدهم اثناسيوس ومركلوس الانقيري؛ ومن الشرقيين: اسطفانوس أسقف أنطاكية ومينوفانتوس أسقف افسس، واكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين وماريس أسقف خلقيدونيا، وثيودوروس أسقف هراكليا وذيامنيوس أسقف قيصرية الكبادوك.

لاحظ الآريوسيون قلة عددهم، وشعروا بأنهم خسروا "المعركة" مسبقاً، لذا سعوا إلى عرقلة أعمال المجمع، كي لا يخسروا ما قد ربحوه حتى الآن، فطالبوا بإبعاد الأساقفة المخلوعين من قِبلهم، خاصة اثناسيوس الإسكندري، ومركلوس الانقيري واسكليباس أسقف غزة، ورفضوا مشاركتهم في المجمع، على اعتبار أنهم أساقفة غير شرعيين، وأن على المجمع أن يبت في أمرهم قبل مشاركتهم فيه. رفض الغربيون الفكرة، وعلى رأسهم اوسيوس، وحاولوا إقناع الشرقيين، بإيجاد حل ما أو تسوية، لكنهم لم يفلحوا، مما أدى إلى حصول انشقاق، قبل البدء بالمجمع، بين الشرقيين والغربيين. وقاطع الاوسابيون المجمع، بحجة أن عليهم الاشتراك في احتفال انتصار كونستانس على الفرس، فاعتزلوا وعقدوا جلسة

٤٦٦ H-L., I,2. 733-735; 742-757; De Urbina., 129-130.

٤٦٧ Cf. Hees H., The Canons of the Council of Sardica A.D. 343. A Landmark in the Early Development of Canon Law. Oxford 1958.

منفردين، ثم انتقلوا ليلاً إلى مدينة قريبة، إلى فيليبوبوليس، ووجهوا من هناك رسالة إلى جميع الأساقفة والإكليروس والمؤمنين، يدينون فيها هرطقة مركلوس الانقيري، ويثبتون الذنب على اثناسيوس، ويرفضون مشاركة هذين المخلوعين في المجمع، كأسقفين شرعيين. كما أدانوا يوليوس الأول أسقف روما، واوسيوس أسقف قرطبة، وبروتوجينيس* أسقف سرديقيا، وغاودينتيوس أسقف نايسوس*، ومكسيمينوس أسقف تريف، لأنهم قبلوا الشركة مع اثناسيوس ومركلوس؛ ودعوا إلى وحدة الكنيسة، على أساس الاعتراف بقانون إيمان أنطاكية لسنة ٣٤١، في صيغته الرابعة، وأضافوا في نهاية أعمال مجمعهم، إبسالات متنوعة، ضد الآريوسية، وضد القائلين بثلاثة آلهة أو بوحدانية الألوهية والأقنوم[٤٦٨].

تابع الغربيون والأرثوذكسيون وحدهم مجمع سرديقيا، فأعادوا تثبيت قرارات نيقيا، وأكدوا عدم شرعية خلع اثناسيوس، واثبتوا براءة مركلوس واسكليباس؛ كما قرروا قطع وخلع كل من مغتصبي كراسيهم، نعني غريغوريوس الإسكندري، وباسيليوس الانقيري، وكوينتيانوس أسقف غزة، وكذلك اسطفانوس أسقف أنطاكية، واكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين، ومينوفانتوس أسقف افسس، وجاورجيوس أسقف اللاذقية، ونارکيسيوس أسقف نيرونياس، وثيودوروس أسقف هيراكليا واورساس أسقف سينجيدونوم، وفالنس أسقف مورسا. وفي هذا المجمع بالذات، أراد اوسيوس وضع قانون إيمان جديد، إلا أن اثناسيوس كان له بالمرصاد قائلاً، إنه يكفي قانون إيمان نيقيا، للتصدي للأخطاء وفضحها، فاقتنع الآباء بذلك[٤٦٩].

ختم الآباء أعمال المجمع بإصدار واحد وعشرين قانوناً تنظيمياً[٤٧٠]، مع رسائل توضيحية لمجريات الأمور، وتكذيب الاتهامات. ولكن المجمع لم يتوصل، في الواقع، إلى الأهداف التي كانت موضوعة له: فالخلافات اللاهوتية

* بروتوجينيس Protogène

* غاودينتيوس أسقف نايسوس Gaudentius de Naïssus

٤٦٨ Jedin., 24 -25; H-L., I,2. 813-819.

٤٦٩ De Urbina., 130-131.

٤٧٠ يمكن مراجعتها في الملحق رقم ٢٥.

www.old-criticism.blogspot.com

الخريستولوجية لم تتمّ إزالتها، ولم تُبطل الأخطاء اللاهوتية كلها، ولم يعترف الجميع بالإيمان الحقيقي حول المسيح. لذا لم يعتبر المجمع مسكونياً، كما دعاه كل من سقراط المؤرخ أو اثناسيوس بالذات. والأسوأ من ذلك كله، أنه سبب انقسام أعضائه، وأثار الشغب بين المؤمنين. ولم يكترث الأساقفة الغائبون بتوقيع ما صدر عنه من مقرارات، كانت قد أُرسلت إليهم. فلم يتوصل هذا المجمع إذن، إلى "إعادة الوئام إلى الكنيسة" كما كان منتظراً، ولم تنفذ قراراته في ولايات كونستانس، الذي قاوم كل من يريد تنفيذها، بالرغم من أن آباء المجمع، أوفدوا إليه من يشرح له الوضع، ويطالبه بعودة اثناسيوس ومركلوس واسكليباس[٤٧١]. هذا ولم يعتبره المجمع المسكوني الثاني إلا مجمعاً محليّاً، كما دعاه الذين فسروا قوانينه فيما بعد، أمثال اوغوسطينوس وغريغوريوس الكبير وايسيدورس الإشبيلي وسواهم.

وبقيت الخلافات في الكنيسة بعد مجمع سرديقيا، لا بل ازدادت، لأن الانشقاق بين الراديكاليين والاوسابيين النصف-آريوسيين توسّع. وبما أن هذا الفريق الأخير، حظي على رضى كونستانس، حمله على أن ينفي العديد من الأرثوذكسيين، ويُصدر مرسوماً حول موضوع مصر، ويقيم الجنود على باب المدن، لمنع دخول الأساقفة العائدين من سرديقيا، كما استحصلوا منه على قرار بإعدام اثناسيوس، إذا ما حاول الدخول إلى الإسكندرية. فذهب اثناسيوس إلى نايسوس. وحاول الكثيرون التدخل لدى كونستانس، بمن فيهم قسطنديوس أخوه، لإعادة اثناسيوس إلى كرسيه، لكن دون جدوى. بل إن كونستانس راح يهدد باستعمال الوسائل الصارمة، كالنفي والإعدام[٤٧٢].

٢) هدنة بين النيقاويين وغير النيقاويين (٣٤٣-٣٥٠)

لم يشكل مجمع سرديقيا، على الرغم مما اعتراه من انقسام وحرومات متبادلة، نقطة انفصال تام بين الشرق والغرب. ومن المستغرب أن نتائجه جاءت على عكس

٤٧١ كان الوفد مؤلفاً من فنشنزو أسقف كابوا، وافراتاس أسقف كولونيا. راجع رستم، ج ١. ٢٢١-٢٢٢.

٤٧٢ H-L., I,2. 827 ؛ F-M., III. 131-133.

ما هو متوقع: فبدل أن يعمّق الهوة بين الأوسابيين والغربيين، راحت علاقاتهما تتحسن شيئاً فشيئاً[٤٧٣]، خاصة مع سفر وفد منهم إلى الغرب، رغبة في تقارب يتم معهم. وأتاح هذا الجو المفعم بالهدوء توقّف الاضطهاد ضد النيقاويين، وعودة بعض المنفيين منهم، وعلى رأسهم اثناسيوس، الذي عفا عنه كونستانس الثاني، فعاد إلى أبرشيته بعد سبعة أعوام قضاها في المنفى.

لقد أراد الاوسابيون الخروج من البوتقة التي وضعوا أنفسهم فيها، فحاولوا، رغم صراعهم القوي في الشرق، التقرب خطوة خطوة من الغرب، لعل ذلك يُنتج انفتاحاً ومصالحة. ومما ساهم في خلق هذه الأجواء الإيجابية، ابتعادهم عن تعاليم الآريوسية الراديكالية، ودنوهم من الوسط من جهة، وإسهامهم في إدانة الغربيين لتعاليم فوتينوس، وحكمهم، مع اثناسيوس، من جهة ثانية، على تعاليم مركلوس الأنقيري. ولكن لم تنجح كل مساعي المصالحة هذه، سواء بسبب عناد المتنازعين وتشبثهم بآرائهم، وعدم الرغبة بالتنازل عن التعاليم التي ينادون بها، ورفضهم التوصل إلى تسوية، أو بسبب العداوات الشخصية التي ما فتئت تنمو فيما بينهم. وفي نهاية المطاف ستعود جذوة النزاع الآريوسي إلى الاشتعال من جديد، لتدخل مرحلة جديدة من الصراع، ضد نيقيا وضد كل من دافع عن إيمانه.

آ) مجمع أنطاكية (٣٤٤)

انعقد سنة ٣٤٤. أصدر قانون إيمان مشابه للصيغة الرابعة، للقانون الذي أصدره مجمع أنطاكية سنة ٣٤١، ودُعي "العرض الطويل"[٤٧٤]. وهو قانون إيمان يختلف عن سائر صيغ الإيمان الشرقية، من حيث إنه تصريح مفصّل للعقيدة، التي يعترف بها الفريق الاوسابي، الذي شمل جزءاً كبيراً من أسقفيات الشرق. هذا وأظهر آباء هذا المجمع براءة اثناسيوس، وحرموا الآريوسية والصابيلية. وحاولوا

٤٧٣ H-L., I,2. 742-825 ؛ F-M., III. 123-133.

٤٧٤ العرض الطويل أو المفصّل Εκθεσις μακροστιχος ، تعني الكلمة اليونانية: العرض ذو الأسطر الطويلة ويُدعى بالفرنسية Macrostique . وهو نص مؤلف من ١٤٠٠ كلمة، هي مجموعة من الصور والإبسالات؛ دارت حول المشكلة دون أن تواجهها مباشرة. راجع النص كاملاً في الملحق رقم ٢٨.

www.old-criticism.blogspot.com

شرح العديد من النقاط، حول تعاليم آريوس ومركلوس الانقيري وفوتينوس تلميذه[٤٧٥]، وحتى موقف اثناسيوس الذي هاجم تعبير "ولد الآبُ الابنَ بإرادته".

يقدم النص في بدايته، صيغة إيمان أنطاكية سنة ٣٤١، يرافقها إبسالات فيليبوبوليس، ثم يليها شرح واسع في سبع نقاط، سعياً إلى تحديد موقف الشرقيين، بعيداً عن الآريوسية المتطرفة أو عن المونارخية، المحددة في تعاليم صابيليوس وبولس السميساطي، ومركلوس وفوتينوس، التي تقول بالعلاقة بين الآب والابن، المولود حقاً. فالابن، من جهة، أدنى من الآب، ولكن، من الجهة الأخرى، اعتُبر ابناً بحسب الطبيعة، وشبيه بالآب في كل شيء ومتحد به. ويظهر بوضوح التمييز بين الأقانيم، حيث استُعملت كلمة "شخص" بدلاً من "أقنوم"، الصعبة جداً على الغربيين. وتؤكد الوحدانية أسس اتفاق الإرادة والفعل. وكما في أنطاكية (٣٤١)، تبقى وحدانية الله مجمّعة في الآب (أي الآب قمتها)، الذي هو وحده دون بدء، ومبدأ الكل حتى الابن. والكلام عن الروح القدس قليل كالعادة. ويؤكد النص على المفهوم الشرقي، حول الثالوث في ثلاث وحدات كائنة، ولكنه لا يشدّد على الفارق، بين هذه العقيدة ومونارخية الغربيين، مخففاً، إلى أقصى حد ممكن، التمييز بين الأقانيم، ومستخدماً تعابير مختلفة، ومبرزاً ما أمكنه ذلك، وحدة الابن مع الآب. والحالة هذه، نحن أمام طرح نصف-آريوسي، عندما نقول إن "الابن مشابه للآب في كل شيء".

قُدم هذا العرض، في ميلانو، سنة ٣٤٥، للإمبراطور قسطنديوس، في محاولة لإعادة الحوار الذي انقطع في سرديقيا، من خلال إيضاح عقائدي. فوافق الغربيون على إدانة فوتينوس، ولكن لم يفض ذلك إلى تقدم ملحوظ، لأن الشرقيين، كما يبدو، رفضوا إدانة تعاليم آريوس[٤٧٦].

٤٧٥ لعب مركلوس الانقيري Marcel d'Ancyre وتلميذه فوتينوس دوراً كبيراً جداً، وكان لهما تأثير كبير على تثبيت العقائد الأرثوذكسية، بالرغم من أنهما لم يكونا قويمي الرأي كلياً، وقد أفردنا لهما مقطعاً خاصاً لتفصيل معتقداتهما.

٤٧٦ Simonetti., Il Cristo. II.140-151; H-L., I,2. 828-830.

ب) مجمع ميلانو (٣٤٥)

بعد حصول بعض التقارب بين الشرق والغرب، أوفد مجمع أنطاكية، وفداً من أربعة أساقفة اوسابيين، وهم ديموفيلوس وافذوكسيوس، ومكدونيوس ومارتيريوس*، للاتفاق على حل القضايا الإيمانية العالقة، وتوحيد الآراء؛ فتوجهوا إلى ميلانو حاملين معهم صيغة "العرض المفصل"، وفيه يدينون كلاً من آريوس وعقيدته الخاطئة، حول وحدانية الله وثالوثيته، وألوهية المسيح الأزلية، ومركلوس الانقيري وفوتينوس أسقف سيرميوم وأفكارهما الخاطئة، كإنكار وجود المسيح المسبق وألوهيته وأبدية ملكه، بالإضافة إلى مواضيع أخرى[٤٧٧].

ج) عودة اثناسيوس

أوقف كونستانس اضطهاده اثناسيوس[٤٧٨] ومناصريه، في تشرين الأول سنة ٣٤٦، فاستدعى العديد من الإكليروس من المنفى، وسمح لاثناسيوس بالعودة إلى كرسيه في الإسكندرية، بعد أن توفي غريغوريوس أسقف هذه المدينة المغتصب (٢٥ حزيران ٣٤٥). عاد اثناسيوس إلى الإسكندرية، ودخلها في جو من الاحتفال، في ٢١ من تشرين الأول سنة ٣٤٦، فاستُقبل بحفاوة بالغة. ومنذ ذلك الوقت، ابتدأت العلاقات الشرقية-الغربية تتحسن قليلاً.

٣) التيارات والشخصيات المتنازعة

من الطبيعي أن يكون مجمع نيقيا، قد أصبح المحور الذي تدور حوله الآراء والشخصيات والتيارات. وقد أفرزت المواقف اتجاهين أصوليين: الأول مع نيقيا والثاني ضده. كما ظهرت عدة أحزاب معتدلة من الطرفين، تزعمها أو اشتهر

* ديموفيلوس Démophile ، افذوكسيوس Eudoxe ، مكدونيوس Macédonius ، مارتيريوس Martyrius

٤٧٧ De Urbina., 131; F-M., III. 133-136.

٤٧٨ Cf. Leroux J-M., Athanase et la seconde phase de la crise arienne (345-373): Politique et Théologie chez Athanase. 145-156.

www.old-criticism.blogspot.com

فيها، بعض الشخصيات التي تركت بصمتها واضحة في تاريخ نيقيا، وما بعد نيقيا. ويجدر بنا هنا أن نعرض فيما يلي، بالتدرج بالنسبة لإيمان نيقيا، أهم هذه التيارات والشخصيات في مسار هذا التاريخ الكنسي، لما بعد المجمع نيقيا. وما كان يحدد أرثوذكسية كل منها، هو قبولها أو عدم قبولها بمقررات نيقيا.

آ) اثناسيوس الإسكندري

لعل اثناسيوس[٤٧٩] كان أنشط شخصية عرفها المجمع، وأشهرها بعد آريوس. فكان المناضل البطل، ولما يزل، آنذاك، شماساً في ريعان الشباب، كله حماسة واندفاع، هبّ ليذود عن الإيمان الحقيقي، الذي ورثه من الكنيسة عن السلف؛ هو الذي كرس ذاته لينشر هذا الإيمان، ويدافع عنه ضد الوثنيين، فإذا به يضطر أن يواجه الخطر من الداخل، ويقاوم آراء آريوس المسيحي الخاطئة.

وقد ظهر دوره ظهوراً واضحاً، خلال عرضنا أحداث المجمع بتفصيل، وقد تواصل هذا الدور بذات الحماسة والحزم والاندفاع بعد المجمع، خاصة بعدما تسلّم الكرسي الإسكندري، فكان أفضل أساقفة الإسكندرية[٤٨٠].

وُلد اثناسيوس في الإسكندرية نحو سنة ٢٩٥، وفيها تلقى علومه المدرسية، ثم اللاهوتية؛ سامه الكسندروس أسقفه شماساً سنة ٣١٩، ثم اتخذه أميناً لسره؛ وبهذه الصفة اصطحبه معه عام ٣٢٥، إلى مجمع نيقيا؛ وهناك أثار هذا الشماس الغيّور، انتباه الآباء بمناقشاته الحماسية مع الآريوسيين، وبمداخلاته الفلسفية واللاهوتية ضد البدعة الجديدة. وانتُخب أسقفاً، خلفاً لالكسندروس، عام ٣٢٨، وهو لما يزل شاباً.

٤٧٩ Cf. Aussi G. Bardy, Saint Athanase, Paris 1925; Szymusiok J-M., Un portrait d'Athanase d'Alexandrie: RSR 35(1948). 464-468; Roldanus J., Le Christ et l'homme dans la théologie d'Athanase d'Alexandrie. Etude de la conjonction de sa conception de l'homme avec sa christologie. Leiden 1968; AA-VV., Politique et théologie chea Athanase. Paris 1974; Kannengiesser Ch., Logos et Nous chez Athanase d'Alexandrie: SP 11 (1972). 199-202; Barnard L-W., Two Notes on Athanasius: OCP 41(1975). 344-356.

٤٨٠ Q., II.23.

واجه الأسقف اثناسيوس موقفاً لا يُحسد عليه، كما لاحظنا، في مواجهته حزبي الملاتيوسيين والآريوسيين: حاربه الطرفان باعتباره عدوهما الألد، وفعلا كل شيء ليخلعاه عن كرسيه ويهزماه، فاخترع معارضوه هؤلاء، الاتهامات الكاذبة ضده، واعتمدوا الرشوة، وسخّروا السلطة الكنسية وحتى الزمنية، للوصول إلى مأربهم؛ وقد توصلوا فعلياً إلى نفيه خمس مرات، لكن ذلك لم يهد من عزيمته، ولم يكسر مقاومته، فأمضى سبع عشرة سنة ونيف من أسقفيته (٣٢٨-٣٧٣) في المنفى[٤٨١]، دون أن يتراجع قيد أنملة في دفاعه عن الحقيقة، من أجل الحفاظ على الإيمان القويم. فكان الخصم العنيد الذي لا يكل ولا يمل: يُمضي فترة نفيه بصبر وصلاة، ثم يعود بحماس أكبر وأشد، ليتابع المسيرة، ويتصدى لأعداء الإيمان، إلى أن استطاع أن يعيش بسلام نسبي، بعد سنة ٣٦٦ فقط.

كان اثناسيوس خطيباً بارعاً وحصيفاً، ذا ذكاء حاد، وقادراً على مجابهة الصعوبات، متمسكاً بمهماته الكنسية، ونظيفاً في كهنوته، منذ نعومة أظفاره[٤٨٢]، إن أمكن القول. ولقد ترك لنا المؤلفات القيّمة، التاريخية والعقائدية والنسكية، وبعض الرسائل المتعلقة بالمجامع...[٤٨٣]

٤٨١ لم تكن فترات النفي ذاتها في كل مرة، بل اختلفت بسبب العوامل التي أدت إلى إعادته؛ يبقى النفي الأول هو الأطول، تسع سنوات. وهذه لائحة تاريخية لها:

- الأول: أيام قسطنطين	٣٢٨/٧/١١	٣٣٧/١١/٢٢	تريف
- الثاني: أيام كونستانس	٣٣٩/٤/١٦	٣٤٦/١/٢١	روما
- الثالث: أيام كونستانس	٣٥٦/٢/٩	٣٦٢/٢/٢١	صحراء مصر
- الرابع: أيام يوليانوس	٣٦٢/١٠/٢٤	٣٦٣/٩/٥	صحراء مصر
- الخامس : أيام فالنس	٣٦٥/١٠/٥	٣٦٦/١/٣١	صحراء مصر

٤٨٢ يخبرنا عنه سوزومينوس ما يلي: "كان الكسندروس أسقف الإسكندرية آنذاك، جالساً، يوم الذكرى بوفاة الشهيد بطرس، أحد سلفائه († ٣١١) بعد الاحتفال، ينتظر بعض الأشخاص على الغداء، فإذا به يلمح عن بعيد أولاداً يلعبون على الشاطئ، وكانوا في لعبتهم يقلدون الأسقف واحتفالات الكنيسة... فاستدعاهم وسألهم عما يفعلون ؛ فأجابوه إن أحدهم المدعو اثناسيوس هو الأسقف بالنسبة إليهم وقد عمدهم وهو يعلمهم، وعندما سألهم عما تعلموه، اكتشف أنهم تبعوا قوانين الكنيسة بالكامل..." راجع سوزومينوس ٢: ١٧-١٨.

٤٨٣ ترك لنا مؤلفات كثيرة، منها دفاعية وعقائدية: "ضد الوثنيين"، و"في تجسد اللوغوس"، و"ضد الآريوسيين" و"في التجسد" ؛ ومنها تاريخية-نزاعية: "تاريخ الآريوسيين"، و"الدفاع إلى الإمبراطور كونستانس"، و"الدفاع عن هروبه"، و"الدفاع ضد الآريوسيين"؛ ومنها تفسيرية: "رسالته إلى مركلينوس حول تفسير المزامير" وتعليقه عليها، و"تعليق على سفري الجامعة ونشيد الأناشيد"، و"تعليق على سفر التكوين"؛ وغيرها نسكية: "حياة القديس انطونيوس الكبير"، و"في البتولية"، و"مقالات في النسك"، و"عظات"؛ ورسائل متنوعة، أغلبها رسمية، غير شخصية مثل الرسائل الفصحية والرسائل

www.old-criticism.blogspot.com

لم يكن اثناسيوس لاهوتياً ذا منهج علمي، ولم يأتِ بجديد على الصعيد النظري، ولم يطوّر أي تيار، كما أنه لم يخترع مصطلحات جديدة، لكنه يبقى، مع كل ذلك، واحداً من أعظم اللاهوتيين العقائديين في تاريخ الكنيسة، وربما ألمعهم في تلك المرحلة بالذات، أي في القرن الرابع الذي انطبع بطابعه، وذلك ناتج عن دفاعه عن الإيمان التقليدي ضد الهلّنة المستترة في هرطقة آريوس ومؤيديه: يستخدم اثناسيوس، وهو تلميذ اوريجانوس، في أغلب كتاباته، صوراً ومفاهيم من الفكر اليوناني، ولكنه يملأها بمضمون مسيحي. بذل اثناسيوس كل جهوده من أجل الحفاظ على التقليد سالماً، وعلى العقيدة الأرثوذكسية، وعلى الإيمان الذي تسلمه من أسلافه، هذا الإيمان الذي منحه الرب إلى الكنيسة، والذي بشر به الرسل وحافظ عليه الآباء: يؤكد على أولوية الإيمان تجاه العقل، الذي لا يقبل به كخيار في الحقل "الميتافيزيقي" أي الماورائي، لأنه مقتنع أن العقل غير قادر على معرفة طبيعته، وبالتالي، فكيف يستطيع إذاً معرفة الطبيعة الإلهية التي لا توصف؟ وهذا لم يمنع اثناسيوس من استعمال الفلسفة، ليشرح عقيدة الكنيسة، ولكن ليس من أجل معرفة جوهر الله، بواسطة عقل الإنسان.

كان اثناسيوس أيضاً نزاعياً من الدرجة الأولى، لذلك اهتم بالأفكار أكثر من الصيغ. وكان يملك فكراً دقيقاً أكثر منه واسعاً. وعرف دائماً أن يميز بين الفكر اليوناني والوحي المسيحي، فقد كانت لديه فكرة واضحة عن العقيدة الخريستولوجية، ضمن عقيدة الثالوث؛ أو لربما تبلورت مع الوقت، فاعترف بالثالوث حقيقة أكيدة، ثلاثة أقانيم متمايزة في وحدانية تامة: الآب يعمل كل شيء بواسطة الابن في الروح القدس؛ لا يوجد فيه لا خالق ولا مخلوق ولكنه كله خالق: الابن مولود غير مخلوق، أي أنه من جوهر الآب، وليس من إرادته؛ فهو إله كامل مثل الآب؛ هو أزلي مثل الآب، إنه "اللوغوس"، كلمة الآب وابنه الوحيد، المساوي له في الجوهر؛ فالآب والابن هما اثنان، ولكنهما واحد، لأنهما يملكان الطبيعة

المجمعية: "إلى الأنطاكيين" و"إلى الإمبراطور يوفيانوس حول الإيمان" و"إلى الأساقفة الأفارقة"؛ ورسالتين دوريتين: إلى أساقفة العالم (٣٣٩)، وإلى أساقفة مصر وليبيا (٣٥٧)؛ ورسائل عقائدية نزاعية: "حول الروح القدس"، و"رسالة إلى ابيكتيتوس"، و"رسالة إلى ادلفيوس"، و"رسالة إلى الفيلسوف مكسيموس"، و"رسالة بخصوص مراسيم مجمع نيقيا"، و"رسالة حول أحكام ديونيسيوس"، و"رسالة حول مجمعي ريميني وسلوقيا"، و"رسالة إلى روفيانوس"، و"رسالة إلى الرهبان". Q., II. 26-67; Ataner., 277-288

ذاتها. وإن لدى هذا "اللوغوس"، القدرة التي تنبع منها كل حياة وكل حركة، وبه خُلق العالم، لذا فاللوغوس هو نموذجه وسنده ومرتبه وحياته: "كما أن عنايته تُنمي الأجساد وتحرك النفس العقلية، واهباً إياها إمكانية التفكير والعيش...، هكذا يحرك "لوغوس الله"، بمجرد إشارة من قدرته، العالم المنظور والقوى غير المنظورة، ويحفظها، مانحاً كلاً منها القدرات التي تخصها"[٤٨٤].

تكمن ضرورة التجسد وآلام موت المسيح، بالنسبة لاثناسيوس، في إرادة الله الخلاصية: لم نكن لنخلص لولا التجسد، ولولا ألوهية المسيح؛ ولقد ألّه اللوغوس بتجسده الطبيعة البشرية، وغلب الموت من أجله ومن أجلنا جميعاً. ومن الضروري أن يكون المسيح إلهاً حسب الطبيعة، لا بالمشاركة، كما كان يزعم بعض المشاقين، لأنه، إذا لم يكن كذلك، أي مساوياً للآب في الجوهر، يكون مستعيراً الألوهية من آخر، وبالتالي لا يقدر أن يُعطي الآخرين شيئاً مما ليس له.

يميّز اثناسيوس بين طبيعتي المسيح، الإلهية والإنسانية، دون أن يتنكر لوحدانية الأقنوم في المسيح. هذا ولم يشدد اثناسيوس كثيراً، على موضوع نفس المسيح الإنسانية. فقد أخذ مفهوم العالم عن الرواقية التي تعتبره كجسد، موظفاً اللوغوس مكان النفس؛ وهذا ينطبق على النفس البشرية العاقلة عند اللوغوس؛ فإنها تقوم في الجسد، ما يقوم به اللوغوس في الكون: ربما نسب اثناسيوس للنفس البشرية جوهراً خاصاً وأكد خلودها. ولكنه عندما ينظر إلى كيان المسيح، فإن انتباهه مشدود إلى "اللوغوس" وعلاقته بجسد المسيح؛ فاللوغوس يسكن جسده كما في هيكل بكل ملئه؛ وهذه السكنى كاملة جوهرية، ومع ذلك يحتفظ اللوغوس بتعاليه. وهذه العلاقة هي مماثلة لعلاقة اللوغوس-العالم والنفس والجسد، فطبيعة المسيح الجسدية ليست إلا جزءاً من الكون-الجسد، فإذا كان اللوغوس يعطي الحياة إلى الكون-الجسد في كليته، فإنه يستطيع إعطاء الجزء أيضاً.

هذا اللوغوس وهو مبدأ الحياة والحركة في جسد المسيح[٤٨٥]، يجب أن يُصبح قادراً على القيادة، وهو الفاعل الطبيعي الفيزيائي لكل حياة المسيح، والفاعل

٤٨٤ Athanase., Contra Gentes. 44: PG 45.

٤٨٥ اتخذ اثناسيوس الآية ١٤ من الفصل الأول من إنجيل يوحنا "والكلمة صار جسداً، وسكن فيما بيننا" صيغة لخريستولوجيته الأساسية، ارتكز عليها ليعترف بوحدانية الكيان في المسيح (لوغوس-جسد) ضد

www.old-criticism.blogspot.com

الشخصي فيه، وينبوع كل أفعاله الحياتية. فللوغوس عمل مباشر في المسيح، هذا العمل الذي يدخل فيه بالطبع، النشاط الجسدي لإنسانية المسيح. فالجسد يقوم بوظائفه الطبيعية؛ وهذه أيضاً ينسبها اثناسيوس إلى اللوغوس، ولكن بصورة مختلفة عن وظائف اللوغوس المختصة بطبيعته. كما اعتبر أن موت المسيح هو حدث انفصال اللوغوس وليس النفس عن الجسد، وهي نظرية كانت سائدة آنذاك. من هنا يرتبك اثناسيوس، عندما يحاول شرح آلام المسيح: يجب أن يكون هناك مبدأ روحي بشري، لأنه لا يمكن بالطبع، لأي من مناصري نيقيا، أن يقبل أن يكون اللوغوس موضوع آلام طبيعية، وكل ما اختبره جسد المسيح ونفسه قبل الآلام. وإذا ما أراد أن يُنحّي اللوغوس عن كل تلك "البشرية"، عليه أن يجد هناك فاعلاً مخلوقاً يتحمل آلام يسوع.

نلمس هنا المشكلة الحقيقية في خريستولوجيا اثناسيوس. وعلى هذه النقطة بالذات، تكثفت هجمات الآريوسيين ضد ألوهية المسيح، فتكلموا عن الجهل لديه، وعن صلاته ليطلب العون، وعن تعبه وبكائه، وتأثره والعذاب الذي تحمله... لذا عمل اثناسيوس ملخصاً رائعاً لهذه الهجمات، أظهر فيه مبادئ خريستولوجيته الأساسية: أولاً، تجنب اثناسيوس، بشكل مفاجئ، الاعتماد على النفس في النقاط الحاسمة؛ ثانياً، حاول تخفيف بعض خبرات المسيح الداخلية، التي يمكن أن تُنسب إلى نفس بشرية، بحيث أبعد اللوغوس عنها مباشرة، منذ البداية؛ ثالثاً، حوّل اثناسيوس كل ما ننسبه نحن إلى النفس من مشاعر، نحو الجسد، فجعل من جسد المسيح، الفاعل الطبيعي لخبرات نفسية؛ فتكلم مثلاً عن "جهل الجسد" وعن "جزع مصطنع" وليس حقيقياً، وعن "جهل قد لا يكون جهلاً"[٤٨٦].

خريستولوجيا بولس السميساطي، الفاصلة (لوغوس-إنسان). يقول اثناسيوس "صار اللوغوس إنساناً، ولم يأتِ في إنسان"؛ إن لهذه الصفة معنى موافق للاهوت الكنيسة، ولكنه يحمل أيضاً معنى هرطوقياً؛ لأن كل العبارات التي يستعملها "صار جسداً" و"سكن في جسد"، "كما في هيكل"، تبدو وكأنها تقول بعلاقة عرضية بين اللوغوس والجسد. ويشرح اثناسيوس ذلك بقوله إن اللوغوس صار حقاً جسداً، وفي الوقت عينه يحاول تفادي خطر تفسير "الصيرورة" بمعنى التحول، فيشرح "صار" بمعنى "اتخذ". في الواقع لم يستطع اثناسيوس شرح الوحدانية المتمسك بها، والثنائية في المسيح شرحاً واضحاً. ربما كان سبب المشكلة لديه، هو غياب نفس المسيح؛ في الواقع لم تكن هذه النفس معطى لاهوتياً أو مبدأ ضرورياً لتفسيره كيان المسيح وعمله. Grillmeier., I. 605-606; 586

٤٨٦ بالحقيقة ينتج عن كل محاولات اثناسيوس هذه، لشرح جهل المسيح، فكرة معرفة إنسانية أو وعي إنساني محدود في المسيح، لم يكن اثناسيوس ليفتكر بهما. Grillmeier., I. 594

وحاول اثناسيوس شرح موت المسيح، على ضوء المخطط لوغوس-جسد، أي انفصال اللوغوس عن الجسد؛ فالنفس لا تلعب هنا أي دور؛ فاللوغوس هو الذي يعطي الحياة الطبيعية للجسد، وبالتالي، فموت المسيح ليس كموت البشر، أي انفصال الجسد والنفس، إنما انفصال الكلمة عن الجسد. ويميّز جيداً بين ما هو للجسد وما هو للكلمة، فيقول في هذا الصدد: "أن يكون المسيح مضطرباً[٤٨٧]، فهذا خاص بالجسد؛ ولكن القدرة على بذل نفسه، واستعادتها ساعة يشاء[٤٨٨]، لا يتوقف على قدرة البشر، بل على قدرة الكلمة. لأن الإنسان يموت عن غير إرادته، بل لضرورة طبيعية، وضد مشيئته؛ لكن المسيح له القدرة، بما أنه إله وغير مائت، أن ينفصل عن الجسد ويستعيده ساعة يشاء"[٤٨٩]. وهذا اللوغوس هو الذي يعطي الحياة الطبيعية للجسد، لذا نراه مثلاً ينزل إلى الجحيم، وهذه لاهوتياً مهمة نفس المسيح. وعن هذا الموضوع يقول اثناسيوس: "لم يكن هناك حاجة لقبر؛ لأن الجسد حينذاك، كان قد ذهب وبشر الأرواح الموجودة في الجحيم. ولكن اللوغوس نفسه، هو الذي ذهب وبشرهم، بينما كان يوسف يلف الجسد بكفن، ويضعه على الجلجلة. وبهذا يظهر للجميع، أن الجسد لم يكن الكلمة، بل جسد الكلمة"[٤٩٠]؛ وبالتالي، فالمسيح ليس إلا جسداً منظوراً، وكلمة غير منظور.

اهتم اثناسيوس، في مرحلة ما بعد المجمع، بألوهية الروح القدس أيضاً، وبموضوع مساواته للآب في الجوهر كالابن: وإلا فأي معنى لنزول الروح القدس على المؤمنين، إذا كان من المخلوقات؟ وبما أنه يقدّس ويؤلّه، فهو إله حقاً، وهو أحد أقانيم الثالوث الأقدس. هذا الروح ينبثق من الآب بالابن[٤٩١].

هذا ما دافع عنه اثناسيوس في المجمع، وفيما بعد المجمع، ورفض معمودية الآريوسيين، معتبراً أنها غير صحيحة، لأن المعمودية يجب أن تتم باسم الثالوث،

٤٨٧ راجع يو ١٢/٢٧.
٤٨٨ راجع يو ١٠/١٨.
٤٨٩ Athanase., Contra Arianos 3, 57: PG 26. 444 b.
٤٩٠ Athanase., Epistola ad Epictet 5, 6: PG 26. 1060 b.
٤٩١ يذكر اثناسيوس ذلك في رسالته إلى سيرابيون ٢/١، ولكنه لا يقول إنه منبثق من الابن، ولكن بالابن. Q., II. 78-79.

www.old-criticism.blogspot.com

وليس باسم أحد الأقانيم فقط. ولأن الرب قال: "اذهبوا وتلمذوا... وعمدوا... وعلموهم..." فالتعليم يجب أن يكون أرثوذكسياً، لأن بالإيمان يُعطى التقديس.

صار اثناسيوس بطل إيمان نيقيا، والمدافع العنيد عنه بكل شجاعة، دون أن ينحني أمام الأخطار أو الخصوم، ومن دون كلل ولا خجل. هذا ما دفع بغريغوريوس النزينزي لأن يدعوه "عامود الكنيسة".

ب) مركلوس الانقيري

وفي هذه الفوضى، وفي هذا التراكم من الآراء والعقائد، والأفكار اللاهوتية قبل المجمع المسكوني الأول، وإبانه وبعده، ظهر اسم مركلوس أسقف انقيرة (نحو ٣٠٠-نحو ٣٧٤). وكان من الأبطال الذين لعبوا دوراً مهماً في الدفاع عن نيقيا، وفي محاربة البدعة الآريوسية. وكان مركلوس هذا، فصيحاً ومربى تربية فكرية ممتازة. وظهر اسمه في أغلب المجامع، التي عُقدت في القرن الرابع، فأدانه أغلبها، وخلعه عن كرسيه، فيما أعاد له بعضها اعتباره.

شارك مركلوس الانقيري في مجمع نيقيا (٣٢٥)، وأراد، كسواه من الأساقفة، الدفاع عن الإيمان القويم، والحفاظ على وحدانية الله، ضد التيار الجديد الذي انتشر في زمانه، وهو الآريوسية. ثم ناصر، لاحقاً، القديس اثناسيوس كحليف غيور له، وللعقائد التي أقرّ بها مجمع نيقيا. وحاول الوقوف خاصة في وجه استيريوس السفسطائي، فسقط في آراء غير أرثوذكسية، تميل نحو الصابيلية. نشر سنة ٣٣٤، كتابه "ضد الآريوسي استيريوس" المؤيد فرضيات معلمه آريوس، فنادى بوحدانية الله. وأراد، بكافة الوسائل، المحافظة على لاانقساميته[٤٩٢]. فاتُهم

٤٩٢ المقاطع ٦٧، ٧١، ٧٧، ٧٨، ١٢٩. اعتمد مركلوس لدى مناداته بوحدانية الله في الآب والابن والروح القدس، على أساس اعتراف مجمع سرديقيا القائل: "نعترف أن الآب لا يأتي إلى الوجود، ولا يمكن أن يكون بدون الابن، ولا الابن بدون الآب، لأن اللوغوس هو الروح". ويستشهد مركلوس بآية يو ٢٤/٤ "إن الله روح"، التي تلعب دوراً رئيساً لديه، بخلاف اثناسيوس. ويفسر لفظة "الله روح"، على أساس أنها وحدانية يجتمع فيها اللوغوس والروح؛ لأن طبيعة الله الروحية موجودة لدى الآب والابن والروح القدس، وهي غير منفصلة. ولهذا فكل أسماء الله تخص الآب والابن والروح القدس. وهذا ما دعا الآباء إلى اتهامه بالصابيلية.

بالصابيلية في تعاليمه حول الثالوث الأقدس، وأُنزل عن كرسيه عام ٣٣٥ في مجمع أورشليم، وجدد الحكم عليه، مجمع القسطنطينية في السنة ذاتها. شارك في مجمع روما عام ٣٤٠، حيث حضر عدد من آباء مجمع نيقيا، ومن بينهم اثناسيوس، وشهدوا له بثباته ضد الآريوسيين. وبما أنه كان متهماً بالهرطقة، طلب منه البابا يوليوس، اعتراف إيمان خطي، حُكم على أثره، أنه أرثوذكسي العقيدة، وأعاد المجمع تأهيله. ولكن أُعيد خلعه في مجمع أنطاكية عام ٣٤١. ثم عاد مجمع سرديقيا (٣٤٣)، وبرأه من الاتهامات ذاتها، فأُعيد من جديد إلى كرسيه، ولكن ذلك أثار الاضطرابات في انقيرة.

لم يمنع، كل هذا، اثناسيوس من رفض تعاليم مركلوس، وإدانتها، وقطع شركته معه عام ٣٤٥، بالرغم من أن هذا الأخير أثبت في مجمع سرديقيا، أنه لا يفكر بهذه الطريقة الخاطئة، التي تصورها الجميع. أعاده كونستانس سنة ٣٤٨، وشارك في المجامع الآريوسية: سيرميوم (٣٥١) وانقيرة (٣٥٨) وسلوقيا (٣٥٩). وبالرغم من ابتعاده عن الآريوسية الراديكالية، التي يمثلها ايتيوس وافذوكسيوس، أغضب محازبيه بأفكاره المتطرفة، فطردوه عن كرسيه من جديد سنة ٣٦٠، ونفوه بموافقة الإمبراطور كونستانس إلى الايلليركوم، حيث توفي عام ٣٧٤. لم يترك لنا التاريخ شيئاً من مؤلفات مركلوس؛ وما نعرفه عنه، حفظه لنا بعض آباء الكنيسة، أمثال ابيفانوس وسواه[٤٩٣]. هذا وسيعتبر أيضاً، المجمع المسكوني الثاني المنعقد في القسطنطينية سنة ٣٨١، مركلوس هرطوقياً، ويدين آراءه اللاهوتية في قانونه الأول[٤٩٤].

انطلق مركلوس من اتهامه الآريوسية بعقيدة تعدد الآلهة. فحاول بدوره أن يشرح الوحدانية في الثالوث الأقدس: أقر بادئ بدء، بالأقانيم، الآب والابن والروح القدس، ثم انتقل إلى تفصيل العلاقة الوثيقة بينهم، في الله الواحد، فقال: إن اللوغوس كان قبل الخلق في الله فقط، وفي النهاية لن يكون إلا في الله. بهذا المعنى يكون اللوغوس مساوٍ للآب في الجوهر (اوموسيوس)، لكنه غير مولود، وليس

٤٩٣ Cf. Q., II. 200-202.

٤٩٤ لم يبقَ لنا من أعمال مركلوس إلا بعض المقاطع من مؤلفاته النزاعية؛ ربما عاد ذلك إلى قرار الأساقفة بالتفتيش عن كتبه وتمزيقها. راجع سوزومينوس ٢: ٣٣/١-٤.

www.old-criticism.blogspot.com

أقنوماً. فاللوغوس والابن واحد، بالنسبة له، وهو نفسه الذي تجسد، إنه "ابن الله" وهو وحده يستحق هذا الاسم، وهو أيضاً إله بالطبيعة، هو مولود أزلياً من الآب بدون انفصال، وبطريقة لا توصف ولا تدرك، ومولود من العذراء مريم.

ثم تكلم مركلوس عن الروح القدس، فقال إنه خرج أيضاً من الآب والابن؛ وبذلك يقبل بثلاثة أقانيم، ولكن في إله واحد. إنما وقع في الخطأ، عندما أراد أن يميّز بين الكلمة والابن، أي بين الكلمة قبل التجسد وما بعده، فقال إن الابن هو اتحاد الكلمة مع الإنسان يسوع؛ وإن الكلمة هو القوة الإلهية، ولم يظهر خارج الآب قبل خلق العالم، بل بقي كامناً فيه؛ وإن ابن الله هذا لم يبدأ في الوجود إلا عندما ولدته مريم؛ وإن ملكه كمخلص سيفنى[٤٩٥]؛ فاقترب بذلك من الصابيلية – كما اتهمه اوسابيوس القيصري[٤٩٦] وسواه–، إذ إنه بذلك أنكر أزلية أقنوم الكلمة، ووجوده الشخصاني الأزلي؛ فلم يعد المسيح، المختلف عن الكلمة، إلهاً حقاً، بل أصبح إنساناً تعمل فيه قوة الله.

من جهة أخرى، نسب مركلوس إلى الابن صفة "بلا بدء"، أو صفة "الضابط الكل"، وهذه تُنسب عادة وتقليدياً، وفي أغلب قوانين الإيمان، إلى الآب وحده؛ كما أنه نسب الخلق إلى الثالوث الذي يشترك في تدبير الخلق والخلاص، فقال: "نؤمن بإله واحد، الآب سيد الكل، وبابنه ربنا يسوع المسيح، وبالروح القدس. هؤلاء الثلاثة [كائنون] في الألوهية الواحدة الوحيدة، والقدرة الواحدة، والأقنوم الواحد، والجوهر الواحد، والمجد الواحد، والسيادة الواحدة، والملك الواحد، والصورة الواحدة للثالوث المتساوي الجوهر، التي منها كل مخلوق [يأتي] إلى الوجود"[٤٩٧].

٤٩٥ Grillmeier, I. 531.

٤٩٦ يقول اوسابيوس ما يلي: "بما يخص وجه الله، فبحق يحدد مركلوس أنه واحد، لكنه يقول إن في الله الواحد موجود اللوغوس المتحد به؛ ثم إنه يدعو في الإله الواحد هذا آب والآخر ابن، كما لو أن هناك جوهراً مزدوجاً مركباً". واقعياً، يرفض مركلوس التحدث عن "إله ثانٍ" (الابن) أو عن "أقنوم ثالث" (الروح القدس)، بالرغم من أنه يتكلم عن "ثالوث". هو يفكر دائماً بكلمات عن جوهر–روح الله الواحد، وهو منذ الأزل آب وابن وروح، لذا لا يمكنه أن يجد تمييزاً داخل الثالوث–الواحد، إلا بصعوبة بالغة. من هنا يخطئ اوسابيوس، عندما يتهمه بالصابيلية. Grillmeier, I. 532- 535

٤٩٧ Grillmeier., I. 537; Marcell. Ancyr. Epistola ad Liber. 11-12.

هذا، ويركز في هذا الاعتراف الثالوثي على الوحدانية أكثر منه على الثالوثية، دون أن يذوبها. ويُعطي برهاناً على هذه المحافظة، على الثالوثية في وحدة كل أقنوم، لدى شرحه العلاقة بين الآب والابن في الله الواحد، مستنداً على "الاوموسيوس": "اللوغوس والابن واحد، هو نفسه الذي تجسد، إنه ابن الله وإله بالطبيعة، مولود أزلياً من الآب بدون انفصال، وبطريقة لا توصف ولا تدرك، وهو مولود من العذراء مريم"؛ ويعطي برهاناً آخر أيضاً على ذلك في ما يقوله في سرديقيا: "لا نقول إن الآب هو الابن، ولا إن الابن هو الآب، بل إن الآب هو الآب، والابن هو الابن"[٤٩٨]. ولكن ذلك لا يمنعه من أن يقول، إن الثالوث كله يشترك في تدبير الخلق والخلاص، وإن الابن وحده يتجسد، وإن قوته الخلاقة تعمل في الجسد. وهنا لا يتكلم مركلوس فقط عن سكنى، بل عن فاعلية خلاقة في اتخاذ الجسد؛ فأصبح الإنسان يسوع، وليس اللوغوس، صورة الله غير المنظور، وبالطبع كل الألوهية. إنما يُبقي مركلوس تمييزاً واضحاً بين الاثنين، فيقول في رسالته إلى البابا ليبيريوس، ما يلي: "الجسد عُلق [على الصليب]، وليس هو ذاته؛ هذا قُبر وليس هو؛ هو تعرض للألم كإنسان، وليس هو ذاته... وبعدما تجسد سُمي يسوع، من حيث إنه إنسان، أي أنه اتخذ إنساناً، وسكنت فيه الألوهية جسدياً"[٤٩٩]. ينجم عن هذا الاتحاد بين الجسد والابن، شركة ثمرتها الخلود: أصبح الجسد البشري ممجداً ومتألهاً، ونحن أصبحنا أبناء. وبما أن ابن البشر تجسد، وانتصر على الشيطان بواسطة الجسد، فقد أعاد لنا، نحن البشر، عدم الفساد والخلود والفردوس[٥٠٠].

ومما سبّب المعارضة ضده، تفسيره لنهاية مُلك المسيح المتجسد: أخطأ مركلوس بقوله، إنه بعد القيامة العامة، عندما يظهر المسيح بالجسد، سيتحد الكلمة

٤٩٨ Grillmeier., I. 537; Marcell. Ancyr. Credo di Sardica. 6.

٤٩٩ Grillmeier., I. 545.

٥٠٠ يقول مركلوس لدى سؤاله عما إذا كان جسد المسيح ينتهي بعد الدينونة العامة: "لم يتخذ اللوغوس جسدنا لمنفعة، بل حتى ينال الجسد، بشركته مع اللوغوس، الخلود". ويقول أيضاً: "كل من يحمل روح الله يحمل النور، والذي يحمل النور لبس المسيح، والذي لبس المسيح لبس الآب أيضاً. فإنه من الضروري أن يلبس هذا الجسد الفاسد عدم الفساد، وهذا الجسد الفاني الخلود (١قور ١٥/٥٣)؛ والذي يحمل روح الله يحمل عدم الفساد، والله عديم الفساد". Grillmeier, I. 550 et 556

www.old-criticism.blogspot.com

والروح القدس في الله تماماً، فينتهي عندئذ مُلك المسيح[٥٠١]، ولكن الكلمة يملك، وهو متحد تماماً مع الآب، أي الله، كما كان قبلاً. وما دفعه إلى مثل هذا التمييز هي ملاحظته، أن الكتاب المقدس يدعو الكلمة غير المتجسد "لوغوس"، ولا يسميه ابن الله[٥٠٢]، بينما تخص بقية التسميات، الكلمة المتجسد. ورفض أغلب الآباء، فكرة انتهاء مُلك المخلص، لذا بدأت تظهر جملة "الذي لا فناء لملكه" في أغلب الدساتير، منذ عام ٣٤١، وذلك لإدانة تعليم مركلوس.

نرى لدى مركلوس بداية خريستولوجيا جديدة، انطلقت مع المجمع المسكوني الأول، إذ يظهر لديه، خصوصاً في خلافه مع الآريوسيين، تمييز بين اللوغوس وبين المسيح، كي ينفي كل ضعف أو تحول في اللوغوس؛ وتمييز في المسيح بالذات، بين طبيعته الإلهية وطبيعته البشرية، كي لا تكون الطبيعة الإلهية، موضوع الألم والموت، فيقول في اعترافه في سرديقيا: "لم يتألم الروح الإلهي، إنما الإنسان الذي اتخذه من مريم العذراء. فهذا الإنسان هو قابل للألم، لأن الإنسان فان، بينما الله خالد". كما أنه يؤكد على وجود إرادة إنسانية في المسيح، كي يردّ على قول الآريوسيين، بأن في المسيح إرادة واحدة متحولة. ولا يتكلم مركلوس بوضوح، عن نفس بشرية في المسيح، لكنه يؤكد أن عمل الخلاص، تمّ بإرادة اللوغوس، وليس بإرادة الإنسان يسوع.[٥٠٣]

يعتقد مركلوس أن تدبير الخلاص ينتهي، عندما تعود البشرية كلها إلى الله؛ حينذاك تتبدل مهمة المسيح، فلا يعود رأس الجنس البشري الجديد، الإنسان الذي حملته الألوهية، بل اللوغوس: "أؤمن، كما في الكتب الإلهية، أن هناك إلهاً واحداً، وأن كلمته انبثق من الآب كي "تكون كل الأشياء به"[٥٠٤]. ولكن بعد يوم الدينونة العامة، وترتيب الأشياء كلها، وبعد إزالة كل قوة معادية، "حينئذ سيخضع هو

٥٠١ حاول مركلوس تفسير ١قور ١٥/٢٤-٢٨؛ فجاء تفسيره أحادي القطب، وأغرق تعاليمه الخريستولوجية التمجيدية؛ ونجد هذا التفسير في المقاطع ٤١ و ١١٣-١١٧ من مؤلفه ضد استيريوس، وفي الرسالة إلى الأنطاكيين (٧٠). Grillmeier., I. 550

٥٠٢ راجع قول ١/١٥.

٥٠٣ Grillmeier., I. 545; Marcell. Ancyr. Credo di Sardica. 11.

٥٠٤ يو ١/٣.

أيضاً لذاك الذي أخضع له كل شيء"[٥٠٥]، لله للآب، حتى يكون اللوغوس من جديد في الله، كما كان في البدء قبل بداية العالم. فقبل بداية العالم، لم يكن هناك شيء خارج الله؛ وعندما كان يتم عمل الخلق باللوغوس، يقوم اللوغوس بهيئة طاقة أو قوة فاعلة* ..."[٥٠٦]. ويتابع هذا التفسير في مكان آخر، قائلاً: "وهذا يعني أنه عندما نخضع كلنا للابن، ونصير أعضاءه، ونصبح بواسطته أبناء الله، لأنه يقول، إنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع، عندئذ سيخضع هو أيضاً للآب، كرأس أعضائه. ولن يكون رأس الأعضاء خاضعاً للآب بل في انتظار أعضائه، إلا عندما يخضع جميع أعضائه له. وإذا افترضنا أنه واحد من بين الذين خضعوا، لكان خضع للآب منذ البدء، وليس في الختام. لأننا نحن نخضع للآب به، ونحن سنملك به، حتى يضع أعداءنا تحت موطئ أقدامنا[٥٠٧]. فإن سيد السماوات صار واحداً منا بسبب أعدائنا، واستلم العرش البشري من داود، أبيه حسب الجسد، ليعيد بناءه ويرممه، بحيث إنه، عندما ينجز ترميمه، سنملك به، وسيستطيع أن يسلم الآب الملك البشري المرمم، ليكون الله كلاً في الكل، مالكاً به كما باللوغوس-الله، بعد أن ملك به كما بإنسان-مخلص"[٥٠٨]. هذا يعني أن إنسانية المسيح تكون إلى الأبد، لكنها لا تمارس أي سيادة. الله وحده يملك بواسطة اللوغوس الإلهي الآن، بعد أن ملك بواسطة الإنسان المخلص. تبدو هذه العلاقة بين اللوغوس وجسد المسيح -أي الكنيسة-، وكأنها النتيجة النهائية للتدبير الإلهي الثاني -الأول هو الخلق-، وفيها تنجز مهمة اللوغوس مع إنسانيته؛ وتجمع هذه الوحدة "لوغوس-جسد" المسيح الأعضاء بالرأس، الذي هو الإنسان المسيح الممجد، وهو اللوغوس الإلهي. وعندما سأله اوسابيوس عما إذا ما كان الجسد يبقى وحده دون اللوغوس بعد الدينونة، أجاب: لا يمكننا تحديد عقائد حول أمور، لم نتعلمها كفاية من الكتب الإلهية.[٥٠٩]

لا يتكلم مركلوس كثيراً عن الروح القدس، إنما يقول إن إرساله على الذين في المسيح، كان سبباً لسحبهم من تحت سيادة العدو. وأُنجزت فيهم رسالة المسيح،

٥٠٥ ١ قور ١٥/٢٤ و ٢٨.

* طاقة أو قوة فاعلة ενεργεια

٥٠٦ Grillmeier., I. 553.

٥٠٧ مز ١١٠ (١٠٩)/١.

٥٠٨ De incarnatio et Contra Arianos, 20-22.

٥٠٩ Grillmeier., I. 552-553; Marcell. Ancyr. Framenti 121.

www.old-criticism.blogspot.com

باتحادهم باللوغوس، وبه بالله. لذا كان تمجيده مهماً، لكي يرسل الروح القدس وتتم الشركة معه. ولكن مركلوس لا يبقي الينبوع الأبدي للتوسط، للروح القدس، بل يعتبر أن الإنسانية المخلصة المملوءة من الروح، تخلف إنسانية المسيح الممجدة الباكورة: "عندما تقول الكتب المقدسة، إن الابن تلقى "الاسم الذي هو فوق كل اسم"، فهي تتكلم عن جسده الذي هو باكورة الكنيسة، لأنها تقول إن البكر هو المسيح[٥١٠]. وأما الآن، وقد تلقى البكر اسماً فوق كل اسم، فإن رزم الحصاد، بفضل القدرة نفسها، قد أقيمت معه من بين الأموات، وأُجلست على العرش[٥١١]. لهذا تلقى الجنس البشري نعمة أن يُدعى آلهة وأبناء الله. وقد أقام الرب جسده من بين الأموات ومجدّه في ذاته. وهكذا سيقيم أعضاء جسده ليمنحهم، كإله، كل ما تلقاه كإنسان"[٥١٢]. وأضحى المخلص والمخلصون وحدة عضويةعالمية، وبقدر ما يكون الإنسان حياً بروح المسيح، بقدر ذلك يكون عضواً في جسده.[٥١٣]

ج) فوتينوس

تبع فوتينوس، تلميذ مركلوس، معلمه في أفكاره؛ وفيما بعد، عندما أصبح أسقف سيرميوم، طوّر هذه الأفكار اللاهوتية الخاطئة، وشرع ينشرها بين الناس: ابتدأ أولاً بالتمييز بين الكلمة والابن، ثم أنكر وجود الكلمة في الله، كما أنكر شخصية اللوغوس الأزلية، ووجود الثالوث في الله الثابت. واعتبر الكلمة امتداداً للآب؛ والروح القدس كلمة ثانية، أو امتداداً ثانياً مشابهاً لذلك الامتداد في الكلمة؛ والله غير منقسم ولا منفصل. والمسيح هو مجرد إنسان، مجّده الله بسبب فضائله، وتبناه كابن وأعطاه قوة خاصة. وهذا يعني أنه أنكر وجود المسيح المسبق أي أزليته، وألوهيته وأبدية ملكه، بالرغم من أنه اعترف بولادته الفائقة الطبيعة؛

٥١٠ راجع ١قور ١٥/٢٣.
٥١١ راجع اف ٢/٦.
٥١٢ De incarnatio et Contra Arianos, 12.
٥١٣ Grillmeier., I. 528-558; H-L., I,2. 841-845; Altaner., 299; Tetz M., Zur Theologie des Markell von Ankyra: ZKG 75 (1964). 217-270; 79 (1968). 3-42; 83 (1972). 145-194.

وقال إن الكلمة سكن في المسيح، بسبب كماله الأخلاقي، وبواسطته عمل العجائب.

حاربت الكنيسة أفكار مركلوس وتلميذه فوتينوس: فمنذ سنة ٣٤٤، ابتدأت المجامع تدينهما معاً، سواء أكانت اوسابية أم أرثوذكسية: مجمع ميلانو سنة ٣٤٥ الذي حرمهما، ومجمع غربي سنة ٣٤٧ فعل الشيء ذاته. بقي فوتينوس على كرسيه بالرغم من خلعه، إذ كان يتمتع بمكانة رفيعة في أبرشيته. ولكن في سيرميوم بالذات، انعقد مجمع اوسابي وآريوسي سنة ٣٥١، حكم عليه وحرمه كهرطوقي، لأنه نادى بمونارخية واضحة، أي هدم الثالوثية في الله، واعتبر التجسد حالة عابرة، ستختفي بعد الدينونة العامة. نفاه الإمبراطور كونستانس. وبقي فوتينوس في منفاه حتى توفي سنة ٣٧٦. أُدين بسبب آرائه الخاطئة، في كل من مجمعي ميلانو سنة ٣٥٥ وروما سنة ٣٧٥، ثم أُعيدت إدانته في المجمع المسكوني الثاني أيضاً (بعد وفاته)، سنة ٣٨١.[٥١٤]

د) افستاثيوس الأنطاكي

هو أحد أبطال الإيمان الأرثوذكسي القويم، من مواليد صيدا* في بمفيليا. اشتهر بفصاحته العالية، كما تبرهن أعماله التي لها قيمة كبيرة، لمصطلحاتها وسلاسة تعابيرها، واعتدال مشاعرها وأناقة سردها. أصبح أسقف حلب، ثم أسقف أنطاكية (٣٢٤-٣٣٠). ترأس المجمع المسكوني الأول، على ما يخبرنا ثيودوريتوس المؤرخ: كان افستاثيوس أول من تكلم في المجمع، ليرحب بالملك قسطنطين، الذي نفاه عام ٣٣٠ إلى ترانوبوليس في تراقيا، بعد أن خلعه مجمع آريوسي في أنطاكية (ربما مجمع ٣٣٠). توفي هذا الحبر عام ٣٣٧. لم يبقَ لنا من مؤلفات افستاثيوس، سوى عمل واحد كامل، ضد اوريجانوس، والباقي كله مقاطع متفرقة، من كتابه "ضد الآريوسيين"، ومن مؤلف له بنفس الموضوع، بعنوان "في النفس"، ومن شرح "المزمورين الخامس عشر والثاني والتسعين". وحفظ لنا التاريخ أيضاً رسالة من

٥١٤ H-L., I,2. 845-846 et 850-851; De Urbina., 131.
* صيدا Side

www.old-criticism.blogspot.com

مراسلاته، موجهة إلى الكسندروس الإسكندري، أرسلها له قبل النزاع الآريوسي[٥١٥]. كما نجد هنا وهناك مقاطع من عظاته.

بدّل افستاثيوس كثيراً اتجاهاته العقائدية فبدأ باعترافه بخريستولوجيا تقليدية، ترفض تبادل الخصائص، في مرحلة ما قبل النزاع الآريوسي، إلى المناداة، فيما بعد ذلك، بخريستولوجيا ثنوية تقبل بهذا التبادل. ولعله كان أول من نادى بخريستولوجيا مرتكزة على شكل لوغوس-إنسان، ضد خريستولوجيا لوغوس-جسد، مميزاً تماماً بين طبيعتي المسيح: أي أكد أن المسيح اتخذ نفساً بشرية. وكان هذا الموقف ضد الآريوسيين، الذين يعترفون بجسد المسيح، ولكن من دون نفس، ولذا كان بإمكانهم أن ينسبوا التحول إلى اللوغوس، مما يؤدي بهم إلى نزع الألوهية عنه.

وما يثير الانتباه أن افستاثيوس وهو الأنطاكي الأصل، نادى، في المرحلة الأولى بخريستولوجيا موحِّدة، متوازنة، حيث يظهر في المسيح، الألوهية والإنسانية في وحدانية في الأقنوم، لكن اللوغوس هو الفاعل في هذه الوحدانية، وهذا خط المدرسة الإسكندرانية: نادى افستاثيوس بفكرة لوغوس-إله، وقال إن المسيح هو طاقة، وتفوق قدرته وقوته الجميع؛ وتشارك نفس المسيح في هذه الخصائص، خاصة في الطاقة الكونية أو بكلية قدرة اللوغوس، لذا هو يسيطر سيطرة كاملة على كل شيء، ولا يخطئ، ويشترك في الكلية القدرة في حكم العالم، والتي ينتشل بها النفوس من الجحيم. فالمسيح لدى افستاثيوس، جسد مليء بالعنصر الإلهي، مؤله من قِبل اللوغوس: "ما الغريب إذاً في القول، إن المجرب راقب وجه المسيح، ولاحظ أنه إله حق في داخله، وابن الله حسب الطبيعة، ورأى فيه رجلاً طاهراً دون دنس يحيط به[ابن الله هذا]، هيكل جميل، قدوس، وهو محصن بالرغم من كل شيء، ليكتشف من كان، ودون أدنى تردد، هاجمه محارباً ضد الله، حسب عاداته؟"[٥١٦].

٥١٥ وفيها نجد افستاثيوس يعترف بصيغة خريستولوجية تقليدية "غير أنطاكية" بل "إسكندرانية": فهو لا يعترف بتبادل الخصائص، فيقول فيها مثلاً: "لكن عندما عانقه يوحنا (المعمدان ليسوع) بيديه، أنزل اللوغوس المتجسد بذاته في الماء، وهو نموذج ومثال الصورة..."، وفي مكان آخر من الرسالة نفسها: "لقد كان اليهود في حيرة وارتباك، لأنهم قتلوا الله-اللوغوس بصلبه".

٥١٦ Grillmeier., I. 562.

لكن افستاثيوس بدأ يغير تفكيره اللاهوتي، مع بداية النزاع الآريوسي، لينادي بخريستولوجيا ثنوية، تميّز بين الطبيعتين، يرى فيها المسيح بجسد وروح، وحيث لم يعد اللوغوس يأخذ مكان النفس، على أساس فكرة كمال إنسانية الرب؛ ويشدد كثيراً على هذا التمييز بين الطبيعتين، مثل الأنطاكيين، لدرجة أنه يجازف في فصل المسيح إلى شخصين. ويتساءل: "لماذا يعتقد الآريوسيون أن البرهان على أن المسيح أخذ جسداً دون نفس، مهم جداً؟ ويمضون من أجل ذلك في أكاذيب كبيرة؟ فإذا ما توصلوا إلى إقناع البعض بهذه الفرضية المزيفة، يعودون فينسبون إلى الروح الإلهي التحول، ويتمكنون هكذا الإقناع بسهولة، أن الذي هو متحول لا يمكن أن يكون مولوداً، حسب الطبيعة اللامتحولة!"[٥١٧].

نجدنا هنا أمام تفسير معاكس تماماً، لصيغة "لوغوس-جسد" أي التوحيد الكامل، فإذا بصيغة "لوغوس-إنسان"، جاءت لتضع الوحدانية في خطر. وفي نزاع افستاثيوس ضد الآريوسية، نجده يخفف من موقفه السابق، ليتراجع أحياناً عن أفكاره، خصوصاً في موضوع تبادل الخصائص، فنجده يقول: "لم يكن الله الذي سكن فيه، هو الذي قُيّد كحمل وسيق إلى الذبح؛ ولم يُذبح كخروف، لأنه من طبيعة غير منقسمة"، "إنه غير دقيق أن نقول إن اللوغوس-الله مات"[٥١٨].

وعاد افستاثيوس إلى سمة الأنطاكيين عندما بدأ يميّز بين اللوغوس والإنسان، وجعل الإنسان فيها مستقلاً، ووحدانيته في خطر: "إن الكلمات "لم أصعد بعد إلى أبي"[٥١٩]، لم يقلها اللوغوس، ولا الله الذي نزل من السماء، والذي يعيش في الآب، ولا الحكمة التي تحتضن كل الخليقة، بل قالها إنسان مكون من أعضاء متعددة، والذي أُقيم من بين الأموات، ولم يكن قد صعد إلى الآب"[٥٢٠].

كان اهتمام افستاثيوس التمييز في المسيح وشرح الوحدانية فيه. فانطلق من فكرة "سكنى اللوغوس" في الإنسان المسيح، متبعاً في ذلك الكتاب المقدس[٥٢١]، واوريجانوس واثناسيوس، حيث نفس المسيح تعيش مع اللوغوس، ويصبح الجسد

٥١٧ Id., 563.
٥١٨ Id., 564.
٥١٩ يو ١٧/٢٠.
٥٢٠ Id., 564.
٥٢١ على وجه الخصوص قول ٩/٢: "ففيه يحل جميع كمال الألوهية حلولاً جسدياً".

www.old-criticism.blogspot.com

الهيكل، وخيمة العهد والبيت، حيث يختفي فيها اللوغوس ويفعل بواسطتها، كما بأداة. وبعد كل ذلك، لا يبدو افستاثيوس، كما اتهمه أعداؤه، لا خليفة بولس السميساطي، ولا سابق نسطوريوس في أفكاره، بل إنه، بالأحرى، توصل، في تمييزه بين الله والإنسان في المسيح، إلى صياغات الإنسان المتأله؛ ولفت الانتباه إلى الإنسان في المسيح، دون أن ينكر الإله فيه.[٥٢٢]

هـ) باسيليوس الانقيري

بعد أن خلع مجمع القسطنطينية (٣٣٦) مركلوس الأنقيري، عيّن الاوسابيون خليفة له باسيليوس، الذي كان طبيباً وفصيحاً ومثقفاً. وقد لعب دوراً هاماً جداً في المنازعات الآريوسية بين ٣٥٨ و٣٦٠. وبدأ نشاطه بترأس مجمع انقيرة عام ٣٥٨، فأعلن فيه، مع المجتمعين، رفضه "الاوموسيوس" مستبدلاً إياه بـ "الاوميووسيوس". وفي نهاية المجمع، كتب هو نفسه رسالة إلى جميع الأساقفة، يعلن فيها الإبسال ضد من لا يعترف بتشابه جوهري بين الآب والابن، وخاصة ضد من يقول إن الابن غير مشابه للآب. وفي الرسالة المجمعية، شرح وافٍ عن معتقدات باسيليوس وفريقه الاوميووسي.

ذهب باسيليوس بعد ذلك، بصفته رئيس الحزب النصف-آريوسي، أو زعيم "الاوميووسيين"، مع افستاثيوس أسقف سبسطية واليفسيوس أسقف كيزيكو، إلى البلاط الملكي في سيرميوم، خلال صيف عام ٣٥٨، وجعل دستور إيمان الاوميووسيين مقبولاً، وهو صيغة مجمع سيرميوم الثالثة. فكلف الإمبراطور باسيليوس، تحضير مجمع يحقق السلام بين الفرقاء المتنازعين. وبينما كان يدرس مكان انعقاده، أقنع الآريوسيون المتطرفون أو "الانوميون" الإمبراطور، فانضم إليهم، وقرر عقد مجمع غربي في ريميني، وآخر شرقي في سلوقيا.

فاجتمع هؤلاء مع الإمبراطور في سيرميوم، لتحضير دستور إيمان جديد يقبل به الجميع، في ريميني وفي سلوقيا. فحلّت الصيغة الرابعة لسيرميوم، في ٢٢ أيار عام ٣٥٩، محل الصيغة الثالثة، وهي التي اعتبرت لفظة "اوسيا" غير كتابية، وغير

٥٢٢ Q., II.305-309; Grillmeier, I.559-566.

مفهومة لدى غالبية الناس، وأبدلتها بأن الابن "مشابه للآب في كل شيء"، بهدف توحيد المعتدلين. قبل باسيليوس هذا الدستور، لأنه سيعمل على توحيد الكنيسة، على الرغم من أنه تحفّظ حول هذه الصيغة، مطالباً ببعض التدقيقات والشروحات: فالمشابهة في كل شيء، ليس فقط في الإرادة، بل في الجوهر خصوصاً.

وكانت النتيجة الانشقاق، لأن مجمع ريميني لم يقبل الدستور، وألغى "المشابه في كل شيء"، ليترك فقط لفظة "مشابه". واستدعى الإمبراطور باسيليوس وافستاثيوس السبسطي، واليفسيوس أسقف كيزيكو إلى القسطنطينية، وأرغمهم على التوقيع على تحديد ريميني في ٣١ كانون الأول عام ٣٥٩، وهكذا كان انتصار الآريوسية كاملاً في صيغته "الاومية".

وبما أن الفريق "الاوميوسي"، فريق باسيليوس خسر، وانتصر الفريق "الاومياني"، فريق اكاكيوس القيصري، دعا هذا الأخير، إلى مجمع في القسطنطينية في العام التالي (٣٦٠)، وخلع فيه الأعداء ونفاهم، ومن بينهم باسيليوس وافستاثيوس واليفسيوس. نفي باسيليوس إلى الايلليريكوم؛ ثم أعيد من المنفى أيام يوليانوس (٣٦١-٣٦٣)، وتوفي عام ٣٦٤، بعد أن تراجع عن موافقته على صيغة ريميني.

ترك لنا باسيليوس الانقيري عدة كتب، من أهمها ذاك الذي يذكره ابيفانوس في كتابه عن الهرطقات. وقد ألّفه مع جاورجيوس أسقف اللاذقية، وضمّنه اعتقاداته؛ وفيه تشابه كبير مع تعاليم اثناسيوس. وهناك كتاب "ضد مركلوس" وآخر "عن البتولية"، الذي غالباً ما يُنسب خطأ إلى القديس باسيليوس الكبير.[٥٢٣]

و) الفئات الآريوسية

دام الوضع متوتراً في الشرق، وخصوصاً في أنطاكية، وبالتحديد لدى استلام ايفرونيوس (٣٣٢-٣٣٤) زمام الكرسي الأنطاكي، لأنه كان اوسابياً. وابتدأت الانقسامات تظهر واضحة، وتبلورت في هذه الفترة، الممتدة من مجمع نيقيا وحتى

٥٢٣ Q., II. 203-205.

www.old-criticism.blogspot.com

هذا الوقت، ثلاث فئات آريوسية متخاصمة، باستثناء العلمانيين الأتقياء، الذين ظلوا أوفياء للكنيسة، رافضين الانقسام والشرذمة. وستلعب هذه "الأحزاب" الثلاثة دوراً مهماً جداً في الحقبة التالية، التي ستدوم حتى مجمع القسطنطينية.

١ً) فريق الأنومية

فريق الأنومية* هم الراديكاليون الحديثون، أو بكلمة أبسط هم الآريوسيون المتطرفون، أتباع آريوس الأوفياء، الذين تزعمهم ايتيوس[٥٢٤] ثم افنوميوس، ومن بعده افذوكسيوس. وهم الذين كانوا يرفضون فكرة مساواة الابن بالآب، ويعتبرون أن الابن غير مشابه للآب في شيء، وهم ألد أعداء الإيمان القويم.

٢ً) فريق الاوميووسية

فريق "الاميووسيوس" هو فريق اوسابيوس النيقوميدي، الذي ابتعد شيئاً فشيئاً عن الآريوسية الراديكالية وتعاليمها، وحاول إصلاح تعاليمه وتجديدها؛ هم النصف-آريوسيون*، الذين يرفضون صيغة نيقيا، ويدّعون أن الابن مشابه للآب في الجوهر. وقد لاحظ اثناسيوس تقارباً عقائدياً، بين أفكارهم والإيمان الأرثوذكسي القويم، فحاول في نهاية المطاف، ابتداء من سنة ٣٦٢، بعد محاربتهم فترة طويلة، أن يتقرب منهم، وأن يقبل بصيغ أخرى غير صيغة نيقيا، وذلك على أمل التوصل إلى سلام في الكنيسة.

ورغم كل ذلك، نجد أن القول بـ "الاميووسيوس"، قريب نسبياً من تعبير نيقيا وتعاليمه، وهو يبعدنا عن الصابيلية التي تقول بوحدانية الله المطلقة، وأن الابن غير

* الأنومية Anoméisme ؛ أي غير المشابه Anomioos ؛ يرفض هذا التيار أي شبه أو تشابه بين الآب والابن، فهما كائنان مختلفان تماماً: الآب خالق، والابن مخلوق؛ وكل مقارنة بينهما، هي تجديف على الآب وإهانة له. ويُسمّى أتباعها "الأنوميون" Anoméens

٥٢٤ رستم، ج ١. ٢٢٧؛ AA-VV., Nuova storia della Chiesa. I. 308; H-L., I.2. 887-889 F-M., III. 151-152.

* النصف آريوسيون Homéoussiens

مساوٍ للآب في الجوهر، لكنه من نفس الجوهر أو مشابه له في الجوهر. ومع أن هذا هو تعبير غامض، ويخفي خلفه مبدأ الدونية، إلا أنه يمكن أن يكون أرثوذكسياً. وسوف نرى فيما بعد، تقارباً بين الأرثوذكسيين التابعين قوانين نيقيا، وبين هؤلاء النصف آريوسيين.

٣ً) فريق الأومية

فريق الأومية* هم فريق المشابهين، الذين اختاروا تعبير "مشابه"* فقط دون تحديد هذا التشابه، وفي أي شيء يكون بين الآب والابن، ويسمى أتباعه أوميون*. وكان على رأس هذا الفريق اكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين[٥٢٥]، الذي نادى بـ"الاوميوس" أي أن الابن مشابه للآب. فقام فريق ثالث، وهو الفريق القديم النصف آريوسي، من أولئك الذين أبدلوا "الاوموسيوس" بكلمة "اميووسيوس"، أي أن الابن مشابه للآب في كل شيء، معتبراً أن "الاوموسيوس" تقال للأشياء المادية، بينما "الاوميوسيوس"[٥٢٦] تقال للأشياء الروحية. وتزعم اكاكيوس القيصري هذه البدعة، وتبعه في هذا التيار: اوسابيوس الحمصي وثيودوروس أسقف هيراكليا، واوكسانس أسقف ميلانو وجاورجيوس أسقف اللاذقية. وهؤلاء رفضوا قانون إيمان نيقيا، وآراء الآريوسية الراديكالية.

ونرى من خلال هذا الجدول التوضيحي، توزيع الفئات المذكورة أعلاه وما هي الفوارق فيما بينها:

* الأومية أو المشابهة Homoisme
* مشابه Homoios
* المشابهون Homéens

٥٢٥ De Urbina., 133.

٥٢٦ Cf. Rasneur G., L'homoiousisme dans ses raports avec l'orthodoxie: RHE 4 (1903). 189-206; 411-431.

www.old-criticism.blogspot.com

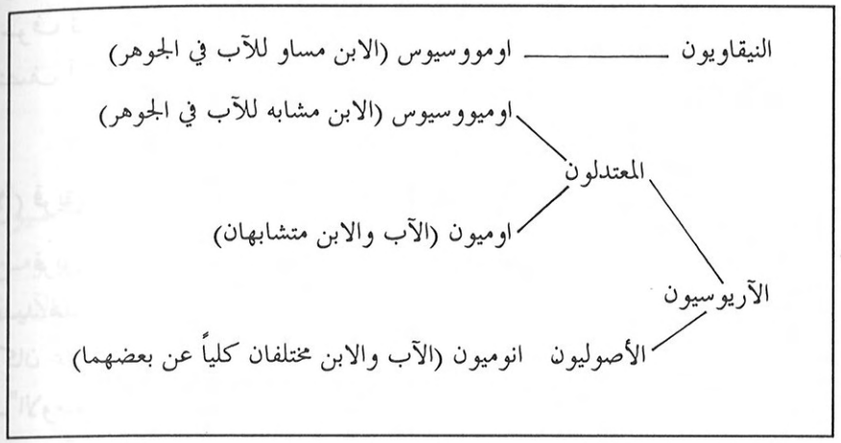

ز) اوسابيوس النيقوميدي

إنه واحد من أهم الشخصيات، التي لعبت دورها على الساحة اللاهوتية في تلك الفترة، والتي كان لها الأثر البليغ في تغيير مسار الأحداث: اوسابيوس أسقف نيقوميديا، زميل آريوس في الدراسة وصديقه الحميم. وغالباً ما يحدث التباس للقارئ بين أسقف نيقوميديا وأسقف قيصرية بسبب الاسم، ولأن الاثنين كانا من تلاميذ لوكيانوس الأنطاكي، وزميلي آريوس في الدراسة، وساعداه بعد طرده أسقفه الكسندروس من الإسكندرية، وظلا صديقيه حتى وفاته.

أصبح اوسابيوس أولاً أسقف بيروت، ثم ما لبث أن انتقل إلى كرسي نيقوميديا قبل عام ٣١٨ بقليل -وبهذه الصفة عُرف-، علماً أنه سوف يعتلي أيضاً كرسي القسطنطينية في أواخر حياته (٣٣٨-٣٤١).

اعتبر اوسابيوس، منذ بداية النزاع الآريوسي، أن زميله آريوس ضحية أسقفه، فوجّه كمية من الرسائل إلى أساقفة آسيا الصغرى والشرق، ليقنعهم أن آريوس مظلوم، وأن عليهم أن يكتبوا لإسقفه في الإسكندرية، كي يلغي الحكم على

آريوس[٥٢٧]. شارك اوسابيوس في مجمع نيقيا (٣٢٥)، ووقع دستور الإيمان النيقياوي متصنعاً، ولكنه تراجع عن توقيعه، مما أدى إلى نفيه إلى بلاد الغال بعد ثلاثة أشهر. ساعدته صداقته مع كونستانسيا، على إعادته إلى كرسيه، وفتح صفحة صداقة جديدة مع الملك قسطنطين أولاً، ثم مع كونستانس فيما بعد. هذه المكانة جعلت منه خصماً قوياً في النزاع الآريوسي، مما جعل محازبيه يلقبونه "بالكبير".

ترأس اوسابيوس النيقوميدي، بعد عودته من المنفى (٣٢٨)، الفريق الآريوسي، الذي دُعي باسمه، الفريق الاوسابي. فدافع عن أفكار الآريوسية المتطرفة، ثم ما لبث أن عدّل أفكاره، رافضاً مجمع نيقيا، ومحارباً قانون إيمانه وكل الأساقفة الموالين له: حمل على افستاثيوس الأنطاكي، ونال خلعه سنة ٣٣٠. ثم خلع اثناسيوس في مجمع صور عام ٣٣٥، ومركلوس الأنقيري عام ٣٣٦. وهو الذي عمّد أول إمبراطور مسيحي، أي قسطنطين سنة ٣٣٧. كان اوسابيوس سياسياً كنسياً أكثر منه لاهوتياً؛ وكان يحب الأمور الزمنية ويهتم بها، وطموحاً مستعداً لأي مؤامرة أو مكيدة لنيل مآربه[٥٢٨].

ح) اوسابيوس القيصري

وُلد اوسابيوس في قيصرية نحو سنة ٢٦٣، وتعلّم فيها، بعد أن أصبحت مركزاً ثقافياً مهماً، على يد اوريجانوس[٥٢٩]. وتربى على يد وكيل مكتبتها الشهيرة الكاهن بانفيليوس، وهو يعتبر ذاته ابنه الروحي. ولقد ترك لنا اوسابيوس سيرة حياته، كتبها بعد استشهاده في السادس من شباط عام ٣١٠. نجا اوسابيوس من

٥٢٧ ترك لنا ثيودوريتوس أسقف قورش المؤرخ، رسالة اوسابيوس النيقوميدي إلى بولينوس أسقف صور؛ وفيها يدعو بولينوس إلى إظهار وجهه الحقيقي، والتكلم وعدم الصمت. SC 68, 180-183

٥٢٨ لم يترك لنا أي مؤلف لاهوتي؛ نجد بعض أفكاره في رسائله: إلى بولينوس أسقف صور، وإلى آريوس قبل المجمع النيقاوي، وإلى اثناسيوس، وهي توسل ظاهر وتهديد مبطن، ورسالة إلى أساقفة مجمع نيقيا لإعادته من منفاه. Q., II. 192-195

٥٢٩ كان اوسابيوس يحب اوريجانوس ومعلمه بانفيليوس، ولهذا سمى نفسه بالبمفيلي، معتبراً ذاته ابن بانفيليوس الروحي. وكتب عن معلمه كتاباً، عندما استشهد في السنة السابعة لاضطهاد ديوكليسيانوس، في السادس من شهر شباط عام ٣١٠.

www.old-criticism.blogspot.com

الموت المحتم، أيام اضطهاد ديوكليسيانوس، فهرب إلى صور، ثم إلى صحراء مصر، إلى طيبة، حيث اكتُشف وأُوقف وسُجن.

انتُخب اوسابيوس نحو عام ٣١٣، أسقفاً على قيصرية. وما لبث أن تورط في النزاع الآريوسي، عندما تدخل لتقريب وجهات النظر بين الفريقين، فكان فيه أحد الأبطال الرئيسيين، معتبراً أن حلّها يتم بتنازلات متبادلة، دون أن يدرك أهمية العقيدة المتنازع عليها. كتب العديد من الرسائل لصالح زميله آريوس. أدانه مجمع أنطاكية عام ٣٢٥، لأنه رفض توقيع صيغة ضد التعليم الآريوسي، فحُرم. كان من حزب الوسط في نيقيا: أي اعترف بألوهية المسيح بعبارات محض كتابية، ورفض عقيدة "الاوموووسيوس" المتهمة بالصابيلية لصالح "الاوميووسية". وقّع قانون إيمان نيقيا متصنعاً، ونزولاً عند رغبة الإمبراطور. انضم فيما بعد إلى حزب اوسابيوس النيقوميدي. كانت له أهمية كبيرة في تاريخ هذا النزاع: في مجمع أنطاكية عام ٣٣٠، وخاصة في مجمع صور عام ٣٣٥، الذي أعلن فيه صحة إيمان آريوس حيث كانت له اليد الطولى والأثر العظيم. وكان له دور أهم بعد المجمع: تأثر جداً بقسطنطين، وأثرّ عليه في أحكامه ضد الأساقفة الأرثوذكسيين، لأنه كان مستشاره اللاهوتي الأساسي. توفي عام ٣٣٩ أو ٣٤٠.

يُعتبر اوسابيوس أول مؤرخ كنسي وموثّق. لعب دوراً هاماً في أحداث المجمع المسكوني الأول: قبل المجمع وخلاله وبعده. وترك لنا مؤلفات هامة جداً نذكر منها: "تاريخ الكنيسة" منذ تأسيسها حتى خسارة ليكينيوس عام ٣٢٤، وكتاب "شهداء فلسطين"، وكتاب "مجموعة أخبار تاريخية"، و"حياة قسطنطين"، وكتب أخرى دفاعية، وسواها في شرح الكتاب المقدس، ومؤلفات عقائدية، ورسائل وعظات مختلفة هامة.[٥٣٠]

كان اوسابيوس من تلاميذ بانفيليوس الشهيد، ولوكيانوس الأنطاكي، وزميل آريوس. وفي ثقافته ولاهوته صبغة من الآباء المدافعين ودونية اوريجانوس من جهة، ومن فيلون وافلوطين وفلاسفة الأفلاطونية الوسيطة من جهة أخرى. وكان له تأثير واضح على آريوس والآريوسية: ألم يكن هو الذي احتضن آريوس منذ أول

٥٣٠. Q., II. 312-348.

الطريق، ودعمه ضد أسقفه الكسندروس، فاستضافه عندما طرده هذا الأخير من أبرشيته؟ ألم يساعد آريوس على توضيح لاهوته، حول المسيح والروح القدس، وعلاقة اللوغوس بالله الآب، وتجسد الابن، معتمداً على التقليد الاوريجاني (خاصة فكرة الدونية لديه)، معتبراً إياه تقليداً كنسياً...؟ ألم يدافع هو نفسه عن عقيدة آريوس، أولاً في مجمع نيقوميديا، ثم في مجمع نيقيا، فرفض توقيع قانون الإيمان الصادر عنه في بادئ الأمر، ثم ما لبث أن اضطر أن يوقّع شكلياً، لإرضاء الإمبراطور والحفاظ على مكانته ومكانه؟ ألم يتابع نشر عقيدته المعارضة لعقيدة مجمع نيقيا، والإسهام في خلع العديد من الأساقفة الأرثوذكسيين المعارضين إيمان آريوس؟

كل ذلك يفرض علينا، أن نعتبره من الأشخاص الذين تأثر آريوس- والآريوسية أيضاً فيما بعد آريوس- بهم، وشعر بدعمهم اللاهوتي والمعنوي، مما شجعه على متابعة التمسك بعقيدته حول اللوغوس، وتطويرها والنضال عنها، حتى آخر رمق من حياته. هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه في الفترة التي ما بعد نيقيا، وانتشار أفكاره اللاهوتية، خصوصاً عن التجسد. لذا علينا أن نُفصّل اللاهوت الذي كان ينشره الأسقف اوسابيوس، لنكتشف الأجواء السائدة آنذاك، وتأثير أسقف قيصرية المباشر، على تعاليم زميله آريوس، وعلى بقية أفراد الحزب الاوسابي.

يذكر اوسابيوس، في أحد أعماله الأولى[٥٣١]، أن الكتاب المقدس، اعتاد أن يُسمي لوغوس الله "رب وإله، بعد الآب الأسمى وإله كل شيء". ونجد في استعماله فعل التفضيل هذا "الأسمى"، فكرة تعالي الله الآب عن سواه، أي عن الابن وعن الروح القدس. ويقرّ اوسابيوس طبعاً، بالآب والابن والروح القدس، كما يبدو ذلك واضحاً في قانون الإيمان المستعمل في قيصرية، والذي عرضه في المجمع النيقاوي: "نؤمن أن كل واحد منهم كائن، وكائن بشكل مستقل؛ الآب حقاً آب، والابن حقاً ابن، والروح القدس حقاً روح قدس". إنما نراه يُشدد في كتاباته كلها، على وحدانية الله الآب، ولا يريد أن يجازف بهذه الوحدانية، لذا

٥٣١ في الكنيسة الأولى، PG 22. 1029 b .

www.old-criticism.blogspot.com

يسمي الآب "الله"، ويضعه بالطبع فوق الابن، ويعتبره الإله الأوحد، لأنه لم يتخذ كيانه من آخر، بينما الابن يأتي في المركز الثاني، لأنه اتخذ ألوهيته من الآب، ويُشبّه الآب والابن والروح القدس بأبواب الكنيسة الثلاثة: الوسط يُمثّل الآب، وهو أكبر من البابين الجانبيين[٥٣٢]. لا يرفض اوسابيوس أن يكون للابن أقنوم خاص به، إلهي، كائن بحد ذاته، إنما يقول إن هذا الأقنوم هو "مشابه لله بالطبيعة". فالله الآب هو أقنوم أسمى، هو "الله الأول"، الواحد، الحكمة غير المولودة ولا أصل لها، هو وحده "الكائن" حقاً، وحده القوي والخير، إنه خير بحد ذاته، بطبيعته، وهو يتعالى فوق الكون وأبعد، وفوق كل كائن، لذا فالابن يصبح لديه "الثاني"، "الإله الثاني"، الجوهر الثاني، العلة الثانية، الرب الثاني، النور الثاني... للآب الأولية المطلقة في كل شيء، أما الابن فيحتل المنزلة الثانية في ملكه، وفي حكم العالم. تعبر هذه الدونية الاوريجانية في لاهوت اوسابيوس، عن تراتبية الله، فيجعل الابن عبد الله وخادم الآب، في خدمة البشر. وهذا ما تمسك به آريوس.

نجد لدى اوسابيوس أيضاً -كما لدى آريوس- تأثراً واضحاً بالأفلاطونية الوسيطة، عندما يُقلّص دور الابن، ويعتبره فاطراً، أو مجرد وسيط بين الله غير المخلوق، وبين جواهر الكائنات المخلوقة. ويبدو هذا اللوغوس كمنفذ مخططات الآب، هو المساعد والخادم، هو الفاعل وليس المؤلف. ويشبهه اوسابيوس بقبطان سفينة الكون، الذي يدير دفتها، لكن حسب إشارات الآب. أخذ اوسابيوس دور اللوغوس، من دور النفس الكونية لدى الأفلاطونية. ويشرح هذا الدور، بالنسبة إلى العالم المخلوق وعلاقته به، فيقول: "لقد هيمن خمول الشر، المتنامي بكثافة، على الجميع. وهكذا كانت غالبية البشر، وكأنها في حالة سُكر هائلة، مسمّرة بين الظلمة والظل، عندما ظهرت الحكمة، الابن البكر، باكورة أعمال الله، الكلمة ذاته السابق وجوده كل شيء، في قفزة حب للبشر لا حدود له، لِيُنقذ تلك الكائنات الصغيرة: بدا أحياناً مستخدماً الظهورات الملائكية، وأحياناً ظهر شخصياً كقوة الآب المخلصة لهذا أو ذاك من البشر، أصدقاء الله، وأخيراً تحت صورة بشرية، لأن أي صورة أخرى لم تكن لتفي بالغرض أو لتحقق تماماً الهدف المبتغى"[٥٣٣]. هذا هو

٥٣٢ أعطى اوسابيوس هذا التشبيه لدى تدشين كنيسة صور. راجع Grillmeier, I. 392

٥٣٣ Grillmeier, I. 387-395.

الابن المولود من الآب والمشابه له، يسكن في الجسد، لكنه يبقى أسمى من الطبيعة البشرية العادية، لذا فهو ليس مجرد إنسان، بل كائن أسمى، حصيلة مركّب من الله-الإنسان. واللوغوس إله، يقوم في جسده، بأعمال روحية تُكسبه رضى الله، هو محرك الجسد ومتمم أعمال الخلاص؛ هو المنفذ الرئيسي؛ وبما أنه إله، فهو لا يتحول، وهو بدون خطيئة. ويميّز اوسابيوس في المسيح، بين اللوغوس الأسمى وبين الجسد الأدنى؛ بين أعمال الخلاص التي هي أعمال اللوغوس وحده، وبين المشاركة المستسلمة والمطاوعة فيها؛ بين الابن وبين الجسد الذي اتخذ؛ فالعنصر الإلهي في المسيح هو كالرأس، بينما يبدو العنصر البشري لديه كالقدمين.

اعتبر اوسابيوس الروح القدس في درجة أدنى من الابن أيضاً. هو باكورة خلائق الابن. ووضعه في نفس المكانة التي أعطاها آريوس للوغوس بالنسبة إلى الآب. وهنا نجد تأثر اوسابيوس باوريجانوس وفيلون اليهودي والأفلاطونية الوسطى، بقبوله مبدأ الحقيقة الواحدة ضمن درجتين في الألوهية، لذا فهو يُعتبر من مدرسة الدونية الثنائية، لأنه يزيل عن الروح ألوهيته. على كل حال، لا يتمادى اوسابيوس في الحديث عن الروح، إنما كان همه الشاغل اللوغوس ومكانته وعلاقته مع الله وتجسده، ككل الذين اهتموا باللاهوت آنذاك.

كان التجسد بالنسبة إلى اوسابيوس ضرورياً، وهو المثل الأسمى لآخر صورة يتخذها اللوغوس في ظهوراته، من أجل انسجامه مع البشر ذوي الجسد، أي أن يتجسد ليتعامل مع الجسديين، فيقول بهذا الخصوص في كتاب "الظهور"، ما يلي: "من الواضح أن ثمة أسباب متعددة لظهور الفادي بين البشر؛ ومن الضروري الآن أن نقول باختصار، لأي أسباب استخدم جسداً إنسانياً، للدخول في علاقة مع البشر. إذ كيف كان بإمكان الجوهر الإلهي، الخفي، الذي لا يُرى، ولا يُلمس، العقل الروحي واللاجسدي، لوغوس الله، أن يظهر للناس الجسديين، الذين لا يفتشون، وهم غارقون في أعماق الشر، عن الله، إلا في تكاثرهم على الأرض؟ وكيف كان باستطاعتهم، بغير هذه الطريقة، أن يروا خالق الدنيا؟ وكيف كان على الجوهر الإلهي، أن يظهر بغير المركب البشري وبصورة معروفة لدينا، كما بواسطة مترجم أو مفسر؟ وبأي طريقة أخرى، كان يمكن للعيون الجسدية أن ترى طبيعة الله اللاجسدية؟ وكيف كان يمكن للطبيعة الفانية، أن تكتشف المختفي،

www.old-criticism.blogspot.com

والذي لا يُرى، ذلك الذي لم تستطع أن تعرفه من خلال أعماله الكثيرة؟ لهذا كان هو بحاجة لأداة فانية، ولو لوسيلة مناسبة لتتحاور مع البشر، لأن هذا محبب لديهم؛ إذ يُقال إن الجميع يحبون ما يشبههم"[٥٣٤]. وهكذا أصبح بإمكان اللوغوس، في صورته المرئية، أن يصبح سيد المعرفة الإلهية، وغالب الموت والشيطان؛ وتتخذ سيادة اللوغوس، بهذا التجسد، بداية جديدة، لأنه به يستطيع اللوغوس أن يقود الجنس البشري بشكل مباشر؛ فالمسيح المتجسد هو أداة، ومفسر، وصورة اللوغوس الذي يسكن فيه. وما الجسد إلا اللباس، والهيكل، وسكنى اللوغوس.

نجد إذاً لدى اوسابيوس أسقف قيصرية، أول أثر لخريستولوجيا "لوغوس-ساركس" أي كلمة-جسد، بمعنى اختفاء نفس المسيح الإنسانية: فجسد يسوع تأله باللوغوس، وأنار هذا اللوغوس الجسد: "ليس هناك أي شيء يمنعنا من القول، إن الطين (الجسد) أيضاً استنار ببريق النور (اللوغوس)؛ وهذا النور لا يحجبه الطين... إن لوغوس الله الذي بدون هيولى ودون جسد، هو نفسه الحياة والنور العقلي: كل ما يمسه بقدرته الإلهية اللاجسدية، يحيا ويكون في النور العقلي؛ كذلك الجسد الذي يلمسه يتقدس ويستنير، ويتطهر من كل مرض وألم وعذاب؛ ويتلقى منه كل ما هو ناقص الغنى. لهذا فقد قضى حياته ليظهر، أحياناً صورته (الجسد) متألماً بصورة مشابهة لنا، وأحياناً أخرى، ليظهر الله اللوغوس في أعمال قوة وعجائبية، مثل الله تماماً"[٥٣٥].

ونرى في هذا النص وسواه، ميل اوسابيوس إلى خلق خريستولوجيا "ممجِّدة". فهو يُبرز أولاً، الوظائف الخاصة باللوغوس الإلهي، أي أن المسيح حكمة متجسدة، ولهذا يجده "فيلسوفاً" و"أول الفلاسفة"، "مقدساً" و"حكيماً"... وبفضل قداسته وحكمته وتقواه، هو معلم كل الأتقياء والأبرار، وهو المثال لكل فضيلة؛ وقد تمت مصالحته مع الله بذبيحة جسده، الذي اتخذه المسيح كحمل منا، نحن قطيعه، ليقربه للآب باكورة الجنس البشري؛ لذا مات جسد المسيح من أجل خطايانا. ومهمة هذا الابن المتجسد، أن يوحي" حقيقة الله للبشر، وأن يقودهم إلى معرفته، و"يؤدب" أخلاقهم، و"ينظم" الكون...

٥٣٤ Grillmeier., I. 403; Théophaneia Syriaca 3. 39.
٥٣٥ Grillmeier., I. 404; Théoph. Syr. 3. 39.

وهنا يميّز أسقف قيصرية جيداً بين الولادة البشرية والولادة الإلهية: إن الإلهي لا ينقسم إطلاقاً ولا يتجزأ، ولا يُقطع ولا ينفصل ولا يتقلص، لذا فليس صحيحاً أن نقول، إن الابن ينبثق من الآب على مثال ما يحصل عند الكائنات الحية، عندما تتوالد، طبيعة من طبيعة، بألم وانفصال مطلق[٥٣٦]. فإذا تجاسر المرء وراح أبعد من ذلك، فقارن بأمثلة حسية ومرئية، ما هو فوق التصور، ربما استطاع أن يقول بأن الابن انبثق من الطبيعة اللامولودة، ومن جوهر الآب اللاموصوف، مثل عطر فاح أو شعاع نور انبثق[٥٣٧]. هذه الولادة، ولادة الابن لا تُدرَك بالعقل البشري ولا يمكن حتى للكائنات الروحية العليا أن تفهمها. واعتبر اوسابيوس "الاوموسيوس" النيقاوي، بمعنى استحالة قبول الابن، بمثابة أقنوم ثان إلى جانب الآب، واستحالة ولادة ابن الله. وهو يبرر قبوله عبارة "مولود من جوهر الآب"، التي استعملها المجمع، في رسالة إلى أبناء أبرشيته، قائلاً: قد وقعّت لأني أعرف أن آباء المجمع، يرفضون أي "انقسام" في الله، وبالتالي لم يجعلوا الابن، في هذه العبارة، "جزءاً" من الله الآب. ولكن بما أنه كان رافضاً عبارة "مساوٍ للآب في الجوهر"، على أساس مفهومها المادي، نراه يعود فيتخذ موقفاً أكثر إيجابية، كما فعل زميله اوسابيوس النيقوميدي، ملاحظاً محدودية هذه الاستعارات التي استعملها. ولهذا السبب بالذات، فهو يفضل استعمال عبارة "من الآب"، ولا يقبل القول، إن الابن "مخلوق"[٥٣٨]. وهو يرفض "الاوموسيوس" سواء قبل أو بعد نيقيا، لأنه يعتبر أن الابن ليس من "ذات جوهر" الآب، على الرغم من أنه "مولود". لكنه يُقرّ في الوقت ذاته، أن الابن يملك الألوهية، إنما بصورة أدنى من الآب، وليس عن حق خاص، وهي ليست فيه من دون أصل، ومن دون ولادة، وليست له من دون الآب وحده. فهي تأتيه بالمشاركة بطبيعة الآب، الذي يرشه بها كما من نبع ويملأه. ويختصر اوسابيوس شرحه موضحاً: "هناك إله واحد، أبو الابن الوحيد الكامل

٥٣٦ Dem. Ev. 5/1/9-10.
٥٣٧ Id. 5/1/18.
٥٣٨ لأن فعل "خلق" باللغة اليونانية، يستعمل لتأسيس مدينة، وليس لعمل الله الآب. ويشرح اوسابيوس الفرق بين الافعال اليونانية التالية: φυειν أي عَمِلَ، وبالتالي، وَلَدَ؛ وفعل προβαλλειν أي أظهر، أو عرض، أو وضع أمام؛ وفعل αποτικτειν أي أعطى ولداً؛ وفعل γενυαν أي أعطى نسلاً، أو وَلَدَ؛ وفعل κτιζειν أي أسس، أو خلق، أو بنى.

www.old-criticism.blogspot.com

الواحد، وليس أباً لعدة آلهة أو أبناء، كما يمكن التأكيد على جوهر واحد، من النور الذي يلد الشعاع الكامل"[٥٣٩].

فإذا ما أردنا أن نقابل تعاليم اوسابيوس في موضوع اللوغوس والولادة، وعلاقتها بآريوس والمجمع النيقاوي، نقول:

أولاً: يقبل اوسابيوس مع نيقيا بولادة الابن، ولكن دون أن تكون "ولادة من جوهر"، لأنه يرى في ذلك انقساماً في الجوهر الإلهي. علماً أنه ينسب إلى الابن أقنوماً خاصاً، كما يقول كل من اوريجانوس ومركلوس الانقيري خاصة. لكنه، ولكي يحافظ على أقنوم الابن، اعتقد أن عليه أن يرفض "الاوموسيوس". وليتخطى كل هذه الصعوبات يقول: "الابن مولود من الآب"، دون إضافة كلمة "جوهر".

ثانياً: يختلف مع نيقيا، عندما يرفض "الولادة الأزلية"، فكما قلّص الألوهية في الابن، كذلك أنقص من "الأسبقية الزمنية" بالنسبة إلى ولادة الابن، فهي ليست أزلية، لأن الولادة ليست عملاً دون بدء، لكنها عمل فريد لا يتكرر.

ثالثاً: يقول اوريجانوس إن هذه الولادة، هي عمل داخلي إلهي أزلي ضروري للطبيعة الإلهية، لكن اوسابيوس يرفض هذه الضرورة، معتبراً أن الولادة هي عمل حر بجميع نواحيه، يقوم به الآب بملء حريته؛ وبالتالي، فوجود الأقنوم الثاني، يتوقف على قرار الأقنوم الأول. وهذا ما ينمّي الدونية عند اوسابيوس. ومن هذه الناحية، يبقى لاوسابيوس خطوة واحدة، ليكون آريوسياً.

رابعاً: يرفض اوسابيوس أن يكون الابن مولوداً من العدم، وهذا ما يميزه عن آريوس. كما أنه يرى أن الوحدانية في الله عند الآريوسيين، غير مشابهة لتلك التي لنيقيا، فيقول: "إن أولئك الذين يقبلون بأقنومين، الأول غير مخلوق والثاني مخلوق من العدم، يقولون، بالطبع، بإله واحد. لكن الابن ليس الابن الوحيد، بالنسبة إليهم، ولا هو الرب، ولا إله، لأنه لا يشترك بأي شكل في ألوهية الآب، لكنه

٥٣٩. Dem. Ev. 4/3/1-2.

مختلط بالأحرى مع بقية المخلوقات، الكائنة من العدم، لأنها مخلوقة من العدم. وهذا مناقض لتعليم الكنيسة"[٥٤٠].

خامساً: يختلف اوسابيوس عن الصابيلية وعن مركلوس الانقيري، باعترافه بأقنوم الابن المولود من الآب، والمُعطى منه، لكن تصوره أقنوم الابن أدنى من الآب وأقل منه، هو، في الجوهر، تخلّ عن الوحدانية الحقيقية. ولم يكن بين آريوس ونيقيا أي إمكانية لحل وسط، واوسابيوس لا يقر بذلك أبداً.

سادساً: يتفق اوسابيوس مع نيقيا، لأنه لم يرَ في قرار المجمع انتقاصاً للتوحيد، عندما أقرّ بأن الابن مولود من جوهر الآب (أي ليس مخلوقاً)، لكنه يختلف ونيقيا بخصوص "الاوموسيوس"، التي يرى فيها انقساماً في جوهر الآب ذاته، ورفضه تسمية الابن "إله حق من إله حق"، سائراً على خطى اوريجانوس، وقبوله انتقاصاً في أزلية الابن، وأن الولادة تتوقف على حرية الآب... من هنا يكون اوسابيوس القيصري، بعيداً جداً عن القانون الذي أقرّه المجمع النيقاوي.

بالاختصار، يرى اوسابيوس المسيح على الشكل الآتي:

١) هو الابن المولود من الآب (اللوغوس-الابن) والمشابه له، الذي سكن في جسد أخذه من العذراء مكان النفس البشرية.

٢) لهذا فهو ليس مجرد إنسان، بل كائناً أسمى من الطبيعة البشرية العادية، إنه خلاصة مركب إلهي-بشري، هو اللوغوس-إله.

٣) يقوم هذا اللوغوس، بواسطة الجسد، بأعمال روحية، ينال بسببها رضى الله. وهذا اللوغوس هو الذي يحرك الجسد ويتمم بواسطته أعمال الخلاص؛ وبما أنه إله فهو غير متحول، وبدون خطيئة.

٤) ينسب اوسابيوس إلى اللوغوس مبادرة شخصية خاصة كاملة الحرية، لكنه لا ينسب إليه طاعة إنسانية فقط. وأعمال الخلاص التي يقوم بها المسيح، هي أعمال اللوغوس وحده، أما الجسد فيشارك حيادياً فيها.

٥٤٠. Ecc.Th. 1,10.

www.old-criticism.blogspot.com

٥) يرفض تقييم الجسد في المسيح كخاضع، خشية اتهامه كما اتهم بولس السميساطي، أن المسيح هو مجرد إنسان. لذلك نراه يتكلم عن سكنى اللوغوس في الجسد. فهو الذي يحركه، ويبقى أسمى منه. وهنا يظهر التميز واضحاً بين العنصر الإلهي في المسيح والعنصر البشري: فالأول هو كالرأس والثاني كالقدمين.[٥٤١]

ط) ايتيوس

بعد أن أخرج الآريوسيون افستاثيوس من أنطاكية، أضحت هذه المدينة مركزاً آريوسياً. وكان ايتيوس من بين المدافعين عن هذه الهرطقة فيها، وهو من مواليد سوريا الجوفاء. درس في الإسكندرية الطب وفلسفة ارسطو، وبرع في الجدل واللاهوت، ودخل في علاقات مع الاوسابيين. سامه الأسقف الأنطاكي الآريوسي لاونديوس (٣٤٤-٣٥٨)، شماساً سنة ٣٥٠ في أنطاكية، حيث مارس التعليم. وسيم أسقفاً عام ٣٦٢. أربك الاوسابيين بجدله وتعاليمه، فقاموا ضده. أسس فريق الأنومية، وهو التيار الآريوسي الجديد، لأنه كان آريوسياً متطرفاً. حاول وضع تعاليم اللاهوت على أساس القياس، ورفض مبدأي "الاوموسيوس" و"الاميووسيوس"، أي أن الابن غير مساوٍ للآب في الجوهر، وغير مشابه له، إذ ليس هناك أي ارتباط بينهما؛ فالآب وحدَه الإله، والابن مختلف عنه تماماً[٥٤٢]. أدانه مجمع انقيرة عام ٣٥٨، وأنزله عن كرسيه، ونفاه إلى بابوزا. عاد إلى الإسكندرية، ثم انتقل إلى القسطنطينية حيث وافته المنيّة سنة ٣٧٠[٥٤٣].

ي) افنوميوس

تتلمذ افنوميوس على يد ايتيوس[٥٤٤]، وتعلّم منه فن الجدل والفلسفة والسفسطة. ورب تلميذ فاق معلمه! في الواقع، تخطى آراء معلمه، ودعا هو أيضاً

٥٤١ Grillmeier, I, 387-412.

٥٤٢ لم يبقَ لنا من أعماله سوى بعض الرسائل، ومقالة واحدة Syntagmation أي المُؤَلَّف، وفيها يدافع، في ٤٧ نظرية، عن "الأنومية" ضد أخصامه، ويُظهر الفارق الجوهري بين الآب غير المولود والابن المولود. Q., II. 309.

٥٤٣ Q., II. 309.

٥٤٤ يقول عنه سقراط في "تاريخ الكنيسة" (٢/٣٥) ما يلي: "لم يكن لدى افنوميوس معلم أكاديمي، وهو إنسان ذا معارف سطحية، وغير مطّلع على تيارات الكتب المقدسة، ولكنه خبير في الأحصنة".

إلى آريوسية متجددة راديكالية، رفض فيها مشابهة الابن بالآب. سامه افذوكسيوس الأنطاكي[٥٤٥] شماساً. وعندما انتقل افذوكسيوس إلى كرسي القسطنطينية، عيّنه أسقفاً على مدينة كيزيكو عام ٣٦٠، ضارباً عرض الحائط، قرار مجمع انقيرة، الذي أدانه، عام ٣٥٨، مع معلمه، بسبب معتقداتهما، والحكم عليه بالسجن بعد عزله، وبالنفي لمعلمه. وهناك، في كيزيكو، أعلن افنوميوس بكل وضوح وصراحة معتقداته الآريوسية الصحيحة. أدهش، في البداية، مؤمني أبرشيته بفن جدليته؛ ولكن ما لبث الشعب أن انزعج من عجرفته، ولم يعد يستطع احتمال ثرثرته، فأصدر حكماً بحقه وأبسله كمبتدع، وطرده من كيزيكو. فالتجأ إلى القسطنطينية عند افذوكسيوس، فعاش هناك، واعتبر أسقفاً من دون كرسي.

بعد موت ايتيوس، أصبح افنوميوس مفسر الأنومية الرسمي، ولُقب أتباعه باسمه "افنوميين". وفي ذلك الوقت، انسحب ليعيش في بيت له في خلقيدونيا. وقد اشترك عام ٣٨٣ بمجمع القسطنطينية. وبعد ذلك بقليل، نفاه الإمبراطور ثيودوسيوس إلى الميري في ميسيا*، فبقي فيها حتى عام ٣٩٤. ثم انتقل إلى قيصرية الكبادوك وجوارها، خاصة في داكورا*، حيث توفي في السنة ذاتها.

كتب كثيرون ضد آراء افنوميوس الآريوسية، أمثال ديديموس الأعمى وباسيليوس الكبير، وغريغوريوس النصصي وصفرونيوس وابولينياريوس أسقف اللاذقية، وثيودوروس المبسويسطي وغيرهم. وكان يرد عليهم مما زاد في مؤلفاته. ولكن لم يبقَ لنا الكثير من هذه الأعمال التفنيدية، لأن الإمبراطور اركاديوس، أصدر عدة مناشير، أولها عام ٣٩٨، أي بعد وفاة افنوميوس بأربع سنوات، يأمر

٥٤٥ كان افذوكسيوس أسقف أنطاكية، ثم انتقل إلى كرسي القسطنطينية (٣٦٠-٣٧٠) وهو من الجيل الآريوسي الثاني الذي تابع نهج الأول، متخذاً صيغة لوغوس-ساركس كمبدأ؛ فنراه يركز في اعتراف إيمانه، على أن الابن صار لحماً، وليس إنساناً، ولم يتخذ نفساً. بمعنى أنه يجد في المسيح طبيعة واحدة مركبة، ولا يجد طبيعتين: "نؤمن... وبرب واحد، الابن،... الذي صار لحماً وليس إنساناً. فإنه لم يتخذ نفساً بشرية، بل صار جسداً بصورة ما، بحيث إنه من خلال الجسد كما من خلال ستارة، أوحى الله ذاته إلينا نحن البشر؛ لم يكن ذا طبيعتين، لأنه ليس إنساناً كاملاً، بل إله في الجسد مكان النفس؛ ويكون الكل واحداً ذا طبيعة مركبة". Grillmeier., I. 486-487

* الميري في ميسيا Almiri en Mysie

* داكورا Dacora

www.old-criticism.blogspot.com

فيها بحرق كتاباته، معتبراً كل من يمتلكها، متهماً بالخيانة العظمى، مما أدى إلى ضياعها وفقدها، ولم يبقَ لنا منها ومن كتابات الآباء الكبادوكيين، سوى اليسير.

بالرغم من ذلك، يمكننا أن نستخلص أهم أفكاره، مما تبقى لنا من مؤلفاته الدفاعية، ومن اعتراف إيمانه، الذي كان قد أرسله سنة ٣٨٣، إلى الإمبراطور ثيودوسيوس[٥٤٦]. يعترف افنوميوس بإله واحد الله، غير مولود، وواجب الوجود، دون بدء، وهو جوهر واحد غير منفصل؛ وهذا الجوهر مختلف عن جوهر الابن المولود؛ لأن المساواة في الجوهر بين الاثنين، تعني أن جوهر الله هو غير مولود ومولود في الوقت عينه، وهذا تناقض فاضح. والله غير قادر على إعطاء جوهره، أو ولادة شيء مساوٍ له في الجوهر. الابن غير مشابه للآب. الفرق بين الابن وبقية المخلوقات، أنه خُلق مباشرة من الآب نفسه، ليكون آلته في خلق العالم. هو دون نفس بشرية، ولأنه مولود الآب والابن الوحيد، فإن له كرامة إلهية فقط؛ لأن الألوهية غير منقسمة، وبالتالي، لا تُعطى. إنما القدرة الإلهية قابلة العطاء؛ وهي مبدأ الأبوة في الله وليس الجوهر، أي أن الابن مشترك بالقدرة وليس بالجوهر، وهذا ما يعطيه الكرامة الإلهية. وبهذه القدرة التي نالها الابن خلق العالم. والروح القدس هو خليقة الابن، وهو أسمى المخلوقات وأنبلها، لأنه أول خليقة الابن.

أما البدعة التي دُعيت باسمه "الافنومية"، فقد أسسها ايتيوس. وهو أوفر المغامرين اللاهوتيين إنتاجاً. على أن افنوميوس المشهور بجرأته، وقدرته على العمل المتواصل، كان زعيم الشيعة، لدى انعقاد مجمع القسطنطينية عام ٣٦٠، فنُسبت البدعة الجديدة إليه. كان افنوميوس مع ايتيوس، قد انفصلا علناً عن افذوكسيوس، ووصماه بأنه متلون مخادع، انتهازي، واعتزلا في خلقيدونيا. وكان افنوميوس كثير التقلب والتحول، منذ أن بدأ خدمته ككاتم أسرار للمؤسس ايتيوس، فغيّر الكثير من آراء معلمه.

٥٤٦ ألّف مثلاً كتاباً سماه "الدفاع"، نسق فيه التعاليم الآريوسية، بتفكير أكثر منطقية من آريوس، وفلسفة أعمق من فلسفتي آريوس وايتيوس، ولم تكن الشهادات الكتابية لتنقص فيه؛ دحضه باسيليوس الكبير، فرد عليه افنوميوس بكتاب آخر عنوّنه "الدفاع عن الدفاع"؛ وقد فنده، بدوره، غريغوريوس أسقف نيصص. Cf. Q., II. 311-312.

كان أتباع افنوميوس يقولون: "لم يكن الابن كالآب في الجوهر، فإننا لو قلنا عنه، بكل بساطة، إنه "شبيه بالآب"، لجعلنا حقيقة كونه مخلوقاً أمراً غامضاً، لأن المخلوق لا يشبه الخالق". كانوا يعتبرون عبارة "شبيه في الجوهر"، أفضل، نوعاً ما من العبارة الأرثوذكسية "مساوٍ في الجوهر" أو من عبارة "من ذات الجوهر". فكلمة "اوميون" التي تعني "شبيه"، والتي استعملها بعض الآريوسيين ليست سوى تحفّظ غير شريف. فالحقيقة العارية، ولو أزعجت الأوهام التقوية، يجب أن تصاغ في عبارات تنفي كل معنى غير مقصود. فيمكن للابن أن يُدعى الله، ولكن بالاسم لا غير، ليبقى بينه وبين الله، الرأس غير المخلوق، هوة لا يمكن اجتيازها.

لقد أهمل كل من ايتيوس وافنوميوس، الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة وتقليدها، وعملا لاهوتاً جدلياً منطقياً وعقلانياً، وفرضا على كل من يرغب أن يتبعهم، أن يتعمد من جديد؛ ودعي التيار الذي كوّناه بالآريوسية الراديكالية أو الحديثة؛ كما دعي أحياناً بالمدرسة "غير المشابهة في الجوهر".

٤) الحملات الأخيرة على نيقيا: شرارات الآريوسية الأخيرة (٣٥٠-٣٦١)

تعددت المجامع في الغرب، إثر كل هذه القلاقل والهرطقات، التي ظهرت في الشرق، وزحفت نحو الغرب. ومن هذه المجامع، ذلك الذي انعقد في ميلانو، لإدانة فوتينوس أسقف سيرميوم السابق ذكره، وهو من تلاميذ مركلوس الانقيري، وقد أنكر أزلية المسيح، وألوهيته وأبدية ملكه.

وفي الثامن عشر من الشهر الأول من سنة ٣٥٠، حدث تمرد في الجيش، تزعمه ماغنانس الذي أعلن ذاته إمبراطوراً على الغرب، وشن حرباً على الإمبراطور قسطنديوس الذي سارع إلى الهرب. ولكن ماغنانس تبعه وقتله على سفح جبال البيرينيه، قرب الحدود الإسبانية. فقام أخوه كونستانس، الذي أصبح الإمبراطور الشرعي، ليثأر له، فانتصر على ماغنانس سنة ٣٥٠، بعد معارك ضارية، وأضحى من ثم، سيد الإمبراطورية الوحيد (٣٥٠-٣٦١).

وفي تلك الفترة، تكتل كل من فالنس أسقف مورسا، واورساس أسقف سينجيدونوم، ولاونديوس أسقف أنطاكية، وجاورجيوس أسقف اللاذقية،

www.old-criticism.blogspot.com

واكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين، وثيودوروس أسقف هيراكليا، وناركيسيوس أسقف نيرونياس رئيس النصف-آريوسيين، واتفقوا على إقناع الإمبراطور كونستانس، بالمسير معهم ضد فريق النيقاويين؛ فوافقهم الرأي، وراح يساندهم بكل قواه، بعد أن حرّضته أيضاً زوجته الآريوسية اوزيبيا* على ذلك. حينذاك توالت المجامع المناصرة للآريوسية، بدعم من الإمبراطور، لذا تُعتبر بأغلبيتها مجامع هرطوقية: ففي سيرميوم انعقد ثلاثة مجامع (سنة ٣٥١ و٣٥٧ و٣٥٨)، استخدمها كونستانس لفرض عقيدة آريوس، لكن دون نتيجة تذكر. كما عُقد مجمعان آخران في ميلانو وبيزيه، وثالث في آرل، لإدانة اثناسيوس بالقوة. وارتكز الإمبراطور على هذه المجامع، لينفي البابا ليبيريوس، واثناسيوس، واوسيوس أسقف قرطبة، وايلاريون أسقف بواتييه،[٥٤٧] واوسابيوس أسقف فيركيلوم*، ظاناً أنه بذلك، يهد من عزيمة النيقاويين، ليقدموا له تنازلات إن في موضوع الإيمان، أو على الأقل في قضية اثناسيوس، الذي أضحى رمز هذا الإيمان النيقاوي القويم، والمدافع العنيد عنه. ولكن بقي الجميع صامدين، واستمر اثناسيوس يجابه من منفاه، كل خصوم نيقيا، هو وايلاريون أسقف بواتييه.[٥٤٨].

آ) مجمع سيرميوم الأول (٣٥١)

كانت مدينة سيرميوم[٥٤٩] عريقة، وقد أقام فيها كونستانس الثاني. لذلك كان يؤمّها العديد من الأساقفة، لحل القضايا الكنسية مع الإمبراطور، وقد عقدت فيها عدة مجامع، أولها عام ٣٥١، دعا إليه الإمبراطور كونستانس نفسه، وتعمد أن يكون أغلب الأساقفة شرقيين، ومن الاوسابيين: وأهم من حضر باسيليوس الانقيري، وافذوكسيوس أسقف مرعش*، ومكدونيوس أسقف مبسويسطا.

* اوزيبيا Eusibia

٥٤٧ Cf. Meslin M., Hilaire et la crise arienne: Hilaire et son temps. Paris 1969. 19-42.

* فيركيلوم Verceil

٥٤٨ Hergenröther., II. 9-11; Dvornik., 25-26; De Urbina., 132; H-L., I,2. 866.

٥٤٩ توجد سيرميوم في بانونيا السفلى على نهر الساف، وتدعى اليوم ميتروفيتشا Metrovicha en Pannonie

* مرعش Germanicie

وكان أسقف سيرميوم، منذ سنة ٣٤٣/٣٤٤، فوتينوس، الذي عُدّ من داعمي اثناسيوس ومركلوس، لذلك كان الفريق الاوسابي معارضاً لأفكار فوتينوس، ولمواقفه الجريئة. وبالتالي، فإذا ما استطاع هذا الفريق الحكم عليه، فذلك يعني أيضاً إدانة مركلوس واثناسيوس أيضاً، لأن هذا الأخير كان مؤيداً لمركلوس في تلك الفترة، ولم يكن قد تخلى عنه وعن معتقداته بعد. فلما جاء كونستانس إلى سيرميوم عام ٣٥١، شعر الشرقيون أن الجو مناسب لحل هذه المسألة نهائياً، فدعوا إلى مجمع. وهنا أيضاً لا يخلو هذا القرار من غايات شخصية.

عرف فوتينوس أن المجمع سيكون ضده، فطلب لجنة قضاة إمبراطوريين، كي تستمع إليه وتحكم بالعدل. وهكذا كان، فقد حضر القضاة، وطالبوا بمناظرة لاهوتية بين المتهم فوتينوس وباسيليوس أسقف انقيرة: كان باسيليوس يطرح الأسئلة، وفوتينوس يجيب، ثم يناقش باسيليوس الأجوبة.

استند أسقف انقيرة إلى ظهورات العهد القديم، ليبرهن على وجود الكلمة لدى الله. وأظهر علناً، أخطاء فوتينوس أمام اللجنة، وأمام آباء المجمع. فحكم الجميع على فوتينوس بالخلع، لأنه يشارك في أفكاره، آراء صابيليوس وبولس السميساطي. وثبت حضور الإمبراطور في سيرميوم هذا الحكم، وطالب بتنفيذه. ثم أصدر المجمع قانون إيمان، مشابه للصيغة الرابعة لمجمع أنطاكية (٣٤١)، ضد تعاليم فوتينوس غير الثالوثية، حاول فيه الآباء، إقامة تمييز واضح بين الأقانيم الإلهية، دون استعمال "اوموسيوس"؛ كما أصدر أيضاً، في نهايته، سبعة وعشرين إبسالاً[٥٥٠].

يقترب هذا القانون من قانون الإيمان المستقيم. زاد على بند الابن جملة "لا فناء لملكه"، التي استعملها مجمع أنطاكية (٣٤١)، ضد مركلوس الأنقيري. ويجب الاعتراف أن هذا القانون، هو جهد جدي لإدراك عقيدة الثالوث والتجسد. بينما كان هدف الإبسالات، قطع الطريق على كل من لا يميز بين الأقانيم (٢، ١٨، ١٩)، والتوعية على موضوع الروح القدس (٢٠، ٢١، ٢٢)، وتأكيد أزلية الابن

٥٥٠ يمكن مراجعة هذه الصيغة الرابعة لمجمع أنطاكية (٣٤١) وإبسالات مجمع سيرميوم الأول في الملحق رقم ٣٠؛ أضف أن تعليم مجمع سيرميوم الأول، لم يكن واضحاً في ما يخص الروح القدس: علّم أن الروح ليس الله غير المولود، ولا هو الابن، ولا هو جزء من الآب والابن. F-M., III. 138-139.

www.old-criticism.blogspot.com

الوحيد (١، ٥)، الذي لا يجب أن ندعوه لوغوسٍ كامن ولوغوس ملفوظ (٨)، والتمييز بينه وبين الآب، فلا ينبغي اعتباره جزءاً منه (٤)، ولا تفرعاً منه يعود ويدخل فيه (٦، ٧). فالآب هو المبدأ الوحيد للألوهية: فليس هناك كائنان أو ثلاثة، يعود الكل في النهاية إلى الآب (٢٦)؛ وبإرادته تمت ولادة الابن (٢٥)؛ وهذا الابن غير مخلوق (٢٤)؛ يعمل بإرادة الآب -نلحظ هنا مبدأ الدونية- (٣، ١٨)؛ وإليه تُنسب ظهورات العهد القديم (١٤-١٨)؛ وابن مريم ليس إنساناً فقط (٩) لكنه إله (ليس الآب) (٤، ١٠)؛ هو كلمة الآب، وابنه الكائن منذ الأزل، الذي صار إنساناً من دون تحول ولا تغيير (١٢)؛ صُلب لأجلنا، ولكن الألوهية لا تخضع لأي فساد أو ألم أو تغير، أو نقص أو موت (١٣). أما الإبسال الأخير، فهو ملخص التعليم المسيحي، ضد فوتينوس.

ونلحظ ختاماً أن الإبسال الأول: "كل من يقول إن الابن وُلد من العدم، أو من كائن آخر غير الله (أي أنه من جوهر آخر غير جوهر الله)، أو إنه كان هناك وقت أو مدة لم يكن الابن فيه موجوداً، فليُطرد من الكنيسة الجامعة"، يستعيد إبسال مجمع نيقيا، ولكن مع تغيير مهم، إذ يبدل كلمة "أوسيا" بكلمة "ايبوستاسيس". وعلى أثر هذا المجمع، نفى الإمبراطور كونستانس الأسقف فوتينوس، الذي بقي في المنفى حتى وفاته سنة ٣٧٦.

ب) مجمع آرل (٣٥٣)

ما إن توفي البابا يوليوس الأول (٣٣٧-٣٥٢)، في الثاني عشر من نيسان سنة ٣٥٢، حتى تمّ انتخاب خلفه بسرعة، البابا ليبيريوس (٣٥٢-٣٦٦)، في الثاني والعشرين من أيار من السنة ذاتها. اهتم الحبر الجديد لساعته، بقضية الأسقف اثناسيوس، نظراً إلى الرسائل الواردة، والموفدين إليه، سواء لصالح اثناسيوس أو ضده، من أجل تبرئته، أو لاتهامه بشتى أنواع الخيانات، فعمد إلى مطالبة الإمبراطور، بدعوة إلى مجمع عام، لإعادة الأمور إلى نصابها، والاتفاق والوحدة بين الشرق والغرب. وافق كونستانس على هذا الاقتراح، ودعا إلى اجتماع في مدينة آرل سنة ٣٥٣. وهناك ترك الأمور العقائدية على حدة، وفرض على الآباء مرسوم إدانة اثناسيوس، مهدداً إياهم بالنفي. حاول نواب البابا والأساقفة الأرثوذكس،

التملص من هذه الإدانة، مؤكدين للإمبراطور، أن الأمور العقائدية، أهم بكثير من الحكم على أفراد، ويجب تخطي المسائل الشخصية، فلم يعرهم أي اهتمام، وبقي مصمماً على طلبه. وإزاء هذا الموقف، وتشبث كونستانس برأيه، اضطرت الأغلبية أن تسايره، اتقاء لشره، وحفاظاً على السلام، شرط أن يقبل بإدانة الآريوسية أيضاً. لم يمش المجمع، وأغلبيته آريوسية، معهم في هذا المسار. وعاد كونستانس إلى ممارسة الضغوط عليهم، وتهديدهم بالإدانة والنفي. حينذاك صفق جميعهم، واضطروا أن يوقّعوا، باستثناء أسقف واحد لم يرهب التهديد، هو بولينوس أسقف تريف، الذي فضّل النفي على اتهام "الأسقف المظلوم". وذلك ما حصل، إذ أبعده الإمبراطور عن أبرشيته، ونفاه إلى فريجيا.[٥٥١]

ج) مجمع ميلانو (٣٥٥)

من المؤكد أن البابا استهجن تصرف نوابه، في مجمع آرل، الذين خافوا من النفي، ووقّعوا مع بقية الأساقفة مرسوم الإدانة، لا بل رفض مثل هذا الموقف، فأرسل إلى عدة أساقفة يخبرهم باستيائه. وبحجة أن مجمع آرل، لم يستعرض الأمور العقائدية الأساسية، كتثبيت إيمان نيقيا المتنازع عليه، وحلّ القضايا الشخصية، كلّف لوسيفوروس أسقف كالياري، أن يطالب الإمبراطور بعقد مجمع آخر أكثر شمولاً. فكان رد كونستانس الموافقة على رغبة البابا، ودعا إلى مجمع آخر في ميلانو سنة ٣٥٥.

حضر المجمع حوالي ثلاثمائة أسقف غربي، والقليل من الشرقيين. وهناك بعد فشل المحاولات العديدة، لاستدراج الأساقفة إلى إدانة اثناسيوس، استعمل الإمبراطور سلطته، كما سبق وفعل في مجمع آرل السابق، أي أنه طالب الآباء المجتمعين بتوقيع إدانة اثناسيوس، وإلا اضطر إلى نفيهم. وذلك ما دفع الآباء إلى التوقيع على الإدانة، بعضهم فوراً وبعضهم الآخر بعد ممانعة ورفض، بينما فضّل ثلاثة منهم المنفى، وهم: لوسيفوروس أسقف كالياري، واوسابيوس أسقف

٥٥١ F-M., III. 140-142; H-L., I,2. 860-870; Cf. Aussi, Girardet K-M., Constance II, Athanase et l'édit d'Arles (353). A propos de la politique religieuse de Constance II: Politique et théologie chez Athanase. Paris 1974. 63-91.

www.old-criticism.blogspot.com

فيركيلوم، وأسقف ميلانو نفسه ديونيسيوس. وليؤكد كونستانس على تعميم هذه الإدانة، أرسل موفدين إلى الأساقفة الغائبين لجمع تواقيعهم. وبقي البابا ليبيريوس، رغم كل ذلك، على موقفه، حيال براءة اثناسيوس ورفض التوقيع؛ ولما رأى كونستانس تشبثه برأيه ورفضه الشركة مع الآريوسيين، نفاه إلى بيريا في تراقيا، وأعطى الشماس فيليكس، الذي لم يقبله أحد في الشركة، كرسي روما، الذي بقيت كنائسه خاوية. كما نفى الإمبراطور كونستانس، كلاً من اوسيوس أسقف قرطبة، وعمره يناهز المائة سنة إلى سيرميوم، وبعضاً ممن كان يتبع اثناسيوس[٥٥٢]. لأن هذا الأخير، أضحى آنذاك رمز الإيمان القويم النيقاوي، والمدافع الصلب العنيد، لذا أصدر الإمبراطور مرسوماً، يمنع والي مصر من إعطائه كمية القمح المخصصة له ولزملائه الأساقفة، ووهبها للآريوسيين؛ وطلب من الموظفين في الدولة، قطع علاقاتهم بالأسقف المتمرد، تحت طائلة النفي للمخالفين. فأثيرت القلاقل والمخاوف، في المدن والقرى الأرثوذكسية، بينما مكث الهراطقة في طمأنينة وسلام. ثم حاول الإمبراطور كونستانس، أن يستدرج اثناسيوس بخبث، فأوفد إليه من يؤكد له أنه يرغب في مشاهدته ومحاورته، وأرسل بارجة حربية لتسهيل نقله من الإسكندرية. لكن اثناسيوس اعتذر وامتنع. فلجأ الإمبراطور إلى العنف: ففي التاسع من شهر شباط سنة ٣٥٦، حاصر الجند كنيسة ثيوناس في الإسكندرية، ودخلوا إليها، طالبين اثناسيوس الذي كان يحتفل بصلاة المساء، فصدّهم المصلّون؛ واشتد اللغط والقتال وعلت أصوات العذارى الصالحات، وظل القديس جالساً على كرسيه لا يتحرك، رافضاً النزول عن عرشه الأسقفي. ثم إن أصدقاءه أخذوه وفرّوا به، فالتجأ إلى رهبان الصحراء الغربية، الذين أحسنوا استقباله وحموه[٥٥٣]. لما علم الإمبراطور بذلك أمر بالبحث عنه. وفي العاشر من حزيران سنة ٣٥٦، أصدر مرسوماً وأرسل به إلى الإسكندرية، يعلن فيه اثناسيوس متمرداً، وكل مناصريه أعداء للإمبراطور؛ كما وفرض النفي على العديد من الإكليروس، وقام بسجن وتعذيب ذوي الإيمان النيقاوي القويم. وأعطى جاورجيوس الكبادوكي، كرسي الإسكندرية عوضاً عن اثناسيوس المنفي (٢٤ شباط سنة ٣٥٧). وفرض افذوكسيوس أسقف مرعش، على أنطاكية لدى وفاة لاونديوس أسقفها. وأيد

٥٥٢ F-M., III. 142-148; H-L., I.2. 872-880.
٥٥٣ رستم، ج ١. ٢٢٥؛ H-L., I,2. 880-884

الإمبراطور والآريوسية، كلاً من مكدونيوس أسقف القسطنطينية، وجرمينيوس أسقف سيرميوم، واوكسنتيوس أسقف ميلانو.

تواصلت الاضطهادات ضد النيقاويين، حتى إنهم مُنعوا من الاحتفال بالليتورجيا، وحُجزت كنائسهم. وبيعت كراسيهم للآريوسيين بالمال. ووصلت الآريوسية حتى بلاد الغال. فأصدر ايلاريون أسقف بواتييه مرسوماً، بالاتفاق مع العديد من أساقفة الغال، يحرم فيه الآريوسيين، ثم وجه كتاباً إلى الإمبراطور يطلب فيه كفّ الاضطهاد عن الكنيسة الكاثوليكية، مما أثار غضب الآريوسيين وحقدهم عليه، فعقدوا مجمعاً في بيزيه*، وشكوه إلى كونستانس الذي نفاه إلى فريجيا سنة ٣٥٦[٥٥٤]. وكانت هذه الفترة، أسوأ ما عرفته الأرثوذكسية، مما سمح للقديس ايرونيموس أن يعطي هذه الصورة المعبرة عن حالة الكنيسة: "العالم ينوح وينوء تحت سيطرة الآريوسيين"[٥٥٥].

د) مجمع سيرميوم الثاني (٣٥٧)

ضعف البابا ليبيريوس في المنفى ونفذ صبره، فوجه رسالة إلى كونستانس، يعلن فيها تخليه عن اثناسيوس أسقف الإسكندرية، ورجاه السماح له بالعودة. فدعاه الإمبراطور إلى العودة شرط أن يضم إليه كل الرافضين، وأن يجبرهم على توقيع صيغة مجمع سيرميوم الأولى. ففعل ودخل في الشركة مع الشرقيين.

على أثر كل هذه الفوضى، دعا جرمانيوس أسقف سيرميوم، إلى مجمع في مدينته سنة ٣٥٧، بموافقة الإمبراطور. في غضون ذلك، وقبل أن يصل البابا إلى سيرميوم، حيث مقر البلاط الملكي منذ فترة، حضر بعض الأساقفة لمقابلة كونستانس، وكلهم من الآريوسيين. وكان رؤساء هذه الزمرة من أحبار الايلليريكوم، الذين دخلوا منذ فترة في النزاعات اللاهوتية: فالنس أسقف مورسا،

* بيزيه Béziers
٥٥٤ H-L., I.2. 878-885.
٥٥٥ Jedin., 25.

www.old-criticism.blogspot.com

اورساس أسقف سينجيدونوم، وبوتاميوس أسقف ليسبون*، وجرمانيوس أسقف سيرميوم، بالإضافة إلى بعض الأحبار الشرقيين. وسعى الجميع إلى نيل علامة جديدة للأرثوذكسية من كونستانس.

أصدر هذا المجمع قانون إيمان ذا صبغة آريوسية راديكالية، على الرغم من أن مقدمته تبدو حيادية: "بما أن هناك نقاشات حول الإيمان، فقد اهتممنا بعناية في سيرميوم، بهذه القضية، بحضور فالنس واورساس وجرمانيوس، فتوصلنا إلى ما يلي: "إن الشيء الأكيد، أن هناك إلهاً وأباً ضابط الكل، يؤمن به الكون كله، وبابنه الوحيد يسوع المسيح، ربنا ومخلصنا، المولود منه قبل كل الدهور؛ ولكن لا ينبغي ولا نستطيع الكرازة بإلهين، لأن الرب نفسه قال: "إني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم"[٥٥٦]. فليس هناك سوى إله واحد، كما يعلّمنا الرسول: "هل الله هو إله اليهود فقط؟ أليس هو أيضاً إله الوثنيين؟ هو إلههم، لأن ليس هناك سواه من إله، الذي يبرر المختونين بالإيمان والقلف بالإيمان"[٥٥٧]. وتناقشنا حول هذه النقطة، فلم نجد أي تنافر"[٥٥٨].

نادى المجمع أيضاً بوحدانية الله الآب المطلقة، وأكد عظمته وتفوقه على الابن، وقال إنه لا يجب التعليم بوجود إلهين. وبما أن "الاوموسيوس" و"الاوميووسيوس" غير موجودتين في الكتاب المقدس، وتتجاوزان ذكاء الإنسان، ومرفوضتان من البعض، وهما تقلقان راحة المؤمنين، لذا حرّم المجمع الإشارة إلى كلمة "جوهر" وحرم استعمالها، لا في المساواة ولا في التشابه. لقد سببت هاتان الصيغتان الكثير من المتاعب والمشاكل، فيجدر بنا عدم استعمالهما، لأنهما غير موجودتين في الكتب المقدسة، ولأنهما تتخطيان معرفة الإنسان، فلا أحد يستطيع، كما يقول الكتاب المقدس "وصف ولادة ابن الله"[٥٥٩]، وحده الآب يعرف كيف ولد ابنه، ووحده الابن يعرف كيف وُلد من الآب"؛ ويتابع: "ليس هناك أدنى

* اورساس أسقف سينجيدونوم Ursace de Singidunum ؛ بوتاميوس أسقف ليسبون Potamius de Lisbonne

٥٥٦ يو ١٧/٢.
٥٥٧ روم ٣٠/٣.
٥٥٨ DTC XIV, 2. 2178-2179.
٥٥٩ رسل ٣٣/٨.

شك، بأن الآب أعظم من الابن، في الشرف والكرامة والمجد والجلالة، بفعل اسمه نفسه "آب"، وهذا ما يقره الابن نفسه: "الذي أرسلني أعظم مني"[٥٦٠]. هذا هو الفكر الكاثوليكي الذي لا يجهله أحد. الآب والابن أقنومان: الآب أسمى، والابن أدنى، مع كل ما يجب أن يُخضعه الابن في النهاية للآب؛ الآب لا بدء له، ولا يُرى، وخالد، وغير متحول؛ الابن وُلد من الآب، إله من إله، نور من نور، ولكن لا أحد يعرف شيئاً عن ولادة الابن كما قلنا، إلا الآب". وينهي القانون: "تجسد ابن الله، مخلصنا وإلهنا، من أحشاء مريم، وتأنس، كما بشر بذلك الملاك، وكما تعلم الكتب المقدسة كلها، وخاصة كما يقول الرسول ومعلم الأمم، إنه صار إنساناً، وبه استطاع أن يتألم".

يجب أن نصون عقيدة الثالوث، كما نقرأها في الإنجيل: "اذهبوا وعمدوا كل الأمم باسم الآب والابن والروح القدس"[٥٦١]. هذا العدد الثالوثي سليم وكامل. أما الروح القدس فهو كائن بالابن، ومرسل من قبله، وقد أتى ليعلم ويثقف ويقدس الرسل وجميع المؤمنين"[٥٦٢]. نلاحظ أن هذا القانون "أنومي"، يستعيد أفكار آريوس الرئيسة، ولكنه لا يشدد كثيراً على "مخلوقية" الابن؛ وهو "دوني" لأنه يجعل الابن غير مساوٍ للآب بل أدنى منه، وكذلك الروح القدس الكائن بالابن.[٥٦٣]

وافق كل من البابا ليبيريوس المنفي، واوسيوس أسقف قرطبة الكهل، على قانون إيمان سيرميوم الثاني، تحت ضغوط معينة: فالأول طمعاً في أن يسمح له الإمبراطور بالعودة من منفاه، والثاني كي يرتاح من ملاحقة الجميع له، فقد ملّ المقاومة وعجز عنها (ربما لم يكن يملك كل قواه). فالمهم أن هذه الصيغة قُدّمت، وكأنها مضمونة بتوقيع من كان، سنة ٣٢٥، أول الموقعين بين آباء نيقيا.

٥٦٠ يو ٢٨/١٤.
٥٦١ متى ١٩/٢٨.
٥٦٢ H-L., I.2. 899-901.
٥٦٣ تجد هذا النص لدى المؤرخ سقرط في "تاريخ الكنيسة" ٣٠/٢؛ وفي مقالة اثناسيوس "عن المجمع" ٢٨؛ ولدى ايلاريون أسقف بواتيه "عن المجامع ١١؛ و"ضد قسطنطين" ٢٣. راجع رستم، ج ١. ٢٢٧؛ DTC XIV,2. 2178-2180; F-M., III. 153-155. وراجع هذين الكتابين الأخيرين في PL 10, 486; 599

www.old-criticism.blogspot.com

هـ) مجمع أنطاكية (٣٥٨)

لم تبقَ أنطاكية بعيدة عن هذا الجو، بل سارت مع التيار الآريوسي، فجمع افذوكسيوس رئيس أساقفتها، وهو طبعاً مُوالٍ للآريوسية، أساقفة كرسيه سنة ٣٥٨، وحضّهم على قبول قانون إيمان سيرميوم الثاني (٣٥٧)، فحظي على موافقتهم. وفي نهاية المجمع، هنّأ الغربيين بعودتهم إلى الإيمان الحق، ووعد بمتابعة نشر الآريوسية الراديكالية في أنطاكية.

و) مجمع انقيرة (٣٥٨)

أمام نمو الآريوسية المُطرد في كافة أنحاء البلاد، وأمام دعم الإمبراطور لها بكل قواه، تشجع باسيليوس أسقف انقيرة، فجمع هو أيضاً الموالين له، النصف آريوسيين عنده، سنة ٣٥٨، ليتخذوا موقفاً ضد القائلين بأن الابن غير مشابه للآب. وفي هذا المجمع بالذات، صارت لهذا الفريق صفة رسمية؛ فانضم المجتمعون إلى قانون إيمان أنطاكية لسنة ٣٤١، وقانون سيرميوم الأول، وقانون إيمان فيليبوبوليس، ولكنهم شجبوا القول بالاختلاف في الجوهر، وأكدوا ألوهية الابن، وابتعدوا عن المساواة في الجوهر، خشية أن يقعوا في بدعة بولس السميساطي، لذا اكتفوا بالقول بالتشابه في الجوهر: "تكفي لفظة الآب لتظهر أنه مبدأ جوهر مشابه له؛ فاللوغوس هو ابن الله حقاً ومولود غير مخلوق؛ لذلك يجب أن نتجنب فكرة الخلق، لأن علاقة الآب بالابن تختلف عن علاقة الخالق بالمخلوق"[٥٦٤]. ويضيف المجمع أنه إذا ما رفضنا التأكيد على تشابه الابن مع الآب، علينا الابتعاد أيضاً عن فكرة البنوة ولفظها، وتجنب كل الإشارات الأخرى حول فكرة الابن. لكن الكتاب المقدس يدعو يسوع ابن الله، كما أنه لا يمانع في أن يسمي كائنات لا تشابه لها مع الله إطلاقاً، أبناء الله. ولكن الكتاب المقدس يتكلم عن الكائنات بمعنى مجازي، بينما اللوغوس هو ابن الله بالمعنى الحصري للكلمة، فالتشابه، بالتالي، ينطبق على الابن وحده، من حيث إنه كائن روحي. وأصدر الآباء في نهاية المجمع ثمانية عشر إبسالاً، وحرروا رسالة سلامية إلى جميع

٥٦٤ H-L., I,2. 905.

الأساقفة[٥٦٥]. ثم أبلغ باسيليوس مع افستاثيوس أسقف سبسطية، والفسيوس أسقف كيزيكو، مقررات مجمعهم إلى الإمبراطور كونستانس، فاقتنع بتعاليم النصف آريوسيين، وبتشابه الآب والابن، فشجعهم وأمر بطرد الراديكاليين: نفي افذوكسيوس الأنطاكي إلى أرمينيا، وانزل ايتيوس عن كرسيه وأبعده إلى بابوزا*، وسجن افنوميوس في انقيرة[٥٦٦].

ز) مجمع سيرميوم الثالث (٣٥٨/٣٥٩)

ابتدأ يقوى فريق باسيليوس الانقيري الذي يكرز "بالاوميووسيوس"، وأعطى في مجمع انقيرة عام ٣٥٨، قانون إيمان معارض لصيغة سيرميوم الثاني، وفسر غريغوريوس أسقف اللاذقية قرارات هذا المجمع في منشور خاص دُعي "البيان"[٥٦٧]. وعندما شعر الأساقفة الشرقيون من فريق "الاوميون"، بنمو نفوذ هذا الفريق لدى الإمبراطور، تكتلوا ضد باسيليوس، وكان يترأسهم باتروفيلوس أسقف بيسان في فلسطين، وناركيسيوس أسقف نيرونياس في كيليكيا. فحضر هذان الأسقفان باسم الباقين، إلى البلاط في سيرميوم في أواخر عام ٣٥٨، وحاولا محاربة باسيليوس المتواجد في الجوار. وطالبا الإمبراطور بعقد مجمع ضد باسيليوس المذكور.

لم يكتفِ الإمبراطور كونستانس، بكل الذل الذي تحمّله الآباء النيقاويون، ولا باعتراف البابا ليبيريوس المنفي، بإيمان سيرميوم الثاني و إقراره بانفصاله عن اثناسيوس، بل أراد منه تثبيت ذلك علناً ومع الأساقفة الشرقيين، خاصة وأن بعضاً منهم، شعروا بخيبة أمل مريرة وندامة، فسحبوا تواقيعهم عن صيغة سيرميوم الثاني، فاستدعاهم إلى مجمع آخر في سيرميوم ذاتها سنة ٣٥٨[٥٦٨].

٥٦٥ راجع نص الرسالة في الملحق رقم ٣٣.

* بابوزا Papuze

٥٦٦ رستم، ج ١. ٢٢٨-٢٢٩؛ H-L., I,2. 903-908; F-M., III. 157-158

٥٦٧ البيان Le Manifeste؛ Cf. DTC XIV,2. 2180

٥٦٨ الحقيقة أن هذا المجمع مشكوك في أمره، إنما يؤكده هيفيليه، مرتكزاً على ثلاث رسائل من البابا، وجهها إلى كل من الأساقفة النصف- آريوسيين، وإلى اورساس أسقف ميلانو وفالنس أسقف جيرمينيوس Germinius ، وإلى فنشنزو أسقف كابوا Vincent de Capoue، يُقرّ فيها أنه تخلى عن

www.old-criticism.blogspot.com

وفي هذا المجمع، سيرميوم الثالث، حمل باسيليوس الانقيري وافستاثيوس أسقف سبسطية، واليفسيوس أسقف كيزيكو، قانون إيمان مجمع انقيرة، وعرضوه على الإمبراطور كونستانس الثاني وأقنعوه به. فتبناه وفرضه على آباء المجمع، وأرغمهم بالتالي، معنوياً، على الموافقة على العقائد النصف آريوسية؛ ونال مرامه عندما اضطر الآباء إلى القبول به والتوقيع عليه. ولقد وقّعوا على قانون سيرميوم (٣٥١)، وقانون أنطاكية (٣٤١)، وحرموا بولس السميساطي وفوتينوس، وكل من لا يؤمن أن الابن مشابه للآب في الجوهر، مع بعض الإبسالات المحررة في انقيرة. حينذاك سمح الإمبراطور للبابا ليبيريوس، بالعودة إلى كرسيه في روما، فهرب فيليكس الأسقف المغتصب. ويبدو أن اثناسيوس نفسه، وايلاريون أيضاً، وافقا على هذه القرارات، دون أن يرفضا إيمان نيقيا و"الاوموسيوس"[٥٦٩].

ح) مجمعا ريميني وسلوقيا (٣٥٩)

شعر باسيليوس الانقيري بالانتصار، لما انضم الإمبراطور إلى فريقه، وتخلى عن الآريوسية الراديكالية، فأراد تسجيل انتصاره هذا في مجمع مسكوني، لينتزع موافقة أكبر عدد ممكن من الأساقفة، فتصير تعاليمه تعاليم الكنيسة جمعاء. فطالب، بعدما آلت إليه الحالة من تشتت وفوضى، بعقد مجمع كبير، لحلّ المسائل العقائدية نهائياً، وترتيب الأمور، وتنظيم البيت المسيحي، للبلوغ إلى وحدة الإيمان، على أساس صيغة سيرميوم الثالثة، وحلّ الخلافات الشخصية.

عيّن كونستانس أولاً مكان الاجتماع في نيقوميديا، لكن زلزالاً ضرب المدينة ودمرها في الرابع والعشرين من آب عام ٣٥٨، فأُرجئ المجمع وطال الوقت قبل أن يقرر كونستانس مكاناً جديداً له. وفي غضون ذلك، تخوّف الآريوسيون من أي تكتل أرثوذكسي محتمل ضدهم، يؤدي إلى إدانة مؤكدة لهم ولتعاليمهم، فأقنعوا

شركة اثناسيوس خلال المنفى، وأنه قد أصبح الآن مع النصف آريوسيين، وأنه قد وقّع في بيريا على قانون إيمان سيرميوم الأول والثاني؛ وأن كل ذلك قد فعله بإرادته وأنه قد أرسل رسالة إلى الإمبراطور كونستانس، يبلغه فيها انفصاله عن اثناسيوس. رغم ذلك لم يزل في المنفى؛ لذلك استعجل الإمبراطور ليعود . H-L., I.2. 919-922

٥٦٩ F-M., III. 158-160; DTC XIV,2. 2180.

الإمبراطور كونستانس، بعقد مجمع جديد سنة ٣٥٩ في ريميني للغرب، وآخر في سلوقيا من أعمال تراقيا للشرق، ورأوا أنه من المستحسن تحضير قانون إيمان يرضى عنه الجميع، ليكون معتمداً في المجمعين. وكُلف مرقس، أسقف اريتوزا، بتأليف هذا الدستور؛ وبعد جدل طويل، دام حتى وقت متأخر من الليل، دوّن الدستور وقدمه. وعُرف هذا الدستور "بالمؤرَخ"، لأن مرقس ابتدأه بوضع التاريخ كالتالي: "عرض الإيمان الكاثوليكي بحضور معلمنا الكلي التقوى، والإمبراطور المنتصر الظافر كونستانس اوغوسطوس... على عهد الوالي اوسابيوس وهيباتيوس... في سيرميوم، في اليوم الحادي عشر من شهر حزيران ٣٥٩"[٥٧٠]. ويعتبر هذا الدستور الصيغة الرابعة لسيرميوم. قبل الإمبراطور هذا العرض، خاصة عندما قدّموا له هذا القانون الذي لا يضر بهم ويُرضي الجميع، وهو "القانون المؤرّخ"[٥٧١]، على أن يهتم الشرقيون بالأمور الخاصة بالشرق، والغربيون أيضاً بما يخص الغرب، وعلى أن يوفد كل مجمع في نهاية دورته، عشرة مندوبين يحملون إلى الإمبراطور ما توصلوا إليه، للاتفاق على حل نهائي. حُمل هذا الدستور إلى المجمعين المذكورين، وبالرغم من قبول الجميع به في النهاية في القسطنطينية، لم يؤدِ ذلك، في الواقع، إلى المصالحة، علماً أن عبارة "مشابه في كل شيء"، قد أُزيلت منه واستبدلت بكلمة "مشابه" فقط. وهذه الصيغة هي التعبير الرسمي "للاومية".

١) مجمع ريميني (٣٥٩)

اجتمع في ريميني في بداية الصيف، أيار سنة ٣٥٩، أربعمائة أسقف غربي، أغلبهم أرثوذكسي الإيمان، والبقية آريوسية أو نصف آريوسية. لم يحضر البابا هذا المجمع، ولم يرسل إليه ممثلاً عنه. في بداية الاجتماع قدم الآريوسيون صيغة

٥٧٠ وهو الموافق ٣٥٩/٥/٢٢. وربما كُتبت هذه الصيغة باللاتينية.

٥٧١ دعي هذا القانون بالقانون المؤرخ لأن كاتبه، مرقس أسقف اريتوز Aréthuse ، بدأه بالإشارة إلى اليوم والشهر والسنة الذي تمّت فيه موافقة الإمبراطور كونستانس عليه. وكان ذلك يوم العنصرة في ٢٢ ايار سنة ٣٥٩. وتأريخ قانون الإيمان فعل مشين بحسب اللاهوت، لأن الإيمان لا تاريخ له؛ لذا صار هذا العنوان فيما بعد موضوع سخرية. يبقى أن القانون آريوسي راديكالي في أساسه؛ أراد باسيليوس الانقيري إدخال "المشابه في الجوهر" إليه، لكن الإمبراطور رفض، ولم يسمح بأي تغيير. DTC XIV, 2. 2183.

www.old-criticism.blogspot.com

سيرميوم، وطلبوا من الجميع التوقيع عليها، على أساس أن ذلك أمر من الإمبراطور. ولكن ثار الآباء، ورفضوا هذا القانون قائلين، إن إيمان نيقيا هو القانون، وحرموا كل الهرطقات، وخاصة الآريوسية. فاحتدمت الجلسة بين طرفي النزاع، مما أدى إلى رفض الآريوسيين متابعة الاجتماع، فتركوا كاتدرائية ريميني حيث كانوا، ليكملوا لقاءهم في مكان آخر. بينما ثبت الآباء الباقون قرارات نيقيا، واتهموا المنفصلين بالهرطقة، وخلعوهم عن كراسيهم. وفي نهاية الاجتماع تمّ إرسال وفد من عشرة أشخاص إلى الإمبراطور ليبلغه القرارات، وكذلك فعل المعارضون.

استقبل الإمبراطور الآريوسيين بحفاوة في القسطنطينية، مهملاً الفريق الأرثوذكسي ينتظر في نيكا*، من أعمال تراقيا. وإلى هناك وافاهم الآريوسيون فيما بعد، واستمالوهم بالمداورة والوعود الكاذبة، فتنازل الآباء وقبلوا بالقانون المؤرخ؛ وقد وقّعوا بروتوكولاً بهذا المعنى، في العاشر من الشهر العاشر من سنة ٣٥٩[٥٧٢].

٢) مجمع سلوقيا (٣٥٩)

افتتح هذا المجمع جلساته، في السابع والعشرين من أيلول سنة ٣٥٩، بحضور حوالي ١٥٠ أسقفاً، بالرغم من أن الدعوة كانت موجهة إلى جميع الأساقفة الشرقيين؛ وكانت الأغلبية الساحقة من المجتمعين نصف آريوسية.

نذكر من أهم الآباء، باسيليوس الانقيري ومناصريه، أمثال أسقف القسطنطينية مكدونيوس، وسلوانوس أسقف طرسوس، وكيرلس أسقف أورشليم، واليفسيوس أسقف كيزيكو، ومرقس أسقف اريتوزا واضع الدستور المؤرخ، وصفرونيوس أسقف بومبيوبوليس*، وجاورجيوس أسقف اللاذقية؛ ومن الآريوسيين نذكر: اكاكيوس أسقف قيصرية فلسطين، وافذوكسيوس أسقف أنطاكية، وجاورجيوس أسقف الإسكندرية. وقد حضر المجمع أيضاً ايلاريون أسقف بواتييه، الذي كان منفياً إلى فريجيا. وعندما تمسك كل فريق بآرائه، نعني رفض النصف آريوسيين

* نيكا Niké

٥٧٢ رستم، ج ١. ٢٢٩-٢٣٠؛ H-L., I,2. 929-939; F-M., III. 163-169 ؛ Jedin., 25;

* صفرونيوس أسقف بومبيوبوليس Sophrone de Pompeiopolis

إيمان نيقيا، وقبولهم قانون سيرميوم الرابع، ورفض الآريوسيين أبوة الله وألوهية الابن، المخلوق من العدم، وتمسّك الأقلية الأرثوذكسية بقانون نيقيا دون سواه، اقترح سلوانوس أسقف طرسوس، تبني قانون إيمان أنطاكية (٣٤١). ولكن الآريوسيين رفضوا هذا الاقتراح، وكانوا حوالي ثمانية عشر أسقفاً بزعامة اكاكيوس، وانسحبوا من المجمع ليلتقوا منفردين، ويقرّوا صيغة سيرميوم أي الدستور المؤرخ، بعد تلطيف بعض عباراته. بينما أيد مشروع سلوانوس أكثر من مئة أسقف، فوقّعوا عليه، وخلعوا الأساقفة المنشقين عن مجمعهم، وأعادوا بعض المنفيين والمبعدين. ثم إنهم اختاروا الوفد المطلوب، من عشر ة أشخاص، ليمثلوا أمام الإمبراطور[٥٧٣]. لكن هذا الأخير، كان مع الفريق الآريوسي، فلم يقبل بعرض أفكار الوفد ولا بشرحه لهرطقة افذوكسيوس. وفي غضون ذلك وصل وفد مجمع ريميني، فحاول آباء سلوقيا إقناعه بهرطقة هذا الإيمان، لكن الغربيين كانوا قد استسلموا. ففرح الآريوسيون وطالبوا الجميع بتوقيع الصيغة التي وقّعها الغربيون، حتى يتفق الجميع على صيغة إيمان واحدة. وما كان من الإمبراطور، إلا أن سار خلف الآريوسيين، وحاول إرغام الجميع على التوقيع، تحت ضغط التهديد والوعيد، إفشالاً لكل مقاومة، فتوصل إلى النتيجة المرجوة، في أخر يوم من أيام سنة ٣٥٩. ولكن السلام الهش هذا لن يدوم طويلاً، كما سيظهر في سياق التاريخ[٥٧٤].

ط) مجمع القسطنطينية (٣٦٠)

اجتمع ممثلو المجمعين في القسطنطينية سنة ٣٦٠، وأقروا الدستور المؤرخ بعد تعديله: قالوا فيه إن الابن مشابه للآب، بحسب الكتب، ونبذوا الاختلاف بالجوهر؛ وحرموا استعمال كلمتي "اوسيا" و"ايبوستاسيس" بسبب إثارتهما الجدل والنزاع، واستعاضوا عنهما بكلمة "اوميوس"، فجاء الدستور مبهماً غامضاً، وفتح المجال لتفاسير متناقضة. ورفض آباء هذا المجمع قوانين الإيمان السابقة، لا بل منعوا إصدار قوانين إيمان جديدة. فكان الانتصار الساحق، مع دعم الإمبراطور،

٥٧٣ كان ايلاريون أحد أعضاء الوفد، مع افستاثيوس أسقف سبسطية، وباسيليوس الانقيري، وسلوانس الطرسوسي، والفسيوس أسقف كيزيكو. H-L., I,2. 950

٥٧٤ H-L., I,2. 949-955; F-M., III. 167-169.

www.old-criticism.blogspot.com

لاكاكيوس أسقف قيصرية وأنصاره (أتباع الاوميوس). وخلع المجمع كل من رفض آراءه. ثم كتب رسالة إلى جميع أساقفة المسكونة، يدعوهم إلى الموافقة على نص الدستور الجديد الذي أقرّوا به. وهدد الإمبراطور كل من يرفض الموافقة، مما دعا إلى موافقة عدد كبير من الأساقفة من الشرق والغرب، إلا الأساقفة المصريين المعارضين[٥٧٥].

ونتوقف مع مجمع القسطنطينية سنة ٣٦٠، لنلاحظ أن الصراعات التي سببتها الآريوسية، خاصة بعد مجمع نيقيا المسكوني الأول، أدت إلى تشرذم كبير، وإلى انتصار أعداء ألوهية المسيح في كل مكان، واندحار الأرثوذكسية: أصبح أكثر أساقفة الشرق والبعض في الغرب، سواء من الراديكاليين، أو من المعتدلين، آريوسيين، واستلموا الكنائس الرسولية والكبرى، كالإسكندرية وأنطاكية وفلسطين، والقسطنطينية وميلانو؛ بينما اضطهد وشرّد ونفي كل من تجرأ ودافع عن إيمان نيقيا. ولم يردع كل ذلك اثناسيوس، الذي كتب في هذه السنة (٣٦٠)، مقالاته ضد الآريوسيين[٥٧٦].

ي) وفاة كونستانس وأجواء جديدة حول نيقيا

اشتدت الحرب بين روما والفرس سنة ٣٥٩، وتأزمت الأوضاع السياسية، وشعر الجميع بالضغط القوي على حدود الإمبراطورية، وتعاظمت هجمات الفرس العنيفة وتعددت، مما اضطر كونستانس أن يجمع قواده وجيوشه، ليواجه الوضع العصيب. فاستدعى ممن استدعاهم، ابن عمه المدعو يوليانوس، وهو أحد قواده في بلاد الغال. وكان قد عيّنه قيصراً. ولكن هذا الأخير، رفض الانصياع للإمبراطور، وأرسل يخبره بأن الجيش الغالي أعلنه إمبراطوراً، وكان ذلك في ربيع سنة ٣٦٠. انزعج كونستانس من هذا الخبر، فتوجه نحو بلاد الغال، ليحارب يوليانوس. ولكنه، لتفاقم مرضه، توفي في الثالث من تشرين الثاني سنة ٣٦١، وهو في طريقه

٥٧٥ رستم، ج ١. ٢٣٢.

٥٧٦ PG 26. 12-468; 25. 537-593; Discours contre les Ariens, version slave et traduction en français par Vaillant A., Ed des Bénédictains par Lopin J et Montfaucon M., Paris 1698.

إلى هناك[٥٧٧]. على أثر ذلك أضحى يوليانوس الحاكم الأوحد، فأعلن نفسه الإمبراطور الوحيد على المملكة الرومانية.

وإذا ما أردنا أن نقيّم باختصار، موقف كونستانس سياسياً، لوجدنا أنه قضى حياته في الحرب في الشرق، ولم يستطع أن يضمن ويؤمن حماية حدود مملكته، بسبب هجمات الفرس وتهديداتهم؛ دينياً، كان كونستانس موالياً للآريوسية، وقد دافع عنها طيلة فترة حكمه، بالرغم من أنه لم يكن يعرف مع أي فريق منها يقف: فتارة نراه مع الاوسابيين، أو مع الأنوميين، أو مع الأوميين، إلا أنه لم يساند البتة النيقاويين، وهذا ما سبب له المشاكل العديدة مع أخيه قسطنديوس إمبراطور الغرب، الذي كان مؤازراً لإيمان نيقيا وأتباع الأرثوذكسية.

من الطبيعي جداً، أن تؤدي وفاة كونستانس، إلى تغيير جذري في السياسة الداخلية والخارجية، وفي الكنيسة بالذات. فمع وصول يوليانوس الجاحد (٣٦١-٣٦٣) إلى الحكم، عادت الوثنية إلى سابق عهدها وازدهرت، لأن يوليانوس ظهر على حقيقته، إذ أنكر إيمانه المسيحي وتبع الوثنية ودعمها، وحاول إعادة تنظيم هيكليتها، وأهمل المسيحيين، لا بل ابتدأ رويداً رويداً باضطهادهم، مما أدى إلى عدم دعم أي فريق من المسيحيين دون سواه، وأصبح الكل سواسية. أدى ذلك واقعياً إلى تحوّل الصراع بين اللاهوتيين فيما بينهم، دون تدخل السلطة، مما أفقد الآريوسية الكثير من نشاطها، ومن الدعم السياسي، وحدّ من تقدمها، لأنها في الحقيقة، لم تستطع أن تصل إلى ما وصلت إليه، من السيطرة والبطش والسطوة، لولا دعم السلطة الزمنية لها؛ أضف إلى أسباب تقهقرها وضعفها، أولاً، التقارب الذي حصل، في السنوات الأخيرة، بين الفريق الاوسابي واثناسيوس والكنيسة الأرثوذكسية، ثانياً، انقسامها إلى عدة شيع وتيارات، مما سبّب تفتت أعضائها وتشرذمهم وضياعهم، فابتدأت الارتدادات إلى الإيمان القويم. هذا، ولا ننسى أن موقف الإمبراطور الوثني يوليانوس ضد الكنيسة جمعاء، فرض على جميع الأطراف، التعاضد والتحالف فيما بينهم، خصوصاً على المستوى الشعبي، الذي لا يعرف كفاية، الاختلافات العقائدية من جهة، والذي ملّ من الخصومات والمشاحنات،

٥٧٧ يقال إن يوليانوس قتل كونستانس؛ بينما تؤكد مراجع أخرى أنه مات لأنه كان مريضاً؛ على كل حال مات عن عمر فتي، ٤٥ سنة، قضى منه ٢٤ سنة في الحكم.

www.old-criticism.blogspot.com

والسعي وراء أساقفته المنفيين أو المضطهدين أو أولئك الذين كانوا يُشعرونه، بأنهم في أوضاع صعبة وأيام عصيبة. وما يدهش أن يوليانوس أعاد المنفيين، وأمر الجميع بالوفاق، سعياً إلى ضرب المسيحيين بعضهم ببعض، لكن النتيجة كانت خيبة آماله!

لوحة حجرية تمثل مجمع نيقيا الأول

خلاصة

تمتعت المجامع المسكونية الأربعة الأولى، نيقيا (٣٢٥) والقسطنطينية (٣٨١) وافسس (٤٣١) وخلقيدونيا (٤٥١)، بإجلال خاص واحترام فائق، منذ القرن الخامس. واعتبرها أغلب الآباء، كأساس للاهوت المسيحي، لذا شبهها القديس غريغوريوس، بالأناجيل الأربعة. وتميّز المجمع المسكوني الأول، عن الثلاثة التي تلته، لأسباب عديدة، مما دعا الملك قسطنطين، إلى اعتبار قراراته بمثابة وصايا إلهية. وأضاف القديس اثناسيوس على ذلك قائلاً: "ما قرره الله في مجمع نيقيا، يبقى إلى الأبد". كما أن كل المجامع الأرثوذكسية الأخرى، اتخذت قانون مجمع نيقيا منطلقاً ثابتاً لها، واعتبرته "قانون القوانين"، ومعيار الأرثوذكسية ومقياسها.

أسباب كثيرة دعت الجميع، إلى إعطاء هذه الأهمية الكبرى لهذا المجمع: هو قبل كل شيء، أول مجمع مسكوني في الكنيسة. فبعد أن كانت الاجتماعات الدينية ممنوعة على أي كان، وبصورة خاصة على الإكليروس المسيحي، الذي كان ملاحقاً، وجدت الكنيسة ذاتها قادرة على التلاقي، وبصورة موسّعة وشاملة، يدعمها أمر إمبراطوري. وقد دشن هذا المجمع عهد سلام بين الدولة والكنيسة، وكوّن وحدة بينهما في السراء والضراء. ولما كانت الكنيسة طالما قد تحمّلت من الدولة، وزر العداء العلني والخفي، والاضطهادات المتواصلة الوحشية، خلال فترة دامت قرابة ثلاثة قرون، جاء هذا المجمع بمثابة زفافها إلى سلطة الإمبراطور، الذي كان حتى ذلك الوقت، الحبر الأعظم لديانة الدولة، وأضحى كذلك بالنسبة الى السلطة الكنسية، التي رأت نفسها محمية، ممن كان في السابق يضطهدها[٥٧٨].

والحقيقة أننا لا نستطيع أن نتجاهل، بعد كل هذا الشوط الطويل من تاريخ الكنيسة، تلك العلاقة الوثيقة التي نشأت بين الدولة والكنيسة، والتي ستبقى لفترة

٥٧٨ كان لهذه العلاقة الجديدة بين الدولة والكنيسة إيجابياتها، وكان لها أيضاً سلبياتها، التي لم تلحظها الكنيسة آنذاك: فالتدخل المبالغ في الأمور الدينية، والإفراط في هذا التدخل، سوف يقود الكنيسة في المستقبل، إلى أن تصبح عبدة للحكام المدنيين.

www.old-criticism.blogspot.com

لا يستهان بها، مما جعلها تترك أثرها حتى اليوم. ابتدأ نظام الكنيسة-الإمبراطورية*، مع المرسوم الذي أصدره غاليريوس، قبيل وفاته، من سرديقيا، في الثلاثين من شهر نيسان عام ٣١١، وهو القانون الأساسي، للتسامح مع المسيحيين في الإمبراطورية. أما التحول الكبير، فقد حصل مع الملك قسطنطين، وسياسته وسلوكه تجاه المسيحيين، ابتداء من عام ٣١٢: جرى تطور أول، مع ما دُعي بمرسوم ميلانو عام ٣١٣، ثم تطّور لاحق سنة ٣٢٤، عندما اتخذ قسطنطين على عاتقه، إدارة شؤون الكنيسة، فكان هذا القرار، هو الأخطر في عواقبه، لتحديد المسيرة نحو الكنيسة-الإمبراطورية. وسيكون لهذا النوع من العلاقة، تأثير كبير حتى على اللاهوت المسيحي، وبالتحديد على الخريستولوجيا، وعلى العلاقة الوثيقة بين أقانيم الثالوث من جهة، والعلاقة بين إدارة الكنيسة والإمبراطور شخصياً، من جهة أخرى. فماذا تعني، بالنسبة إلى الخريستولوجيا، فكرة الكنيسة-الإمبراطورية؟ وأي نتائج تنجم عنها، من جهة استقلالية القرارات الصادرة عن المجامع؟

لقد اهتم المدافعون المسيحيون، في القرون الأولى، بمصادفة مجيء المسيح مع السلام الاوغوسطي[٥٧٩]، ومع توحيد الإمبراطورية الرومانية، ومصالحتها مع المسكونة. واعتبروا ذلك ليس محض مصادفة، بل ربطوه بتدبير الله الخلاصي. فانتشار الإمبراطورية وتوحيد لغتها، يساعدان على انتشار المسيحية في جو من الرفاهية والازدهار. وقد رأى هؤلاء المدافعون، ترابطاً بين تدبير الخلاص ولاهوت التاريخ. وشدد اوسابيوس القيصري على ذلك في القرن الرابع، عندما لاحظ أهمية الدور الذي لعبه قسطنطين، معتبراً أن الحضارة الهيلّينية-الرومانية، حملت نمواً أخلاقياً للإنسانية جمعاء، وقابل المونارخية الرومانية بالمونارخية السماوية. ولا ريب أن الوحدة السياسية، يقابلها انتصار روحي على تعدد الآلهة، والإمبراطور المسيحي، يتناغم والمسيح المنقذ الذي غلب الشيطان، ذلك المُخلّ الوحيد والحقيقي بالنظام السياسي والديني.

---

* نظام الكنيسة-الإمبراطورية Césaro-papisme

٥٧٩ الاوغوسطي نسبة إلى اوغوسطوس قيصر (٣١ ق.م.-١٤ م)، الذي وحّد الإمبراطورية الرومانية، وعمم السلام فيها.

كانت النظرة متوازية من قِبل الكنيسة ومن قِبل الإمبراطورية. فقد رأت الكنيسة في الإمبراطور، صورة للمسيح سيد العالم. واعتبر الإمبراطور نفسه "الأسقف الذي أقامه الله للأمور الخارجية"، و"الحبر الأعظم لديانة الدولة"، و"الرئيس الأعلى" للدين والدولة، فأصبح بذلك شبيه اللوغوس، له الوظائف ذاتها، تجاه الآب وتجاه الشعب. وهو أداة انتصار اللوغوس نفسه على الظلمات. ألم يعتبر آباء المجمع أنفسهم في الفردوس، في ملكوت الله، خاصة في حفلة الوداع، بعد انتصار الإيمان القويم على الآريوسية؟ ألم يعطوا الإمبراطور دوراً ملوكياً مسيحانياً؟ فكما أن المسيح يطرد من قطيعه كل القوى المتمردة، كذلك فعل قسطنطين، إذ إنه أخضع أعداء الإيمان المنظورين، وقاد الناس إلى معرفة الله! لقد أصبح المعلّم الذي يعلن ملكوت الله على الأرض، ويبشر بشريعة الحق.

واعتبر قسطنطين نفسه، المدافع عن كنيسة الله، وعن نشر ديانته في كل أرجاء المملكة؛ وهو من ربط الدين بالدولة، آخذاً على عاتقه الدفاع عن كليهما: تدخّل في الأمور الدينية والعقائدية (مشكلة دوناتوس، ثم مشكلة آريوس)، وسمح لنفسه بالدعوة إلى مجمع عام شامل، فكان المجمع المسكوني الأول. ومن الطبيعي أن يكون له دور هام في المناقشات، وفي القرار النهائي. ويثبت اوسابيوس القيصري ذلك في كتابه "حياة قسطنطين"، فيتكلم عن تدخل الإمبراطور في حياة كنيسة مصر، بعد مجمع نيقيا، قائلاً: "بينما كان الجميع يعيش بسلام، ظل المصريون في نزاع في ما بينهم، مما أثار قلق الإمبراطور، دون أن يدعوه ذلك إلى الغضب. لكنه أكرمهم كآباء أكثر من أنبياء الله، ودعاهم مرة ثانية إلى مجمع (ربما مجمع نيقوميديا عام ٣٢٧)، وسعى مجدداً، ليكون -برحابة صدره- وسيطاً بينهم، وكرّمهم بمنحهم هدايا وهبات، وأعلن في رسالة له قرار المجمع، وأثبت مداولاته وصادق عليها، وحثّهم على البقاء متحدين في الوفاق، وألا يقسموا أو يمزقوا كنيسة الله، بل فليذكروا بعضهم بعضاً، حسب روح حكم الله". ويقول في مكان آخر: "كما لو أن الله جعله أسقفاً عادياً للجميع، كان يدعو إلى اجتماعات خدام الله، ولا ينفر من الاشتراك فيها، والجلوس في وسطهم. وكان يشاركهم في مداولاتهم، ويجتهد حتى يدبر للجميع فوائد السلام الإلهي. وهكذا جلس في وسطهم، كواحد من أعضاء المجمع..."، وبالتالي، لا يمكن أيضاً غض النظر، عن الدور الذي لعبه قسطنطين في تثبيت عقيدة "الاوموسيوس" في المجمع، ولا في ردّه اعتبار

www.old-criticism.blogspot.com

الآريوسيين من بعد، خاصة في مجمع أورشليم في أيلول ٣٣٥، وكذلك تقريره أرثوذكسية إيمان آريوس بعد المجمع، وغيرها من الأمور. وعلى خطاه سيسير خلفاؤه، لا بل سيتخطونه بتدخلهم السافر في شؤون الدين، وهي من الأمور السلبية لعلاقة الكنيسة بالدولة، والدين بالدنيا. ومما ساهم في نمو سلطتهم الكنسية، هو أن بعض المؤرخين واللاهوتيين الأقدمين، وضع السلطة الإمبراطورية فوق المجمع، وجعلها السلطة العليا في الكنيسة، حتى في مواضيع الإيمان.

أعطى مجمع نيقيا الكنيسة فتحاً جديداً بالنسبة إلى المجامع. فبالرغم من أنها عرفت الحركة المجمعية منذ أول نشأتها، مع الاجتماع الأول لانتخاب متياس، خلفاً ليهوذا الاسخريوطي، أو ذاك المجمع التالي، لحلّ موضوع اليهود اليونانيين، وتنصر الوثنيين، وغيرهما من المجامع، إلا أن مجمع نيقيا، كان بداية لمؤسسة جديدة في الكنيسة. وهي الحركة المسكونية، التي استطاعت الكنيسة بواسطتها، جمع "كل الأساقفة، أو على الأقل غالبيتهم"، لاتخاذ قرار نهائي في موضوع، لم تتمكن عدة مجامع محلية حلّه بطريقة نهائية: توضيح خطأ آريوس، وتثبيت عقيدة ألوهية يسوع، والقول إن المسيح إله مساوٍ للآب في جوهره.

وضع مجمع نيقيا أساسات الأرثوذكسية، وأعطى ركيزة إيمان ثبتت عليها الكنيسة، ولا تزال صالحة ومتينة حتى اليوم. فقانون الإيمان الذي نقر به اليوم في كافة الكنائس، هو الذي أقره مجمع نيقيا، والذي ثبتته بقية المجامع، حتى أصبح أساس الأرثوذكسية ومعيارها. جاء مجمع نيقيا نتيجة مسيرة لاهوتية طويلة، إبتدأت مع الرسل وخلفائهم، ومع المؤمنين، خصوصاً المثقفين منهم. وكان الله والمسيح محور الجدل والنقاش. فكانت مسيرة تكوين لاهوت ثالوثي وخريستولوجي، بطيئة جداً: افتُتحت بمشكلة الله الواحد المثلث الأقانيم، ثم علاقة المسيح بالله، إله اليهود وإله العهد القديم، ثم انتقلت إلى موضوع ألوهيته، ومكانه في الثالوث... وسيتابع التفكير اللاهوتي مسيرته، ليوضح مسألة التمييز بين الطبيعتين الإلهية والإنسانية في المسيح، ووحدانيتهما التي ما زالت غير واضحة المعالم للكثيرين حتى الآن.

تكلم الآباء كثيراً عن اللوغوس، وعن علاقته بالله الخالق ومكانته. وكان تأثير الفلسفة اليونانية والميتولوجيا، على اللاهوت المسيحي كبيراً، خاصة لدى الآباء الإسكندرانيين: منهم من اعترف بالأقانيم الثلاثة في الله، وميّز بوضوح بين الآب

والابن كاوريجانوس، ومنهم من تمسّك بالوحدانية المطلقة، ممثلاً القطب المعاكس، كصابيليوس وأتباعه، وذلك ما مهّد الطريق لمجمع نيقيا.

بدت الشروحات الخريستولوجية على المستوى العقائدي، نظرية وبدائية وفوضوية. وكانت بمثابة بداية أولى، حيث برز اعتراف بدور نفس المسيح، ما عتّم أن غدا اتحاداً أو استبعاداً تاماً، مما دفع إلى الاستعاضة عنه باللوغوس. وكان سبب المشكلة عدم وجود -حتى تلك الفترة- تمييز واضح وجلي، بين "الأقنوم" و"الجوهر": كان هناك اختلاط وغموض حتى سنة ٣٦٠، حول استعمال اللفظتين اليونانيتين: "اوسيا" التي تعني جوهر و"ايبوستاسيس" التي تعني أقنوم. فاستخدم الآباء اللفظتين كمترادفين، دون تمييز بين "طبيعة" و"شخص". ومن هنا سيرتاب بعض آباء نيقيا، من استعمال كلمة "اوموسيوس"، وسيرفضون إدخالها، في قانون الإيمان الذي أقرّه المجمع.

تابعت الخريستولوجيا، في هذه الأجواء الضبابية لاهوتياً، مسيرتها، خاصة في العاصمتين الهامتين آنذاك، أنطاكية والإسكندرية. وكان آريوس يمثل الأفكار اللاهوتية، التي كانت مسيطرة آنذاك، متأثراً بالمدرستين الأنطاكية والإسكندرية، فأعطى حلاً منطقياً لمشكلة كلمة الله وتجسده في المسيح يسوع. وأقنعت أفكار آريوس اللاهوتية، الشعب البسيط، لأنه وجد لديه التفسير المقبول والعقلاني المنطقي، خصوصاً وأنه وضع أفكاره، بشكل مبسط وواضح ومقنع، في تراتيل وأغانٍ شعبية، فلاقت رواجاً لا نظير له. ولا يمكن السهو عن الهرطقات السالفة، التي حاول آريوس تجنبها: اعترف مثلاً بلفظة "ولادة" كالأرثوذكسيين، كي يدافع عن وجود أقنوم الابن ضد الصابيلية، لكنه اعتنق الدونية، التي أخذها من اوريجانوس، والزمنية، التي تهيمن على كل ولادة بشرية، فألصقهما بالولادة الإلهية، واستنتج بتفكير منطقي، أنه لا يمكن للابن أن يكون أزلياً مع الآب.

لم يتكلم آريوس عن أسبقية زمنية بالمعنى الحصري، بل عن أسبقية في الزمان، يمكن أن توجد بين الآب والابن، لأنه اعتبر بدء الزمن مع الخلق: فالابن المخلوق من الآب قبل الخلق، وُلد قبل الزمن أيضاً.

www.old-criticism.blogspot.com

واعتقد الآريوسيون مع كاهن بوكاليس، أن خلق الأشياء الزمنية، يؤدّي حتماً إلى تبدّل في الخالق، فكيف يمكن أن يولد الابن من الله، اللامنقسم واللامادي والثابت، دون أن يتغيّر هذا الأخير؟! وإذا تغيّر، فهذا مخالف وفكرة الألوهية.

انطلق آريوس، في الأساس، من مفهوم منحرف حول الألوهية، فاعتقد، على غرار الأفلاطونيين والأفلوطينيين، بإله سام، متعال عن المادة، واحد، لا يُعبر عنه، لهذا فهو بحاجة إلى وسيط بينه وبين هذا العالم المخلوق، والأهم من ذلك أنه روحاني روحانية مطلقة، وهذه حقيقة لاهوتية، يرى آريوس أنه ينبغي أن نحرص على عدم المساس بها. ومن هنا استنتج أن ابن الله غير مولود بل مخلوق، لأن الولادة لا تتفق مع روحانية الله، ولا مع وحدانيته، لأنها مادية حسية... وهذه كلها صفات بشرية، لا يليق لصقها بالله. ثم إن الولادة تقتضي نوعاً من التغيير، بينما الله لامتغير، وتقتضي أيضاً وحدة الطبيعة بين الوالد والمولود، مما يهدم وحدانية الله، فمن صفات الألوهية عدم التوالد.

انعكس لاهوت آريوس الثالوثي، بالطبع، على خريستولوجيته، فأكد أن الابن مخلوق، وتمسك بوحدانية الله، ورفض أن يحيد عنها، لذلك لم يقبل أن يعترف بأن "اللوغوس" إله. وبما أن الكنيسة والتقليد، يدعوانه "ابن الله"، حاول تفسير هذه البنوة، على الشكل التالي:

١) لم يكن الله منذ الأزل أباً، كان هناك زمن لم يكن فيه أباً.

٢) كلمة (لوغوس) الله لم يوجد منذ الأزل، بل خُلق من العدم: الله كائن بذاته، خلق من العدم، من هو ليس بذاته.

٣) كان هناك زمن لم يكن فيه اللوغوس.

٤) لذا فإن الابن مخلوق.

٥) هذا اللوغوس غير مشابه للآب في الجوهر، وليس، حقاً، بطبيعته، كلمة الله ولا حكمته (لا لوغوس ولا صوفيا).

٦) لهذا فهو، بطبيعته، قابل للتبدل والسقوط في الخطيئة.

٧) وهو غريب عن جوهر الآب، ويختلف عنه. لا يعرف الله كلياً، ولا طبيعته تماماً.

٨) خلقه الله من أجلنا، حتى يستطيع خلقنا بواسطته، مستخدماً إياه كأداة، ولم يكن ليوجد، لولا أن الله دعاه للوجود لمحبته.

هذا، ولم يجد آريوس غريباً، أن يكون "مخلوقاً" هو مخلصنا! ألم يكن النبي موسى قبله، -وهو أقل كمالاً بكثير من اللوغوس- رجلاً بسيطاً، ودُعي مخلص شعب إسرائيل!

من المؤكد والواضح، أن آريوس أعطى الأجوبة الأولى حول لاهوت "اللوغوس"، وهي أجوبة بدائية ومنطقية، يقبل بها العقل البشري. ولكن يبقى السؤال: هل هذا هو إيمان الكنيسة، الإيمان الذي اعتنقه الرسل، ونقلوه إلى الأساقفة خلفائهم، الذين نقلوه بأمانة، وأورثوه بدورهم، الأجيال التالية؟ هذا ما دفع بالكسندروس، أسقف الإسكندرية، إلى الوقوف بوجه آريوس، رغم كل الصعوبات والتحديات، حتى من الإمبراطور. وهنا نُقرّ أننا لا نستطيع أن ننكر، تأثير الإمبراطور والسياسة وبقية العوامل الاجتماعية والأدبية وسواها، على الكنيسة والمسؤولين عنها. ولا يمكن أن ننكر أيضاً من جهة أخرى، دور الروح القدس في توجيه الآباء، نحو العقيدة الأصح، وليس نحو الأكثر منطقية. وهذا هو الدور الإيجابي لكرازة الكنيسة الأصلية.

لقد واجه آباء المجمع بعض الصعوبات، في التصدي لعقيدة آريوس المُحكمة البنيان، وفي الدفاع عن الإيمان الصحيح. وتعود أسباب ذلك، إلى أن العصور المنصرمة التي عاشتها الكنيسة حتى تلك الحقبة، لم تكن عصور تفكير ديني ولاهوتي كثيفين ومعمقين، بل كانت الاضطهادات تلاحق الأساقفة والمعلمين، فلم يكن من السهل، على الرغم من محاولات عديدة ناجحة، إيجاد صياغات لاهوتية مشتركة، ولم يكن هناك مثلاً، دستور إيماني مسكوني، بل إن كل كنسية، كانت تستعمل دستورها الخاص الذي، رغم أرثوذكسيته، لم يكن ليفي بالغرض. وكذلك لم يتمكن الآباء، نتيجة الاضطهادات المتلاحقة، من نشر تعاليمهم كثيراً، فبقي التعليم شفهياً، محصوراً في بيئة مثقفة ضيقة. وثمة عامل رئيسي آخر، ساهم بقوة في هذا الاتجاه، ألا وهو إدراك الآباء، قصور اللغة البشرية في التعبير عن الله: عجز

www.old-criticism.blogspot.com

الكلمات عن الإحاطة بكل ما تعنيه عن الله، والحذر من استخدام ألفاظ قد تسيء إلى فهم صاحبها... وهكذا كان الاعتقاد بضرورة إيجاد أصح المفردات للتعبير عن الله، والتدقيق في كل ما يُستعمل منها للحديث عنه. لذلك شاهدنا كيف شدّد آباء المجمع على دقة التعابير، حتى يسدوا جميع المنافذ، أمام تفسيرات آريوس الملتوية والمتلونة، فأكدوا على أن "الابن مولود غير مخلوق"، وأنه "من جوهر الآب"، وظهرت أكثر هذه التعابير إحكاماً "الاوموسيوس"، "مساوٍ للآب في الجوهر"، التي حسمت الأمر بشكل قاطع ونهائي، إذ لم يعد أمام آريوس أي مجال لتأويلها على هواه، كما فعل عدة مرات. فكانت هي التي حددت بوضوح، العقيدة الأرثوذكسية التي تسلمتها الكنيسة من السيد المسيح، ومن الرسل الأطهار والآباء القديسين، فبقيت بذلك محافظة على خط الإيمان التقليدي الخالي من أي شائبة!

من هنا يظهر لنا دور المجمع وأهميته في إصلاح الاعوجاج، وإعادة الأمور إلى طريقها الصحيح، وإلى "أرثوذكسيتها". فقد لعب مجمع نيقيا دوراً أساسيا في دعم العقيدة الأرثوذكسية، بالرغم ما تبعه من تراجع قسطنطين عن موقفه، وعرض قوانين إيمان بديلة أخرى، وانعقاد مفرط لمجامع محلية أو إقليمية، دون أن يُعطي كل ذلك نتيجة فعالة. لكن يجب الإقرار، بأن نيقيا أحدث انشقاقاً في الكنيسة، إذ ظهرت على إثره، تحزبات الآريوسيين من جهة، والنيقاويين من جهة أخرى. وكان لكل من هذين الفريقين، أنصاره المتشددون أو المتساهلون، قد يجمع بينهم أحياناً المعتدلون، وكل منهم يحاول تبرير موقفه وإقناع الباقين بإتباعه.

ومهما تبدو الصورة قاتمة، والانقسام كبيراً في الكنيسة، يبقى النور غير المباشر الذي يعكس بصيصاً منه، فينير الصورة بطريقة جزئية. وهذا النور هو سعي كل من الأطراف، في سبيل الوصول إلى عقيدة صحيحة. ويبقى قانون إيمان نيقيا هو المنتصر، كما سيبيّنه لنا البابا داماسوس (٣٦٦-٣٨٤) من جهة، والآباء الكبادوكيون من جهة ثانية، والمجامع اللاحقة ونتائجها من جهة ثالثة.

صحيح أن كل أولئك الهراطقة والمبتدعين، كانوا سبباً للفوضى في الكنيسة، وضياع الكثير من المؤمنين، ولكنهم كانوا أيضاً، من جهة مقابلة، سبباً لإظهار اللاهوت الصحيح، وتطوره وتثبيته في الكنيسة. فكما أن توما ثبت لنا، بسبب شكه، حقيقة يسوع الناهض من بين الأموات، وأرسى إيماننا بهذه القيامة، وألغى

بتصرفه كل شك فينا[٥٨٠]، كذلك ساعد آريوس ومناصروه الكنيسة، على إيجاد العقيدة الصحيحة، حول لاهوت الابن المتجسد، دون أن يعلموا.

بدأ مع نيقيا تنظيم جديد للكنيسة، أو بالأحرى، تثبيت كيانها بقوانين. أما الأبرشيات فأخذت تتوزع حسب حدود المقاطعات، وستكون التقسيمات الجغرافية المدنية، النموذج الذي سوف تتبناه الكنيسة في تقسيم أبرشياتها. وهنا أيضاً نرى ترابطاً بين "الديني" و"المدني". وسيظهر ذلك أكثر في المجامع التالية، عندما سيتقدم كرسي القسطنطينية، على سواه من الكراسي الرسولية، لأن القسطنطينية أصبحت مركز الإمبراطور.

لنيقيا أيضاً أهمية وفضل على الكنيسة جمعاء، لا يمكننا أن ننكرهما، مردهما إلى توحيد عيد الفصح وجعل المؤمنين كافة، يحتفلون بالفصح يوم الأحد، وهكذا ارتبط هذا اليوم من الأسبوع، بذكرى القيامة، وأصبح "اليوم السيدي"[٥٨١]. فبعد أن دام الخلاف والجدال، بين كنائس آسيا وبقية الكنائس، بسبب هذا العيد لفترة قرون، دون أن يستطيع لا اغناطيوس ولا بوليكربوس ولا البابوات، الخروج من هذا المأزق، جاء نيقيا ليفرض على الجميع بأن يعيّدوا ذكرى قيامة المسيح يسوع يوم أحد، على أن تحدد كنيسة الإسكندرية الأحد المناسب، (بعد الاعتدال الربيعي، وبعد الرابع عشر من نيسان، على أن يكون بعد عيد اليهود)، وتُعلم بذلك روما وبقية الكنائس. طبعاً، كانت هناك فترة انتقالية وجيزة، لم يتبع بعض كنائس آسيا خلالها القرار النيقاوي، إنما مع الوقت، وبسبب اتفاق كافة الأساقفة على القرار، ما لبثت الكنيسة جمعاء، أن احتفلت بهذه الذكرى في يوم واحد[٥٨٢].

---

٥٨٠ راجع يو ٢٠/٢٤-٢٩.

٥٨١ بينما يُدعى يوم الأحد في اللغات اللاتينية الأصل "يوم الرب" Dies, Domenicus, Domenica, Dimanche, راجع عمل ٢٠/٧، حافظت اللغة الإنكليزية على الاسم القديم "يوم الشمس" Sunday.

٥٨٢ تعاني كنيستنا اليوم من المشكلة ذاتها، أي تعييد الفصح شرقاً وغرباً في يومين مختلفين، وإن كان أساس المشكلة، مختلف اليوم كلياً عما سبق. فالمشكلة الحالية نابعة من وجود تقويمين، يتبع الغرب وقسم من الكنائس الشرقية التقويم الغربي الذي وضعه البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢-١٥٨٥) عام ١٥٨٢، بينما تتبع بقية الكنائس الشرقية التقويم الشرقي اليوليانى القديم. لقد رأينا، من خلال تاريخ مجمع نيقيا، أن الخلاف على تعييد يوم قيامة الرب، ظل شيئاً أساسياً بالنسبة للمسيحيين، حتى إنه أدى إلى قيام مشادات وانعقاد مجامع. وكذلك لاحظنا كيف أن أحد البابوات حاول أن يرفع سقف المسألة، ليجعل منها قضية عقائدية، ولكنه لم يفلح... واليوم يطرح المسيحيون جميعاً السؤال عينه، لماذا لا نعيد

www.old-criticism.blogspot.com

أدرك الآباء في نهاية القرن الرابع، أهمية مجمع نيقيا، الذي رسم بداية طريق جديد في الإيمان المسيحي، وأصبح نقطة تحول فاصل في تاريخ الكنيسة، وقد اكتسب أهميته هذه، بثمن غالٍ جداً، بعد صراعات حادة حول شرعيته. وقد لزم مرور فترة زمنية طويلة، قبل أن يُقبل به وبالصفة المسكونية. فصار يُقال "ما قبل نيقيا" و"ما بعد نيقيا"، أو "حقبة الكنيسة والإمبراطورية الوثنية" من جهة، وحقبة "الكنيسة والمملكة المسيحية" من جهة أخرى[٥٨٣].

اليوم، وبعد أكثر من ألف وستمائة سنة من هذا المجمع، لا زال نيقيا يُعتبر أساس المجامع ومثالها. وما تجدر الإشارة إليه، أن أغلب الكنائس الشرقية، عرفت منذ القرن الخامس، قيمة المجامع المسكونية الأربعة الأولى، وقدّرت الدور الذي لعبته، سواء زمن انعقادها، أو بعده، ونوهت، باستمرار، بالأثر الذي خلفته لدى مؤمني الأجيال التالية. وخصصت لها تذكاراً في روزنامتها الطقسية، مركزة على المجمع الأول، مجمع نيقيا، المدعو غالباً مجمع الآباء الثلاثمائة وثمانية عشر. فالطقس البيزنطي يكرس لتذكار مجمع نيقيا، يوم الأحد بعد الصعود وقبل العنصرة، المعروف بأحد القديسين آباء المجمع المسكوني الأول، وهو الأحد السابع بعد الفصح[٥٨٤]. ويخصص له الأرمن، يوم السبت من الأسبوع الثالث، الذي يلي عيد انتقال العذراء، أو السبت السابق، لأسبوع الاستعداد لرفع الصليب المكرم. أما اليعاقبة والأقباط، ففي الخامس أو التاسع من تشرين الثاني. كما يحتفل اليعاقبة أيضاً، في الثالث من الشهر ذاته، بذات الحدث التاريخي الهام، مع تذكار القديس ديونيسيوس. طبعاً، نجد العديد من الاختلافات بالنسبة إلى هذه التواريخ، والسبب

في اليوم الواحد نفسه، خصوصاً في كنيستنا المشرقية، التي نشعر فيها أكثر من الغرب بهذا التباين؟ وهل صحيح أن مشكلة التقويم الكنسي، مسألة عقائدية أم هي مجرد قضية إدارية تنظيمية؟ ومن هم الأشخاص المخوّلون فعلياً وضع التقاويم؟ رجال الإكليروس أم ذوو الاختصاص؟ وهل صحيح أنها قضية تقويم وروزنامات وحسب؟ وعلى افتراض أن القضية قضية تقويم وحسب، فهل يجوز في زمننا، ونحن نعيش عصر اكتشاف الكون في كل أبعاده، وفي عصر تقدم العلم على كافة الأصعدة، وفي عصر الساعة الذرية، ألا نستطيع أن نُكلّف من يجب تكليفه، بوضع تقويم كنسي جديد، على أسس علمية سليمة، كي يتبعه جميع المسيحيين من دون استثناء، خاصة أننا نعرف جميعاً، كم من الأخطاء تتضمنها تقاويمنا الآنية، فنجعل الكنيسة كلها تعيّد لقيامة الرب في اليوم عينه؟ أو هل ننتظر "قسطنطين" جديداً، ليفرض علينا الأمر الواقع؟

٥٨٣ من هنا يُفضل تسمية قسطنطين "إمبراطوراً" في مرحلة ما قبل نيقيا، و"ملكاً" في مرحلة ما بعد نيقيا. وتسمية الأباطرة الرومان قبله، والأباطرة البيزنطيين من بعده.

٥٨٤ نجد تذكاراً آخر خاصاً بآباء المجمع المسكوني السابع، في الأحد التالي للحادي عشر من تشرين الأول.

عائد إلى تعدد المخطوطات الليتورجية، وإلى تاريخ نقلها، مما يدل على أن هذا التذكار، قد تبدل أحياناً مع الزمن، ولدى بعض الكنائس.

ونجد في الطقس البيزنطي، تذكاراً آخر لمجمع نيقيا، في الأحد الذي يلي الثالث عشر من تموز، إنما خُصص هذا التذكار للمجامع الستة الأولى، وفيه يحتل مجمع خلقيدونيا موقع الصدارة. وإذا حاولنا أن نواكب تطور هذا العيد تاريخياً، لوجدنا أولاً، أن مثل هذا التذكار، الخاص بالمجامع المسكونية الأربعة الأولى، قد أُدرج لأسباب محض تاريخية، مما حدا بذوي الاعتقاد بالطبيعة الواحدة إلى إقامة تذكار لنيقيا، كردة فعل ضد مجمع خلقيدونيا وآبائه.

فعلى أثر وفاة الإمبراطور اناسطاسيوس المونوفيزي (٤٩١-٥١٨) عام ٥١٨، وجلوس خليفته يوستينوس الأول (٥١٨-٥٢٧)، الموافق لأرثوذكسية مجمع خلقيدونيا، قامت ثورة شعبية، تطالب بخلع البطريرك ساويروس الأنطاكي عن كرسيه، وتيموثاوس الأول القسطنطيني المونوفيزيين، وإعادة المكانة للمجمع الرابع، مجمع خلقيدونيا. وبعد طلب الشعب وإلحاحه وهتافاته، قرر البطريرك القسطنطيني الكبادوكي يوحنا الثاني (٥١٨-٥٢٠)، المنتخب حديثاً، إقامة هذا العيد في اليوم التالي للثورة، أي في السادس عشر من تموز ٥١٨ مع تذكار المجامع الثلاثة الأولى، بالإضافة إلى المجمع الرابع خلقيدونيا. وهكذا، ثبت هذا العيد، وأدرج في الروزنامة الطقسية الليتورجية[٥٨٥].

ثم، وفي مرحلة تالية، أي بعد انعقاد المجمع النيقاوي المسكوني السابع عام ٧٨٧، أُضيف تذكار خاص للمناسبة[٥٨٦]. وتحدد عيد مستقل للآباء الثلاثمائة وثمانية عشر، في الأحد السابع بعد الفصح، أو في اليوم الثامن بعد عيد الصعود،

٥٨٥ هذا ما لم تفعله الكنيسة الغربية، بالرغم من تقديرها للمجامع الأولى، بما فيها نيقيا الأول.

٥٨٦ يكرّم النساطرة فقط المجمعين المسكونيين الأولين. أما ذوو الطبيعة الواحدة الذين يرفضون مجمع خلقيدونيا، فيحتفلون فقط بالمجامع الثلاثة الأولى. كذلك نجد لدى الأقباط، في أول القداس، صلاة للحل من الخطايا، تُعطى باسم الآباء الثلاثمائة وثمانية عشر (نيقيا) والمائة وخمسين (القسطنطينية الأول) والمائة (افسس). وفي أديار الجبل المقدس الأرثوذكسية في اليونان، يعيّد الرهبان لكل مجمع من المجامع السبعة على حدة: نيقيا في الأحد الأول بعد الصعود؛ الثاني في ٢٢ أيار؛ الثالث في ٩ أيلول؛ الرابع في ١١ تموز؛ الخامس في ٢٥ تموز؛ السادس بعد ١٤ أيلول؛ والسابع المسكوني الأخير، في الحادي عشر من تشرين الأول. Salaville., 457

www.old-criticism.blogspot.com

عوضاً عن التاسع والعشرين من شهر أيار؛ كما وخصصت الكنيسة، قطعاً ليتورجية وتلاوات كتابية، تتناسب وهذا التذكار.

كانت الآريوسية من أهم العواصف الدينية، التي هبت في تاريخ المسيحية، سواء بوجهها السلبي الذي أعطته لذاتها، أو بالإيجابي، الذي سببته دون أن تدري، حيث أرادت أن تحوّل الإيمان إلى مجرد تفكير منطقي، وبالتالي، كان هناك خطر من أن تُفرغه من كل مضمون ديني، لذا هب الآباء القديسون لرفضها، والذود عن الأرثوذكسية. هذا، وقد سببت هدراً للطاقات الشخصية وحقداً وكراهية، بين الإكليروس نفسه وبين المؤمنين، إن لم نقُل هلاكاً جسدياً وروحياً للكثيرين.

خلق تاريخ هذه الأزمة أيضاً، علاقة وطيدة أولى، أصبحت تقليداً، بين الكنيسة والدولة، كما سبق وذكرنا، وعلاقة أخرى بين الشرق والغرب، ظهرت سواء في المجامع التي عُقدت لدى الطرفين، لحلّ المشكلة ذاتها، واهتمام الآباء الشرقيين والغربيين بها، أو في تغرّب الآباء لدى نفيهم، وشرحهم الموضوع في الغرب. ولا ريب أن للآريوسية بعض الإيجابية، وهي أنها فرضت على الكنيسة تعمقاً في العقائد اللاهوتية والكتاب المقدس، لاستخراج الحقائق الدينية، أو لدعمها.

لا يمكن لأحد، بعد كل ذلك، أن ينكر أهمية المجمع المسكوني الأول. ولقد شعر الآباء، ليلة وداعهم قسطنطين، وكأنهم في الفردوس، لا بل في السماء. ولكن شتان ما بين شعورهم العفوي في تلك الليلة، وما تلاه من أحداث وانقسامات وتحزبات، شرذمت الكنيسة لفترة طويلة. إذ تحوّل النزاع الآريوسي، إلى نزاع سياسي-ديني، دام حتى نهاية عهد الإمبراطور كونستانس (٣٦١)، لا بل حتى استلام ثيودوسيوس الكبير الحكم (٣٧٩). في الواقع، كانت هذه المرحلة من تاريخ الكنيسة، فترة اضطهاد متواصل للأرثوذكسيين، خصوصاً بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين، واستلام كونستانس الشرق أولاً (٣٣٧-٣٥٠)، ثم الإمبراطورية الرومانية بأكملها (٣٥٠-٣٦١). فمع اوسابيوس النيقوميدي، الذي تزعم الحركة الآريوسية، ازدهرت هذه البدعة، فوجدت الطريقة المثلى، للسيطرة على الكنائس وعلى المؤمنين. بدأت باتهام الأساقفة الأرثوذكسيين، بشتى أنواع الاتهامات، وراحت تخلعهم عن كراسيهم، وتنتخب أساقفة جدداً موالين للآريوسية، ينشرون

مبادءها فخُلع ونفي كل من افستاثيوس الأنطاكي، ومركلوس الأنقيري، واثناسيوس الإسكندري، وايلاريون أسقف بواتييه وسواهم، حتى بدا وكأن النيقاويين سُحقوا تماماً، وأن الآريوسية سيطرت على الكنيسة بأجمعها، خاصة بعد مجمعي ريميني في الغرب، وسلوقيا في الشرق (٣٥٩). ولكن، بعدما خسرت الآريوسية خط دفاعها الأول، بوفاة الإمبراطور كونستانس الثاني، الموالي لها تماماً، بدأت تتضعضع وتخسر الكثير من أتباعها، خاصة مع انقسام الآريوسيين بعضهم على بعض، وتشتتهم إلى أحزاب مختلفة ومتطرفة، مما أسهم في انخساف الآريوسية، بعد فقدان كل دعم سياسي لها.

كان حكم الإمبراطورين التاليين، يوليانوس الجاحد (٣٦٠-٣٦٣)، ويوفيانوس (٣٦٣-٣٦٤) قصيراً، ولم يتسنَّ بالتالي، لأحد طرفي النزاع التحرك كثيراً، خصوصاً وأن يوليانوس اهتم بالوثنية، واضطهد المسيحية، دون تمييز بين أرثوذكسي أو آريوسي. وكان حكم يوفيانوس كان قصير الأجل، فلم يتسنَّ له تقديم الدعم الكامل للنيقاويين، كما كان منتظراً.

بعد انتهاء حكم كونستانس الثاني، راحت الإمبراطورية، تعود أدراجها، لأن الإمبراطور الجديد يوليانوس الجاحد، حاول استعادة أمجاد الوثنية الغابرة، ومحو اسم المسيحية، ولكنه لم يتمكن من بلوغ أهدافه المنشودة، إذ لم تطل فترة حكمه. ومن ثم، بدأت الأرثوذكسية تركز قواعدها على الأرض، أمام تراجع الآريوسية. وأخيراً، ومع وصول إمبراطور، مدافع عن الإيمان الحق النيقاوي للمرة الأولى، منذ انعقاد المجمع، راح النيقاويون أو النيقاويون الجدد، يمهدون الطريق، نحو حلّ هذه المشكلة المستعصية، التي استمرت زهاء ستة وخمسين عاماً، من عقد مجامع، ومجامع مضادة، وصياغة دساتير إيمان، ودساتير إيمان مضادة، ورشق إبسالات متبادلة... لذلك علينا انتظار الآباء الكبادوكيين، وشرحهم العقائدي اللاهوتي، من الناحية الدينية، والإمبراطور فالنتينوس ومساندته الإيمان النيقاوي، ودعمه للأرثوذكسية من الناحية السياسية، لنلحظ ميل كفة الميزان لصالح النيقاويين والأرثوذكسية. وعلينا أيضاً انتظار حكم ثيودوسيوس، وانعقاد مجمع القسطنطينية عام ٣٨١، -المرحلة

www.old-criticism.blogspot.com

النهائية للآريوسية- لنشهد حسم النزاع في الشرق[٥٨٧]، لصالح نيقيا وقانون إيمانها، لتبدأ الكنيسة عصر سلام جديد!

هَلُمَّ يا مَحافلَ المُستقيمي الرأي،
لنعيِّد اليومَ للتذكارِ السنويِّ الذي للآباءِ المتوشحينَ بالله،
الذين اجتمعوا، من سائرِ المسكونة، في مدينةِ نيقيا المضيئة.
لأن هؤلاءَ دَحضوا آريوسَ الرديء، ذا الاعتقادِ الكفري،
ورَذلوه بِحُسنِ عبادة، ونَفوه من الكنيسةِ الجامعة، بِمُوجبِ المجمع،
وعَلَّموا الكل، أنْ يَعترفوا جَهاراً،
بِمُساواة ابنِ اللهِ في الجوهرِ والأزلية، قَبلَ كلِّ الدهور،
ووَضعوا ذلكَ بتحريرٍ وحُسنِ عبادةٍ في قانونِ الإيمان.
فلذلكَ نُؤمنُ نحنُ إذاً، ونَقتفي اعتقاداتِهم الإلهية،
ونَعبدُ الابنَ بتحقيق، مع الآبِ والروحِ الكليِّ قدسُه،
ثَالوثاً مُتساوياً في الجوهر، بلاهوتٍ واحد.

إحدى قطع البندكستاري حسب الطقس البيزنطي

لمناسبة عيد آباء المجمع النيقاوي

٥٨٧ عرفت الشعوب الجرمانية العقيدة الآريوسية، ونقلتها إلى بلادها، عن طريق صداقة أسقف القوط اولفيلا Ulfila ، تلميذ اوسابيوس النيقوميدي. وبقيت متبنيّة هذه العقيدة، حتى تنصر كلوفيس (٤٦٥-٥١١). ولن تعود كلها إلى الإيمان القويم، إلا في القرن السابع.

مُلحق
وَثائِق مَجمَع نِيقيا الأوّل
٣٢٥

www.old-criticism.blogspot.com

كان من الضروري، بعدما خضنا وروينا تاريخ مجمع نيقيا الأول، أن نوثّق التاريخ بمستندات، تلقي الضوء عليه وتؤيد ما جاء فيه، كي يطلّع القارئ ويكون على معرفة أمتن... يجمع هذا الملحق، ما يفوق عن الخمسين وثيقة رسمية وشبه أو غير رسمية،. لم نشأ أن نُدرج كل هذه الوثائق الأصلية الهامة في النص لكي لا نُثقّل على الموضوع، ولا نقطع على القارئ حبل تسلسل التاريخ.

ونحن نعلم، ولا شك، مدى أهمية وما تمثّله مثل هذه الوثائق والمستندات -وأغلبها موضوع لأول مرة في اللغة العربية- بما فيها من إغناء للتاريخ، فمن خلالها يستدل القارئ على قيمة كل ما قيل، وعلى حقيقته، وعلى واقعيته... وكذلك على العقلية والمناخات والفكر...

حاولنا ترتيب هذا الملحق بطريقة منطقية: ففي قسم أول، أعطينا كل ما يمت إلى المجمع بصلة مباشرة؛ ثم اتبعناه، في قسم ثان، بقوانين بعض المجامع المكانية، ورسائل مختلفة وما سواها، وكلها ذات ارتباط مع مجمع نيقيا. وفي قسم ثالث، أدرجنا بعض الوثائق المدنية، كالمراسيم الإمبراطورية بخصوص الاضطهاد والتسامح، اللذين عاشتهما الكنيسة في القرون الأولى، وغيرها من الوثائق. إذن قوانين ورسائل ومراسيم دينية ومدنية، تُعطينا نظرة أوضح عن تاريخ الكنيسة وخصوصاً عن مجمع نيقيا الأول وتُظهر بجلاء أكبر علاقة الدولة بالمسيحيين.

ثم ألحقنا هذه الوثائق كلها، بلائحة للإطار التاريخي لمجمع نيقيا، المسكوني الأول، من ميلاد ربنا يسوع المسيح حسب الجسد، حتى تسلم الإمبراطور يوليانوس الجاحد مقاليد الحكم سنة ٣٦١. حتى يتمكن القارئ أن يتموضع بالنسبة للتاريخ الذي سردنا.

١

	Pères du Concile de Nicée	آباء مجمع نيقيا
	Egypte	**مصر**
1	Alexandre d'Alexandrie	الكسندروس أسقف الإسكندرية
2	Paphnuce de la haute Thèbes	بافنوس أسقف طيبة العليا (الأقصر)
3	Harpokration d'Alphocranon	اربوكراتيون أسقف الفوكرانون (حلوان)
4	Adamantius de Cynon	ادامانتيوس أسقف كينون
5	Arbetion de Pharbaeti	اربيتيون أسقف فارباتوس (حوريت)
6	Philippe de Panephusis	فيليس أسقف بانيفوزيس (بحيرة منزلة)
7	Potamius d'Héraclée	بوتاميوس أسقف هيراكليا (حنسية المدينة)
8	Secundus de Ptolémaïde	سيكوندوس أسقف بطوليمايس (المنشية)
9	Dorothée de Peluse	دوروثاوس أسقف بيلوسة (تل الفرامة)
10	Gaius de Thmuis	غايوس أسقف تمويس (تل التمي)
11	Antiochus de Memphis	انطيوخوس أسقف ممفيس (منف)
	Thébaïde	**طيبة**
12	Tiberius de Tauthites	طيباريوس أسقف طاوتيتيس
13	Atthas de Schedias	اطثاس أسقف سخيدياس (نيشو)
14	Tyrannos d'Antinoé	تيرانوس أسقف انتيونوي (شيخ عبادة)

www.old-criticism.blogspot.com

	Libye Supérieure	**ليبيا العليا**
15	Plusianus de Lycopolis	بلوسيانوس أسقف ليكوبوليس (اسيوط)
16	Daches de Berenices	زاخس أسقف بيرينيس (بنغازي)
17	Zopyre de Barces	زوبيروس أسقف باركيس (مدينة المرج)
18	Sarapion d'Antipyrgi	سارابيون أسقف انتيبيرغوس (طبرق)
19	Secundus Tauches Libyes	سيكوندوس أسقف تافخيس ليبيا
	Libye Inférieure	**ليبيا السفلى**
20	Titus de Paraetonii	تيطس أسقف باراتونيوس (حتة أبو شنب)
	Palestine	**فلسطين**
21	Macaire de Jérusalem	مكاريوس أسقف أورشليم
22	Germain de Néapolis	جرمانوس أسقف نابلس
23	Marin de Sébaste	مارينوس أسقف سبسطية
24	Gaianus de Sébaste	غايانوس أسقف سبسطية
25	Eusèbe de Césarée	اوسابيوس أسقف قيصرية أورشليم
26	Sabinus de Gadare	سابينوس أسقف غادارا (موقس)
27	Longin d'Ascalon	لونجينوس أسقف اسكالون (عسقلان)
28	Pierre de Nicopolis	بطرس أسقف نيكوبوليس
29	Macrin de Jamnée	ماكرينوس أسقف يمنه (يبنه)
30	Maxime d'Eleuthéropolis	مكسيموس أسقف اليفتيروبوليس (بيت جبرين)
31	Paul de Maximianopolis	بولس أسقف مكسيميانوبوليس (رومانة)
32	Januarius de Jéricho	يانواريوس أسقف اريحا
33	Héliodore de Zabulon	هيليودوروس أسقف زبولون (ابيلي)

34	Aetius de Lydda	ايتيوس أسقف اللد
35	Silvanus d'Azotus	سيلفانوس أسقف آزوتوس (اسدود)
36	Patrophile de Scythopolis	باتروفيلوس أسقف سكيثوبوليس(بيسان)
37	Asclepas de Gaza	اسكليباس أسقف غزة
38	Petrus d'Aila	بطرس أسقف إيلات (العقبة)
39	Antiochus de Capitolias	انطيوخوس أسقف كابيتوليا (بيت الرأس)
	Phénicie	**فينيقيا**
40	Zénon de Tyr	زينون أسقف صور
41	Enée de Ptolémaïde	اينياس أسقف بطوليمايس (عكا)
42	Magnus de Damas	ماغنوس أسقف دمشق
43	Théodore de Sidon	ثيودوروس أسقف صيدا
44	Hellenicus de Tripoli	هيللينيكوس أسقف طرابلس
45	Philocalus de Panéas	فيلوكالوس أسقف بانياس
46	Grégoire de Béryte	غريغوريوس أسقف بيروت
47	Marin de Palmyre	مارينوس أسقف تدمر
48	Thadoneus d'Alassu	ثادونيوس أسقف الاسو
49	Anatole d'Emèse	اناطوليوس أسقف حمص
	Coele-Syrie	**شيلي – سوريا (الجوفاء)**
50	Eustathe d'Antioche	افستاثيوس أسقف أنطاكية
51	Zénobius de Sélucie	زنوبيوس أسقف سلوقيا
52	Théodote de Laodicée	ثيودوتوس أسقف اللاذقية
53	Alpheus d'Apamée	الفيوس أسقف أفاميا (قلعة المضيق)

www.old-criticism.blogspot.com

54	Bassianus de Raphanée	باسيانوس أسقف رفانيه (رفنيه)
55	Philoxène d'Hiérapolis	فيلوكسينوس أسقف هيرابوليس (منبج)
56	Salamanes de Germanicée	سلامانيس أسقف جرمانيكيا (مرعش)
57	Piperius de Samosate	بيبيريوس أسقف سميساط
58	Archélaüs de Doliché	ارخيلاوس أسقف دوليخي (تل دولوق)
59	Euphration de Balanée	افراتيون أسقف بالانيه (بانياس)
60	Phalade, chorévêque	فالاديوس، خورأسقف
61	Zoïle de Gabale	زويلوس أسقف جبلة
62	Bassus de Zeugma	باسوس أسقف زوغماتوس (الجسر/بلقيس)
63	Gerontius de Larisse, Syrie	جيرونتيوس أسقف لاريسا (قلعة شيزر)
64	Manicius d'Epiphanie	مانيكيوس أسقف ابيفانيا (حماه)
65	Eustathe d'Aréthuse	افستاثيوس أسقف اريتوسا (الرستن)
66	Paul de Néocésarée	بولس أسقف قيصرية الجديدة (قسرين)
67	Sirice de Cyr	سيريكيوس أسقف قورش
68	Seleucus, chorévêque	سلوقوس، خورأسقف
69	Pierre de Gindara	بطرس أسقف جندريس
70	Pégase d'Arbocadama	بيغاسيوس أسقف أربوكاداما
71	Bassones de Gabula	باسونيس أسقف جبّول
	Arabie	**بلاد العرب**
72	Nicomaque de Bostra	نيكوماخوس أسقف البصرى (اسكي الشام)
73	Cyr de Philadelphie	قورش أسقف فيلادلفيا (عمّان)
74	Gennade d'Esbus	جناديوس أسقف إيسبوس (حسبان)

75	Sévère de Sodome	ساويروس أسقف صدوم
76	Sopater de Beritana	سوناتروس أسقف بيريتانا
77	Sévère de Dionysias	ساويروس أسقف ديونيسياس (السويداء)
	Mésopotamie	**بلاد ما بين النهرين**
78	Aïthalas d'Edesse	ايثالا أسقف الرها (اورفا)
79	Syméon d'Amidas	سمعان أسقف آمد (ديار بكر)
80	Maruthas de Martyropolis	ماروثا أسقف مرتيروبوليس (ميافاريقين)
81	Georges Singara	جاورجيوس أسقف سنجر
82	Jacques de Nisibe	يعقوب أسقف نصيبين
83	Antiochus de Resaïna	انطيوخوس أسقف رأس العين
84	Maréas de Macedonopolis	ماريأس أسقف مكدونوبوليس
85	Jean de Persa	يوحنا أسقف بيرسا
	Cilicie	**كيليكيا**
86	Théodore de Tarse	ثيودورس أسقف طرسوس
87	Amphion d'Epiphanias	امفيون أسقف ابيفانياس (جوز حنه)
88	Narcisse de Néronias	ناركيسيوس أسقف نيرونياس
89	Moïse de Castabala	موسى أسقف كاستابالا (العثمانية)
90	Nicétas de Flavias	نيكيتاس أسقف فلافياس (سيس)
91	Eudaemon, chorévêque	افديمونوس، خورأسقف
92	Paulin d'Adana	بولينوس أسقف اضنه
93	Macédonius de Mopsueste	مكدونيوس أسقف مصيصة
94	Tarcundimentus d'Egée	تراكونديمنتوس أسقف إيجيه (عياش)

www.old-criticism.blogspot.com

95	Hésychius d'Alexandrie (Cilice)	ايزيكيوس أسقف إسكندرون (كيليكيا)
96	Narcisse d'Irénopolis	ناركيسيوس أسقف ايرينوبوليس (قرب سيس)
	Cappadoce	**كبادوكيا**
97	Léonce de Césarée	لاون أسقف قيصرية
98	Eutychius de Tyane	افتيخيوس أسقف تيان (حيلسي-هزار)
99	Erythrius de Colonia	ايريتريوس أسقف كولونيا (اكسراي)
100	Timothée de Cybistra	تيموثاوس أسقف كيبسترا (ايريغلي)
101	Elpidius de Comane	البيديوس أسقف كومانا
102	Gorgonius, chorévêque	غورغونيوس، خورأسقف
103	Etienne, chorévêque	اسطفانوس، خورأسقف
104	Eudrome, chorévêque	ايفدروموس، خورأسقف
105	Rhodon, chorévêque	رودون، خورأسقف
106	Théophane, chorévêque	ثيوفانيس، خورأسقف
	Petite Arménie	**أرمينيا الصغرى**
107	Eulalius de Sébaste	افلاليوس أسقف سبسطية (سيواس)
108	Euethius de Satala	ايفيسيوس أسقف ساتالا (ساداغ)
109	Aristaque d'Arménie	اريستياخيس أسقف أرمينيا
110	Acritès	اقريطس
	Diospont	**ديوسبونتوس**
111	Eutychien d'Amasée	افتيخيانوس أسقف اماسيا
112	Helpide d'Edesion	البيدوس أسقف ايديزيون

113	Elpidius de Comane	البيديوس أسقف كومانا (غومينيك)
114	Héraclius de Zela	هيراكليوس أسقف زيلا
	Pont Polémiaque	**البنطس البوليمونية**
115	Longin de Néocésarée	لونجينوس أسقف قيصرية الجديدة (نكسار)
116	Domnus de Trapesus	دومنوس أسقف ترابيزوس (طرابزون)
117	Stratophile de Pityus	ستراتوفيلوس أسقف بيتيوس
	Paphlagonie	**بفلاغونيا**
118	Philadelphe de Pompéiopolis	فيلادلفوس أسقف بومبيوبوليس (تاشكوبرو)
119	Pompeius d'Ionopolis	بومبايوس أسقف ايونوبوليس (اينـي بولو)
120	Eupsychius d'Amastris	ايفبسيخيوس أسقف اماستريس (اماسرا)
	Galatie	**غلاطية**
121	Marcel d'Ancyre	مرسيل أسقف انـقيرة (أنـقرة)
122	Dicasius de Tabia	ديكاسيوس أسقف طابيا (بيوك نفس-كوي)
123	Erecthius de Gadamana	ايريكتيوس أسقف غادامانا
124	Gorgonius de Cina	غورغونيوس أسقف كينا (ياراشلي)
125	Philadelphe de Juliopolis	فيلادلفيوس أسقف يوليوبوليس (ناكيهان)
	Asie	**آسيا**
126	Théonas de Cysique	ثيوناس أسقف كيزيكو (بلزيك ساراي)
127	Ménophante d'Ephèse	مينوفانتوس أسقف افسس (اجاسلوق)
128	Orion d'Ilion	اوريون أسقف ايليون
129	Eutychius de Smyrne	افتيخيوس أسقف أزمير

www.old-criticism.blogspot.com

130	Mithres d'Hypaepa	ميثريس أسقف ايبابا (تابساي/دوبكوي)
131	Marin d'Ilion-sur-l'Hellespont	مارينوس أسقف ايليون على الهلليسبون
132	Paul d'Anaea	بولس أسقف انياس (انيا)
	Lydie	**ليديا**
133	Artemidore de Sardes	ارتاميدوروس أسقف سرديكا (سرت)
134	Séras de Thyatire	سيراس أسقف تياتيرا (اكهزار)
135	Etimasius de Philadelphie	اتيماسيوس أسقف فيلادلفيا (الاشهير)
136	Pollion de Baris	بوليون أسقف باريس
137	Agogius de Tripoli	اغوغيوس أسقف طرابلس (ديريبول)
138	Florent d'Ancyre Ferrée	فلورانتيوس أسقف انقيرة المحددة (كيليزيكوي)
139	Antiochus d'Aurelianopolis	انطيوخوس أسقف اوريليانوبوليس (حالحلي)
140	Marc de Standus	مرقص أسقف ستاندوس
141	Antiochus d'Hiérocésarée	انطيوخوس أسقف هييرو-قيصرية (سازاوبا)
	Phrygie	**فيريجيا**
142	Nonnechius de Laodicée	نونيكيوس أسقف اللاذقية (اسكاهزار)
143	Flaccus de Synaus	فلاكوس أسقف سيناوس (سيماو)
144	Procope de Synade	بروكوبيوس أسقف صينادة (شيفوت كاسابا)
145	Pisticus d'Azana	بيستيكوس أسقف ازانا (اضنه)
146	Athénodore de Dorylée	اثينودوروس أسقف دوريلا (اسكي شهير)
147	Paul d'Apamée	بولس أسقف أفاميا (مودانيا)
148	Eugène d'Eucarpias	افجانيوس أسقف افكارباس (امير هزار)
149	Flaccus d'Hiérapolis	فلاكوس أسقف هيرابوليس (تمبوك كاليزي)

	Pisidie	**بيسيديا**
150	Eulalius d'Iconium	افلاليوس أسقف ايكونيوم (قونية)
151	Télémaque d'Hadrianopolis	تيليماخوس أسقف ادريانوبوليس (ساري كارا)
152	Hésychius de Néopolis	هيزيخيوس أسقف نيوبوليس (كارا اغاش)
153	Eutychius de Séleucie	افتيخيوس أسقف سلوقيا (سيليف)
154	Aranius de Limenon	اريانوس أسقف ليمانون (غزيري)
155	Tarcissius d'Apamée	طراسيوس أسقف أفاميا (دينار)
156	Patricius d'Amblada	باتريكيوس أسقف امبلادا (اسار داغ)
157	Polycarpe de Métropolis	بوليكربوس أسقف ميتروبوليس (نمريك ميزارليك)
158	Academius de Papa	اكاديميوس أسقف باباس (يونوسلر)
159	Héraclius de Baris	هيراكليوس أسقف باريس (اسبرطة)
160	Théodore d'Usadon	ثيودوروس أسقف اوزادون
	Lycie	**ليقيا**
161	Eudaemon de Patare	ايفدايمونوس أسقف باتارا (كالاماكي)
162	Nicolas de Myre	نيقولاوس أسقف ميرا (ديمري)
	Pamphylie	**بمفيليا**
163	Calliclès de Perge	كاليكليس أسقف برجه (مورتانا)
164	Aeresius de Termissus	ايريزيوس أسقف ترميسوس (كولديري داغ)
165	Xeuxis de Syorba	كسوكسيس أسقف سيوربا
166	Domnus d'Aspendus	دومنوس أسقف اسبيندوس (بلقيس)
167	Cantianus de Séleucie	كانتيانوس أسقف سلوقيا
168	Patricius de Maximianopolis	باتريكيوس أسقف مكسيميانوبوليس (تفني)

www.old-criticism.blogspot.com

169	Aphrodisius de Magyda	افروديسيوس أسقف ماجدا (لارا)
	Les îles	**الجزر**
170	Euphrosinus de Rhodes	افروسينوس أسقف رودس
171	Méliphron de Cos	ميليفرونوس أسقف كوس
172	Strategus de Lemnos	ستراتيغوس أسقف ليمنوس
173	Aletodore de Corcyre	اليتودوروس أسقف كوكيراس
	Carie	**كاريا**
174	Eusèbe d'Antioche	اوسابيوس أسقف أنطاكية (علي آغا/شفتليك)
175	Ammonius d'Aphrodisias	امونيوس أسقف افروديسياس
176	Eugène d'Apollonias	افجانيوس أسقف ابولونياس (ميديت)
177	Letodorus de Cibyra	ليتوذوروس أسقف كيبيراتون (كوروزوم)
178	Eusèbe de Millet	اوسابيوس أسقف ملاطية (بالات)
	Isaurie	**ايصوريا**
179	Etienne de Barata	اسطفانوس أسقف براتون
180	Gordien, chorévêque	غورديانوس، خورأسقف
181	Athenaios de Coropissus	اثينايوس أسقف كوروبيسوس
182	Edésius de Claudiopolis	اديسيوس أسقف كلوديوبوليس (موت)
183	Agapius de Séleucie	اغابيوس أسقف سلوقيا (سلفكي)
184	Silvanus de Métropolis	سيلفانوس أسقف ميتروبوليس
185	Faustus de Panemutichus	فاوستوس أسقف بانيموتيكوس
186	Antonin d'Antioche	انطونينوس أسقف أنطاكية (غوناي)
187	Nestor de Syedra	نسطور أسقف سيادرون

188	Esychius, chorévêque	هيزيخيوس، خورأسقف
189	Cyrille de Humanades	كيرلس أسقف اوماناد
190	Théodore de Husada	ثيودوروس أسقف اوسادا
191	Anatolis, chorévêque	اناطوليوس، خورأسقف
192	Paul de Laranda	بولس أسقف لاراندا
193	Quintus, chorévêque	كوينتوس، خورأسقف
194	Tibère d'Alistra	طيباريوس أسقف اليسترا
195	Aquila, chorévêque	اكيلاس، خورأسقف
196	Eusèbe, de la paroisse d'Isaurie	اوسابيوس، من رعية ايصوريا
	Chypre	**قبرص**
197	Cyrille de Paphos	كيرلس أسقف بافوس
198	Gélase de Salamine	جيلاسيوس أسقف سلامينا (سيرجيوس)
	Bithynie	**بيثينيا**
199	Eusèbe de Nicomédie	اوسابيوس أسقف نيقوميديا (ازميت)
200	Théognius de Nicée	ثيوغنيس أسقف نيقيا (ازنيك/اسنيك)
201	Maeis de Chalcédoine	مايس أسقف خلقيدونيا (قاطي كوي)
202	Cyrille de Cius	كيرلس أسقف سيوس (جمليق)
203	Hésychius de Pruse	هيزيخيوس أسقف بروسيا (بورجا)
204	Gorgonius d'Apollonias	غورغونيوس أسقف ابولونياس (ابوليود)
205	Georges de Pruse	جاورجيوس أسقف بروسيا
206	Euethius d'Hadriani	ايفيثيوس أسقف ادرياني (اترانوس)
207	Théophane, chorévêque	ثيوفانيس، خورأسقف

www.old-criticism.blogspot.com

208	Rufus de Césarée	روفوس أسقف قيصرية (بيديم كوي)
209	Eulalius, chorévêque	افلاليوس، خورأسقف
	Europe	**أوروبا**
210	Osius de Cordoue	اوسيوس أسقف قرطبة
211	Pierre d'Héraclée	بطرس أسقف هيراقليا (ايريغلي)
212	Marc Comeonsis (?), inconnu	مرقص أسقف كومين، (؟) مجهول
	Dacie	**داقيا**
213	Protogenès de Sardique	بروتوجينيس أسقف سرديقا
	Calabre	**كالابريا**
214	Marc de Calabre	مرقص أسقف كالابريا
	Mésie	**ميسيا**
215	Pistus de Marcianopolis	بيستوس أسقف مركيانوبوليس (دفني)
	Afrique	**أفريقيا**
216	Cécilien de Carthage	سيسيليانوس أسقف قرطاجة
	Macédoine	**مكدونيا**
217	Alexandre de Thessalonique	الكسندروس أسقف تسالونيكي
218	Budius de Stobi	بوديوس أسقف ستوبي (كيركوفو)
	Dardanie	**دردانيا**
219	Dacus de Macedonias	داكوس أسقف مكدونياس

	Achaïe	**آخائيا**
220	Pistus d'Athènes	بيستوس أسقف أثينا
221	Marcus d'Eubée	مرقس أسقف اوبه
222	Strategus d'Hephastias	ستراتيغوس أسقف هيفاستياس
	Thessalie	**تساليا**
223	Claudien de Thessalie	كلوديانوس أسقف تيساليا
224	Clénicus de Thèbes	كلينيكوس أسقف طيبة (انكيالوس الجديدة)
	Pannonie	**بانونيا**
225	Domnus de Pannonie	دومنوس أسقف ستريدون
	Gaules	**بلاد الغال**
226	Nicaise de Die	نيكاسيوس أسقف ديجون
	Gothie	**بلاد الغوط**
227	Théophile de Gothie	ثيوفيلوس أسقف الغوط
	Bosphore	**البوسفور**
228	Cadmus de Bosphore	قدموس أسقف البوسفور
	Autres	**سواهم**
229	Victor représentant du Pape	فيكتور مندوب البابا
230	Vincent représentant du Pape	فينشنزو مندوب البابا
231	Spiridon de Chypre	اسبيريدون أسقف قبرص
232	Epathe de Gangre	إيباتيوس أسقف غنغرة (تشانقيري)

www.old-criticism.blogspot.com

233	Gaius de Panyos	غايوس أسقف بانيوس
234	Zios d'Antaepolis	زيوس أسقف انتيبوليس (قاو الكبير)
235	Synodorus de Antarade	سينودوروس أسقف اندارادوس (طرسوس)
236	Ballaus de Thelseas	بالاوس أسقف ثيلسياس
237	Helliconius d'Abilys	هيلليكونيوس أسقف ابيليس
238	Paul de Spanias	بولس أسقف اسبانياس
239	Theonas de Marmarique	ثيوناس أسقف مرمريك

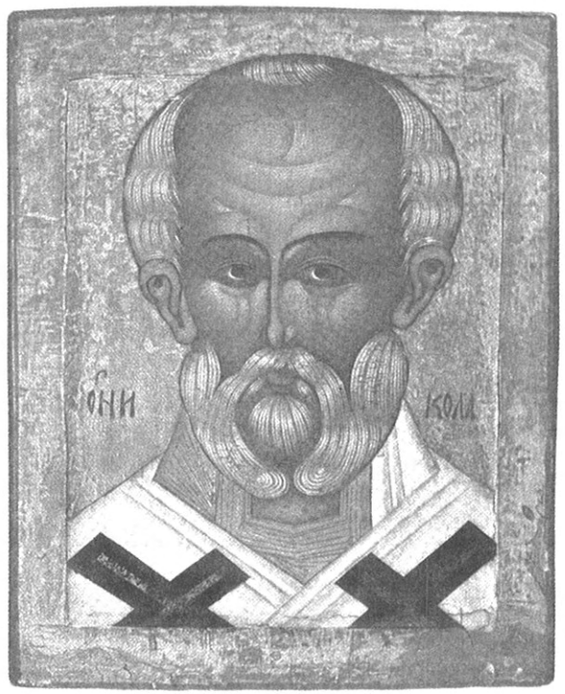

القديس نيقولاوس أسقف ميرا في ليكيا، أحد آباء المجمع

٢

قانون إيمان مجمع نيقيا

Πιστεύομεν εἰς ἕνα θεόν,	نؤمن[1] بإله واحد،
πατέρα, παντοκράτορα,	آب ضابط الكل،
πάντων ὁρατῶν τε καὶ ἀοράτων ποιητήν·	خالق كل ما يُرى وما لا يُرى؛
καὶ εἰς ἕνα κύριον	وبرب واحد،
Ἰησοῦν Χριστὸν	يسوع المسيح،
τὸν υἱὸν τοῦ θεοῦ,	ابن الله الوحيد،
γεννηθέντα ἐκ τοῦ πατρός μονογενῆ,	المولود من الآب،
τουτέστιν ἐκ τῆς οὐσίας τοῦ πατρός,	أي من جوهر الآب،

١ لاحظنا أن قوانين الإيمان، في القرون الثلاثة الأولى بنوع خاص، تعتمد غالبيتها صيغة المتكلم بالجمع أي "نؤمن" وليس "أؤمن"، باستثناء اعتراف الإيمان، الذي يتلوه الموعوظ لدى اعتماده. ومن الملاحظ أن بعض الترجمات اللاتينية للنص الأصلي اليوناني، استبدلت في الترجمة صيغة الجمع بصيغة المفرد. وتعبر صيغة المتكلم بالجمع، عن انتساب المؤمن إلى الجماعة وعن إيمانه داخل إطار الكنيسة، فصحيح أن الإيمان أمر فردي، ولكنه أيضاً جماعي، فلا إيمان خارج الجماعة. أضف إلى أن صيغة الجمع تتضمن على صيغة المفرد، أي الأنا ضمن الـ نحن. فلا يجوز، لا منطقياً وعلمياً، أن نترجم اليوم صيغ الجمع بالمفرد. ونستخدمها وكأن النصوص الأصلية موضوعة هكذا. كما أن دستور إيمان نيقيا ألأول- القسطنطينية الأول، الذي نتلوه في كنائسنا، كما هو جلي في نصه، يستعمل صيغة الجمع.
ويبدو لنا ألا التباس ولا غموض في هدف الآباء من استخدام صيغة الجمع: فأولاً: إننا نؤمن الإيمان ذاته، أي أن هناك إيمان واحد لدى الجميع، وثانياً: إن هذا الإيمان الواحد تحدّد صحته الكنيسة الجامعة (وبالتأكيد السلطلة فيها هي المخوّلة بهذا)، فنحن إذاً في قانون الإيمان نعترف جميعاً بالإيمان عينه. وثالثاً: إن اعتراف الإيمان الذي نتلوه خصوصاً أثناء القدّاس الإلهي، إنما نعلنه ضمن خدمة كنسية، أي ضمن/ومع الجماعة، وهذه الليتورجيا المقدسة مليئة بعبارات الـ "نحن"، فالقداس هو عمل جماعة، وهو ليس مجرّد أفراد مجتمعين جنباً إلى جنب، لا يربط بينهم أي رابط، لأننا نكوّن هنا فعلياً الكنيسة، فمن الأبدى أن نصرّح عن إيماننا سوية ومعاً، كما أننا نشترك في هذه الخدمة جماعياً، ونتناول الجسد والدم الإلهيين نفسيهما. ورابعاً: يختلف اعتراف الإيمان في القداس عنه في خدمة سر المعمودية المقدس. ففي المعمودية، يستفسر خادم السر المتقدم منه عن إيمانه، فيجيبه ذاك مفصحاً عن إيمانه الشخصي. وإذا ما كان إيمانه موافقاً الإيمان الكنسي، يكمل الكاهن السر.
من أجل كل هذه الأسباب، علينا ألا "نستحي" اليوم من الـ "نحن" الجماعية، لأننا في الكنيسة الجامعة نكوّن الـ "نحن"، أي الـ "أنا" والـ "أنت" والـ "هو" والـ "هي"، وليس الـ "أنا" والـ "أنا"؛ ولا ينبغي هنا ان ننزع ونركض وراء نظريات تحبّذ الفردانية والشخصانية، أو تشدّد على قيمة الفرد، التي قد تكون في حد ذاتها صحيحة في آرائها، ولكنها، في الواقع، لا تنطبق على المضمار الذي نحن في صدده

www.old-criticism.blogspot.com

θεὸν ἐκ θεοῦ,	إله من إله،
φῶς ἐκ φωτός,	نور من نور،
θεὸν ἀληθινὸν ἐκ θεοῦ ἀληθινοῦ,	إله حق من إله حق،
γεννηθέντα οὐ ποιηθέντα,	مولود غير مخلوق،
ὁμοούσιον τῷ πατρί,	مساوٍ للآب في الجوهر،
δι᾽οὗ τὰ πάντα ἐγένετο	الذي به كان كل شيء،
τά τε ἐν οὐρανῷ καὶ τά ἐν τῇ γῇ,	مما في السماء وعلى الأرض؛
τὸν δι᾽ ἡμᾶς τοὺς ἀνθρώπους	الذي من أجلنا نحن البشر،
καὶ διὰ τὴν ἡμετέραν σωτηρίαν	ومن أجل خلاصنا،
κατελθόντα	نزل من السماء،
καὶ σαρκωθέντα, ἐνανθρωπήσαντα,	وتجسد وتأنس،
παθόντα	وتألم،
καὶ ἀναστάντα τῇ τρίτῃ ἡμέρα,	وقام في اليوم الثالث،
ἀνελθόντα εἰς οὐρανούς,	وصعد إلى السماء،
ἐρχόμενον κρῖναι ζῶντας καὶ νεκρούς·	وسيأتي ليدين الأحياء والأموات.
καὶ εἰς τὸ ἅγιον πνεῦμα.	وبالروح القدس.
Τοὺς δὲ λέγοντας	وكل من يقول:
<ἦν ποτε ὅτε οὐκ ἦν>	إنه كان ثمة وقت لم يكن فيه،
ἢ <οὐκ ἦν πρὶν γεννηθῇ>	أو إنه لم يكن قبل أن يولد،
ἢ <ἐξ οὐκ ὄντων ἐγένετο>	أو إنه خُلق من العدم،
ἢ ἐξ ἑτέρας ὑποστάσεως ἢ οὐσίας φάσκοντας εἶναι	أو إنه من جوهر يختلف عن جوهر الآب، أو عن طبيعته
ἢ τρεπτὸν ἢ ἀλλοιωτὸν τὸν υἱὸν τοῦ θεοῦ,	أو إن ابن الله مخلوق،
ἢ κτιστὸν τοὺς τοιούτους	أو إنه عرضة للتغير أو للتبدل،

ἀναθεματίζει ἡ καθολικὴ. فالكنيسة الرسولية الجامعة تُبسل أصحاب هذه الأقوال.
καὶ ἀποστολικὴ ἐκκλησία.

٣

قوانين مجمع نيقيا

القانون الأول

كل من خصاه الأطباء لمرض ما، أو خصاه البربر، فليبقَ في السلك الإكليريكي. ولكن كل من خصى نفسه، وهو في صحة جيدة، فإذا كان إكليريكياً، فليُجرد من رتبته؛ ولا يجوز من الآن فصاعداً، لمثل ذاك، أن يُقبل في الدرجات الكهنوتية. من الواضح مما سبق، أن ذلك لا يخص إلا الذين خصوا أنفسهم عن قصد وتعمد؛ أما كل من خصاه البربر أو أسياده، وكان في الوقت نفسه، مستحقاً ومستوفياً الشروط الأخرى، فإن القوانين تجيز قبوله في الكهنوت.[٢]

القانون الثاني

جرت أمور تخالف القوانين الكنسية، إما بسبب الحاجة أو بسبب إلحاح البعض. فقد حدث أن قُدِّم بعض المرتدين حديثاً من الوثنية إلى الإيمان، إلى الغسل الروحي، وهم لم يتلّقوا بعد من التعليم إلا النزر اليسير، ورُقّوا، فوراً بعد عمادهم، إلى درجة أسقف أو كاهن. فبدا من الصواب، من الآن فصاعداً، ألا يتكرر حدوث شيء من هذا القبيل، لأن الموعوظ يحتاج بعد المعمودية إلى التعليم، وإلى وقت للاختبار أطول، فإن قول الرسول واضح في هذا الشأن: "ليس حديث الإيمان، لئلا يتكبر، فينزل به الحكم الذي نزل بإبليس"[٣].

وإذا وُجد إكليريكي مذنباً، في فعل مشين وخطير، بشهادة شاهدين أو ثلاثة، فليُخلع من الرتبة الإكليريكية. وكل من يتجاسر ويخالف هذه الإجراءات، ويعصي أو يتمرد على هذا المجمع الكبير، يعرّض مركزه الإكليريكي نفسه للخطر.[٤]

القانون الثالث

يمنع المجمع الكبير هذا، منعاً باتاً على الأساقفة والكهنة والشمامسة، وبشكل عام، على أي عضو من السلك الإكليريكي، أن تسكن معه امرأة، ما عدا الأم والأخت، والعمة والخالة، وكل من هي منزهّة عن كل شبهة أو ريبة.[٥]

---

٢ راجع قوانين الرسل ٢١-٢٤.
٣ ١ طيم ٣/٦.
٤ راجع قوانين الرسل ٨٠.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الرابع

يجب الاعتناء للغاية، بأن يُسام الأسقف من قبل أساقفة المقاطعة كلهم. وإذا تعذّر ذلك، لضرورة قاهرة، أو لأسباب طارئة، أو لبعد المسافات، فينبغي أن يجتمع ثلاثة أساقفة على الأقل في مكان واحد، لشرطنته، بعد أن يوافق الغائبون كتابة. أما تثبيت ما أُنجز، فيعود أمره، في كل مقاطعة، إلى المتروبوليت.[٦]

القانون الخامس

على الأساقفة، فيما يختص بالذين قُطعوا من الشركة من إكليريكيين وعلمانيين، مراعاة القانون، الذي يمنع أن يقبل أساقفة آخرون مثل هؤلاء الأشخاص. غير أنه من الواجب في الوقت عينه، فحص قضاياهم لئلا يكونوا قطعوا من الشركة، بسبب حزازة شخصية مع الأسقف، أو خصومة أو كراهية أو غير ذلك. ولكي يتم هذا الفحص كما يليق، استحسنا أن ينعقد سينودس إقليمي مرتين كل سنة، بحيث يفحص جميع أساقفة الإقليم سوية القضايا والمسائل. فالذين يظهر ذنبهم وعصيانهم لأسقفهم، يشهد الجميع بأن قطعهم من الشركة أمر صحيح ومناسب؛ ويبقى القطع ساري المفعول، إلى أن يرى مجمع الأساقفة أو الأسقف أن يخفف الحكم الصادر عليهم. يجب أن يلتئم السينودس الأول قبل الصوم الكبير، لأننا بعد إطراح كل حقد وخلاف، يمكننا أن نقرّب لله ذبيحة طاهرة؛ والثاني في الخريف.[٧]

القانون السادس

فلتُحفظ العادات القديمة في مصر وليبيا والمدن الخمس، في أن لأسقف الإسكندرية، السلطان والرئاسة على كل هذه الأقاليم؛ وعلى ما هي عليه العادة من جهة أسقف روما أيضاً. ولتُحفظ كذلك في أنطاكية وبقية المقاطعات، امتيازات كل كنيسة وحقوقها القديمة.

وليكن معلوماً لدى الجميع في كل مكان، أن كل من يصبح أسقفاً دون موافقة المتروبوليت، فإن المجمع الكبير هذا لا يعتبره أسقفاً. على أنه إذا عارض أسقفان أو ثلاثة لأسباب شخصية، انتخاباً أجراه سائر الأساقفة، بطريقة قويمة منسجمة وشرائع الكنيسة، فليكن انتخاب الأكثرية ثابتاً.[٨]

٥ راجع مجمع انقيرة (٣١٤) ق ١٩.
٦ راجع قوانين الرسل ١.
٧ راجع قوانين الرسل ١٢، ١٣، ٣٢.
٨ راجع قوانين الرسل ٣٤-٣٥.

القانون السابع

إذا كان من العادات الشائعة والتقاليد القديمة، أن الإكرام واجب لأسقف أورشليم، فليكن له هذا الإكرام، مع حفظ الكرامة المتروبوليتية.

القانون الثامن

يحدد المجمع الكبير هذا، أن الذين يُسمّون أنفسهم "كتار"، أي أنقياء، إذا أرادوا العودة إلى الكنيسة الجامعة الرسولية، ومن نال منهم وضع الأيدي، يبقى في سلك الإكليروس. ولكن ينبغي عليهم قبل كل شيء، أن يتعهدوا ويعترفوا كتابة، بقبول تعاليم الكنيسة الجامعة الرسولية وإتباعها، أي مخالطة من تزوج زيجة ثانية، ومن ضعف أثناء الاضطهادات، وقضى مدة توبته المفروضة عليه. فعليهم إذاً إتباع قرارات الكنيسة الجامعة الرسولية في كل شيء. وهكذا ففي القرى والمدن، حيث لا يوجد إكليروس سوى من هذه الجماعة، فليبقوا في رتبهم. وحيث يتواجد أسقف كاثوليكي، فالأمر واضح: يجب أن يتمتع أسقف الكنيسة بكرامة رتبته، أما الذي كان مع الأنقياء يُدعى أسقفاً، فلتكن له كرامة كاهن، إلا إذا رضي الأسقف أن يقبله، ويشاركه في شرف اللقب. وإذا لم يرضه هذا، فليدبر له الأسقف مركز خورأسقف أو كاهن، ويبقى هكذا من أعضاء سلك الإكليروس؛ ولا يكون أسقفان في مدينة واحدة.[٩]

القانون التاسع

إذا رُقي البعض إلى الكهنوت بدون الفحص اللازم، وإذا اعترفوا خلال فحصهم بخطايا ارتكبوها، وبالرغم من ذلك قد نالوا السيامة خلافاً للقانون، فالشرع الكنسي لا يعترف بهم، وتعتبر سيامتهم باطلة، لأن الكنيسة الجامعة، إنما تطلب من كان بلا عيب.[١٠]

القانون العاشر

إذا تمت سيامة أحد ممن أنكروا الإيمان، سواء أكان الذي سامه على علم أو عن جهل بأمره، فهذا لا يُبطل حكم قانون الكنيسة: عندما يُكتشف أمره، يجب أن يُخلع من الكهنوت.[١١]

القانون الحادي عشر

يقضي المجمع المقدس هذا: إن الذين سقطوا وضعفوا دون إكراه، وبدون حجز أملاكهم أو سلب أموالهم، وبدون أن يتعرّضوا لأي خطر أو ضيق، أثناء اضطهاد

٩ راجع قوانين الرسل ق ٤٦-٤٧، ٦٨؛ مجمع انقيرة (٣١٤) ق ١٣؛ مجمع قيصرية الجديد ق ١٤.
١٠ راجع قوانين الرسل ٢٥، ٦١؛ مجمع قيصرية الجديدة ق.ق ١،٩، ١٠.
١١ راجع قوانين الرسل ٦٢؛ مجمع انقيرة (٣١٤) ق.ق ١، ٢، ١٢.

www.old-criticism.blogspot.com

ليكينيوس، أنه يجب معاملتهم بلطف وتفهمٍ، على الرغم من أنهم لا يستحقون الشفقة. فالذين يتوبون ممن كانوا من المؤمنين سابقاً، توبة صادقة يُفرض عليهم ثلاث سنوات مع السامعين، وست سنوات مع الراكعين، ويستطيعون في السنتين التاليتين، الاشتراك في الصلوات والقداس مع الشعب، دون أن يحق لهم الشركة في القربان المقدس.[١٢]

القانون الثاني عشر

إن الذين دعتهم النعمة، وأظهروا حماسة بادئ الأمر، فنبذوا الخدمة العسكرية، ولكنهم ما لبثوا أن رجعوا كالكلاب إلى قيئهم[١٣]، حتى إن البعض منهم سعوا إلى استرجاع وظائفهم العسكرية بالأموال والهدايا، فأمثال هؤلاء، يجب أن يبقوا ثلاث سنوات مع السامعين، وعشر سنوات مع الراكعين، ثم يُدقق في امتحان إرادتهم وعزمهم ونوع ندامتهم. فالذين يبرهنون عن صدق ارتدادهم، بما يرافقه من أدلة: خشية ودموع وصبر، ومواظبة على الأعمال الصالحة، يجوز السماح لهم، بعد انقضاء الوقت المحدد لهم كسامعين، الاشتراك في صلوات المؤمنين؛ بعد ذلك يستطيع الأسقف اتخاذ أي قرار أوفر لينة ورأفة. أما الذي يُظهر عدم مبالاة، ويظن أن هذه التوبة تكفي للتكفير عن خطاياه، فيجب أن يتم مدة القصاص المعينة بكاملها.[١٤]

القانون الثالث عشر

يبقى القانون القديم معمولاً به، فيما يختص بالمحتضرين: يجب ألا يُحرم المحتضر، أو المشرف على الموت من الزاد الأخير الذي لا غنى عنه. أما إذا لم يرقد بعد أن صُفح عنه، وأُعيد إلى الشركة، فليقف مع مصاف المشتركين بالصلوات لا غير. بالإجمال، يجب أن يمنح الأسقف القربان المقدس، للشخص المحتضر الذي يطلبه، بعد الفحص.[١٥]

القانون الرابع عشر

يحدد المجمع المقدس الكبير هذا، أن الموعوظين الذين جحدوا الإيمان أثناء الاضطهاد، أن يقضوا ثلاث سنوات سامعين، ثم يعودون إلى الصلاة مع الموعوظين.[١٦]

القانون الخامس عشر

لقد استحسنا، بسبب الخلافات والتشويشات الحاصلة، إلغاء العادة الشائعة في بعض الأماكن، والتي تخالف القانون الكنسي، فلا يُسمح بعد الآن، للأساقفة ولا للكهنة

١٢ راجع مجمع انقيرة (٣١٤) ق ٦.
١٣ راجع مثل ٢٦/١١.
١٤ راجع مجمع انقيرة (٣١٤) ق ٢، ٥، ٧.
١٥ راجع مجمع انقيرة (٣١٤) ق ٦.
١٦ راجع قيصرية الجديدة ق ٥.

ولا للشمامسة، بالانتقال من مدينة إلى أخرى. وإذا خالف أحد أوامر المجمع المقدس الكبير، واتبع العادة القديمة، فالانتقال يُعَدّ باطلاً، ويجب أن يعود إلى الكنيسة التي اختير لخدمتها، أسقفاً كان أم كاهناً أم شماساً.[١٧]

القانون السادس عشر

إن أي كاهن أو شماس أو إكليريكي يتجاسر، من دون أن يضع خوف الله نصب عينيه، ولا يحترم قوانين الكنيسة، فيترك كنيسته، لا يجوز قبوله على الإطلاق في كنيسة أخرى، بل يجب أن يُرغم على الرجوع إلى أبرشيته، وإذا رفض فليُقطع من الشركة. وإذا حاول أحد أن يختطف شخصاً ممن ينتمي إلى أسقف آخر، ويشرطنه في كنيسته، ضد إرادة الأسقف الذي ينتمي إليه هذا الإكليريكي، فسيامته باطلة.[١٨]

القانون السابع عشر

بما أن الكثير من الإكليروس، مملوئين بروح البخل والربا وشهوة الربح، متناسين ما جاء في الكتاب الإلهي: "لا يقرض بالربا فضته"[١٩]، يقرضون أموالهم مقابل فائدة معلومة، فيحدد المجمع المقدس الكبير بعدل، أن أي إكليريكي، بعد صدور هذا القرار، يقبل فائدة على مال، أو يقوم بمهنة مرابٍ بأي شكل آخر، كأن يطلب المبلغ كاملاً، مع زيادة عليه مقدار نصفه، أو بأسلوب آخر، للحصول على ربح خسيس، فليُخلع من سلك الإكليروس، وليُمحَ اسمه من اللائحة.[٢٠]

القانون الثامن عشر

لقد بلغ إلى هذا المجمع المقدس الكبير، الخبر أن الشمامسة في بعض الأماكن والمدن، يقومون بمناولة الكهنة، بالرغم من أن القوانين والعادات، تمنع الذي لا سلطة له بتكريس السر، بمناولة جسد المسيح للذين يقرّبونه. وقد عرف المجمع أيضاً، أن بعض الشمامسة يتناولون الإفخارستيا حتى قبل الأساقفة. يجب إيقاف كل هذا، ولا يتجاوزن الشمامسة حدودهم، وليعتبروا أنفسهم في خدمة الأساقفة، وأدنى درجة من الكهنة، وليتناولوا القربان المقدس، حسب النظام، بعد القساوسة، وليقم الأسقف أو أحد الكهنة بمناولتهم إياه. وليمتنع الشمامسة عن الجلوس بين الكهنة، لأن هذا مخالف للقانون والنظام. وكل من يرفض الإذعان والطاعة، بعد صدور هذا القرار، فليُخلع من الخدمة الشماسية.

١٧ راجع قوانين الرسل ١٤-١٥.
١٨ راجع قوانين الرسل ١٥-١٦؛ مجمع آرل (٣١٤) ق ٢١.
١٩ مز ١٥/٥.
٢٠ راجع قوانين الرسل ٤٤.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون التاسع عشر

يجب أن تعاد معمودية أتباع بولس السميساطي، الذين يريدون الرجوع إلى الكنيسة الجامعة. وإذا كان أحدهم من الإكليروس سابقاً، ووُجد بعد الفحص أنه بلا عيب، يمكن سيامته من قِبل أحد أساقفة الكنيسة الجامعة، بعد المعمودية. أما من وُجد غير مستحق، فيجب أن يُسقط. ولتُراعَ هذه القاعدة في شأن الشماسات، وكل من لديه وظيفة كنسية عامة. وفي هذه الحالة، نذكّر أنه يجب اعتبار الشماسات، اللواتي لم ينلن السيامة، من مصاف العلمانيين.[٢١]

القانون العشرون

لقد استحسن المجمع المقدس هذا، بعدما رأى أن البعض يركعون أيام الآحاد وأيام الخمسين، ولكي يكون النظام موحّداً، أن تُرفع الصلوات لله في هذه الأيام، ونحن منتصبون وقوفاً.

٤

رسالة مجمع نيقيا إلى كنائس مصر

من الأساقفة المجتمعين في نيقيا، لأجل المجمع المقدس الكبير، إلى كنيسة الإسكندرية الكبرى والمقدسة، وإلى الاخوة الأعزاء في مصر وليبيا والمدن الخمس، سلام بالرب،

لقد جمعنا الإمبراطور الكلي الورع قسطنطين، بنعمة الله، من مختلف المناطق للاحتفال بعقد المجمع الكبير المقدس في نيقيا، وقد رأينا أنه من اللائق والضروري، لهذه المناسبة، أن نبعث إليكم برسالة أيضاً، حتى تتمكنوا من معرفة ما طُرح وفُحص وتقرر.

فقد فحصنا أولاً، بحضور الإمبراطور، الكلي الورع، كفر آريوس وأتباعه وضلالهم. وقررنا بالإجماع أن ندين تعاليمه الكافرة، والتعابير التجديفية التي نطق بها ضد ابن الله: فقد اعتقد أنه أتى من العدم، وأنه قبل ولادته لم يكن موجوداً، وأنه كان قادراً على عمل الخير والشر، وباختصار، أن ابن الله خليقة. فأدان المجمع المقدس كل هذا، لأنه غير راغب في الاستماع إلى مثل هذه التعاليم الجنونية والكافرة، ولا كلام التجديف. أنتم تعلمون أو ستعلمون ما قُرر ضده، حتى لا يظنن أحد أننا شتمنا أو

٢١ راجع قوانين الرسل ٤٧.

حاولنا اضطهاد شخص من دون خطيئة، وقد نال في الواقع العقاب الملائم لإثمه؛ فقد انتشر كفره واستشرى ضلاله، حتى إن ثيوناس أسقف مرمريك وسيكوندوس أسقف بطوليمايس، ذهبا معه في تعاليمه، فإنهما استحقا المصير عينه.

وبعد أن حررت نعمة الله مصر من هذا الكفر، ومن الأشخاص الذين تجاسروا وأدخلوا الاضطراب، وتعاليم خاطئة في شعب مسالم. لا يبقى لنا سوى إبلاغكم، أيها الاخوة الأحباء، ما قُرر في شأن تهور ملاتيوس والذين سامهم. بما أننا اخترنا الرأفة والإنسانية تجاههم - بالرغم من أنهم لا يستأهلون أي رفق-، قرر المجمع المقدس، أن باستطاعة ملاتيوس أن يظل في مدينته، لكن دون سلطة ترشيح ولا سيامة أساقفة، ولا الذهاب إلى الريف والمدن، تحت لقبه وشرفه الأسقفي. أما الذين سامهم، فبعد أن يُساموا من قِبل أيدي مقدسة، يمكن قبولهم في الشركة، شرط أن يبقوا، مع الحفاظ على رتبتهم الإكليريكية وممارسة الخدمة، في درجة أدنى، بالنسبة إلى الذين قبلهم أخونا العزيز الكسندروس في الرعايا والكنائس، وكذلك لا يستطيعون ترشيح أو سيامة من يريدون، ولا عمل أي شيء دون إذن أسقف الكنيسة الجامعة الخاضعة لالكسندروس. يستطيع أولئك الذين، بنعمة الله وبصلواتكم، لم يتورطوا بالهرطقة وحدهم، وبقوا غير مدنسين في الكنيسة الجامعة الرسولية، ترشيح وتعيين وانتخاب إكليريكيين مؤهلين، وإتمام كل الأمور حسب القوانين الكنسية وأنظمتها.

وإذا توفي أحد أصحاب المناصب في الكنيسة، واختير مكانه شخص حديث الإيمان، شرط أن يكون مستحقاً، ويريده الشعب، فيثبته أسقف كنيسة الإسكندرية الجامعة الرسولية. هذا مسموح للجميع، إلا لملاتيوس بسبب عصيانه وسلوكه العنيف والطائش؛ لهذا لم يُعطَ أي سلطان أو سلطة، لأنه إنسان مستبد، قادر حتى الآن على إثارة الفتن والفوضى.

هذه هي القرارات التي تخص مصر وكنيسة الإسكندرية المقدسة. وسيخبركم أخونا العزيز الكسندروس، الذي اشترك بالمناقشات وساهم فيها، بالقرارات الأخرى المتخذة.

ونزفّ إليكم، بشرى سارة، بشرى إعادة الوحدة حول عيد الفصح. فكل الاخوة في الشرق الذين كانوا يحتفلون بالفصح مع العبرانيين، سيحتفلون به، من الآن فصاعداً، مع الرومانيين ومعنا، ومع الآخرين جميعهم الذين احتفلوا به دائماً معنا.

استقبلوا أخانا وأسقفكم، بالحفاوة والتكريم واللطف، الكسندروس الذي عزانا وأسعدنا بحضوره، وقد تحمل أتعاباً كثيرة، بالرغم من تقدمه في السن، مملوئين بالفرح والبهجة للنهاية السعيدة للأحداث، ولبلوغ السلام والوفاق العام، وإزالة الهرطقة،

www.old-criticism.blogspot.com

وإعادة السلام فيما بيننا. صلّوا لأجلنا جميعاً، حتى يبقى ثابتاً ما بدا لنا صحيحاً، بالله القادر على كل شيء وربنا يسوع المسيح مع الروح القدس، له المجد إلى دهر الداهرين، آمين.

٥

مرسوم مجمع نيقيا حول الفصح

لقد عملنا كما استحسن المجتمعون في المجمع المقدس، في زمن الإمبراطور التقي والعظيم قسطنطين، الذي لم يجمع فقط في الوحدة، الأساقفة المسجلين أدناه، وصنع السلام لجنسنا فقط، بل فحص معهم أيضاً الإجراءات والترتيبات اللازمة للكنيسة الجامعة. ولوحظ، بعد المناقشات حول وجوب أن تحتفل الكنيسة كلها سوية بالفصح، أن ثلاثة أقسام من العالم، متفقون مع أهل روما والإسكندرية، وأن منطقة واحدة في الشرق كانت مخالفة؛ فاستحسن الآباء أن يحتفل الاخوة في الشرق، بعد تسوية كل المسائل والمشاكل والتناقضات، بعيد الفصح أيضاً مثل أهل روما والإسكندرية والآخرين، حتى يرفع الجميع صلواتهم، في يوم واحد وبصوت واحد، في هذا اليوم المقدس، يوم الفصح. وقد وقع الشرقيون كلهم، لأنهم يخالفون آراء الآخرين.[٢٢]

٦

رسالة الدعوة إلى مجمع نيقيا الأول

أظن أن الجميع يعرف اهتمامي الكبير بعبادة الله. لقد استحسنت أولاً، الدعوة إلى مجمع أساقفة بمدينة انقيرة في غلاطية؛ أما اليوم، ولأسباب عديدة، فضلّت انعقاد هذا المجمع في مدينة نيقيا في بيثينيا، سواء لتسهيل وصول أساقفة إيطاليا وأوروبا، أو بسبب صحية المناخ، وإمكانية حضوري إلى المجمع. لهذا أيها الاخوة الأعزاء، ابعث إليكم بإرادتي هذه: أن تجتمعوا بأسرع وقت في مدينة نيقيا. فليهتم كل منكم بالأمور الكبيرة، ثم فليسرع دون تأخير، حتى يشترك شخصياً في المناقشات. وليحفظكم الله أيها الاخوة الأعزاء.

٢٢ هذا المرسوم، على الأرجح، غير أصيل.

٧

رواية حفل افتتاح مجمع نيقيا

عندما حلّ اليوم المحدَّد، اليوم الذي حُدِّد للبت في الشكوك، كان كل أعضاء المجمع، متواجدين في اليوم المحدد لحل المسائل. ودخلوا إلى القاعة الكبرى في القصر الإمبراطوري -لأن الإمبراطور وجد أن اشتراكه فيه شيئاً حسناً. وجلسوا، كل بحسب رتبته، على كراسي أُعدت لهم. وساد صمت معتدل رزين رصين، بانتظار وصول الإمبراطور، ودخل لساعته، ثلاثة من أقربائه الواحد تلو الآخر. ثم ظهر، ليس حراسه حسب العادة، بل فقط قسم من حاشيته، الذين يؤمنون بديانتنا. ثم أُعطيت الإشارة بوصوله، فوقف الأساقفة جميعاً، ودخل حالاً وسط موكب من الأشخاص، ذوي المنزلة الرفيعة، وبدا وكأنه ملاك الله.

وبهر الأنظار وفتنها ببريق أرجوانه، وبرونق الذهب والجواهر، والأحجار الكريمة الظاهرة عليه؛ هذه هي زينته الخارجية. أما زينته الداخلية، فقد ظهرت واضحة بتواضعه، إذ كان يخفض نظره إلى أسفل، وباستقامته الرصينة التي لوحظت على وجهه، وبحركته، وبمشيته، وبطول قامته، وبشاشته، وببنيته القوية الصلبة، الذي كان في نفسه، فضائل التي في سموها، لا يمكن إظهارها جيداً بالمديح والتقريظ، الذي يمكن أن ننعته بها.

وبعدما اجتاز القاعة كلها حتى صدرها، توقف. فحملوا إليه كرسياً منخفضاً من الذهب؛ وعندما أشار إليه الأساقفة بالجلوس، جلس، فجلسوا من بعده.

٨

كلمة الإمبراطور الافتتاحية

لقد رغبت جداً، أيها الأحباء، أن أراكم مجتمعين. وقد تحققت رغبتي اليوم. أشكر الله الملك الأعظم، الذي أعطاني النعمة الكبرى، بالإضافة إلى نعمه العديدة، أن أجمعكم وأكون شاهداً للتوافق بينكم. حتى لا يستطيع أي عدو تعكير صفو الحالة السلمية. فليُطرح الآن، بمعونة الله المخلص، كل من أعلن الحرب على الله، فنمنع الشيطان الخبيث، من عرض القوانين الإلهية بطريقة أخرى. لقد بدا لي أن الانشقاق الداخلي في كنيسة الله، أخطر وأنكر من الحروب والنزاعات الأخرى؛ وهو يؤلمني اكثر من أي شيء آخر. عندما جعلني الله انتصر على أعدائي، لم أفكر إلا في شكره، والتمتع مع

www.old-criticism.blogspot.com

١٠

رسالة الكسندروس الإسكندري إلى جميع الأساقفة ضد آريوس (٣١٩)

إلى الزملاء المحبوبين والمكرمين في الكنيسة الجامعة كلها، سلام بالرب من الكسندروس،

نظراً إلى أن جسد الكنيسة الجامعة واحد، ونظراً إلى أن الكتب المقدسة توصي بالحفاظ على الوئام والسلام[٢٤]، فمن المناسب أن نتكاتب، وننبه بعضنا البعض عن كل ما يجري عند كل واحد منا، حتى إذا تألم عضو أو أُكرم، نستطيع بدورنا أن نتألم أو نسرّ معه[٢٥].

لقد قام مؤخراً في أبرشيتنا، رجال كفرة أعداء للمسيح، راحوا يعلّمون كفراً يمكن اعتباره بالفعل سابق المسيح الدجال. وقد رُمت السكوت عن هذا الأمر، حتى يمتص الكفرة وحدهم هذا الشر، خاشياً أن ينتشر إلى أماكن أخرى، فيدنس آذان البسطاء والأنقياء. لكن اوسابيوس، الذي هو الآن في نيقوميديا، والذي يعتقد أن مصير الكنيسة يتعلق به وحده، بعد أن ترك كنيسة بيروت، ليغتصب كنيسة نيقوميديا دون أن يعاقبه أحد، بدأ يدافع الآن ويحمي هؤلاء الكفرة، وباشر بالكتابة إلى كل مكان، ليجذب الجاهلين إلى هذه الهرطقة الرديئة المعادية للمسيح؛ لهذا حكمت أنه من الصواب والضروري، عالماً ما هو مكتوب في الشريعة ، أن لا أصمت بعد، وأن أخبر جميعكم، حتى تعرفوا الكفرة وتعابير هرطقتهم المؤذية والخبيثة. هكذا، فإذا كتب إليكم اوسابيوس، فلا تعيروه أي انتباه، ولا تصغوا إليه. فهو يرغب الآن بواسطتهم إحياء مكره قديم، غطاه الزمن بالصمت والنسيان، وهو يتظاهر بالكتابة لأجلهم ولمصلحتهم، ولكنه في الحقيقة في تصرفه هذا، فهو يعمل لمصلحته.

هؤلاء هم الجاحدون أو الكفرة:

آريوس، واخيلاوس، وايتاليس، وكربونيس، وآريوس آخر، وسارماتاس، وكلهم كانوا كهنة؛ افذويوس، ولوكيوس، ويوليوس، وميناس، وهيللاديوس، وغايوس، وكلهم كانوا شمامسة؛ سيكوندوس وثيوناس، وكانا أسقفين.

وهذا ما علّموه ضد الكتاب المقدس: لم يكن الله دائما أباً، لكنه كان هناك وقت لم يكن الله فيه أباً. كلمة الله لم يكن دائماً، بل خلق من العدم. فالله الكائن خلق من العدم الذي لم يكن. لهذا كان هناك وقت لم يكن فيه. الابن مخلوق ومصنوع، غير

٢٤ راجع اف ٤/٣.
٢٥ راجع ١ قور ١٢/٢٦.

مشابه للآب في الجوهر؛ وليس ابن الله حقيقة، ولا حسب الطبيعة، ولا حكمته الحقيقية، بل إنه من المصنوعات والمخلوقات. وندعوه كلمة وحكمة خلافاً للواقع والأصول: إذ خلق بكلمة الله وحكمته الخاصتين، وهما أصلاً في الله، وبهما خلق الله كل الأشياء، وخلقه هو نفسه. لهذا السبب فهو بطبيعته متحول وغير ثابت، مثل كافة الكائنات العقلية. فالكلمة غريب عن الله، ويختلف عنه، ومنفصل تماماً عن جوهر الله. الآب لا يراه الابن ولا يستطيع وصفه. ولا يعرف الابن الآب تماماً، ولا على الوجه الأكمل، ولا يمكنه رؤيته على الوجه الأكمل. ولا يعرف الابن حتى جوهره الخاص. فقد خلق لأجلنا، حتى يخلقنا الله به، كما بأداة. ولم يكن ليوجد، لو لم يرد الله خلقه. وعندما سألهم البعض أن كلمة الله يمكن أن يتغير كما تغير الشيطان، لم يخشوا الإجابة: نعم يمكنه ذلك. فطبيعته معرّضة للتغير، لأنه مخلوق فهو معرّض للتغير.

وقد اجتمعنا مع أساقفة مصر وليبيا، بعدد المائة، وأدنّا آريوس ومحازبيه الذين قالوا بهذه التعاليم بسفاهة. لكن اوسابيوس استقبلهم، وسعوا معاً إلى خلط الكذب بالحقيقة، والكفر بالإيمان القويم. لكنهم لن ينتصروا، لأن الحقيقة تنتصر، وليس هناك من شركة بين النور والظلام، ولا بين المسيح وبليعال.

من سمع مثل هذه الأشياء؟ ومن يسمعها الآن، ولا يسد أذنيه حتى لا يصغي إلى مثل هذه الكلمات المقززة؟ ومن يسمع يوحنا قائلاً: "في البدء كان الكلمة"[٢٦] ولا يدين من يقول: "كان هناك وقت لم يكن فيه"؟ ومن يسمع كلمات الإنجيل هذه: "ابن الله الوحيد"[٢٧]، و"به كان كل شيء"[٢٨]، لا يمقت أولئك الذين يؤكدون أن الابن واحد من المخلوقات؟ فكيف يمكنه أن يكون واحداً من الأشياء التي كُوِّنت به؟ وكيف يمكن أن يكون الابن الوحيد، ذلك الذي يضعونه في مرتبة كل الأشياء، وفي فئتهم ومن صنفهم؟ وكيف ينتج من العدم، بينما الآب يقول: "جاش قلبي بكلمة طيبة"[٢٩]، و"من الرحم قبل الفجر ولدتك"[٣٠]؟ وكيف يكون في جوهره غير مشابه للآب، وهو صورة الآب التامة وشعاع مجده[٣١]، وهو يقول: "من رآني رأى الآب"[٣٢]؟

وإذا كان الابن الكلمة وحكمة الآب، فكيف يكون هناك وقت لم يكن فيه؟ هذا يعني كأنهم يقولون، إنه كان هناك وقت كان فيه الآب بدون كلمة ولا حكمة.

٢٦ يو ١/١.
٢٧ يو ١/١٨.
٢٨ يو ١/٣.
٢٩ مز ٤٥/٢.
٣٠ مز ١١٠/٣.
٣١ ٢ قور ٤/٤؛ عب ١/٣؛
٣٢ يو ١٤/٩.

www.old-criticism.blogspot.com

وكيف كُوِّن معرّضاً للتغير والتحول الذي يقول عن نفسه: "إن الآب فيّ وأنا في الآب"[٣٣] و"أنا والآب واحد"[٣٤]، والذي قال بالنبي: "فإني أنا الرب لا أتغير"[٣٥]؟ حتى ولو ظننا أن هذه الكلمات قالها الآب نفسه، فمن الملائم الآن أن نقول إنها من الكلمة، الذي صار إنساناً ولم يتحول، لكن كما قال الرسول: "إن يسوع المسيح هو هو، أمس واليوم وللأبد"[٣٦]. ومن أقنعهم أنه صُنع من أجلنا، بينما يقول القديس بولس: "من أجله كل شيء، وبه كل شيء وُجد"[٣٧]؟ أما بالنسبة لتجديفهم، أن الابن لا يعرف الآب على وجه كامل، فيجب ألا نندهش منه، نظراً لأنهم قرروا محاربة المسيح، فهم يزدرون أيضاً كلمات الرب نفسه الذي يقول: "كما أن أبي يعرفني، أنا اعرف أبي"[٣٨]. فإذا لم يعرف الآب الابن إذاً إلا جزئياً، فمن الواضح أن الابن لا يعرف الآب إلا جزئياً. ولكن إذا لم يكن صحيحاً التكلم هكذا، وأن الآب يعرف الابن تماماً، فمن الجلي أن الكلمة، كما يعرف الآب كلمته، يعرف أباه أيضاً.

وقد فنّدنا غالباً أقوالهم وتفسيراتهم للكتاب المقدس. لكنهم يتبدلون من جديد، ويتلونون مثل الحرباء، ساعين إلى انتحال ما يقوله الكتاب، وتطبيقه على أنفسهم: "إذا دخل الشرير دخل الازدراء"[٣٩]. وصحيح أن قبلهم قد نشأت هرطقات، سقطت في الغباء بسبب التهور المفرط. لكن هؤلاء يجهدون بكلامهم، لهدم ألوهية المسيح، فقد برّروا كل الهرطقات، بحيث إنهم اقتربوا أكثر من المسيح الدجال. لهذا السبب طُردوا من الكنيسة وأُبسلوا.

نحن نتألم لضلالهم، خاصة أنهم قبلوا في السابق تعاليم الكنيسة، ثم تخلّوا عنها، لكن هذا لا يُذهلنا. فقد حصل هذا أيضاً مع هومنايس وفيليطس[٤٠]، وقبلهما يهوذا الذي بعد أن تبع المخلص، خانه فيما بعد، وتخلّى عنه.

ولم نكن، بالنسبة لهؤلاء، غير حذرين وغير منتبهين، لأن الرب قال: "إياكم أن يُضلّكم أحد! فسوف يأتي كثير من الناس منتحلين اسمي يقولون: أنا هو، فقد حان الوقت! فيُضلّون أناساً كثيرين. فلا تتبعوهم"[٤١]. ويكتب بولس ما تعلّمه عن المسيح: "أن بعضهم يرتدون في الأزمنة الأخيرة عن الإيمان، ويتبعون أرواحاً مضلّة ومذاهب

٣٣ يو ١٠/٣٨.
٣٤ يو ١٠/٣٠.
٣٥ ملا ٣/٦.
٣٦ عب ١٣/٨.
٣٧ عب ٢/١٠.
٣٨ يو ١٠/١٥.
٣٩ مثل ١٨/٣.
٤٠ راجع ٢ طيم ٢/١٧.
٤١ متى ٢٤/٤؛ لو ٢١/٨.

شيطانية"[٤٢]. وبما أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، قد أوصى بهذا الأمر، وفسّره بواسطة الرسول حول هؤلاء الأشخاص، فنحن عن صواب وحق، قد رشقنا بالحرم هؤلاء الأشخاص الذين سمعنا كفرهم بأنفسنا، وأعلناهم غرباء عن الكنيسة الجامعة وعن الإيمان.

نحن نعلم تقواكم بهذا، أيها الزملاء في الخدمة، المحبوبون والمكرّمون جداً، لكي لا تقبلوا أحداً منهم، إذا ما جاء عندكم، وحتى لا تصغوا إلى اوسابيوس ولا إلى أي شخص يكتب لصالحهم. نحن المسيحيين، يجب أن نبتعد ونتجنب كل الذين يقولون ويفكرون ضد المسيح: إنهم أعداء الله، ومفسدو النفوس، ويجب أن لا نحييهم، حتى لا نكون مشاركين إطلاقاً في جرائمهم، كما أوصانا يوحنا الطوباوي[٤٣].

حذّروا الاخوة الذين معكم وسلّموا عليهم، يسلّم عليكم الاخوة الذين معنا.[٤٤]

١١

رسالة آريوس إلى اوسابيوس النيقوميدي (نحو ٣٢٠)

إلى السيد المحبوب والحسن العبادة اوسابيوس ذي الإيمان القويم، سلام بالرب من قِبل آريوس، المضطهد جوراً من البابا الكسندروس بسبب الحقيقة التي تتغلب على كل شيء، والتي تدافع عنها أنت أيضاً.

٤٢ ١ طيم ٤/١.
٤٣ راجع ٢ يو ١٠.
٤٤ كتب الكسندروس رسالته هذه، نحو عام ٣١٩، بعد أن أدان إكليروس الإسكندرية آريوس، وبعد أن وافق على هذه الإدانة مجمع أساقفة مصر وليبيا. وقد رأى الكسندروس، بعدما عرف بالدعاية التي يقوم بها اوسابيوس النيقوميدي لمصلحة آريوس، أنه من المناسب الكتابة إلى أساقفة المسيحية جمعاء، ليعلمهم بمجريات الأحداث، وعن فحوى تعاليم آريوس. ويشدد الكسندروس في رسالته خاصة على مسؤولية اوسابيوس، ويلخّص عقيدة آريوس، ثم يتبعها بتفنيد وجيز، لكنه مفصّل: قدّم تعاليم آريوس مشدداً على نواحيها المتطرفة، واعتمد في تفنيدها على الكتاب المقدس، مقدماً شواهد سواء من العهد القديم أو من العهد الجديد، تعارض مباشرة طروحات آريوس. يبرز في الرسالة موقف الكسندروس العقائدي، المضاد تماماً لموقف آريوس حول الطرحين الأساسين: الابن أزلي مع الآب وهو مولود منه بولادة حقيقية. لا يلجأ الكسندروس في هذا النص، ربما عن عمد، إلى تعابير تقنية. ويشرح الكسندروس فكرته حول هذه الموضوع في رسالته إلى الكسندروس أسقف تسالونيكي: يتحاشى استخدام تعبير "طبيعة" الآب والابن، لأن هذا التعبير فيه من الغموض ما قد يؤدي إلى اتهامه، أنه يدرك الله بصورة مادية أو جسدية. استخدم الكسندروس بدل ذلك تعبير "أقنوم" التقليدي، في التعريف عن الآب والابن.

www.old-criticism.blogspot.com

لما علمت أن الأب امونيوس[٤٥] مغادر إلى نيقوميديا، رأيت أنه من الواجب واللائق أن أرسل لك السلام بواسطته، وكذلك أن أذكّرك بالمحبة الفطرية والطبيعية التي فيك، وسلوكك اللائق تجاه الاخوة بنعمة الله ومسيحه، لأن الأسقف يزعجنا بشراسة ويضطهدنا، ويستخدم ضدنا كل الوسائل، حتى إنه طردنا من المدينة كأناس لا إله لهم. لأننا لسنا متفقين معه، عندما يقول علانية: "الله أزلي والابن أزلي، ومع الآب ومع الابن، والابن مع الآب دون أن يولد، ومولود دائماً [منذ الأزل]، وغير مولود ومولود، دائماً الله ودائماً الابن، الابن من الآب يأتي".

وبما أن اوسابيوس زميلك في قيصرية، وثيودوتوس وبولينوس واثناسيوس، وغريغوريوس وايتيوس[٤٦] وكل الشرقيين يقولون إن الله، الذي لا بدء ولا مبدأ له، يسبق الابن بالوجود، فقد أُدينوا جميعهم، ما عدا فيلوغونيوس وهيللانيكوس ومكاريوس[٤٧] الذين، وهم هراطقة جهلة، يؤكدون، الواحد أن الابن قذف، والآخر أنه أُفيض، والثالث أنه غير مولود مع الآب.

لا نستطيع حتى سماع مثل هذا الكفر، حتى ولو كان الهراطقة يهددوننا بالموت. ولكن ماذا علّمنا نحن وقلنا واعتقدنا؟ الابن ليس غير مولود، ولا جزءاً من غير المولود بأي صورة، ولا يأتي من جوهره، بل بإرادة الآب وقراره، أتى إلى الوجود قبل كل الأزمنة والدهور، إلهاً تاماً، وابناً وحيداً لا يتغير. وسواء قبل أن يولد أو يُخلق أو يؤسَس[٤٨] أو يُحدد، لم يكن بالطبع، ولم يكن غير مولود. ونضطهد لأننا قلنا: "الابن له بدء بينما الله بلا بدء". لهذا اضطهدنا، ولأننا قلنا: "أتى من العدم"، هكذا قلنا، بما أنه ليس جزءاً من الله ولا يأتي من جوهره. لهذا نحن مضطهدين. والباقي تعرفه أنت.

أتمنى لك صحة جيدة بالرب، متذكّراً عذاباتنا، يا اوسابيوس تلميذ لوكيانوس حقاً.[٤٩]

---

٤٥ على الأرجح هو أحد الرهبان.

٤٦ ثيودوتوس أسقف اللاذقية، بولينوس أسقف صور، اثناسيوس أسقف عين زربة، غريغوريوس أسقف بيروت، ايتيوس اللدي.

٤٧ فيلوغونيوس الأنطاكي، هيللانيكوس أسقف طرابلس (فينيقيا)، مكاريوس أسقف أورشليم.

٤٨ راجع مثل ٨/٢٢-٢٥.

٤٩ إنها الوثيقة الأقدم في النزاع الآريوسي. وجهها آريوس إلى اوسابيوس أسقف نيقوميديا زميله في الدراسة عند لوكيانوس الأنطاكي، والذي سيصير مسانده الأكبر. يعرض فيها تعاليمه في راديكاليتها. يلوم فيها الكسندروس لأنه أكد وجود الابن منذ الأزل، أي أنه شريك الآب في الأزلية ومن جوهره. ويؤكد آريوس خلافاً لذلك، أن الابن، قبل أن يولد ويُخلق، لم يكن موجوداً، وأنه خُلق من العدم. هذه هي طروحات آريوس الأكثر تطرفاً، ويُظهر فيها قلقه باستبعاد كل تصور مادي في الولادة الإلهية، الذي يعني انقسام الجوهر الإلهي إلى جزئين، هذا القلق الذي شاركه فيه اوريجانوس، الذي قد لا يكون بدون أساس، خاصة في ظل سيطرة المنهجية المادية في الفكر اللاهوتي في آسيا.

١٢

رسالة آريوس إلى الكسندروس أسقف الإسكندرية (نحو ٣٢٠)

إلى البابا الطوباوي وأسقفنا الكسندروس، من الكهنة والشمامسة، سلام بالرب،

إن الإيمان الذي تسلّمناه من أسلافنا وتعلّمناه منك أيها البابا الطوباوي، هذا هو:

نعترف بإله واحد،

وحده[٥٠] غير مولود،

وحده أزلي،

وحده بدون مبدأ،

وحده الحقيقي،

الأبدي وحده،

الحكيم وحده،

الخيّر وحده،

الضابط الكل وحده،

الديان وحده،

وحده الذي يعتني وينظّم ويحكم الأشياء كلها،

غير المتحول وغير المتغير،

العادل والبار،

الصالح،

تابع آريوس، في همه هذا، نهج اوريجانوس في الثالوث، لكنه ابتعد عنه عندما رفض أزلية الابن مع الآب، لأنه اعتبر الولادة الإلهية بمقاييس الولادة الحيوانية، ولم يقدر أن يفهم "لا-زمنية" هذه الولادة المطلق، التي أدركها اوريجانوس؛ والنتيجة التي توصل إليها بنفي ولادة الابن من جوهر الآب، أي أن الابن خرج من العدم، قد عزلته عن التقليد القديم، لكنه اعتبره دائماً ابناً حقيقياً بالمعنى الحصري للكلمة، وليس بالمعنى المجازي، أي ابناً بالتبني. لذلك فعندما يؤكد آريوس أن أساقفة الشرق في مجملهم يفكرون مثله ، فهو يغالي جداً.

٥٠ يشدد آريوس على "وحده" ويرددها، ليبين تفوق الآب المطلق. بينما يعتبر أن لدى الابن هذه الصفات بالمشاركة فقط.

www.old-criticism.blogspot.com

إله الشريعة والأنبياء والعهد الجديد،

الذي ولد قبل الأزمنة الأزلية ابنه الوحيد،

الذي به خُلقت الأزمنة والأشياء كلها،

الذي ولده حقاً، وليس ظاهرياً،

وأوجده بفعل إرادته،

الثابت وغير المتحول،

خليقة الله الكاملة،

لكنه ليس كبقية المخلوقات،

مولود ولكن ليس مثل واحد من المخلوقات،

ليس كما أكد فالنتينوس[٥١] أن ولادة الآب هي فيض،

ولا كما علّم ماني[٥٢] أن المولود جزء مساوٍ للآب في الجوهر[٥٣]،

ولا كما حدده صابيليوس[٥٤]، عندما قسّم الوحدانية، داعياً إياه الابن–الآب،

ولا كما قال هييراكاس[٥٥] إنه نور من نور أو كمشعل منقسم إلى اثنين؛ ولا بمعنى أنه كان موجوداً قبلاً، ثم وُلد أو خلق من جديد بمثابة ابن.[٥٦]

---

٥١ حول آراء فالنتينوس راجع الحاشية رقم ١٣١.

٥٢ ماني (٢١٦–٢٧٦) Mani، هو مؤسس التيار المانوي، وُلد في ماردين، وعلّم في قطيسيفون وبشّر هناك مدّعياً الوحي. يُنادي ماني بمدأين للوجود: النور والظلام، ككائنين منفصلين ومستقلين منذ الأزل. غزا الظلام النور في الماضي، فأصبح بعض النور ممتزجاً بالظلام: هذه هي حالة عالمنا الحاضر. الله هو سيد النور والشيطان هو سيد الظلام. ولا بد من تنقية النور من الظلام ليعود إلى نورانيته الأصلية. أرسلت قوى النور بوذا وزرادشت ويسوع، الذي هو أهم الجميع، ليقوموا بهذه المهمة. ادّعى ماني أنه رسول المسيح، وأنه المعزي "الباراقليط" المنتظر، الذي وعد به المسيح، وأن مقدرته على معرفة الماضي والمستقبل مستمدة من "الباراقليط" الذي حلّ فيه. علّم ماني أن الصالحين، في الدينونة العامة، سوف يصعدون إلى أعلى، مركز النور، بينما يهبط الأشرار إلى أسفل، إلى الظلام الدائم.
أسس ماني كنيسة منشقة مؤلفة من طبقتين: المصطفين أو النخبة والمستمعين. وكان هو على رأسها يعاونه اثنا عشر رسولاً وستون تلميذاً، ثم يأتي الأساقفة والكهنة والشمامسة.
انتشرت المانوي في سوريا، وفلسطين، ومصر، وأفريقيا، وخاصة في بلاد فارس وآسيا.

٥٣ تظهر هنا للمرة الأولى لفظة "اوموسيوس" في إطار النزاع العقائدي الآريوسي.

٥٤ راجع المقطع الخاص بصابيليوس ٩٢–٩٤.

٥٥ هييراكاس: ناسك مصري من القرن الرابع، لم يجدأحد أخطاء في عقيدته الثالوثية، إنما لاموه على أخطاء في تعاليمه الانتروبوجية وحول تدبير الخلاص والفداء.

هكذا أنت أيضاً أدنت، أيها البابا الطوباوي، في وسط الكنيسة وأمام الجماعة، عدة مرات القائلين بمثل هذه الأقوال. لكن نحن نقول إن الابن خُلق بفعل إرادة الله قبل الأزمنة والدهور، أعطاه الآب الحياة والكيان والمجد، والآب موجود معه. ولما أعطاه ميراث الأشياء كلها، لم يحرم الآب نفسه مما يملكه بحد ذاته، أي الكائن بدون مبدأ، لأنه مبدأ الأشياء كلها.

لهذا يوجد ثلاثة أقانيم: الآب والابن والروح القدس. يبقى الله، الذي هو بحق علة الكائنات جميعها، وحده فقط بلا مبدأ. أما الابن المولود من الآب قبل الأزمنة فقد خُلق وأُسس[٥٧] قبل الدهور، لم يكن قبل ولادته، لكنه وُلد قبل الأزمنة، قبل كل شيء، هو وحده مخلوق من الآب، وليس هو أزلي، ولا شريك الآب في الأزلية، وليس غير مولود مثل الآب ومعه، وليس كائناً مع الآب، كما يقول البعض حول الواحد والآخر، على أساس العلاقة بينهما، فيؤكدون وجود مبدأين غير مولودين، لكن الله بما أنه واحد ومبدأ كل شيء، كائن قبل كل شيء، لهذا فهو قبل الابن، كما تعلّمناه منك في عظاتك في الكنيسة. ومن حيث أن للابن الكيان والمجد والحياة، وكل ما أُعطي له يأتي من الله، فالله مبدأه، وهو يأمره وأعلى منه، لأنه إلهه وكائن قبله.

أما بالنسبة لبعض الجمل مثل "منه" و"من الرحم"[٥٨] و"إني من الله خرجت وأتيت"[٥٩]، فإذا فسر البعض وفهموا، وكأن الابن جزء مساوٍ في الجوهر للآب وفيض منه، فيكون الآب، حسب رأيهم مركباً ومنقسماً، معرضاً للتحول، جسدياً، والله الذي لا جسد له يصير معرّضاً، حسب رأيهم، لكل ما يتعرّض له الجسد طبيعياً.

نتمنى لك البقاء في صحة جيدة في الرب، أيها البابا الطوباوي.

آريوس، ايتاليس، اخيلاوس، كاربونيس، سارماتاس، آريوس (آخر)، الكهنة؛ والشمامسة: افذويوس، لوكيوس، يوليوس، ميناس، هيلاديوس، غايوس؛ والأساقفة: سيكوندوس من المدن الخمس، وثيوناس من ليبيا، وبيستوس أسقف الإسكندرية.[٦٠]

---

٥٦ يحدّد آريوس عقيدته هنا بما يميّزها من اختلافات مع بعض الهراطقة: فهو يطرح جانباً نظريات فالنتينوس في فيض الابن من الآب، ويرفض تعاليم ماني القائلة بانبثاق الابن مادياً من جوهر الآب، ويعارض آراء صابيليوس المونارخية الشكلانية.

٥٧ راجع مثل ٢٢/٨–٢٥.

٥٨ مز ٣/١١٠.

٥٩ يو ٤٢/٨ و ٢٨/١٦.

٦٠ إنه اعتراف إيمان، وجهه آريوس وزملاؤه، عام ٣٢٠، ربما بنصيحة من اوسابيوس النيقوميدي، إلى الكسندروس، عندما كان خارج مصر. يحدد آريوس هنا بدقة، خلافاً لرسالته إلى اوسابيوس النيقوميدي، بعض التفاصيل ويخفف من راديكالية بعض النقاط. ويصمت آريوس خاصة، عن خلق الابن من العدم من قِبل الآب، ولا يحدد من أين يأتي، ولا يذكر حتى إنه آت من جوهر إلهي. لكنه يبدي استعداده لقبول أن الابن آتٍ من الآب، شرط ألا يُفهم من هذا، حصول انقسام في الجوهر

www.old-criticism.blogspot.com

١٣

مقاطع من كتاب آريوس "المأدبة"

١ – حسب إيمان مختاري الله، الذين يدركون الله، الأولاد القديسين المستقيمين، الذين حلّ عليهم روح قدس الله، هذا ما تعلّمته من المشاركين في الحكمة، المميزين، والذين علّمهم الله، الحكماء الكاملين. فقد تقدمت على خطاهم، مفكراً مثلهم، أنا الشهير الذي تألم كثيراً لأجل مجد الله، المعلّم من الله، لقد تعلّمت الحكمة والعلم والمعرفة.

٢ – لم يكن الله دائماً أباً، كان هناك وقت لم يكن فيه بعد أباً، ثم أصبح أباً. لم يكن الابن موجوداً دائماً. خُلقت الأشياء كلها من العدم، كل الأشياء مخلوقات ومصنوعات، وكذلك كلمة الله خُلق من العدم، فكان هناك وقت لم يكن فيه. لم يكن موجوداً قبل أن يُخلق. وكان بدؤه هو أيضاً بخلقه. لأن الله واحد. لم يكن الكلمة والحكمة موجودين بعد. ثم، عندما أراد خلقنا، صنع كائناً ما، ودعاه كلمة وحكمة وابناً، ليخلقنا بواسطته.

٣ – هناك إذاً حكمتان: الواحدة خاصة أزلية مع الله، والتي بها خلق الابن، والتي بالاشتراك بها، هو مدعو وحده حكمة وكلمة. لأن الحكمة وُجدت بالحكمة، بفعل إرادة إله الحكمة. وكذلك كان في الله كلمة بجانب الابن، وبالاشتراك به، فدُعي الابن بدوره كلمة وابناً بالنعمة.

٤ – ليس المسيح قوة الله الحق، بل واحد من القوات المتعددة... وهناك الكثير منها مشابهة للابن، كما رسمها داود في المزمور عندما قال: "رب القوات"[٦١].

٥ – الابن بطبيعته معرّض للتحول؛ ويستطيع البقاء صالحاً عندما يريد. وقد أعطاه الله المجد لأنه عارف بأنه سيبقى صالحاً، هذا المجد الذي اكتسبه فيما بعد كإنسان.

الإلهي. لهذا يدين بعض التعاليم الهرطوقية التي، حسب رأيه، تدرك بهذا الشكل أصل الابن (فالنتينوس، ماني، وكذلك المونارخية والصابيلية). يُبرز النص بشكل واضح أولوية الآب المطلقة، وكذلك سمو الابن الذي يضعه بين الله والخليقة، بصفته المخلوق الوحيد مباشرة من الآب، حتى يعتني فيما بعد، بإرادة الآب، بخلق الكائنات كلها. بهذا المعنى هو الابن الوحيد، لأن آريوس، وعلى أساس تساوي خلق وولد، المبنية على مثل ٨/٢٢–٢٥، يتابع الحديث عن الابن كمولود من الآب، منسجماً بذلك مع أحد معطيات التقليد. لكن آريوس بقي ثابتاً في رأيه حول أن الآب يسبق الابن الذي قبل ولادته لم يكن.

٦١ مز ٢٤/١٠.

٦– ليس الابن إلهاً حقاً، بالرغم من أننا ندعوه "إله". فليس هو إلهاً حقاً، بل فقط بالمشاركة بواسطة النعمة. هو مثل الجميع، ليس إلهاً إلا بالاسم. وهو غريب عن جوهر الآب، مثل بقية الأشياء، ومختلف عنه وعن خصائصه. إنه مخلوق.

٧– الابن لا يرى الآب، ولا يمكنه معرفته ولا رؤيته بالتمام والكمال. وهو يعرفه ويراه بحسب قدرته، كما نحن نعرف حسب قوانا. والابن لا يدرك الآب ولا يفهمه، ولا يعرف جوهره.

٨– إن جواهر الآب والابن والروح القدس، بطبيعتها منفصلة ومتباعدة، ومختلفة ومنقسمة وغريبة، ولا تتبادل بين بعضها البعض: إنهم مختلفون تماماً في الجوهر والمجد إلى ما لا نهاية. فلا مجد ولا جوهر متشابهين. الكلمة منفصل عن الآب، ولا يشاركه في أي شيء.

١٤

رسالة اوسابيوس القيصري إلى كنيسته حول رمز نيقيا

إن الذي حدده مجمع نيقيا الكبير حول إيمان الكنيسة، من الطبيعي أنكم أنتم أيضاً، أيها الأعزاء، قد وصلكم من مصادر أخرى، لأن الإشاعات عادة تسبق المعلومات الصحيحة حول الأحداث. لكي، بمثل هذه الثرثرات والشائعات، لا تبلغكم الحقيقة على وجه مختلف، وجدت من الضروري، أن أرسل إليكم قبل كل شيء، نص الإيمان الذي قدمته، ثم نص الإيمان الذي أُعلن، بعد إدخال بعض الإضافات على كلماتنا. والنص الذي قدمته، وتلي بحضور إمبراطورنا الحسن العبادة واعترف به، أنه لائق وجيد، هذا فحواه:

كما استلمنا من الأساقفة الذين سبقونا، وفي تعليمنا الأول، وعندما تعمّدنا، وكما تعلّمنا من الكتب المقدسة، ومثلما آمنا وعلّمنا، سواء عندما كنا كهنة أم أساقفة، كذلك نؤمن الآن ونقدم لكم إيماننا. هذا هو:

نؤمن بإله واحد،

آب ضابط الكل،

خالق كل ما يُرى وما لا يُرى،

وبرب واحد يسوع المسيح،

كلمة الله،

www.old-criticism.blogspot.com

إله من إله،

نور من نور،

حياة من حياة،

الابن الوحيد،

بكر الخليقة كلها،

المولود من الآب قبل كل الدهور،

الذي به كان كل شيء،

الذي تجسد من أجل خلاصنا،

وعاش بيننا،

وتألم،

وقام في اليوم الثالث،

وصعد إلى الآب،

وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات.

نؤمن أيضاً بالروح القدس،

نؤمن أن كل واحد منهم كائن وموجود،

الآب حقاً آب،

والابن حقاً ابن،

والروح القدس حقاً روح قدس،

كما قال ربنا، عندما أرسل تلاميذه ليبشروا بالإنجيل:

"اذهبوا وعلّموا كل الأمم، معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس"[٦٢].

وأكدنا هذه الأفكار حول هذه المواضيع، منذ زمن بعيد، وأننا ثابتون على هذا الإيمان حتى الموت، وندين كفر الهراطقة كله. ونشهد حقيقة أمام الله الضابط الكل، وأمام ربنا يسوع المسيح، أننا اعتقدنا هكذا دائماً بالقلب والنفس، منذ أن عرفنا أنفسنا؛

٦٢ متى ١٩/٢٨.

وأننا نعتقد به ونؤكده الآن، قادرين على أن نُظهر لكم ببراهين ونقنعكم، أننا هكذا آمنا وعلّمنا في الماضي.

بعد أن عرضت اعتراف الإيمان هذا، لم يتسنَّ لأحد التصدي له، وكان إمبراطورنا الحسن العبادة، أول من أفاد أنه سديد وصحيح تماماً. وأعلن أنه هو نفسه يعتقد هكذا، ودعا الجميع للموافقة والتصديق عليه، ولقبول تعليمه والاتفاق عليه، مضيفاً فقط لفظ "الاوموسيوس"، الذي فسره هو نفسه: "الابن مساوٍ في الجوهر ليس كما يحدث للأجسام، وأنه ليس بالانقسام، ولم يأخذ كيانه من أي انشقاق من الآب. لأن الطبيعة اللامادية والعقلانية واللاجسدية، غير معرضة لما يحدث للأجسام؛ ويجب الاعتقاد بهذا، بالاعتماد على الكلمات الإلهية والسرية". وقد أعطانا الإمبراطور الجزيل الحكمة والورع هذه الشروحات. ولكنه، بحجة إضافة "مساوٍ في الجوهر"، فقد وضعوا هذا النص:

نؤمن بإله واحد،

آب ضابط الكل،

خالق كل ما يُرى وما لا يُرى؛

وبرب واحد يسوع المسيح،

ابن الله الوحيد،

المولود من الآب،

أي من جوهر الآب،

إله من إله،

نور من نور،

إله حق من إله حق،

مولود غير مخلوق،

مساوٍ للآب في الجوهر،

الذي به كان كل شيء،

مما في السماء وعلى الأرض؛

الذي من أجلنا نحن البشر،

ومن أجل خلاصنا،

www.old-criticism.blogspot.com

نزل من السماء،

وتجسد وتأنس،

وتألم،

وقام في اليوم الثالث،

وصعد إلى السماء،

وسيأتي ليدين الأحياء والأموات.

وبالروح القدس.

وكل من يقول:

إنه كان ثمة وقت لم يكن فيه،

أو إنه لم يكن قبل أن يولد،

أو إنه خُلق من العدم،

أو إنه من جوهر يختلف عن جوهر الآب، أو عن طبيعته،

أو إن ابن الله مخلوق،

أو إنه عرضة للتغير أو للتبدل،

فالكنيسة الرسولية الجامعة، تُبسل أصحاب هذه الأقوال.

بعد أن اقترحوا هذا النص، لم ندعهم دون فحص بأي معنى يقولون "من جوهر الآب" و"مساوٍ للآب في الجوهر". فكانت هناك أسئلة وأجوبة، وقد فُحصت جيداً وبانتباه معاني هذه العبارات. بالنسبة إلى "من جوهر الآب"، فقد صرحوا أنها تشير بأنه يأتي من الآب (أي أن الآب مصدره)، وليس أنه موجود كجزء من الآب. وقد اعتقدت أنه من الملائم، أن أقبل هذا التفسير للإيمان الأرثوذكسي ، الذي يؤكد أن الابن خرج من الآب، ولكنه ليس جزءاً من جوهره. لهذا وافقت على هذا التفسير؛ ولم ارفض لفظة "مساوٍ في الجوهر"، لأنه كان أمام عيناي هدف السلام ووجوب عدم ابتعادي عن التفسير القويم. وبالمعنى ذاته قبلت "مولود غير مخلوق"، لأنهم قالوا إن تعبير "مصنوع"، مشترك بين كل الخلائق التي خُلقت بواسطة الابن، الذي ليس لديه أي تشابه معهم. لهذا فهو غير مصنوع مشابه للمخلوقات التي خُلقت به، بل من جوهر أسمى بالنسبة للمصنوعات، وأن الكتب المقدسة تعلّم أن [جوهره] وُلد من الآب، حتى ولو كانت كيفية الولادة لا تدركها، ولا تستطيع وصفها الطبيعة المخلوقة.

كذلك الأمر، عندما أخذنا نفحص ونناقش تعبير "الابن مساوٍ للآب في الجوهر"، فأكدوا أن هذا ليس على صورة الأجسام، وغير مشابه للكائناتً الحية الفانية، ليس بانقسام الجوهر ولا بانشقاقه، وبدون ألم أو تحول أو تغير في جوهر الآب وقدرته. فطبيعة الآب غير المولودة غريبة عن كل هذا. بينما تشير "مساوٍ للآب في الجوهر"، إلى أن ابن الله غير مشابه للمخلوقات في أي شيء، بل على خلاف هذا، مشابه للآب وحده الذي ولده، ولم يخرج من جوهر آخر أو طبيعة أخرى، بل من الآب. وبدا أن الإمبراطور قد وافق عليها، وقد أعطى بنفسه هذه التوضيحات، بما أننا علمنا أن العديد من الأساقفة المعلمين اللامعين والكتاب، قد استخدموا قديماً، عبارة "مساوٍ للآب في الجوهر" في العقيدة حول الآب والابن.

بعدما قيل هذا حول اعتراف الإيمان، وافق عليه الجميع بعد فحص دقيق، حسب التصورات المطروحة، التي فُحصت بحضور الإمبراطور الحسن العبادة، وتبين أنها متطابقة مع الشروحات التي قلت.

أما بالنسبة للإبسالات التي أضافوا إلى اعتراف الإيمان، فاعتبرها من غير ضرر، لأنها تمنع استعمال تعابير غير كتابية، التي بسببها ينشأ في كل مناسبة تقريباً، فوضى وقلاقل في الكنيسة. وبما أنه لا يوجد في كتاب من الكتب الملهمة إلهياً، "من العدم" و"كان وقت لم يكن فيه" وكل ما يليها، فليس من المحبذ القول بها أو تعليمها.

فكنت موافقاً مع الإمبراطور الذي كان من هذا الرأي، لأنه لم تُستعمل عادة مثل هذه التعابير في الأزمنة السالفة. إضافة إلى ذلك، لم يبدُ أنه في غير موضعه، إدانة تعبير "لم يكن قبل أن يولد"، لأن الجميع اتفقوا على أن ابن الله، كان قبل أن يولد بالجسد. وكذلك فقد شرح إمبراطورنا الحسن العبادة بكلمته، أن الابن بحسب ولادته الإلهية، كان قبل كل الدهور، لأنه كان في الآب بالقوة بدون ولادة، قبل أن يولد بالفعل، لأن الآب أب دائماً، كما أنه ملك دائماً ومخلّص دائماً، بحيث أنه بالقوة، وأنه دائماً مساوٍ لذاته.

لقد شعرت أنه من الضروري، أيها الأعزاء، أن أرسل هذه الأخبار إليكم، لأوضح لكم أي معيار اتخذت في فحصي وموافقتي، وكيف أنني قاومت أحياناً حتى اللحظة الأخيرة، عندما وجدت صعوبات في تعابير مكتوبة بصورة مختلفة، وكيف قبلت أحياناً دون أي صعوبة عبارات غير مضرة، عندما فحصت التعابير بدقة وانتباه، فرأيت أن مفهومها متطابق مع ما اعترفت به أنا نفسي في الصيغة التي قدمت أولاً.[٦٣]

٦٣ يُعتبر اوسابيوس أسقف قيصرية، لاهوتياً في الصف الوسط بين آريوس والكسندروس؛ اعترف بالدونية، ولكن ليس مثل آريوس، بل اعتبر الابن مولوداً حقاً من الآب، حتى ولو أنه كان يفضّل عدم الاستعلام، عن كيفية هذه الولادة. لكنه أيد آريوس سياسياً منذ اللحظة الأولى، ولهذا أدانه مجمع أنطاكية، المنعقد برئاسة اوسيوس، قبل مجمع نيقيا بعدة شهور، لفترة محددة، مرجئاً البتّ في المسألة لمجمع نيقيا. لهذا

www.old-criticism.blogspot.com

١٥
صورة دستور إيمان اوسابيوس القيصري

نؤمن بإله واحد،

الآب الضابط الكل،

خالق كل ما يُرى وما لا يُرى،

وبيسوع المسيح الذي هو كلمة الله،

إله من إله،

نور من نور،

حياة من حياة،

ابنه الوحيد،

بكر كل الخليقة،

المولود من الآب قبل كل الدهور،

الذي به كان كل شيء،

الذي صار جسداً لفدائنا،

عمل اوسابيوس في مجمع نيقيا، قبل كل شيء، لتبرئة نفسه، باقتراحه قانون إيمان المعمودية في كنيسته، وانتهى بتوقيع قانون إيمان نيقيا، متخلياً عن آريوس لمصيره. لكنه شعر بضرورة الكتابة فوراً إلى جماعته في قيصرية، ليشرح تصرفه، وخاصة ليبرر توقيعه على "الرمز النيقاوي". راجع المقطع الخاص به ص...
هذه الرسالة الطويلة هي وثيقة ثمينة، لأنها الوحيدة التي وصلتنا، والتي تتكلم عن صيغة نيقيا، بعد وقت قصير من وضعها. بعدها سيخيم صمت يدوم حوالي الثلاثين سنة، صمت النيقاويين، وصمت خصومهم الآريوسيين.
يمكن أن تقسم الرسالة إلى قسمين: الأول يصف، بتفاصيل قليلة، كيفية التوصل إلى صياغة دستور الإيمان النيقاوي؛ والثاني تشرح فيه التعابير المضادة للآريوسية. وحسب رواية اوسابيوس، فقد اقترح صيغة إيمان المعمودية في كنيسته، وأن قسطنطين قد قبله كنص رسمي في المجمع، مقترحاً إدخال "الاوموسيوس" فقط، ضد الآريوسيين، ولكن بهذه الحجة، أدخل مؤلفو النص- الذين لا يحددهم اوسابيوس-، على نص قيصرية تعديلات أخرى وإضافات.
شكك بعض الباحثين المعاصرين في صحة هذه الرواية. لكن ليس ثمة مبرر للشك في صدقه. من جهة ثانية، يظهر أن عرض اوسابيوس مغرض، فهو يكتب مدافعاً. فهو لا يذكر الإدانة التي تعرض لها سابقاً، بل يفسر بعض تفاصيل نص نيقيا تفسيراً كيفياً، لكي يضع الدستور في إطار تعاليمه العقائدية، التي كانت بعيدة عنها، خاصة فيما يتعلق بأزلية الابن مع الآب.

وعاش بين الناس،

وتألم،

وقام في اليوم الثالث،

وعاد إلى الآب،

وسيأتي ثانية، يوماً ما، في مجده ليدين الأحياء والأموات.

ونؤمن أيضاً بالروح القدس.

ونؤمن أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة كائن ويكون. الآب حقاً كأب، والابن حقاً كابن، والروح القدس حقاً كروح قدس، كما قال ربنا أيضاً عندما أرسل تلاميذه ليبشروا[٦٤]، اذهبوا وعلّموا كل الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.[٦٥]

١٦
قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٢٥)

نؤمن بإله واحد، آب، ضابط الكل، لا يُدرَك، غير متحول ولا متغير، مدبر الكون والمعتني به، الصالح، البار، خالق السماء والأرض وكل ما فيهما، رب الشريعة والأنبياء والعهد الجديد؛

وبرب واحد يسوع المسيح، الابن الوحيد، المولود من الآب وليس من العدم، ليس كائناً مخلوقاً بل كائناً مولوداً، مولود بصورة لا توصف ويعجز بيانها، لأن الآب الذي ولده، والابن المولود وحدهما يعرفان، "لأن لا أحد يعرف الآب إلا الابن، ولا الابن إلا الآب"[٦٦]؛ الابن كائنٍ دائماً، ولم يكن إطلاقاً غير موجود، فقد تعلّمنا من الكتب المقدسة أنه وحده ختم؛ وليس هو غير المولود -كما تدلنا على ذلك عبارة "من الآب"، وليس من أي شيء آخر - لأن قول هذا لتجديف وكفر؛ وإن الكتب المقدسة تصف الابن مولوداً حقاً، وبكل معنى الكلمة. هكذا نؤمن نحن أيضاً، أنه غير متحول ولا متغير؛ لم يولد ولم يأتِ إلى الوجود بواسطة إرادة، أو أي شيء إضافي -لأن هذا يعني

---

٦٤ راجع متى ١٩/٢٨.
٦٥ وُجد نص هذا الدستور في رسالة وجهها اوسابيوس النيقوميدي، إلى كنيسته يشرح فيها ما تمّ في مجمع نيقيا، وهو الدستور ذاته الذي اقترحه ليكون قانون إيمان نيقيا. وهو نفسه المستعمل في كنيسة قيصرية.
٦٦ متى ٢٧/١١.

www.old-criticism.blogspot.com

أنه أتى من العدم، لكنه بالحقيقة وُلد كما يليق به. وهو غير مشابه بالطبيعة -وهذا التفكير غير جائز- أو مطابق للأشياء التي خُلقت به، بل إنه يسمو فوق كل إدراك وفهم وفكر. نعترف أنه مولود من الآب غير المولود، الله الكلمة، النور الحقيقي، العدل، رب الكون وفاديه، يسوع المسيح. ليس هو صورة إرادة الآب، أو أي شيء آخر، بل من جوهر الآب ذاته.

وُلد هذا الابن، الله الكلمة، أيضاً في الجسد من مريم والدة الإله، واتخذ جسداً، وتألم، ومات، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين قمة الجلال، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات.

نؤمن أيضاً، كما علّمنا فادينا، ومثلما تعلّمنا الكتب المقدسة، بالروح الواحد، وبكنيسة واحدة جامعة، وبقيامة الأموات، وبدينونة يتم فيها مجازاة المرء، على حسب ما عمل خلال حياته الجسدية، من صلاح أو طلاح.

وندين الذين يسمّون أو يؤمنون، أو يكرزون بابن الله على أنه خليقة، أو أن له بدءاً، أو أنه مصنوع، وليس كمولود حقاً، أو يعتقدون أنه غير متحول بإرادته، وكذلك الذين يجعلون ولادته من العدم، ويقولون إنه غير متحول، مثل الآب، بسبب طبيعته.

ينبغي أن نبشر بمخلصنا، أنه ختم الآب، من النواحي كافة، وبالأحرى ما يخص هذا الأمر.

١٧

رسالة اوسابيوس النيقوميدي إلى قسطنطين الملك (٣٢٧)

لما كانت جلالتكم قد أدانتنا من دون محاكمة، كان علينا السكوت عن القرارات، التي اتخذتها جلالتكم. ولكن بما أنه من المحال من قِبلنا، أن نقدم، بصمتنا، براهين ضد أنفسنا إلى المفترين، لهذا السبب، نعلن أننا نوافق على صيغة الإيمان، وأننا، بعد أن تفحصنا معنى عبارة "اوموسيوس"، ننضم إلى فريق السلام، ولن نتبع إطلاقاً الهراطقة.

هكذا إذاً وقّعنا صيغة الإيمان، ذاكرين كل ما في ذهننا، حفاظاً على سلام الكنيسة، ونحن متأكدين من أنفسنا ومطمئنين من يجب إقناعهم، بإقرارنا وتدخّلنا هذا.

لكننا لم نوقّع الإبسالات، ليس لأننا نشك بصيغة الإيمان، بل لأننا نرتاب أن يكون المتَهم كما قيل عنه، لأننا تأكدنا، بعد علاقات شخصية معه، وبسبب رسائله ولقاءاتنا، أنه لم يكن هكذا.

لكن، إذا اقتنع مجمعكم المقدس بهذا، فإننا لا نعارضكم، بل ننضم إلى ما قررتم، ونؤكد موافقتنا بواسطة هذا الكتاب[٦٧]، ليس لأننا مستاؤون من المنفى، بل لننزع كل شك بالهرطقة حولنا.

وإذا تكرمتم وتنازلتم، وقبلتم أن نمثل أمامكم، ستجدوننا متحدين معكم في كل شيء، ومتفقين مع القرارات التي اتخذتم، وخاصة لأن جلالتكم قررتم المعاملة بالحسنى، الذي كان ملاحقاً لهذه الأسباب، واستدعاءه وإعادته.

إنه لمن المحال أن نسكت، مقدمين بذلك ضد أنفسنا دليل إدانة، فيما الذي كان يبدو مذنباً، قد استدعي وقدم دفاعه، حول النواحي التي أُدين من أجلها.

تكرموا إذاً، كما يليق بجلالتكم صديقة المسيح، وذكّروا بنا الإمبراطور الكلي الورع، وقدموا إليه التماساتنا، وكلموه بسرعة، حول ما يجب أن تعملوا لنا من عدل.

١٨

رسالة آريوس إلى قسطنطين الملك (٣٣٤)

إلى سيدنا الورع والتقي، الإمبراطور قسطنطين، من آريوس وافذويوس،

كما أمر تقواك الديني، أيها السيد والإمبراطور، نقدم إيماننا كتابة، ونعترف أمام الله، أننا نؤمن هكذا وكل الذين معنا:

نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل،

وبرب يسوع المسيح،

ابنه الوحيد،

المولود منه قبل كل الدهور،

إله كلمة،

الذي به خُلقت كل الأشياء،

مما في السماء و مما على الأرض،

الذي نزل وتجسد،

٦٧ يتكلم هنا، ربما، عن إعادة آريوس، وليس الانضمام إلى قرارات المجمع ضده.

www.old-criticism.blogspot.com

وتألم وقام،

وصعد إلى السماء،

وسيأتي ليدين الأحياء والأموات؛

وبالروح القدس؛

وبقيامة الجسد،

وبالحياة في الدهر الآتي،

وبملكوت السماوات؛

وبكنيسة الله الواحدة الجامعة، الممتدة من طرف العالم إلى طرفه الآخر.

لقد تلّقينا هذا الإيمان من الأناجيل المقدسة، عندما قال الرب لتلاميذه: "اذهبوا وتلمذوا الأمم، معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس"[٦٨]. وإذا لم نؤمن بهذا، وهكذا هذه التعاليم، وإذا لم ندرك حقاً الآب والابن والروح القدس، كما تعلّمه الكنيسة الجامعة كلها والكتب المقدسة، التي نؤمن بها كلها، فليكن الله ديانتنا وقاضينا، الآن وفي الدينونة الآتية.

لهذا، وبما أننا رجال الكنيسة، ونحافظ على الإيمان والفكر الكنسي والكتابي، نتوسل تقواك، أيها الإمبراطور الكلي الورع، أن توحّدنا مع أمّنا، أي مع الكنيسة، بفضل إحساسك الديني، الذي يخاف الله وحامل السلام، بعد أن وضعت حداً للتحقيقات، وللنقاشات المطنبة الطويلة، الناجمة عن التحقيقات. هكذا نحن والكنيسة، بعدما عدنا إلى السلام بعضنا مع بعض، سنصلّي سوية الصلوات المعتادة، لأجل ملكك المسالم والورع، ومن أجل كل عائلتك.[٦٩]

٦٨ متى ١٩/٢٨.

٦٩ تمثل هذه الرسالة، التي وجهها آريوس إلى قسطنطين سنة ٣٣٤، لحظة مهمة في تاريخ الحركة المضادة لنيقيا، التي بدأت بعد سنة ٣٢٥، والتي دعمها قسطنطين، الذي ربما لاحظ أنه قد حارب الآريوسية بقسوة في نيقيا، فحاول إعادة توازن الموقف، عاملاً لمصلحة فريق من المعتدلين، ضد المتطرفين النيقاويين والآريوسيين.

حوالي سنة ٣٣٤ كان آريوس، منذ مدة، قد استُدعي من المنفى في ايلليريا. ولكن لم يتمكن من الدخول إلى مصر، ولا التصالح مع الكنيسة بسبب رفض اثناسيوس. لهذا، وربما باقتراح من اوسابيوس أسقف نيقوميديا، الذي عاد إلى حظوة الإمبراطور بعد خسوف قصير، طلب قسطنطين منه اعتراف إيمان. أدان الإمبراطور آريوس بسبب هرطقته، لكنه، من جهة ثانية، إلتمس الاتصال به، بالرغم من إدانته لعقيدته، لكنه كان مستعداً لمسامحة الخاطئ التائب. ردّ آريوس باعتراف الإيمان هذا، الذي وضع حجر الأساس لعودته وردّ اعتباره.

١٩

رسالة قسطنطين إلى أساقفة مجمع صور (٣٣٥)

إني أجهل أحكام مجمعكم، الحاصلة في الهيجان والضجيج. ولكن، يبدو أن الحقيقة قد اختنقت بالفوضى والقلاقل، وهذا يبدو واضحاً، لأنكم بسبب نزاعكم ضد القريب، حيث لم ترغبوا بالانكسار، ولم تقوموا بما يُرضي الله.

لذلك فإنه يخص العناية الإلهية، أن تبدد الشرور التي عراها روح النزاع هذا، وأن تُرينا الحقيقة بجلاء، إذا ما توخيتم، أنتم المجتمعون هناك، وإذا ما أصدرتم أحكامكم من دون انحياز، أو دون كراهية. لهذا أريد أن تسارعوا، وتأتوا لدى تقواي، حتى تقدموا حساباً دقيقاً أمامنا عن أعمالكم.

إن السبب الذي دفعني أن أكتب إليكم هذه الرسالة، وأستدعيكم بها للمجيء إلى طرفي، فاعرفوه في هذه الرواية: بينما كنت عائداً إلى موطني السعيد، القسطنطينية، كنت ممتطياً جواداً، التقيت فجأة، وسط الطريق العام، الأسقف اثناسيوس وبعضاً من حاشيته، وذهلت لهذا اللقاء غير المتوقع. والله الذي يرى كل شيء، يشهد لي أني لم أتعرف عليه في الوهلة الأولى، ولكني بعد أن سألت البعض من حاشيتي، كما هو طبيعي، أخبروني من هو، وما تعرض له من ظلم.

في تلك اللحظة، رفضت أن أقابله، ورفضت إعطاءه موعداً للقاء. ولكنه كان يتوسل إليّ، وأنا أرفض، ولم يتبق سوى القليل، حتى آمر بطرده. ولكنه تجاسر أكثر، ولم يطلب مني، سوى مجيئكم إلى هنا، معتبراً أنه عليكم المجيء، حتى يتمكن، في حضوركم، من الاشتكاء مما تعرض له من ضغوط. وقد بدا لي هذا محقاً، ومطابقاً للظروف، فأمرت أن تُكتب إليكم هذه الرسالة، لكي تسارعوا، أنتم المجتمعين في مجمع صور، وتنطلقوا فوراً بأجمعكم إلى وداعتي، حتى تبرهنوا، بأعمالكم، نقاوة حكمكم ونزاهته أمامي، وأنتم لا تنكرون عليّ، أني خادم الله الأصيل. ولهذا السبب، أي سبب عبادتي لله، يعم السلام في كامل أرجاء الإمبراطورية، ويبارك البرابرة أنفسهم اسم الله، أولئك الذين كانوا يجهلون الحقيقة حتى الساعة. ومن الواضح، أن من يجهل الحقيقة لا يعترف بالله. ولكن عرف البرابرة، كما قلت، الله وتعلموا عبادته، بواسطتي أنا خادم

الرسالة قصيرة: إنه اعتراف الإيمان، إذا استثنينا التعابير الظرفية، قصير جداً وعمومي، حيث يستطيع آريوس تفسيره بتطابق تام مع أفكاره المعترف بها دائماً، والمدانة في نيقيا. هذا مثال آخر على حذق آريوس، في التمويه وإخفاء أفكاره الحقيقية، خلف صيغ لا عيب فيها ظاهرياً.

إن نصاً كهذا لم يكن ليستطع خداع خصوم آريوس، لكن الرياح كانت تجرى في مصلحته، هكذا كانت هذه الأسطر القليلة، التي لا يمكن لومها في عمومياتها، كافية لإعادة اعتبار آريوس.

www.old-criticism.blogspot.com

الله الحقيقي، لأنهم لاحظوا، في الحقيقة وفي الأعمال، أنه يحميني ويعتني بي في كل مكان -وهذا هو السبب العقلي لاعترافهم بالله-، وهكذا صار البرابرة، لخوفهم الشديد مني، يعبدون الله. ونحن المسيحيون، الذين نتظاهر وندّعي الحفاظ على أسرار صلاح الله -لأني لا أظن أننا نحرسها-، أقول، نحن لا نفعل في أعمالنا، إلا ما يبعث على الخلاف والكراهية، وباختصار، كل ما يبعث على خراب الجنس البشري.

أسرعوا إذاً، كما قلت، تعالوا بأسرع وقت، وتأكدوا أني بكل سلطاني، سأجتهد في الحفاظ على هذه الحقائق[٧٠]، حسب ما يُرضي الله، وبحيث لا تضم فيها، أي عيب أو أي رأي مزيّف، أعني أن أعداء الشرع الإلهي، الذين، بحجة الدفاع عن اسم الله القدوس، يجدفون تجاديف متنوعة، سوف يُبادون، ويُسحقون ويُفنون.

٢٠

قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤١): الصيغة الأولى

لسنا من مناصري آريوس، فكيف نتبع كاهناً ونحن أساقفة؟ ليس لنا إيمان سوى الإيمان المتناقل بالتقليد. فبعد أن فحصنا إيمانه [آريوس]، نحن قبلناه أكثر من أتباعه.

فنحن نؤمن بإله واحد، سيد العالم العقلي والمادي، وخالقه وحافظه،

وبابنه الوحيد الكائن منذ الأزل، مع الآب الذي ولده،

الذي به كان كل شيء، مما يُرى ومما لا يُرى،

الذي نزل، بحسب رغبة أبيه، في الأزمنة الأخيرة،

وتجسد من مريم العذراء،

وأتمّ إرادة أبيه بكاملها،

وتألم وقام،

وصعد إلى السماء، حيث يجلس عن يمين أبيه،

وسيأتي ليدين الأحياء والأموات،

٧٠ أي قوانين مجمع نيقيا الأول.

الذي يملك مع الله إلى الأبد[٧١]؛

نؤمن أيضاً بالروح القدس.

ونؤمن بقيامة الجسد والحياة الأبدية.[٧٢]

٢١

قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤١): الصيغة الثانية

منسجمين مع التقليد الإنجيلي والرسولي،

نؤمن بإله واحد،

آب ضابط الكل،

٧١ ضد مركلوس الانقيري. هدف هذا القانون دفاعي، للتحرر من شكوك الآريوسية؛ وهو من عمل الاوسابيين، وهو أرثوذكسي أيضاً، بالرغم من غياب الاوموسيوس التي يتهمها الأوسابيون بالصابيلية، أو بتقسيم الجوهر الإلهي إلى ثلاثة أقسام.

٧٢ اجتمع الأساقفة الشرقيون، سنة ٣٤١، في مجمع أنطاكية، لمناسبة تدشين كنيسة كبيرة، وعُرف بمجمع التدشين in encaeniis ، هيمن على المجمع، الذي لا نعرف عنه شيئاً، اوسابيوس أسقف نيقوميديا، وقد استعرض أموراً عقائدية. وترك أربع صيغ إيمان، الثانية منها هي الرسمية (الرابعة هي تتضمن الثانية مع بعض التعديلات)، التي ستمثل من الآن فصاعداً، مع إدخال بعض التعديلات، رأي الشرقيين الرسمي حول الخريستولوجيا، حتى سنة ٣٥٧. وهي تنسب إلى لوكيانوس الأنطاكي. وتبتعد الصيغة تماماً عن نظريات الآريوسية المتطرفة، سواءً لأنها تتكلم بصراحة عن الولادة، دون الرجوع إلى الصياغة الآريوسية الغامضة، حيث ولادة تساوي خلق، أو لأنها تؤكد، خاصة، على أن الابن صورة جوهر الآب الكاملة بدون تمييز. من ناحية ثانية، فالصيغة لا تذكر "المساواة في الجوهر" المميزة الإيمان النيقاوي، وتؤكد عقيدة الأقانيم الثلاثة الأصيلة، طارحة وحدانيتهم على قاعدة الانسجام في الإرادة والفعل. إنها صيغة تعتمد بتركيز شديد على الكتاب المقدس، والبعيدة عن "المونارخية"، والدونية الراديكالية التي نادى بها آريوس، وهي صيغة ذات طابع اوريجاني، بعض الشيء قديمة بالنسبة لتطورات النزاع الجديدة، ولكن بطابعها التقليدي هذا، كان يمكن قبولها من مذاهب، لها مواقف عقائدية متباينة مثل الآريوسية المعتدلة، كما الاوريجانية المعتدلة. من المرجح أنها من إحياء اوسابيوس النيقوميدي. غايتها: إعطاء قوة وقوام إيديولوجي لفريق أسسه هو، محرّضاً وجاعلاً قسماً كبيراً من الأسقفيات الشرقية ضد نيقيا (أي ضد "المونارخية" حسب التفسير الشرقي لرمز نيقيا)، وضد اثناسيوس (ضد نفوذ أسقف الإسكندرية)، وضد الغربيين (مستغلين الشعور الشرقي الدائم ضد كرسي روما، مهاجمين بشدة، تدخّل الكرسي الروماني في الدفاع عن مركلوس واثناسيوس).
إن التوازن الصعب لهذا الفريق، كان يمكن إنقاذه بالحفاظ على مسافة متساوية البعد، سواء عن "المونارخية" أو عن الآريوسية المتطرفة. وقد استطاع اوسابيوس، إما لأهداف سياسية، أو ربما لقناعة نضجت خلال تطور النزاع، أن يحافظ على هذا التوازن المتزعزع. لكنه توفي بعد هذا بقليل، ولم يتمكن خلفاؤه من متابعة هذه السياسة الفطنة.

www.old-criticism.blogspot.com

خالق الأشياء كلها وصانعها والمعتني بها،

وبرب واحد يسوع المسيح،

ابنه الوحيد،

[والمولود] إله،

الذي به كان كل شيء،

المولود من الآب قبل كل الأزمنة،

إله من إله،

كل من كل،

واحد من واحد،

كامل من كامل،

ملك من ملك،

رب من رب،

الكلمة الحي،

الحكمة الحية،

النور الحقيقي،

الطريق،

الحق،

القيامة،

الراعي،

الباب،

غير المتحول ولا المتغير،

صورة ألوهية وجوهر، وإرادة وقوة، ومجد الآب الكاملة بدون فوارق،

بكر الخليقة كلها[٧٣]،

٧٣ راجع قول ١٥/١.

الذي كان في البدء لدى الله[٧٤]،

الإله الكلمة كما يقول الإنجيل: "الكلمة هو الله، وبه كان كل شيء" و"بدونه ما كان شيء مما كان"[٧٥]،

الذي نزل في الأزمنة الأخيرة من العلاء، ووُلد من العذراء،

كما جاء في الكتب،

وصار إنساناً،

ووسيطاً بين الله والبشر[٧٦]،

ورسول إيماننا[٧٧]،

ومبدأ الحياة، حسبما قال: "قد نزلت من السماء لا لأعمل بمشيئتي، بل بمشيئة الذي أرسلني"[٧٨]،

وتألم من أجلنا،

وقام في اليوم الثالث،

وصعد إلى السماء،

ويجلس عن يمين الآب،

وسيأتي بمجد وقدرة ليدين الأحياء والأموات،

وبالروح القدس الذي يُعطى للمؤمنين، للتعزية والتأييد والتقديس والكمال.

كما أوصى ربنا يسوع المسيح تلاميذه قائلاً: "اذهبوا وعلموا جميع الأمم، معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس"[٧٩]، أي باسم الآب الذي هو حقاً أب، والابن الذي هو حقاً ابن، والروح القدس الذي هو حقاً روح قدس، لأن الأسماء لم تعط مصادفة، وبدون سبب، بل إنها تدل بوضوح، على الأقنوم والرتبة والمجد الخاصة بكل واحد من المسمّين، صحيح أنهم ثلاثة في الأقانيم، ولكنهم شيء واحد في الانسجام والوحدانية.

٧٤ راجع يو ١/١.
٧٥ يو ١/١ و٣؛ قول ١٧/١.
٧٦ ١طيم ٥/٢.
٧٧ عب ١/٣.
٧٨ يو ٣٨/٦.
٧٩ متى ١٩/٢٨.

www.old-criticism.blogspot.com

هذا هو إيماننا الذي نعترف به منذ البداية وحتى النهاية، وأمام الله والمسيح، ندين أي اعتقاد هرطوقي. وإذا علّم أحد ضد إيمان الكتب المقدسة الصحيح والقويم، قائلاً إنه هناك وقت أو برهة، قبل أن يولد الابن، فليُبسل. وإذا اعتبر أحد الابن خليقة كواحد من المخلوقات، أو مولوداً مثل المولودات، أو مصنوعاً مثل المصنوعات، وليس كما نقلت إلينا الكتب المقدسة، أن كل واحد من أولئك الذين سميناهم أعلاه، يأتي من الآخر، أو علّم أو بشّر خلافاً لما تسلّمناه، فليُبسل.

فنحن نؤمن حقاً ونحافظ حقاً، ونحترم ونجلّ كل ما يعلّمنا إياه الكتاب المقدس، بواسطة الأنبياء والرسل.

٢٢

قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤١): الصيغة الثالثة

الله يعلم، وهو شاهد على نفسي، أني أؤمن:

بالله، آب ضابط الكل،

خالق كل شيء ومبدؤه،

منه كل شيء،

وبابنه الوحيد،

الإله والكلمة والقوة والحكمة،

ربنا يسوع المسيح،

الذي به كان كل شيء،

مولود من الآب قبل الأزمنة،

إله كامل من إله كامل،

الذي هو كائن في الله أقنومياً،

الذي نزل في الأزمنة الأخيرة،

ووُلد من العذراء حسب الكتب،

وصار إنساناً،

تألم وقام من بين الأموات،

وعاد إلى السماء، حيث يجلس عن يمين أبيه،

من حيث سيأتي بمجد عظيم وقدرة، ليدين الأحياء والأموات،

ويبقى إلى الأبد؛

وبالروح القدس،

المعزي،

روح الحق،

الذي وعد الله، بواسطة أنبيائه، بإرساله إلى عبيده[٨٠]،

والذي وعد به الرب، بإرساله إلى تلاميذه[٨١]،

وأُرسل حقاً كما يشهد على ذلك كتاب أعمال الرسل.

كل من يعلّم أو يفكر ما يضاد هذا الإيمان، فليُبسل. وإذا اعتقد أحد مثل مركلوس الانقيري، أو صابيليوس أو بولس السميساطي، فليُحرم هو وكل من يحافظ على الشركة معه.[٨٢]

٢٣

قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤١): الصيغة الرابعة

نؤمن بإله واحد،

آب ضابط الكل،

خالق الأشياء كلها،

منه تأتي كل أبوة في السماء وعلى الأرض،

وبابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح،

---

٨٠ يوء ٢/٢٨.

٨١ راجع لو ٢٤/٤٨-٤٩.

٨٢ قانون الإيمان هذا، من اقتراح ثيوفرونوس أسقف تيان Théophrone de Tyane

www.old-criticism.blogspot.com

المولود من الآب قبل كل الدهور،

إله من إله،

نور من نور،

الذي به خُلق كل شيء في السماء وعلى الأرض،

ما يُرى وما لا يُرى،

وهو الكلمة والحكمة والقدرة، وحياة ونور حقاً،

الذي صار إنساناً في الأزمنة الأخيرة لأجلنا،

ووُلد من عذراء قديسة،

صُلب ومات ودُفن،

وقام في اليوم الثالث،

وصعد إلى السماء، حيث يجلس عن يمين الآب،

وسيأتي في آخر الأزمنة، ليدين الأحياء والأموات كل حسب أعماله،

الذي لا فناء لملكه،

وبالروح القدس،

المعزي،

الذي وعد به الرسل وأرسله لهم، بعدما صعد إلى السماء، ليعلّمهم ويذكرهم بكل شيء،

الذي به تتقدّس كل نفس تؤمن به حقاً.

وكل من يقول: إن الابن مولود من العدم، أو هو من أقنوم آخر، وإنه ليس إلهاً. والقائلين إنه كان ثمة وقت لم يكن فيه، تعتبرهم الكنيسة الجامعة غرباء.

٢٤

قوانين مجمع أنطاكية (٣٤١) الإدارية

القانون الأول

كل من ينتهك قرار مجمع نيقيا، الذي انعقد بحضور الإمبراطور قسطنطين، المحبوب من الله، ويصر على عناده حباً بالجدل، ويعارض هذه القرارات الحكيمة، بخصوص الفصح المقدس والخلاصي، يُقطع من الشركة، ويُطرح خارج الكنيسة. وإذا تجاسر أحد الرؤساء الكنسيين، من أساقفة أو شمامسة، وتفرّد في الاحتفال بالفصح مع اليهود، بعد صدور هذا المرسوم، فإن المجمع المقدس يفصله عن الكنيسة من حينه. لا لأنه يرتكب مخالفة فقط، بل لأنه يسبّب لكثيرين شكوكاً وضلالاً. وكذلك يخلع المجمع المقدس، المخالفين من مناصبهم، وكل من يبقى في الشركة معهم بعد خلعهم. ويُحرم رجال الإكليروس، من المظاهر الخارجية التي يمنحها إياهم القانون وحالتهم الكهنوتية.

القانون الثاني

كل من دخل كنيسة الله، وسمع بانتباه تلاوة الكتب المقدسة، لكنه لم يشترك في الصلاة مع الشعب، ولم يرد المشاركة في الإفخارستيا تهرباً، فليُطرح من الكنيسة إلى أن يتوب، وإلى أن يعود حاملاً أثمار التوبة، فينال بصلاته الصفح عن زلاته. ولا يُسمح أن نكون بالشركة مع المقطوعين، ولا أن نصلّي مع الذين يمتنعون عن الصلاة في الكنيسة، ولا أن نقبل في الكنيسة، أولئك الذين يترددون إلى كنيسة أخرى. وإذا ثبت أن أحد الأساقفة أو الكهنة، أو الشمامسة أو سواهم من الإكليروس، بقي في الشركة مع المذنبين، فليُقطع من الشركة، لخرقه قانون الكنيسة.

القانون الثالث

إذا هجر كاهن أو شماس، أو أي إكليريكي آخر رعيته، وانتقل إلى رعية أخرى، هاجراً نهائياً مقر إقامته، وأطال إقامته في رعية أخرى، يُمنع عن تأدية خدمته، لا سيما إذا رفض إطاعة دعوة أسقفه، والأمر بالعودة إلى رعيته. وإذا استمر في هذا الوضع الشاذ، فليُعزل من منصبه الكنسي، دون أن يكون له سبيل الرجوع. وإذا قبل أسقف إكليريكياً بهذا الوضع، فليُحاكَم أمام مجمع عام، لأنه خرق القوانين الكنسية.

القانون الرابع

إذا تجاسر أسقف أو كاهن، أو شماس معزول من قِبل مجمع، وتابع القيام بالخِدَم المقدسة، فلا يمكنه أن يأمل بالرجوع إلى مركزه، بأي وسيلة كانت، حتى بواسطة

www.old-criticism.blogspot.com

مجمع، كما ولا يمكنه الدفاع عن نفسه. وينطبق هذا الأمر، على الأشخاص الذين بقوا في الشركة معه، خاصة بعد صدور الحكم عليهم.

القانون الخامس

كل كاهن أو شماس لا يحترم أسقفه، وينفصل عن الكنيسة، ويقيم لنفسه جماعة أخرى، وينصب مذبحاً، ويرفض سماع تحذيرات أسقفه، ولا يريد البتة الإصغاء إليه، ولا إطاعة أوامره بالرجوع، فليُعزل دون أمل باستعادة كرامته. وإذا استمر بتمرده، وعكّر صفو الكنيسة، فليُعامَل بمثابة متمرد من قِبل السلطة المدنية.

القانون السادس

لا يجوز لأسقف آخر، أن يقبل مَن قطعه أسقفه، قبل أن يعيده أسقفه. ولكن، لدى انعقاد مجمع، يمكن للمقطوع أن يمثل أمامه، ويدافع عن نفسه، ويقنعه في نقض حكم أسقفه. ينطبق هذا المرسوم على العلمانيين والكهنة والأساقفة، وكل من ذكره القانون.

القانون السابع

لا يجوز قبول غريب، من دون رسالة سلامية.

القانون الثامن

لا يُسمح لكهنة الريف إعطاء رسائل قانونية، إلا للأساقفة المجاورين. أما الخورأساقفة ذوو الصيت الحسن، فيجوز أن يعطوا رسائل سلامية.

القانون التاسع

فليعلم أساقفة الأقاليم، أن المتروبوليت هو رئيسها، والمسؤول على رعايتها، لأن كل رجال الأعمال، يتوجهون إلى العاصمة من جميع الجهات. وبالتالي، فقد تقرر أن يحتل [المتروبوليت] المرتبة الأولى في نظام التقدم (حسب القانون القديم المعمول به منذ أيام آبائنا)، فلا يجوز أن يقوم الأساقفة الآخرون، بأي عمل دون علمه، إلا ما كان مختصاً بأبرشية كل منهم، والمنطقة التي تحت إدارته، لأن كل أسقف هو سيد أبرشيته، وعليه أن يحكم محترماً حقوق زملائه. وعليه أيضاً الاهتمام بالأرياف التابعة لأبرشيته، وسيامة كهنة وشمامسة لخدمتها، وأن يقضي كل أمر بفطنة. ولا يمكنه أن يعمل شيئاً خارج حدود أبرشيته، دون موافقة المتروبوليت، الذي بدوره لا يستطيع أن يفعل شيئاً، دون استشارة بقية الأساقفة.

القانون العاشر

فليعلم كهنة الأرياف والقرى، وأولئك الذي نالوا لقب خورأسقف، حتى ولو أنهم سيموا أساقفة، حسب رأي المجمع المقدس، حدود الأراضي الموكلة إليهم، وليهتموا

بالكنائس الخاضعة لسلطتهم، وعليهم أن يكتفوا بهذا القدر من السلطة. يجوز لهم سيامة قراء وشمامسة رسائليين ومعزِّمين[٨٣]. ولا يجوز لهم أن يشرطنوا لا كهنة ولا شمامسة، بدون إذن أسقفهم. وكل من يتجرأ ويخالف هذا القانون، فيُخلع ويُحرم من كرامته. إن أسقف المدينة هو من يعيّن الخورأسقف.

القانون الحادي عشر

إذا تجاسر أسقف أو كاهن، أو أي عضو من الإكليروس، وذهب لمقابلة الإمبراطور، دون إذن المتروبوليت، ودون رسائل من أساقفة الأبرشية، فليوبخ وليُقرَّع وليُقطع وليُجرد من كرامته، لأنه، خلافاً لأنظمة الكنيسة، أزعج إمبراطورنا المحبوب من الله. أما إذا اضطُر أن يذهب لمقابلة الإمبراطور، لحاجة ماسة أو لأمر ضروري، عليه أن يستشير متروبوليت الأبرشية، ويأخذ موافقته وسائر أساقفة الأبرشية، ولا يغادر قبل أن يستحصل ويتزود برسائل توصية منهم.

القانون الثاني عشر

على كل كاهن أو شماس خلعه أسقفه، أو أسقف خلعه مجمع، لأنه ذهب وأزعج الإمبراطور، أن يرفع قضيته ويستأنفها أمام مجمع أساقفة أعلى أو أكثر عدداً، ويعرض حججه؛ ولكن عليه أن يخضع لنتيجة فحصهم وحكمهم. لكن إن هو استهتر بقرارهم، وألح على إزعاج الإمبراطور، فلا يبقى له سبيل للعفو، ولا فرصة للدفاع، ويفقد كل أمل في إعادته إلى الشركة.

القانون الثالث عشر

لا يجوز لأي أسقف كان، أن ينتقل من أبرشية إلى أخرى، ولا أن يقوم في كنيسة غريبة بسيامات، حتى ولو رافقه أساقفة آخرون، ما لم يكن مدعواً برسائل من المتروبوليت، وأساقفة المقاطعة المنتقل إليها. أما في حال ذهابه دون أن يكون مدعواً، وقام بسيامات خلافاً للنظام، أو تدخل في شؤون الكنيسة التي لا تخصه، فكل ما يقوم به، يُعد باطلاً وغير صحيح، أما هو، فيتحمل عاقبة تصرفه الطائش وغير المسؤول، ويعلنه المجمع المقدس مخلوعاً من درجته بالفعل ذاته.

القانون الرابع عشر

إذا اتُهم أسقف بأخطاء متنوعة، واختلف رأي أساقفة الأبرشية في الحكم عليه، فظهر لبعضهم أنه بريء، ولآخرين أنه مذنب، فاستحسن المجمع المقدس، لحل هذا

---

٨٣ معزِّم Exorciste

www.old-criticism.blogspot.com

الخلاف، أن يدعو المتروبوليت أساقفة الأبرشيات المجاورة، للنظر في الدعوى، ويصدروا الحكم باتفاق.

القانون الخامس عشر

إذا اتُهم أسقف بأخطاء متنوعة، واتفق رأي أساقفة الأبرشية، بالإجماع، في الحكم عليه، فيكون هذا الحكم مبرماً: ولا يمكن استئنافه لدى أساقفة آخرين، لأن إجماع أساقفة الأبرشية، يجعل الحكم غير قابل للطعن.

القانون السادس عشر

إذا استولى أسقف بدون أبرشية، على أبرشية شاغرة، بدون موافقة مجمع كامل، أي بحضور المتروبوليت، فليُخلع، حتى ولو انتخبته الكنيسة التي اختلس رئاستها.

القانون السابع عشر

إذا أهمل أسقف واجباته، بعد سيامته الأسقفية على أبرشية ما وتسلمه إدارتها قانونياً، ورفض الذهاب إلى الكنيسة، التي أؤتمن على رعايتها، فليُقطع، إلى أن يشعر بضرورة قبول الأبرشية المعروضة عليه، أو إلى أن ينظر مجمع أساقفة الأبرشية في أمره.

القانون الثامن عشر

إذا لم يستطع أسقف بعد سيامته الأسقفية أن ينتقل إلى الكنيسة التي عُين عليها، لا بسبب خطأ منه، ولكن لأن مؤمنيها رفضوا استقباله، أو لأسباب أخرى خارجة عن إرادته، فليتمتع بما يحق له من الإكرام والخدمة، دون أن يتدخل في شؤون الأبرشية التي التجأ إليها. وليخضع لحكم مجمع الأبرشية الكامل في قضيته.

القانون التاسع عشر

لا يجوز انتخاب أسقف وسيامته دون مجمع، ودون حضور المتروبوليت؛ ويُحبَذ أن يشارك أساقفة الأبرشية معه في ذلك، وعلى المتروبوليت أن يدعوهم برسائل، ومن المستحسن حضور الجميع. أما إذا تعثر ذلك، فيجب على الأقل أن تجتمع أكثريتهم، أو فليعلنوا موافقتهم على الانتخاب بالمراسلة. ولا يتم تنصيب أسقف جديد، إلا بحضور أغلبية أساقفة الأبرشية، أو موافقتها بالمراسلة. وأما إذا جرت الأمور بخلاف هذا القانون، فالسيامة تُعد باطلة. ولكن إذا تم ذلك حسب القوانين المرعية، واعترض البعض بروح المشاكسة، فتصويت الأغلبية يحسم الموضوع.

القانون العشرون

تقرر، بحكمة، أن يلتئم مجمع أبرشي في كل أبرشية، مرتين في السنة، لأجل مصلحة الكنيسة، وحل الخلافات: الأول في الأسبوع الثالث من زمن الخمسين، بحيث يُختتم في

الأسبوع الرابع منه، والثاني في منتصف شهر تشرين الأول. وعلى المتروبوليت أن يدعو إليهما أساقفة الأبرشية. يمكن للكهنة المظلومين، أن يمثلوا أمامهما، ليفحص المجمع ظلامتهم. ولا يجوز للأساقفة عقد مجمع بينهم، دون موافقة المتروبوليت.

القانون الحادي والعشرون

لا يجوز لأسقف أن ينتقل من أبرشية إلى أبرشية أخرى، أو أن يدخل معتدياً برضاه، أو بإرغام الشعب، أو بإلزام من الأساقفة. بل يجب أن يبقى في كنيسته، التي دعاه الله إلى رعايتها أولاً، ولا أن يتخلى عنها حسب قانون سابق.

القانون الثاني والعشرون

لا يجوز لأسقف أن يذهب من مدينته إلى مدينة أخرى، ليقوم بسيامة أحد فيها. كما لا يُسمح له بتعيين كهنة وشمامسة لأماكن تابعة لأسقف آخر، إلا بإذن هذا الأخير. إذا تجاسر أسقف وخالف هذا القانون، فالسيامة تكون باطلة، ويعاقب المجمع الأسقف.

القانون الثالث والعشرون

لا يجوز لأسقف، حتى ولو كان في نهاية عمره، أن يعيّن أو يشرطن خلفاً له. وإذا حصل شيء من هذا القبيل، فالسيامة تكون باطلة. يجب المحافظة على القانون الكنسي القائل، بأنه لا يمكن أن يعيّن أسقف أسقفاً آخر إلا في مجمع، وبعد استشارة الأساقفة، الذين لهم الحق في ترشيح الذي يرونه أهلاً، لأن يكون خلفاً للأسقف الراحل.

القانون الرابع والعشرون

يجب أن تُحفظ أملاك الكنيسة، بعناية فائقة وضمير نقي، معتبرين أن الله يرى كل شيء ويحكم عليه. ويجب إدارتها تحت رقابة الأسقف وسلطته، المؤتمن على الشعب ونفوس المؤمنين. يجب أن يكون لدى الكهنة والشمامسة تابعي الكنيسة، فكرة واضحة وصحيحة عن أملاك الكنيسة؛ يجب ألا يخفى شيء عليهم، كي يعلموا بالتمام، لدى وفاة الأسقف، ما يخص الكنيسة، حتى لا يضيع ولا يُفقد شيء، ولكي لا يتضرر ميراث الأسقف، بحجة أنه جزء من الأملاك الكنسية. لأنه عدل ومرضي لدى الله والبشر، أن يتصرف الأسقف بحريته، بممتلكاته الخاصة، ولكي تُحفظ مصالح الكنيسة. وينبغي ألا تتضرر الكنيسة، ولا أن تُحجز أملاك الأسقف لصالح الكنيسة، ولا أن يتورط الورثة في أي دعوى قضائية، كما يجب أن تُصان سمعة الأسقف الراحل، من الأقاويل الشائنة.

القانون الخامس والعشرون

إن للأسقف السلطة في إدارة أموال الكنيسة، والتصرف بها لصالح المحتاجين، بوعي ومخافة الله. ويمكنه أن يستعملها لشخصه الخاص، حسب احتياجاته، ولأقربائه أو

www.old-criticism.blogspot.com

اخوته الذين يستضيفهم، كي لا ينقصهم ما هو ضروري، حسب قول الرسول الإلهي: "فإذا كان لنا القوت والكساء، فإننا نقتنع بهما"[٨٤]. ولكن إذا لم يكتفِ الأسقف بذلك، واستعمل هذه الأملاك لأغراض خاصة، وإذا لم يُحسن إدارة مداخيل الكنيسة والعقارات، حسب رأي الكهنة والشمامسة، وإذا سلّم إدارتها إلى ذويه أو أقربائه، أو اخوته أو أولاده، بحيث تقع بسببهم خسارات حقيقية خفية، في حسابات الكنيسة، فعلى الأسقف أن يقدّم حساباً عن إدارته، إلى مجمع الأبرشية.

وفي حال أنه اتُهم وكهنته، من جهة أخرى، باستئثار مداخيل الكنيسة، الواردة من الأملاك والعقارات، أو من أي مصدر آخر، بحيث يحمل هذا أضراراً لحقوق الفقراء، ويعرّض مديريها للشكوى من عدم أمانتهم؛ فليُباشر المجمع بإجراء تحقيق، وليُقرر الإجراءات الضرورية.

٢٥

قوانين مجمع سرديقيا (٣٤٣)

القانون الأول

قال اوسيوس أسقف قرطبة: يجب أن يُقتلع هذا الشر المنتشر، وهذا الفساد الخبيث من جذوره، فلا يُسمح لأسقف أن ينتقل، من مدينة صغيرة إلى مدينة أخرى؛ لأن الغاية من هذه المحاولة ظاهرة، فإننا لم نسمع حتى الآن، أن أسقفاً سعى في الانتقال، من مدينة كبيرة إلى مدينة أصغر. ولا يخفى أن أمثال هؤلاء، تدفعهم شهوة طمع جامحة، وهم لا يخدمون سوى طموحهم إلى سلطة أعظم. فهل توافقون جميعكم أن مثل هذا الذنب العظيم، يجب أن يُعاقب بشدة؟ والذي أراه أنه لا يجوز قبول من هم من هذا الصنف، حتى في الشركة كعلمانيين. فقال الأساقفة كلهم بصوت واحد: هذا ما يرضينا كلنا.

القانون الثاني

قال الأسقف اوسيوس: إن أي شخص تحمله الحماقة والجسارة، على التوهم أن له عذراً مقبولاً، لأنه يحمل معه رسائل من الشعب، في حين أن الأمر واضح، إذ إن بعض الناس تفسدهم الرشاوى والعطايا، فيُحدِثون القلاقل في الكنيسة، طالبين أن يكون ذلك

٨٤ ١طيم ٦/٨.

الرجل أسقفاً عليهم. فلذلك أرى أن يُفرض العقاب بلا تردد، حسماً لهذه الحيل والمداورات. فإن من كان هذه صفته، لا يستحق حتى الشركة كعلماني، إلى آخر حياته. فهل توافقون على هذا الحكم؟ فأجابوا: إننا نوافق.

القانون الثالث

قال الأسقف اوسيوس: تقضي الضرورة بإضافة ما يلي: لا يجوز أن ينتقل أسقف من أبرشية، إلى أبرشية أخرى فيها أساقفة، إلا إذا دعاه حقيقة زملاؤه، لنبرهن بذلك، أننا لا نغلق أبواب المحبة. ويجب أن نعتني أيضاً بهذه القضية: إذا وُجد لأي أسقف في أي أبرشية، دعوى على أخيه الأسقف، فلا يجوز لأحدهما أن يدعو أساقفة من أبرشية أخرى للتحكيم. ولكن إذا اتفق أن صدر حكم ضد أسقف في قضية ما، وكان يظن أنه هو صاحب الحق، فلإعادة النظر في هذه الدعوى، فليكتب الذين أصدروا الحكم في الدعوى، إكراماً لبطرس الرسول، إذا كان ذلك يُرضي محبتكم، إلى يوليوس أسقف روما. فإذا قضى، بأن الدعوى، يجب أن يُعيد أساقفة الأبرشيات المجاورة، المرافعة فيها، فهو الذي يُعين القضاة منهم. ولكن إذا وجد أن القضية لا تحتاج إلى استئناف المحاكمة، فيثبّت الحكم الأول ولا يُلغيه.

القانون الرابع

قال الأسقف غاودنتيوس[٨٥]: أرى أن علينا أن نضيف، إذا استحسنتم، إلى هذا المرسوم الذي طرحتموه: إذا طالب أسقف معزول، استئناف حكم أساقفة مقاطعته، فلا يُعيَّن أسقف جديد خلفاً له، قبل أن ينظر أسقف روما في الدعوى، ويُصدر حكمه فيها.

القانون الخامس

قال الأسقف اوسيوس: قد تحدد أن أي أسقف عزله مجمع أساقفة الأبرشية، واستأنف حكمه أمام أسقف كنيسة روما الجزيل الطوبى، ورضي البابا أن يسمع دعواه، ورأى أنه من العدل إعادة النظر في القضية، فليكتب إلى الأساقفة المجاورين لأبرشيته، ليقوموا بفحص هذه القضية بكل خصوصياتها بدقة وعناية، وأن يُصدروا حكماً عادلاً. وكل من طالب باستئناف ثان، ونال من أسقف روما إرسال كهنة من محيطه، ليشكّلوا مع الأساقفة المذكورين آنفاً محكمة، فليكن لهم الرئاسة فيها (التي هي من حق البابا موفدهم)، فللبابا الحق أن يتصرف بهذه الطريقة. ولكنه إذا ظن أن الأساقفة وحدهم، كافين لتكوين المحكمة، ولإصدار هذا الحكم، فليفعل ما يراه صواباً.

٨٥ غاودنتيوس أسقف نايسوس في داقيا.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون السادس

قال الأسقف اوسيوس: إذا اتفق أن في أبرشية عدة أساقفة، ولم يبقَ فيها سوى أسقف واحد، وتخلّف هذا، عن إهمال، عن سيامة أساقفة آخرين، فالتجأ الشعب إلى أساقفة الأبرشيات المجاورة، ليشرطنوا لهم رعاة، فعلى هؤلاء الأساقفة، أن يتصلوا بالأسقف الذي بقي وحده في الأبرشية، وليبلغوه برغبة الشعب، وبعدها، باستطاعتهم الشروع معه بسيامة أسقف جديد. ولكن إذا لم يرد على رسالتهم، ورفض المشاركة بالسيامة، فعلى الأساقفة أن يتجاوزوه، ويلبوا رغبة الشعب. ويجب أن يُدعى إلى هذه السيامة، أساقفة الأبرشيات المجاورة، ويسيموا أسقفاً.

ولئلا تُزدرى الكرامة الأسقفية، يُمنع سيامة أسقف لقرية أو لضيعة، حيث يكفي لخدمتها كاهن واحد. ولا يجوز لأساقفة المقاطعة أن يشرطنوا أساقفة، إلا على كراسي موجودة. ولكن إذا ازداد عدد سكان مدينة ما، وأصبحت بحاجة إلى أسقف، فيحسن إقامة أسقف لها.

القانون السابع

قال الأسقف اوسيوس: أفقدتنا كثرة التماساتنا المتواترة، وشدة إلحاحنا وعرائضنا، التي لا سبب وجيه لها، الحظوة والثقة. وذلك بسبب تردد عدد من الأساقفة إلى البلاط الملكي، لا سيما أساقفة أفريقيا، الذين يرفضون ويزدرون، كما علمنا، نصائح زميلنا المحبوب الأسقف غراتوس[٨٦] الخلاصية، بحيث إن البعض منهم، يقدّم إلى البلاط عرائض متنوعة حول مواضيع مختلفة، ليس فيها أدنى فائدة للكنيسة، وليست لمساعدة للفقراء والأرامل والشعب، بل لينال بعض الأشخاص مراتب ومنافع زمنية. وزرعت هذه المغامرات الطائشة والمؤذية لنا، بعض الأحقاد، وأدت إلى سوء صيتنا. فإنه من الأفضل أن يساعد الأسقف، المتألمين أو المعتدى عليهم، أو الأرامل المظلومات أو اليتامى، الذين في خطر حرمانهم من ميراثهم. لهذه الأسباب يجوز التوسط. والآن، أيها الاخوة الأحباء، قرِّروا إذا بدا ذلك لكم صحيحاً، أنه لا يجوز لأي أسقف أن يذهب إلى البلاط، إذا لم يكن مُرسَلاً بأمر من إمبراطورنا الحسن العبادة.

ينبغي أن لا نُعرض عن مساعدة من التجأ إلى كنيسة، وهو أهل للشفقة، أو من حُكم عليه بالنفي، أو بالإبعاد إلى جزيرة ما، أو من وقع تحت أي حكم آخر. لكن يجب التوسط من أجلهم، دون تأخر أو تردد، لينالوا العفو. فأدلوا بموافقتكم، إذا لاح لكم هذا عادلاً. فأجاب الجميع: فليُرسم هذا أيضاً.

٨٦ غراتوس أسقف قرطاجة.

القانون الثامن

قال الأسقف اوسيوس: بعد أن تقرر أن باستطاعة الأسقف، التوسط لدى البلاط الإمبراطوري من أجل البائسين، دون أن يشكّل ذلك ذنباً له، فلتُقرر فطنتكم في مثل هذه الأمور، أن يكتفي الأسقف بإرسال شماس إلى البلاط؛ لأن الخادم لا يثير الحسد، ويمكنه أن ينقل ما منحه الإمبراطور بسرعة أوفر. أجاب الجميع: فليُرسم هذا.

القانون التاسع

قال الأسقف اوسيوس: إذا أرسل أسقف عريضة إلى متروبوليته، موجهة إلى الإمبراطور، فعلى المتروبوليت أن يرسلها بواسطة شماس، على أن يُرفقها برسائل توصية، إلى الأساقفة المقيمين في البلاط في حينه. وإذا كان لأسقف أصدقاء في البلاط، وأراد أن يستفيد من أحدهم، ليقدم له التماساً، فمسموح له أن يطلب منه ذلك بواسطة شماس، لينال دعمه. أما الأساقفة الذين يذهبون إلى روما، لتقديم عريضة إلى الإمبراطور، فعليهم أن يُعلِموا قبل ذلك، أخانا العزيز وزميلنا في الأسقفية يوليوس، الذي يقيّم صحتها، وإذا ما وجد أن هناك ما يدعو لذلك، فليبعثها إلى البلاط معتنياً بدعمها. أجاب الجميع: هذا ما يرضينا وهو مناسب.

القانون العاشر

قال الأسقف اوسيوس: إذا ما طُلب من ثري أو محام أو رجل قانون، أن يصير أسقفاً، فعليه أولاً، أن يُنجز درجات القارئ والشماس والكاهن، وأن يجتاز درجات الأسقفية، مبرهناً عن استحقاقه لها. وعليه أن يبقى فترة كافية في كل من هذه الدرجات، لكي نتثبت من إيمانه وأخلاقه وطبعه وموهبته، ولكي يُكرّم بأسمى مرتبة، بعد أن يظهر أهلاً للكهنوت. فإنه ليس من الفطنة وغير لائق، وليس من حسن الإدارة، أن نشرع بتسرع وخفة، تنصيب أسقف أو كاهن أو شماس بسهولة، يمكن مقارنته بالمعمد الجديد. ونعلم أن القديس بولس رسول الأمم، قد شدد بقوة، على تجنب اختيار مماثل[٨٧]. فإن امتحاناً طويل الأمد، يُظهر عادات كل واحد وسلوكه. أجاب الجميع: هذا ما يرضينا.

القانون الحادي عشر

قال الأسقف اوسيوس: إذا ما ذهب أسقف، عن زهو وافتخار، من مدينة إلى مدينة أخرى، أو من إقليمه إلى إقليم غريب، وإذا بقي فيها مدة طويلة، ولم يكن أسقفها عالماً، فلا يجوز له أن يزدريه، ولا أن يعظ غالباً، لأن هذا يُضر بهذا الأسقف المحلي، ويسبّب له الاستخفاف. لأن هذا السلوك لا يخدم سوى إثارة القلاقل، ويلقي الشك بأنه طامع

٨٧ راجع ١طيم ٣/١-١٣.

www.old-criticism.blogspot.com

بكرسي سواه، وأنه سوف ينسى أيضاً الكنيسة المكلّف العناية بها، ليلتحق بكنيسة أخرى. فيستحسن تحديد زمن إقامته في مدينة غريبة، لأن رفض ضيافة أسقف هو أمر غير إنساني، ومنافٍ للمحبة. تذكّروا أن آباءنا قد حددوا قطع العلماني، المتغيب ثلاثة آحاد عن العبادة الإلهية، في المدينة التي يقيم فيها. وإذا كان هكذا للعلمانيين، فكم بالأحرى أن لا يتغيب أسقف طويلاً عن كنيسته، ويتخلى عن قطيعه، إلا إذا كان مضطراً بسبب قضية مهمة. أجاب الجميع: هذا ما يرضينا.

القانون الثاني عشر

قال الأسقف اوسيوس: نحن نعلم أن لدى بعض الأساقفة، القليل من الأملاك في مدنهم، وأملاكاً كثيرة في مدن أخرى، يمكنهم بواسطتها مساعدة الفقراء. فيُسمح لهؤلاء، أن يمضوا ثلاثة آحاد متتابعة خارج مدنهم، ليجمعوا مداخيلها. وعلى الأسقف في هذه الحالة، أن يقيم الذبيحة الإلهية في الكنيسة الأقرب، التي يقوم بخدمتها كاهن. وعليه أيضاً أن يترأس هذه الاحتفالات، لكي لا يبدو غريباً عن العبادة الإلهية. وعليه أن يتجنب الظهور، إلا نادراً، في مكان إقامة الأسقف. وهكذا لا تتضرر أملاكه التي يديرها بنفسه، ويتجنب من جهة أخرى، اتهامه بالتطاول والطمع، لأنه لا يمارس وظائفه في كاتدرائية أسقف آخر. فقال الجميع: إننا موافقون على هذا.

القانون الثالث عشر

قال الأسقف اوسيوس: ينبغي ألا يُقبَل أي قس أو شماس، أو أي إكليريكي آخر قطعه أسقفه، في شركة أسقف آخر. أما إذا قبله أسقف آخر عن معرفة، فعليه أن يقدّم حساباً لتصرفه هذا أمام مجمعه. أجاب الجميع: يضمن هذا الحكم السلام ويحفظ الوفاق.

القانون الرابع عشر

قال الأسقف اوسيوس: إذا كان أسقف ما يغضب بسهولة، وهذا ما يتعارض ومركزه، وسخط على كاهن أو شماس، وأراد طرده من الكنيسة، فيجب أن نسهر على تجنب كل تسرع. فقال الجميع: يحق للمطرود أن يلتجأ بالمتروبوليت -وفي حال غيابه إلى الأسقف الأقرب- وأن يطلب أن تُسمَع قضيته، لأنه لا يجوز أن يُحرم من يتوسل الاستماع إلى دعواه. فعلى الأسقف الذي حكم خطأ أو صواباً بالقطع، أن لا ينزعج من أن يُفحص حكمه، وأن يُثبت أو يُنقض. كما لا ينبغي للمُتهَم أن يطلب قبوله في الشركة، قبل إنجاز التحقيق وإصدار الحكم. وإذا لاحظ بعض الإكليريكيين المجتمعين لسماع الدعوى، في المتهم كبرياء وغطرسة، فعليهم أن يعيدوه إلى الصواب بلهجة صارمة، لأنه لا يجوز أن يتحمل الأسقف الكبرياء والانتقادات الجائرة، ومن المهم أن تطاع أوامره. فكما يجب أن يُظهر الأسقف، المحبة والتسامح نحو مرؤوسيه، كذلك على هؤلاء أن يتمموا بإخلاص واجبات الطاعة له.

القانون الخامس عشر

قال الأسقف اوسيوس: إذا أراد أسقف أن يشرطن إكليريكياً، لأسقف آخر في أي درجة كانت، دون موافقة هذا، تكون السيامة باطلة. وإذا ما تصرف أسقف على هذا المنوال، فليُنذرْه ويُعلمْه رفاقه وزملاؤه في الأسقفية. فقال الجميع: ليُعمل بهذا المرسوم.

القانون السادس عشر

قال الأسقف ايتيوس[٨٨]: لا نجهل حجم مدينة تسالونيكي وعظمتها، لذا فغالباً ما يفد عليها كهنة وشمامسة من أقاليم أخرى، ولا يكتفون بإقامة قصيرة فيها، بل يتخذونها مقر إقامة دائم، ولا يعودون إلى كنائسهم، إلا إذا أُرغموا على ذلك. فقال الجميع: لتكن الحدود التي وُضعت للأساقفة مرعية، وعلى هؤلاء الأشخاص الخضوع لها أيضاً.

القانون السابع عشر

قال الأسقف اوسيوس: لقد قبلنا اقتراح أخينا اوليمبيوس[٨٩]، إذا ما طُرد أسقف ظلماً بسبب علومه، أو إيمانه الكاثوليكي، أو بسبب الحقيقة. وبعد أن تصدى للخطر، إذا ما تعرّض للاضطهاد ظلماً، وذهب إلى مدينة أخرى، فلا يجوز منعه من الإقامة فيها، حتى يستطيع العودة إلى دياره، من دون خوف من المعاملة السيئة، ممن كان يتهدده. فقالوا كلهم: إن كل ما تحدد، ستراعيه الكنيسة الجامعة، المنتشرة في العالم كله.

ثم وقّع الأساقفة على النحو التالي: أنا فلان أسقف المدينة الفلانية، من المقاطعة الفلانية، اعتقد هكذا كما كُتب أعلاه.

القانون الثامن عشر

قال الأسقف غاودنتيوس: أنت تعلم يا أخي ايتيوس، أنك منذ أن أُقمت أسقفاً، عمّ السلام أبرشيتك. ويبدو لي مستحسناً، أن تقبل كل الذين سامهم موزيوس وافتيخيانوس[٩٠]، لئلا يبقى أي سبب للخلاف بين رجال الإكليروس، لأنهم ليسوا مذنبين بأي خطأ.

قال الأسقف يانواريوس[٩١]: لا يُسمح لأسقف، أن يجتذب إكليريكياً لأسقف آخر، ويشرطنه لأبرشيته. فقال الجميع: نوافق؛ بما أن هذا يُنشئ الخلاف، فنحكم كلنا بمنع أي شخص، من الإقدام على مثل هذا الأمر.

---

٨٨ ايتيوس أسقف تسالونيكي.
٨٩ اوليمبيوس أسقف اينوس في تراقيا.
٩٠ كان موزيوس وافتيخيانوس، أسقفي تسالونيكي.
٩١ يانواريوس أسقف بينيفنتو في جنوب إيطاليا.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون التاسع عشر

قال الأسقف اوسيوس: علينا أن نتصف، حسب رأيي المتواضع، بالسلام والصبر والرحمة تجاه الجميع. لكني اعتقد في الوقت نفسه، أن لا يُقبَل بعد الآن، أولئك الذين رُقّوا في الدرجات الكهنوتية، من قِبل أحد اخوتنا، ولا يريدون العودة إلى الكنائس، التي كُلِّفوا العناية بها. أما بالنسبة لافتيخيانوس وموزيوس، فلا يحق لهما من الآن فصاعداً، أن يحملا لقب أسقف. أما إذا طلبا الشركة كعلمانيين، فليُقبَل طلبهما. فأجاب الجميع: فليكن لهما ذلك.

القانون العشرون

قال الأسقف غاودنتيوس: قد حُددت هذه الأمور، تحديداً صحيحاً وواجباً ولائقاً، بحسب معرفتنا نحن الأساقفة، حسب ما يرضي الله والناس. ولا يمكن أن تكون نافذة وذات تأثير، إلا بإثارة شعور الرهبة، فليُضف إلى ما قد تحدد ما يأتي: إذا تجاسر أسقف وتعدى، عن كبرياء وافتخار، القوانين التي حددناها نحن جميعاً، فعليه أن يُبرّر نفسه، وإلا فليُسقط من الأسقفية. فأجابوا كلهم: هذا عدل وفي محله، ونرضى به.

القانون الحادي والعشرون

يُستحسن من الأساقفة المقيمين قرب الطرق العامة، لنشر هذا المرسوم الذي قررناه، ومن أجل تنفيذه، في حال صادفوا أسقفاً مسافراً، أن يبادروا إلى سؤاله عن هدف سفره ومبرره. وفي حال أنه كان متوجهاً إلى البلاط الملكي، فعليهم مطالبته بما تقرر في القانون السابع. وإذا كان ذلك بسبب دعوة من الإمبراطور، فلا يجب إعاقته، بأي وسيلة، من إكمال رحلته. أما إذا كان مدفوعاً بأسباب تافهة وباطلة، أو لرفع التماسات مرفوضة، كما ذكرتم، فيجب أن يُرفض توقيع الرسائل التي يحملها والاشتراك معه. فقال الجميع: ليُحدد هذا الأمر أيضاً.

٢٦

قانون إيمان الغربيين في مجمع سرديقيا (٣٤٣)

لقد تسلّمنا وتعلّمنا ونحافظ على هذا التقليد، والإيمان الكاثوليكي والرسولي، أن هناك أقنوماً واحداً، ويقول الهراطقة جوهر، للآب والابن والروح القدس. وإذا سألونا عن أقنوم الابن، نعلن أن الذي نعترف به، أنه الأقنوم الواحد للآب، وأن الآب لم يكن، ولا يمكنه أن يكون كذلك دون الابن، ولا الابن بدون الآب، وإلا لكان كلمة بدون روح.

ومن التفاهة والسخافة أن يُقال، إن الآب كان من دون الابن، ويشهد الابن أن ذلك لا يمكن أن يكون هكذا، عندما يقول: "أنا في الآب والآب فيّ" "أنا والآب واحد"[٩٢].

لا أحد منّا ينفي أن الابن مولود، لكنه وُلد قبل الأشياء كلها، التي نحدد بمنظورة وغير منظورة، وهو خالق وصانع رؤساء الملائكة والملائكة، والعالم والجنس البشري، كما قيل: "لأن مهندسة كل شيء علّمتني، وهي الحكمة"[٩٣]، و"به كان كل شيء"[٩٤]. لو كان له بداية لما كان دائماً، لكن الكلمة كان دائماً ولا بدء له. وليس لله نهاية. ولا نقول إن الآب هو الابن، ولا العكس إن الابن هو الآب، بل الآب هو الآب، والابن هو ابن الآب.

نعترف أن الابن قوة وقدرة الآب، وأن كلمة الله الآب، هو الابن ولا يوجد غيره، وأن الكلمة هو إله حقيقي وحكمة وقوة.

نؤكد، حسب التقليد، أنه ابن حقاً، ونقول إنه ابن ليس كما يُحدَّد الأبناء الآخرون. لأن هؤلاء يمكن أن يصبحوا آلهة، بنعمة الولادة الثانية، ويمكن اعتبارهم أبناء، لأنهم اعتبروا مستحقين، وليس بفعل الأقنوم الواحد الذي هو للآب وللابن. نعترف أن هذا ابن وحيد وبكر، وبكر هو الكلمة الكائن دائماً في الآب، وبكر بسبب الإنسان. يتميز بالنسبة للخلق الجديد، لأنه أيضاً بكر من بين الأموات[٩٥].

نؤمن أن واحداً هو الله. نؤمن بألوهية واحدة للآب والابن. ولن يُنكر أبداً، أن الآب أعظم من الابن[٩٦]، ليس لأنه من جوهر آخر، ولا لأي اختلاف أو فارق، ولكن لأن الاسم ذاته أب أعظم من اسم ابن. وخلافاً لذلك، هم يزعمون، بتفسير مجدف ومزيف، أن الابن قال: "أنا والآب واحد"[٩٧] للانسجام والوئام، والتأكيد على الوحدانية، لكن، نحن الكاثوليكيين، كلنا ندين هذا المفهوم الأحمق والمحزن. فكما أن البشر الفانين، من حيث إنهم في الأصل مختلفون الواحد عن الآخر، عندما يتعارضون فيما بينهم، يبدون آراء متضادة، ويصلون حتى الانفصال والانقسام، هكذا يؤكد هؤلاء أنه يمكن أن يكون هناك أحكام متناقضة، وانفصال بين الله الآب الضابط الكل وبين الابن، وهذا غير معقول تصوره ولا افتراضه. بينما نحن نؤمن بأنها [الألوهية] واحدة في الآب والابن، معتبرين أنه يقين ما قاله الكتاب المقدس ونؤمن به: "أنا والآب واحد".

---

٩٢ يو ١٤/١٠؛ ١٠/٣٠.
٩٣ حك ٧/٢١.
٩٤ يو ١/٣.
٩٥ راجع قول ١/١٨.
٩٦ راجع يو ١٤/٢٨.
٩٧ يو ١٠/٣٠.

www.old-criticism.blogspot.com

ونؤمن بهذا أيضاً: يملك الابن، أزلياً أبدياً، مع الآب، ولن يكون ثمة وقت يفصله عنه، ولن يكون لملكه انقضاء. لأن الذي كان دائماً لم يبدأ بالوجود، ولا يمكن أن تكون له نهاية.

نؤمن وندرك معاً بالروح القدس المعزي، الذي بشّر به الرب نفسه وأرسله. ونؤمن أنه أُرسل.

لكن لم يتألم ابن الله هو نفسه، بل الإنسان الذي لبسه، الذي اتخذ من مريم العذراء، فالإنسان قابل للتألم. لأن الإنسان فانٍ، بينما الله خالد.

ونؤمن أنه قام في اليوم الثالث، ليس الله في الإنسان بل الإنسان في الله؛ وحمل معه هذا الإنسان إلى أبيه كهبة، بعد ما حرره من الخطيئة والفساد.

ونؤمن أنه في الوقت المحدد، سيدين الكل على كل شيء.

تلك هي غباوتهم، وعقلهم أُعمي بظلام غليظ، حتى إنهم لا يستطيعون أن يلمحوا نور الحقيقة. فلا يفهمون في أي معنى قيل: "فليكونوا بأجمعهم فينا واحداً"[٩٨]، فالسبب الوحيد واضح: لأن الرسل قد تلّقوا روح الله القدوس، مع ذلك لم يكونوا هم روحاً، ولا كان أحد منهم، لا كلمة ولا حكمة ولا قدرة، ولا ابناً وحيداً. يقول: "كما نحن واحد، فليكونوا هم أيضاً واحداً فينا"[٩٩]، لكن الكلمة الإلهية قد ميزت بوضوح قائلة: "ليكونوا واحداً فينا". ولم تقل "كما نحن واحد أنا والآب"، لكن بما أن الرسل متوافقين، ومتحدين فيما بينهم، فليكونوا واحداً في الاعتراف بالإيمان، وبالنعمة وبرحمة الله الآب، وبموافقة ومحبة ربنا ومخلصنا، يستطيعون أن يصيروا واحداً.[١٠٠]

٩٨ يو ٢١/١٧.
٩٩ يو ٢١/١٧.
١٠٠ دُعي إلى مجمع سرديقيا عام ٣٤٣، على أساس أنه مسكوني، غير أن الأساقفة الشرقيين، رفضوا حضوره وانسحبوا منه، بسبب الخلاف مع الغربيين، حول مسألة إدانة اثناسيوس ومركلوس. وأصدر الغربيون الملتئمون وحدهم، والبعض يشك في ذلك، قانون إيمان.
لا يتكلم قانون إيمان مجمع سرديقيا عن المساواة في الجوهر. أدان عقيدة الأقانيم الثلاثة، واعترف بأقنوم أو بجوهر واحد في الثالوث، دون الاهتمام بتوضيح التمييز، بين الآب والابن والروح القدس في داخل هذا الأقنوم: تعبير شخص Prosopon Προσοπον غائب، هذا الذي استعمله ترتليانوس بمعنى "شخص". أكد الدستور على أزلية الابن مع الآب. إن المقارنة بينه وبين صيغة أنطاكية (٣٤١) الثانية، دون النظر إلى نقاطه المتنوعة الساذجة، التي تعكس مستوى لاهوت الغربيين الوضيع، وهو كان بمثابة الرد عليه، توضح تعارض الشرقيين والغربيين، حتى على المستوى العقائدي؛ فقد بدت عقيدة الشرقيين حول الأقانيم الثلاثة للغربيين، وكأنها تقول بثلاثة آلهة، بينما بدت عقيدة الغربيين، حول الأقنوم الواحد في الثالوث للشرقيين، مليئة بالصابيلية والمركلية، أي مونارخية.

٢٧

رسالة مجمع فيليبوبوليس (٣٤٣)

نتضرع باستمرار في صلواتنا، أيها الاخوة الأحباء، أن تكون كنيسة الرب الجامعة، محفوظة من كل الانقسامات، ومن كل الشقاقات، وأن تصان وحدة الروح، فيكون رباط المحبة في استقامة الإيمان.

إنه لعدل أن يحافظ كل الذين يدعون اسم الرب، وخصوصاً نحن الأساقفة المؤتمنين على الكنائس المقدسة، على حياتهم طاهرة. ثم نطالب أن تبقى قوانين الكنيسة، وتقاليد آبائنا المقدسة، ومقرراتهم ثابتة وراسخة، وأن لا توقع شيع جديدة، أو تقاليد منحرفة، الخلاف بيننا، وبنوع خاص، في ما يتعلق بتنصيب الأساقفة وعزلهم...

عندما ظن اثناسيوس أن الكثيرين ممن اتهموه، كانوا في عداد الأموات، ثم شهدوا على جرائمه، فرّ إلى إيطاليا وبلاد الغال، آملاً أن يمحو الزمن ذكرى آثامه، حتى يقلب الحكم الذي أصابه. وقد أخطأ يوليوس أسقف روما، ومكسيمينوس[١٠١]، واوسيوس وكثيرون سواهم، عندما سايروه في آرائه، ورفعوا النداء إلى الإمبراطور، لينالوا الموافقة على انعقاد مجمع في سرديقيا، حيث تأمرنا الرسالة الملكية باللقاء. ولما وصلنا علمنا أن اثناسيوس، ومركلوس، وكل المجرمين المخلوعين بقرار مجمعي، والمدانين بسبب جرائمهم، كانوا جالسين وسط الكنيسة، يتناقشون برفقة اوسيوس وبروتوجينيس. والأنكى من ذلك، أنهم احتفلوا بالأسرار المقدسة. ولم يشعر بروتوجينيس أسقف سرديقيا بالعار، من أن يشترك مع الهرطوقي مركلوس في الأقداس، بعد أن كان قد أدانه وتعاليمه، أربع مرات في مجامع مختلفة...

وعندما شاهدنا هذا المنظر، نحن وعددنا ثمانون أسقفاً، وقد أتينا من مقاطعات بعيدة إلى سرديقيا، محتملين أسفار طويلة ومشقات كبيرة، لم نستطع أن نحبس دموعنا. إنه لمن المحزن أن نشاهد أساقفة، معاندين في المحافظة على شركتهم، مع رجال أدانهم بعدل آباؤنا، بسبب جرائمهم... وفكروا في إرهابنا وغصبنا على الشركة معهم، بعرضهم علينا الرسائل الملكية. لكنهم لاحظوا أن المشاكل التي تعاني منها الكنيسة، إنما سببها اثناسيوس ومركلوس، هذان الشخصان اللذان يفسحان المجال للوثنيين، لكي يجدّفوا على اسم الرب...

وعندما رأينا سياق الأحداث، قررنا فيما بيننا العودة إلى ديارنا. وحبذنا أن نكتب إليكم من سرديقيا، ونسرد لكم مجريات الأحداث، ونبلغكم مشاعرنا. فنحن لا نستطيع

١٠١ مكسيمينوس أسقف تريف.

www.old-criticism.blogspot.com

أن نُعيد إلى الأسقفية، كلاً من اثناسيوس ومركلوس، اللذين أُدينا وخُلعا بسبب تجديفهما ضد الرب، وبسبب حياتهما الآثمة... نظراً لأننا لا نستطيع أن نبتعد عن تقليد آبائنا، ونظراً لأن الكنيسة، لا تستطيع أن تدّعي لها بهذا الحق، الذي لم تتسلمه من الله، نرفض أن نقبل الأشخاص الآنف ذكرهم في المناصب الكنسية، وندين كل من يقبلهم فيها... ونأمركم رسمياً، أيها الاخوة الأحباء، أن لا تقبلوا في الشركة، كلاً من اوسيوس، وبروتوجينيس، واثناسيوس، ومركلوس، واسكليباس[١٠٢]، وبولس[١٠٣]، ويوليوس... فقد دان مجمعنا بأكمله، وحسب القانون القديم، يوليوس أسقف روما، واوسيوس، وبروتوجينيس، وغاودنتيوس، ومكسيمينوس، لأنهم أعادوا إلى الشركة مركلوس واثناسيوس، والمجرمين الآخرين... وحُكم على يوليوس أسقف روما، لأنه فاعل جميع الشرور ومسببها، نظراً لأنه كان أول من فتح باب الشركة، للمجرمين المدانين، وجرّ الآخرين إلى انتهاك القوانين الإلهية...

(وينهي الأوسابيون رسالتهم هذه بقانون الإيمان التالي):

نؤمن بإله واحد،

آب ضابط الكل،

خالق الأشياء كلها،

منه تأتي كل أبوة في السماء وعلى الأرض،

وبابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح،

المولود من الآب قبل كل الدهور،

إله من إله،

نور من نور،

الذي به خُلق كل شيء، في السماء وعلى الأرض،

ما يُرى وما لا يُرى،

وهو الكلمة والحكمة والقدرة، وحياة ونور حقاً،

الذي صار إنساناً في الأزمنة الأخيرة لأجلنا،

ووُلد من عذراء قديسة،

١٠٢ اسكليباس أسقف غزة.
١٠٣ بولس أسقف القسطنطينية.

صُلب ومات ودُفن،

وقام في اليوم الثالث،

وصعد إلى السماء، حيث يجلس عن يمين الآب،

وسيأتي في آخر الأزمنة، ليدين الأحياء والأموات كلاً حسب أعماله،

الذي لا فناء لملكه،

وبالروح القدس،

المعزي، الذي وعد به الرسل وأرسله لهم بعدما صعد إلى السماء، ليعلّمهم ويذكّرهم بكل شيء، الذي به تتقدس كل نفس تؤمن به حقاً.

وتدين الكنيسة الجامعة أيضاً، وتشجب القائلين بثلاثة آلهة، والقائلين إن المسيح ليس إلهاً، أو إنه ليس من الله، ولم يكن قبل كل الدهور، أو إنه هو نفسه الآب والابن والروح القدس، والقائلين إن الابن غير مولود، أو إن الله الآب لم يلده بإرادته ودون مشورته.[١٠٤]

٢٨

العرض الطويل أو قانون إيمان مجمع أنطاكية (٣٤٤)

نؤمن بإله واحد،

آب ضابط الكل،

خالق وصانع الأشياء كلها،

الذي تستمد منه كل أبوة، اسمها في السماء والأرض[١٠٥]،

وبابنه الوحيد،

ربنا يسوع المسيح،

١٠٤ وجّه المجتمعون في فيلوبوبوليس هذه الرسالة، إلى غريغوريوس الإسكندري وامفيون النيقوميدي، وإلى دوناتوس الكبير أسقف قرطاجة، وإلى أساقفة آخرين، وبوجه عام إلى كل أساقفة المسيحية وكهنتها وشمامستها.
١٠٥ راجع اف ١٥/٣.

www.old-criticism.blogspot.com

المولود من الآب قبل كل الدهور،

إله من إله،

نور من نور،

الذي به كان كل شيء، في السماء وعلى الأرض،

ما يُرى وما لا يُرى؛

هو الكلمة والحكمة، والقوة والحياة والنور الحقيقي،

الذي صار إنساناً في الأزمنة الأخيرة لأجلنا،

ووُلد من القديسة العذراء،

وصُلب ومات وقُبر،

وقام من بين الأموات في اليوم الثالث،

وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب، وسيأتي في آخر الأزمنة، ليدين الأحياء والأموات،

ولمكافأة كل حسب أعماله،

الذي لا فناء لملكه، حتى الأزمنة اللامتناهية.

ويجلس عن يمين الآب، الآن وفي المستقبل؛

ونؤمن أيضاً بالروح القدس، أي بالمعزي الذي وعد الابن به تلاميذه،

وبعدما عاد إلى السماء، أرسله لتعليمهم وتذكيرهم كل شيء،

الذي به تتقدس نفوس المؤمنين بطهارة.

وكل من يقول إن الابن خرج من العدم، أو إنه من جوهر آخر، وليس من الله، وإنه كان وقت لم يكن فيه، تعتبرهم الكنيسة المقدسة الجامعة غرباء عنها. كذلك كل من يؤكد وجود ثلاثة آلهة، أو كل من يقول إن المسيح ليس إلهاً، أو إنه قبل الزمن، لم يكن لا مسيحاً ولا ابن الله، أو إن الشخص نفسه هو الآب والابن والروح القدس، أو إن الابن غير مولود، أو إن الآب ولد الابن من غير إرادته وقراره الخاصين، كل هؤلاء تبسلهم الكنيسة المقدسة والجامعة.

ونحن نعلن أنه ليس دون خطر، التأكيد أن الابن خرج من العدم، أو أنه سابق الوجود، لأن هذا لم يقله الكتاب المقدس، الملهم من الله، في أي مكان، أي من جوهر

غير جوهر الآب. لكنه بالحقيقة وُلد من الله وحده. ويعلّم الكتاب المقدس بالفعل، أن الوحيد، غير مولود ودون مبدأ، هو أبو المسيح. ولا يمكن أن نعتقد، عندما يقال تحت المسؤولية الخاصة، على أساس ما لم يُكتب، إنه كان وقت لم يكن فيه الابن، وهناك مدة زمنية قبله، بل إن الله قد ولده خارج الزمن. لأن الأزمنة والدهور خُلقت به، ولا ينبغي الاعتقاد أن الابن من دون مبدأ، وغير مولود مع الآب: لأنه لا يمكن لأي شخص أن يحدد، فعلياً، كابن وكآب لأحد مثله، غير مولود وبدون مبدأ. ولكن نعرف أن الآب، الوحيد غير المولود وبدون مبدأ، قد ولد بصورة لا تُدرك ومعجزة البيان، وأن الابن وُلد قبل الدهور، وليس غير مولود هو أيضاً مثل الآب، لكن مبدأه الآب الذي ولده: "الله رأس المسيح"[١٠٦].

ونقول حسب الكتب بثلاثة كيانات، وثلاثة أشخاص الآب والابن والروح القدس، ولا نقول بهذا بثلاثة آلهة، لأننا نعرف أن الله واحد، وكامل، وغير مولود، ولا يُرى، وبدون مبدأ، الله وأبو الابن الوحيد، الكائن بحد ذاته ومن ذاته وحده، الوحيد الذي جاد به على الجميع بوفرة. وعندما نقول إن الإله الوحيد، هو أبو ربنا يسوع المسيح، وإنه وحده غير المولود، لا ننكر بذلك، أن المسيح هو إله قبل الدهور، لكن تلاميذ بولس السميساطي، هم من هذا النمط، وهم يؤكدون أنه إله في وقت لاحق، بعدما صار إنساناً، بفعل رفعة أخلاقه، لأنه بحسب الطبيعة، هو إنسان فقط. نعرف حقاً أنه هو أيضاً، حتى ولو أنه أدنى من الله الآب، إله كامل بحسب الطبيعة، من حيث إنه مولود من الله قبل الدهور، وليس من إنسان، ثم اصبح فيما بعد إلهاً، بل كإله صار إنساناً من أجلنا، دون أن يفقد إطلاقاً كيانه الإلهي. وندين ونشجب أيضاً، الذين يحددونه زوراً، ككلمة الله المجردة وغير الكائنة، وأن له كيانه من آخر، ويقول آخرون إنه كلمة كامنة أحياناً، وكلمة ملفوظة أحياناً. ويقولون إن المسيح ليس ابن الله ووسيط الله وصورته منذ قبل الدهور، بل أضحى مسيحاً وابن الله، منذ اتخاذه لحمنا من العذراء، أي منذ أقل من ٤٠٠ سنة. ويؤكدون أن المسيح بدأ يملك فقط، منذ تلك اللحظة، وأن ملكه سينتهي بعد نهاية العالم والدينونة. إنهم تلاميذ مركلوس وفوتينوس الغلاطيّون، الذين مثل اليهود، ينكرون وجود المسيح السابق، وألوهيته وملكه الذي لا يفنى، بحجة التأكيد على وحدانية الألوهية. نعلم أنه ليس كلمة كامنة أو ملفوظة فقط، بل إله حي، وكلمة كائن في حد ذاته، ابن الله ومسيح، الذي لم يكن مع الآب قبل الدهور فقط في معرفته السابقة، بل كان خادمه في خلق الكائنات المرئية وغير المرئية. التفت نحو الآب قائلاً: "لنصنعن الإنسان على صورتنا ومثالنا"[١٠٧]، الذي ظهر بشخصه للآباء، وأعطى الناموس، ونطق بالأنبياء، وأخيراً صار إنساناً، وكشف عن أبيه لجميع

١٠٦ ١ قور ٣/١١.
١٠٧ تك ٢٦/١.

www.old-criticism.blogspot.com

البشر، ويملك إلى ما لا نهاية. لأن المسيح لم يتلّقَ أي كرامة جديدة، بل نؤمن أنه منذ البدء كامل، ومشابه للآب في كل شيء.

وأولئك الذين يقولون إنه هو نفسه الآب والابن والروح القدس، ويفهمون، مجدّفين، أن الأقانيم الثلاثة في كيان واحد وشخص واحد، فنقطعهم بعدل من الكنيسة، لأنهم يقولون إن الآب اللامحدود، وغير المتحول وغير المتألم، قد انحصر وتألم بسبب التجسد. هؤلاء هم عند اللاتين "الآبوييون"[١٠٨]، وعندنا هم الصابيليون. نحن نعرف أن الآب، الذي أرسل، بقي في حالة الألوهية اللامتحولة، وأن المسيح، الذي أُرسِل، حقق تدبير التجسد، والذين يؤكدون، بوقاحة، أن الابن وُلد ليس بإرادة الآب وقراره، ولهذا فهم ينسبون إلى الله افتقاراً، بجعله بدون قدرة على الإرادة والاختيار، كما لو أنه ولد الابن ضد مشيئته، نعترف بهؤلاء ككفرة في المرتبة الأولى، وغرباء عن الكنيسة، لأنهم تجاسروا وقالوا مثل هذه الأقوال حوله، ضد المفهوم عن الله، وضد نية الكتاب المقدس. ونحن نعرف أن الآب سيد مطلق، وسيد نفسه: "الرب خلقني أولى طرقه وأعماله"[١٠٩]، ولا نعتقد أنه وُلد على طريقة مشابهة للمخلوقات التي خلقت به. فإنه لمن الكفر والغريب عن الإيمان، أن نضع الخالق في موازاة الكائنات التي خُلقت به، والقول إن طريقة ولادته، هي نفسها التي لسائر الكائنات. فقد علّمتنا الكتب الإلهية، أن الابن الوحيد وبصورة فريدة، وُلد حقاً وفعلياً.

وإذا قلنا من جهة ثانية، إنه حتى ولا الابن كائن ويحيا، وله الكيان بحد ذاته بمساواة الآب، فهذا لا يعني أننا نفصله عن الآب، متصورين بشرياً مكاناً أو مدة زمنية، تتوسط التقاءهما واتصالهما. نؤمن أنهما متحدان في ما بينهما، دون أي مدة أو فاصل أو أي وسيط، ولا يمكنهما الانفصال عن بعضهما، لأن الآب يحضن الابن كله، والابن مقرون ومتحد مع الآب، وهو وحده يستريح باستمرار في الحضن الأبوي[١١٠]. نؤمن إذاً بالثالوث الأقدس الكامل، أي بالآب والابن والروح القدس، وهذا لا يعني عدة آلهة، بل كرامة واحدة في الألوهية وانسجام واحد كامل في الملك. والآب وحده يأمر بصورة كاملة على الكل، وعلى الابن نفسه، بينما الابن، الأدنى من الآب، يملك على جميع الكائنات المخلوقة، ما عدا الآب وبعد الآب، بواسطته وبإرادة الآب، يفيض بوفرة على القديسين نعمة الروح القدس. وقد نقلت إلينا الكتب المقدسة، أنها هكذا هي عقيدة الوحدانية الإلهية بالنسبة للمسيح.

---

١٠٨ الآبوييون Patripassiens، وهو اسم أُعطي للمونارخيين أو للشكلانيين، لأن أولئك الهراطقة كانوا يعلّمون أن الآب تحمل العذاب مثل الابن.

١٠٩ مثل ٢٢/٨.

١١٠ راجع يو ١٨/١.

بعد أن عرضنا أولاً اعتراف إيمان مقتضب، قد أُرغمنا على عرض هذه المواضيع، في صورة واسعة، ليس من أجل التباهي، بل من أجل تحريرنا من أي شكوك تتنافر مع اعتقادنا، والناجمة عن عدم معرفة مواقفنا، وحتى يتمكن الغربيون جميعهم، معرفة صفاقة تهم الهراطقة، وما يعتقده الشرقيون بالرب، حسب ما تعلّمه الكنيسة الحقيقية، معتمدين على شهادات الكتب الموحاة من الله، لدى الذين لم يحيدوا ولم يضلّوا.

٢٩

قانون إيمان كنيسة أورشليم (٣٥٠)

نؤمن بإله واحد،
آب ضابط الكل،
خالق السماوات والأرض،
كل ما يُرى وما لا يُرى.
وبرب واحد يسوع المسيح،
ابن الله الوحيد،
المولود من الآب،
إله حق قبل كل الدهور،
الذي به كان كل شيء،
وصار إنساناً من مريم العذراء، ومن الروح القدس،
وصُلب وقام في اليوم الثالث،
وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب،
وسيأتي بمجدٍ ليدين الأحياء والأموات،
الذي لا فناء لملكه.
وبالروح القدس الواحد، المعزي،
الذي نطق بالأنبياء.

www.old-criticism.blogspot.com

وبمعمودية واحدة للتوبة ولمغفرة الخطايا.

وبكنيسة واحدة، مقدسة، جامعة.

وبقيامة الجسد.

وبالحياة الأبدية.

٣٠

إبسالات قانون إيمان مجمع سيرميوم الأول (٣٥١)

١) كل من يقول إن الابن وُلد من العدم، أو من كائن آخر غير الله (أي أنه من جوهر آخر غير جوهر الله)، أو إنه كان ثمة وقت أو مدة، لم يكن الابن فيه موجوداً، فليُطرد من الكنيسة الجامعة.

٢) كل من يسمّي الآب والابن إلهين، فليُبسل.

٣) كل من يقول إن المسيح إله، وابن الله قبل كل الدهور، دون أن يقبل أنه ساعد الآب في خلق كل شيء، فليُبسل.

٤) كل من يقول إنه غير مولود، أو أن جزءاً منه وُلد من العذراء، فليُبسل.

٥) كل من يقول إن الابن كان قبل مريم، ولكن فقط في العلم الإلهي، أو في معرفته السابقة، وإنه لم يكن في الله، مولوداً من الآب قبل كل الدهور، وأن به كان كل شيء، فليُبسل.

٦) كل من يقول إن جوهر الله قابل، أو معرّض للامتداد والانكماش، فليُبسل.

٧) كل من يقول إن جوهر الله، يتمدد عند تكوين الابن، أو يدعو الابن امتداد جوهر الله، فليُبسل.

٨) كل من يفكر أن ابن الله، هو كلمة كامنة أو منطوقة، فليُبسل.

٩) كل من يقول إن ابن مريم مجرد إنسان، فليُبسل.

١٠) كل من يدعو إلهاً، الإله-الإنسان المولود من مريم، يعني هنا، غير المولود نفسه، فليُبسل.

١١) كل من يدرك هذه الكلمات، كما يفهمها اليهود: "أنا الأول والآخر، ولا إله غيري"[١١١]، كلمات قيلت لإزالة الأصنام والآلهة المزيفين، ويفهمها بمعنى إزالة الذي وُلد إلهاً، الابن الوحيد، قبل كل الدهور، فليُبسل.

١٢) كل من يدرك هذه الكلمات: "الكلمة صار جسداً"[١١٢]، ويؤمن أن الكلمة تحوّل إلى جسد، أو باتخاذه جسداً، أصابه تحوّل أو تغير، فليُبسل.

١٣) كل من يدرك هذه الكلمات: "إن ابن الله الوحيد صُلب"، ويعتقد أن ألوهيته أصابها انقلاب، سواء بسبب الألم، أو التبدل أو التقليل، أو بسبب الانعدام، فليُبسل.

١٤) كل من يقول إن هذه الكلمات: "لنصنعن الإنسان"[١١٣]، لم يقلها الابن للآب، بل إن الآب قالها لنفسه (أي قالها للكلمة الكامن فيه، بصورة غير شخصية)، فليُبسل.

١٥) كل من يقول إن الابن ليس هو من ظهر لإبراهيم، بل الله غير المولود، أو جزء منه، فليُبسل.

١٦) كل من يقول إن الابن لم يصارع مع يعقوب مثل كل إنسان، بل إن الله غير المولود، أو جزء منه قد حارب، فليُبسل.

١٧) كل من لا يدرك أن من الآب والابن (في كلمات موسى هذه): "وأمطر الرب نار السماء"[١١٤]، لكن يقول إنه الآب أمطر هو نفسه، فليُبسل؛ لأن الرب، أي الابن، هو من أمطر من الرب، أي من الآب.

١٨) كل من يفهم هذه الكلمات: "الآب هو الرب، والابن هو الرب" و"الآب والابن هما الرب" (لأن هذا رب خارج من رب)، فيقول إن ثمة إلهين، فليُبسل، لأننا لا نضع الابن على خط الآب نفسه، بل تحت الآب، لأن الابن لم ينزل على سدوم، بدون إرادة الآب، ولم يُمطر من نفسه، بل من الرب (أي حسب إرادة الآب)، فمن الواضح، بالطبع، أن الآب وحده له القدرة بحد ذاته، ولا يجلس الابن بحد ذاته عن يمين الآب، بل منذ أن سمع كلمة الآب: "اجلس عن يميني"[١١٥].

١٩) كل من يدعو الآب والابن والروح القدس أقنوماً واحداً، فليُبسل.

٢٠) كل من يعتبر الروح القدس المعزي، الله غير المولود، فليُبسل.

---

١١١ اش ٦/٤٤.
١١٢ يو ١٤/١.
١١٣ تك ٢٦/١.
١١٤ تك ٢٤/١٩؛ لو ٢٩/١٧.
١١٥ مز ١/١١٠؛ لو ٤٢/٢٠.

www.old-criticism.blogspot.com

٢١) كل من لا يعتبر، كما علّمنا الرب، أن المعزي متميز ومختلف عن الابن (لأنه قال: "أنا سأسأل الآب فيهب لكم معزياً آخر"[١١٦]، فليُبسل.

٢٢) كل من يعتبر الروح القدس جزءاً من الآب، أو من الابن، فليُبسل.

٢٣) كل من يُسمّي الآب والابن والروح القدس ثلاثة آلهة، فليُبسل.

٢٤) كل من يقول إن الابن وُجد بإرادة الآب، كواحد من الخلائق، فليُبسل.

٢٥) كل من يقول إن الابن وُلد بدون إرادة الآب، فليُبسل، لأن الآب لم يلد الابن مرغماً، ولا من ضروريات طبيعته بدون أن يريده، لكن حالما أراده، ولده من ذاته، خارج الأزمنة وبدون تحوّل، فأعطاه الوجود.

٢٦) كل من يقول إن الابن لم يولد، وإن مبدأه ليس من آخر، قائلاً هكذا بكائنين غير مولودين، وبلا مبدأ، وبالتالي إلهين، فليُبسل. لأن الرأس ومبدأ كل شيء هو الابن، والله هو بدوره رأس ومبدأ الابن. هكذا نقود بتقوى وورع، الجميع بواسطة الابن، إلى مبدأ الأشياء كلها الذي لا مبدأ له.

٢٧) لكي نعطي المعنى الحقيقي للعقيدة المسيحية، نضيف: كل من لا يعترف بالمسيح الإله، وابن الله الكائن قبل كل الدهور، المعاون الآب في خلق الأشياء كلها، بل يقول إنه لم يُدعَ مسيحاً وابناً، إلا عندما وُلد من مريم، وإن له بداية كإله، فليُبسل.[١١٧]

٣١

رسالة البابا ليبيريوس إلى مجمع ميلانو (٣٥٥)

فيما يستبسل أعداء الجنس البشري، بحجة تأمين السلام، عرفتم أنتم، الكهنة المحبوبين في الرب، بإيمانكم، أن تكونوا مرضيين أمام وجه الله، وتستحقوا المجد المعد للشهداء. إني أتأرجح بين ألم بعادكم، وفرح عزّكم، ولا أعرف كيف أمدحكم، ولا كيف احتفي بمزايا شجاعتكم. أرغب، على الأقل، أن أعزيكم، سائلاً إياكم أن تصدقوان أني كنت معكم في المنفى. كنت أتأوه، منتظراً مصيري، بسبب الضرورة القاسية التي تحرمني رفقتكم. كنت أتمنى، أيها الاخوة الأحباء، أن أضحّي بنفسي

١١٦ يو ١٤/١٦.
١١٧ انعقد هذا المجمع سنة ٣٥١. أما الإبسالات التي نحن بصددها، فهي أتت في خاتمة صيغة إيمان، وهي مطابقة لصيغة الإيمان الرابعة المقدَّمة في مجمع أنطاكية سنة ٣٤١، ثم يضيف إليها سبعة وعشرين إبسالاً.

لأجلكم، كي أمهّد لمحبتكم طريق المجد. لكنكم استحققتم أن تكسبوا الجائزة، وتصلوا الأوائل بثباتكم في الإيمان، وتربحوا شرف الاستشهاد. فلتثق محبتكم إذاً، أني معكم، وأن عواطفي ترافقكم. وأن بعادكم يحزنني جداً. إن الذين كانوا في الماضي ضحية اضطهادات، لم يُقتلوا إلا بسيف الجلاد الدموي. أما أنتم، أيها الجنود المتفانون من أجل الله، فقد تحملتم عداوة الأخوة المزيفين، وانتصرتم على الغدر، وهذا ما يضيف إلى مجدكم مجداً. وكلما ازداد عنف العالم، كلما كبرت المكافآت المعدة للكهنة القديسين. اعتمدوا إذاً على الوعد السماوي. وبما أنكم قريبون منه تعالى، فصلّوا من أجلي، أنا أخيكم في الكهنوت؛ اجذبوني بصلواتكم نحو الرب، حتى نستطيع أن نحتمل بشجاعة، صدمات كل يوم، وليتكرّم الرب ويعتبرني مساوياً لكم، في الدفاع عن استقامة الإيمان وطهارة الكنيسة.

أطلب من قداستكم، أن ترسلوا لي تقريراً دقيقاً ومفصّلاً، لأني أرغب أن أعرف ما جرى في مقابلتكم مع الإمبراطور. وسيعطيني مثلكم قوة كبيرة لقلبي المُعذب، بسبب الشائعات المنتشرة، ويشدد جسدي الخائرة قواه.

٣٢

صيغة إيمان مجمع سيرميوم الثاني (٣٥٧)

من الواضح أنه يوجد إله واحد ضابط الكل وآب، كما يؤمن العالم جميعه، وابنه الوحيد يسوع المسيح، ربنا وفادينا ومخلصنا، المولود من الآب قبل كل الدهور. لكن يجب ألا نعلّم إطلاقاً بوجود إلهين، لأن الرب نفسه قال "إني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم"[١١٨]. لهذا واحد هو إله الجميع، كما علّم الرسول: "أوَ يكون الله إله اليهود وحدهم؟ أما هو إله الوثنيين أيضاً؟ بلى، هو إله الوثنيين أيضاً، لأن الله أحد، بالإيمان يُبرّر المختون، وبالإيمان يُبرّر الأقلف"[١١٩]. وقد اتفق أيضاً حول المواضيع الأخرى، وليس هناك من اختلاف.

أما بالنسبة للأمر الذي يقلق الكثيرين حول الجوهر، الذي يقال باليونانية "اوسيا"، أي بالنسبة "للامووسيوس" أو كذلك "الاميوسيوس"، يجب ألا يذكرهما أحد، ولا يكرز بهما. لأنهما غير موجودتين في الكتاب المقدس، ويتخطى العقل البشري، ولا

١١٨ يو ٢٠/١٧.
١١٩ روم ٣/٢٩-٣٠.

www.old-criticism.blogspot.com

أحد يمكنه شرح ولادة الابن، التي كُتب عنها: "ومن يصف ولادته؟"[١٢٠]، فمن الجلي أن الآب وحده، يعلم كيفية ولادة ابنه، ووحده الابن يعلم كيفية ولادته من الآب.

فلا شك حول أن الآب أعظم وأكبر: لا أحد يستطيع الشك، أن الآب اعظم من الابن في الشرف والكرامة، والمجد والجلال، لأن الابن يقول: "الآب اعظم مني"[١٢١].

ولا يجهل أحد أن الإيمان القويم، يؤكد على وجود أقنومين، الآب والابن، وأن الآب اعظم، بينما الابن أدنى منه، وخاضع له، مع كل ما أخضعه الآب له (الابن)[١٢٢]. الآب لا بدء له، ولا مبدأ له، غير مرئي، خالد، ممتنع عن الألم. بينما الابن مولود من الآب، إله من إله، نور من نور، ولا أحد يعرف شيئاً عن ولادته سوى أبيه.

اتخذ ابن الله، ربنا وإلهنا، جسداً، كما كُتب، من مريم العذراء، كما بشّر الملاك. وكما تعلّم الكتب المقدسة، وخاصة معلم الوثنيين، الرسول، فقد صار إنساناً من مريم العذراء، وتألم به. هذه هي خلاصة وتثبيت الإيمان كله، أنه يجب الحفاظ دائماً على الثالوث تاماً، كما نقرأ في الإنجيل: "اذهبوا وعمدوا كل الأمم، باسم الآب والابن والروح القدس"[١٢٣]. عدد الثالوث كامل وتام. الروح القدس كان بواسطة الابن، وأرسل حسب الموعد، وأتى ليعلّم و يهذّب، ويربي ويقدس الرسل والمؤمنين أجمعين.[١٢٤]

٣٣

رسالة مجمع انقيرة (٣٥٨)

نؤمن بالآب والابن والروح القدس. هذا ما علّم ربنا يسوع المسيح تلاميذه، قائلاً: "اذهبوا وعلّموا كل الأمم، معمدين إياهم باسم الآب والابن والروح القدس"[١٢٥]. لهذا

---

١٢٠ اش ٥٣/٨.
١٢١ يو ١٤/٢٨.
١٢٢ راجع ١ قور ١٥/٢٨.
١٢٣ متى ٢٨/١٩.
١٢٤ انعقد هذا المجمع عام ٣٥٧. لا يمكن اعتبار اعتراف الإيمان هذا آريوسياً تماماً، لأنه ينقصه طروحات الآريوسية الراديكالية، لكنه اكثر الصيغ التي أُعلنت منذ سنة ٣٤١، انفتاحاً على الآريوسية: يركز على وحدانية الله الآب، ودونية الابن أمام الآب، ويفصل تماماً بين الابن والآب، ولا يشدد على الوحدة بينهما. وألغى رسمياً، ولأول مرة، "الاوموسيوس" و"الاوميوسيوس"، حتى ولو لم يكن لأسباب عقائدية. ولا يأخذ موقفاً ضد تعاليم الآريوسية الراديكالية. بهذه الطريقة، كان يمكن أن يشكل حاجزاً واقياً، لتغطية وضمانة آريوسية متطرفة. لذا، اعتبرت الصيغة اعتراف إيمان آريوسي، في الغرب والشرق.
١٢٥ متى ٢٨/١٩.

علينا -نحن الذين وُلدنا ثانية بواسطة هذا الإيمان- أن نفهم باستقامة، التصورات التي تنطوي عليها هذه الأسماء.

فهو لم يقل: عمّدوهم باسم الذي لا جسد له، والذي تجسد، أو باسم السرمدي أو الذي ذاق الموت، أو باسم غير المولود أو المولود، لكنه قال: "باسم الآب والابن والروح القدس"، حتى نفتكر -لدى سماعنا أسماء طبيعية- أن الآب علة جوهر مشابه له. وحتى لدى سماعنا اسم الابن، نفكر بابن مشابه للآب الذي هو ابنه. لهذا نؤمن بالآب والابن والروح القدس. ولسنا نؤمن بالخالق والمخلوق. لأن الخالق والمخلوق شيء، والآب والابن شيء آخر، فإن كل تصوّر منهما مباين للآخر.

فعندما أقول مخلوق، فإني أؤكد وجود خالق يسبقه. أما بالنسبة لمفهوم ابن، المستخدم في التكلم عن الواقع المادي، فإذا صفّيناه من أفكار الأهواء، والسيلان الخاصة بالآباء والأبناء الجسديين، يمكننا أن ندرك كيان الابن اللاجسدي، الآتي من الآب اللاجسدي.

لهذه الغاية، ربطها الإيمان القديم، بتصور المخلوق الناتج عن حقيقة جسدية. وبما أن تصوّر المخلوق وحده، لا يغطي مفهوم الابن، مستنتجاً من الخالق والمخلوق، عدم إمكانية استيعاب الخالق من قِبل الخليقة، واستقرار المخلوق من حيث إنه إنتاج خالق لا يُدرك، فقد أراد أن يعلّمنا، انطلاقاً من تصورات الأب والابن الجسديين، والخالق والمخلوق الجسديين، مفهوم الآب والابن الحق والصحيح.

فإذا ما أسقطنا عن المخلوق، أنه كُوِّن من الخارج، بماديته وسماته الأخرى، المنطوية في كونها خليقة مادية، فيبقى من مفهوم الخليقة فقط، لااستيعابية الخالق وكمال المخلوق، ومطابقته مع نية الخالق. وإذا أزلنا عن تصوّر الخالق والمخلوق، كل السمات الأخرى، معتبرين في الخالق اللاهوى وحسب، وفي المخلوق الكمال والاستقرار، والمطابقة لنية الخالق، ينتج عن ذلك، أن علينا أن نستخلص من اسمي الآب والابن، اللذين انطلقنا من الإيمان بهما، تصوّراً واحداً، مطابقاً للإيمان المستقيم.

وإذا اعتبرنا، حسب ترتيب الأفكار هذا، أن الآب أبو الابن، بغضّ النظر عن الألم والسيلان، وأن الابن لم ينتج من زرع ما، ولم ينمُ بإسهامات ذات طبيعة جسدية، التي تنزع دائماً، وحسب صفات الحقائق المادية، إلى النمو والفساد، فلا يبقى لدينا سوى فكرة الشبيه. لأننا -نكرر- إذا أزلنا من عملية الخلق، كل ما هو جسدي، يبقى لدينا اللاهوى عند الخالق، والاستقرار والإتقان ومطابقة المخلوق، هكذا بالنسبة للآب والابن، نزيل كل السمات الجسدية، فيبقى عندنا فقط ولادة كائن حي، مشابه حسب الجوهر: بالفعل، فإن كل أب يُعتبر أبو جوهر مشابه له. ولكن إذا أزلنا أيضاً، مع كل الصفات المرتبطة بالأسماء الجسدية للآب والابن، فكرة الأب علة كائن حي مشابه في الجوهر، فإننا لا نعود نؤمن بالآب والابن، بل بالخالق والمخلوق، ويكون هذان الاسمان

www.old-criticism.blogspot.com

غير ملائمين، وخاليين من أي معنى تصوري. فيكون هكذا الواحد خالق، من حيث هو إله، ولكنه ليس أباً، لأنه ينتج عن التفكير الطبيعي، أن الآب ليس أبَ، بل أبو جوهر مشابه له، الذي كُوِّن بهذه العملية.

ونظراً لأن الآب له المقدرة على إتمام عمليات كثيرة، فيُعتبر بواحدة من العمليات خالقاً، أي خالق السماء والأرض، وكل ما فيهما. وهو خالق الحقائق غير المنظورة. وهو يُعتبر في أبوته للابن الوحيد، لا كخالق بل كأب ولد. وإذا خشي أحد، معتمداً على فكرة الألم، الملازمة للآباء والأبناء الجسديين، أن يتعرض الوالد اللاجسدي لبعض الألم، أو أن المولود يكون ناقصاً، ويقلق لما قد يحصل للآب والابن الجسديين، وبالتالي، ينزع فكرة الأبوة والبنوة الحقيقيتين عن الآب والابن، فإن مثل هذا، إنما يتحدث عن مخلوق، ولا يستطيع أن يؤكد بنوة الابن الحقيقية.

فإن هو اعتبره أسمى في العظمة والجلال، كما أن السماء تعلو على جبل، أو على هضبة، فإنه يحصيه بين المخلوقات، على الرغم من إعطائه كل هذه العظمة. وإذا اعتبره أسمى في المكانة والمقام، لأنه أول المخلوقات، ولأنه ساهم في عملية خلق الأشياء الأخرى، فإنه يعتبره أيضاً هكذا من المخلوقات. فكما أن لا اختلاف، بين حمل الفحم عن الهيكل بالملقط وليس باليد، واستخدام فن الحدادة الشيء عينه، ليطرّق صفيحة حديدية (بالطبع سواء الملقط أو صفيحة الحديد ينتميان إلى صنف الخلائق)، هكذا لا يختلف عن البرايا بشيء، الذي به كان كل شيء، إذا لم يكن ابناً، كما يطرح العقل الطبيعي. فمن حيث إنه مخلوق، سيكون أول الخلائق، والأداة التي بها خلق الخالق الأشياء كلها.

لا يجوز أن يتخيل أحد، مفهوم الآب والابن بالمعنى الحصري والحقيقي، انطلاقاً من الذين ندعوهم عموماً أبناء، لأنه في مثل هذه الحالة، يكون كثيرون أبناء الله، ومثالاً على ذلك ما تقوله الكتب: "إني ولدت بنين وكبّرتهم، لكنهم تمردوا عليّ"[١٢٦]؛ و"أليس لجميعنا أب واحد؟"[١٢٧]؛ و"إن الذين قبلوه، وهم الذين يؤمنون باسمه، فقد مكّنهم أن يصيروا أبناء الله: فهم الذين لا من دم، ولا من رغبة رجل، بل من الله وُلدوا"[١٢٨]. وكذلك قيل عن المخلوقات الجامدة: "هو من ولد قطرات الندى"[١٢٩].

يمكننا أن نستخلص من الألقاب، في هذه الأمثلة، أن الابن ليس ابناً، ولا يشترك، بما أنه مخلوق على مثالهم، باسم الابن وحده.

١٢٦ اش ١/٢.
١٢٧ ملا ٢/١٠.
١٢٨ يو ١/١٢-١٣.
١٢٩ أي ٣٨/٢٨.

وعلى العكس من ذلك، تؤمن الكنيسة أن الله ليس خالق البرايا وحسب، (وهذا ما يعرفه بالطبع اليهود واليونان أيضاً)، بل إنه أيضاً أبو الابن الوحيد، لأن لديه القدرة على الخلق، ولهذا يُعتبر خالقاً، والقدرة على الولادة بالمعنى الحقيقي والفريد، ولهذا نعتبره أبا الابن الوحيد. ولكي يعلّمنا هذا، يكتب الطوباوي بولس: "لهذا أجثو على ركبتيّ للآب، فمنه تستمد كل أبوة اسمها في السماء والأرض"[١٣٠]. فكما أن الذين لديهم أبناء مشابهين لهم في الجوهر، يُدعون على الأرض آباء، كذلك يُدعى الآب في السماوات، الذي منه يستمد الآباء على الأرض، الاسم حسب الجوهر، لأنه ولد من ذاته، حقاً وفعلياً، الابن المشابه له في الجوهر. ولا يمكن تطبيق التصوّر، الذي يُطبق على المدعوين أبناء بالمعنى المجازي أو بالمجانسة، على الابن الوحيد. إذ إننا نطلق اسم علبة المجوهرات فعلياً، على العلبة المصنوعة من خشب البقس، ونطلق الاسم ذاته بالمعنى العام والمجازي، على العلب المصنوعة من الرصاص والبرونز، أو من أي مادة أخرى. ولا يعني هذا النص ولادة حسب الجوهر: "هو الذي ولد قطرات الندى"، فهنا يُطبق اسم ابن على الخليقة بالمعنى المجازي. ولا يعنيه هذا النص أيضاً: "إني ولدت بنين وكبّرتهم"[١٣١]، فهنا يُعطى اسم الابن، بالمعنى المجازي عطفاً وشرفياً. ولا يعنيه أيضاً هذا النص: "فقد مكّنهم أن يصيروا أبناء الله"[١٣٢]، إذ إن الاسم مُنح هنا للدلالة على عظمة المخلوقات، وتشبهها بالله. ولكننا لا نعتبر الابن الوحيد بهذا المعنى، بل نعتبره ابناً بالمعنى الحرفي، لأنه الوحيد المولود من الآب، والوحيد المشابه للآب في الجوهر، ولهذا فهو يُعتبر ويُدعى ابنه.

وإذا لم يستوعب أحد الشرح السليم، لعجز في التفكير، واعتبر أن الآب تعرض في الولادة، للألم أو للانقسام أو للسيلان، فهو يُعارض الإيمان، الذي يُعطينا المعرفة القويمة عن الآب والابن. وإذا ما سألنا شروحاً، علينا أن نحسم الأمر بالاستفهام منه، كيف يمكن أن يكون الله قد صُلب؟ وكيف أن حكمة هذا العالم وحكماءه، بسبب نقص في العقل، صارت حماقة بالكرازة الإنجيلية، الأكثر حكمة من حكمة الناس، التي حسبها الطوباوي بولس غير جديرة بالاعتبار[١٣٣]، إذ جعلت لا منطقية إيماننا، حكمة المفكرين منطقياً حماقة. فقد قال بولس: "فإن المسيح لم يُرسلني لأعمد، بل لأُبشر بسر الله، غير مُعول على حكمة الكلام، لئلا يبطل صليب المسيح"[١٣٤]. لذا، فإن من يسبر السر بحكمة الكلام، بحيث إنه يشترك بالحكمة المجعولة حماقة، فهو لا يؤمن بالسر... أما إذا اعتبر أحد، في هذا المجال، بعد أن يكون قد اقتنع بقوة اللامنطق، أن حكمة العقل حماقة،

١٣٠ اف ٣/١٤.
١٣١ اش ١/٢.
١٣٢ يو ١/١٢.
١٣٣ راجع ١قور ١/٢٠.
١٣٤ راجع ١قور ١/١٧.

www.old-criticism.blogspot.com

ليس بحكمة الكلام، بل إن الإيمان وحده يُخلص الذين يقبلون البشارة. فذلك لا يعني كيفية ولادة الآب للابن دون ألم، لئلا يبطُل سر بنوة الابن الوحيد للآب، بل إنه يدحض حكمة المماحكين والخبراء، التي صارت حماقة، حسبما كتب: "أين الحكيم؟ أين عالم الشريعة؟ أين المماحك في هذه الدنيا؟"[١٣٥]. وعليه عدم الجواب بحكمة الكلام، لئلا يُشك فيه بسبب التفكير، ولئلا يبطُل السر، أي العقيدة المستقيمة حول الآب والابن؛ ولكنه يُعلن، دون حاجة إلى سند العقل والفكر الجدلي، أن الآب والابن بحد ذاتهما لا يتألمان، وأن الآب ولد الابن دون ألم ولا انقسام، وأن الابن مشابه للآب في الجوهر، كامل من كامل، كائن وابن وحيد: هذا ما يؤمن به المؤمنون، بينما يشكّ به الكفرة.

وإنه لمن الغباء، أن يظن المرء، عندما يسمع أن كيان الحكمة أتى من الله الحكيم، بحيث إنه أصبح أبا الحكمة التي ولدها، أن الآب تألم في ولادته الحكمة، من حيث إنها أتت من الله، مشابهة له، هو الحكيم حسب الجوهر. فكما أننا لا نعتبر الله الحكيم حكيماً بالمشاركة، أي من حيث أنه يشارك بالحكمة، بل إنه حكيم في الجوهر، هكذا لا يجوز اعتبار الابن كالحكمة التي نفكر بها: الحكمة منبثقة من جوهر حكيم، وهذه الحكمة الجوهرية التي هي الابن الكائن، مشابهة للآب الحكيم في الجوهر، الذي منه أخذ كيانه، الابن الحكمة.

وقد استنتج الطوباوي بولس، الذي يعرف التعاليم اليهودية، والملهم من الروح نفسه، الذي تكلم في العهدين القديم والجديد، والذي استخلص معظم أفكاره من العهد القديم، ومثالاً على ذلك المزمورين القائلين: "وغمر عظيم أحكامك"[١٣٦] و"في المياه الغزيرة سبلك، ولا تُعرف آثارك"[١٣٧]، فاستنتج منهما التصوّر الذي يخص أحكام الرب. فبدلاً من "غمر عظيم"، كتب "ما أبعد غور الغنى"[١٣٨]؛ وعوضاً عن "وفي المياه الغزيرة سبلك، ولا تُعرف آثارك"، كتب: "ما أعسر إدراكه"، وبدلاً من "وغمر عظيم أحكامك"، كتب: "ما أعسر إدراك أحكامه، وتبيُّن طرقه"[١٣٩].

وقياساً على ذلك، وبما عرفه من الحكمة وعلاقتها بالآب والبرايا، يعرض لنا بولس، في رسائله، فكره حول الآب والابن، والأشياء التي خلقها الآب بواسطة الابن، فإن الحكمة في الواقع تقول: "أنا الحكمة أساكن الدهاء..."[١٤٠]؛ عندما تبدأ الكلام عن

١٣٥ ١قور ٢٠/١.
١٣٦ مز ٧/٣٦.
١٣٧ مز ٢٠/٧٧.
١٣٨ روم ٣٣/١١.
١٣٩ راجع روم ٣٣/١١.
١٤٠ مثل ١٢/٨...

ذاتها، كأداة الخلق تقول: "بي الملوك يملكون"[١٤١] و"سأخبركم بكل ما خُلق بواسطتي، وسأذكر الأشياء كلها منذ بدء الأزمنة". يقول: "الرب خلقني أولى طرقه من أجل أعماله. من الأزل أقامني؛ وقبل كل شيء وُلدت"[١٤٢]. وبدلاً من "بدء"، كتب الرسول "أول"؛ وبدلاً من "ولدني"، كتب "مولود"[١٤٣]؛ وعوضاً عن هذه العبارة: "خلقني أولى طرقه" و"ولدني"، كتب: "بكر كل خليقة"[١٤٤]. وعوضاً عن "أسسني أو أقامني"، كتب "فيه خُلق كل شيء"[١٤٥]؛ وبدلاً من "بواسطتي، الأشياء منذ بدء الأزمنة"، كتب: "أصحاب العروش، والسيادات والرئاسات والسلاطين؛ كل شيء خُلق به وله"[١٤٦].

وإذا كانت كلمات الرسول، تطابق حرفياً كلمات الحكمة (أي "في البدء" تطابق "أول"؛ و"ولد" تطابق "مولود"؛ و"خلقني أولى طرقه من أجل أعماله" تطابق "بكر كل خليقة"؛ و"أقامني" تطابق "به خلقت"؛ و"بواسطتي، الأشياء منذ بدء الأزمنة" تطابق "به كل الأشياء")، ينتج عن ذلك أن "صورة"[١٤٧] أيضاً، يجب أن تُعتبر دون أن يدخل إليها الألم. ولكن ينبغي وضع "الحكمة" بدل "أنا".

وبما أن الابن حكمة الحكيم، جوهر الجوهر، هكذا تكون صورة الجوهر مشابهة. ولهذا تُدرك الحكمة، التي هي الابن، صورة الله الذي لا يُرى. وهكذا تكون جميع الكلمات متطابقة تماماً: "حكيم" بدل "الله"، و"صورة" بدل "حكمة"، و"أول" بدل "البدء"، و"مولود" بدل "ولد"، وبدل كل هذه العبارة "خلقني أولى طرقه من أجل أعماله"، "ولدني بكر كل خليقة"، و"به خلقت" بدل "أقامني"، و"كل شيء به وله" بدلاً من "بواسطتي". فمن الواضح إذاً، أن أولئك الذين، على الرغم من أنهم عارفون أن الابن صورة الله الذي يُرى، يفترون بسفاهة، على التشابه في الجوهر بين الابن والآب، فإنهم يستوجبون الخزي والعار من الجميع. لأن ليس بولس وحده، بل إن يوحنا قبله، ابن الرعد، قد أعلن بصورة مماثلة، الفكرة الصحيحة حول الابن، الذي كانت الحكمة قد ظللته حتى غطّته، كما في الغمام.

لنلاحظ أن ما تعلّمناه من الحكمة، قد نشره يوحنا في إنجيله الذي بشرنا به. فحيث تقول الحكمة: "خلقني أولى طرقه منذ البدء"[١٤٨]، أشار هو "في البدء"، قائلاً: "في البدء

١٤١ مثل ١٥/٨.
١٤٢ مثل ٢٢/٨-٢٥.
١٤٣ قول ١٥/١.
١٤٤ قول ١٥/١.
١٤٥ قول ١٦/١.
١٤٦ قول ١٦/١.
١٤٧ قول ١٥/١.
١٤٨ مثل ٢٢/٨.

www.old-criticism.blogspot.com

كان الكلمة"[١٤٩]، وبدلاً من "خلقني"[١٥٠]، كتب و"الكلمة هو الله"[١٥١]. لكي نعتقد أن الله الكلمة، قد انبثق من دون ألم من الآب، ليس بامتداد بل بجوهر ثابت؛ وبدلاً من "كنت عنده"[١٥٢]، كتب "كان لدى الله"[١٥٣]. وبدلاً من "بي الأشياء منذ البدء"[١٥٤]، كتب "به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان"[١٥٥]؛ وبدلاً من "أقامني"[١٥٦]، كتب "فيه كانت الحياة"[١٥٧]، وهذا ما يعادل تماماً "فيه خُلق كل شيء"[١٥٨]. وكلماته "والكلمة صار جسداً"[١٥٩] تتناسب مع "الحكمة بَنَت بيتها"[١٦٠]. وعوضاً عن "كنت عنده مهندساً"[١٦١]، كتب "لا يستطيع الابن أن يعمل شيئاً من عنده، بل لا يفعل إلا ما يرى الآب يفعله. فما فعله الآب يفعله الابن على مثاله"[١٦٢].

هكذا إذاً، لدينا من أفواه شاهدين أو ثلاثة، الشهادة التي تبرهن مشابهة الابن مع الآب حسب الجوهر[١٦٣]. فإن واحدهم يقول، إن الابن هو حكمة الحكيم، والآخر إن كلمة الله هو الله الابن الوحيد، والثالث يقول، إن ابن الله صورة. وبناء على ذلك، يعلن الجميع إلى الجميع، أن كلمة الله، الحكمة والصورة -كما قلنا- ابن الله الآب، مشابه له في الجوهر.

والأفضل من كل هذا، أن اللوغوس يجعلنا نلمس باليد، كما فعل توما[١٦٤]، حقيقة مشابهته الجوهرية، عندما يقول: "فكما أن الآب له الحياة في ذاته، فكذلك أعطى الابن، أن تكون له الحياة في ذاته"[١٦٥].

---

١٤٩ يو ١/١.
١٥٠ مثل ٢٢/٨.
١٥١ يو ١/١.
١٥٢ مثل ٣٠/٨.
١٥٣ يو ١/١.
١٥٤ مثل ١٥/٨، ٢١.
١٥٥ يو ٣/١.
١٥٦ مثل ٢٣/٨.
١٥٧ يو ٤/١.
١٥٨ قول ١٦/١.
١٥٩ يو ١٤/١.
١٦٠ مثل ١/٩.
١٦١ مثل ٣٠/٨.
١٦٢ يو ١٩/٥.
١٦٣ راجع تت ١٥/١٩؛ متى ١٦/١٨؛ ١طيم ١٩/٥؛ عب ٢٨/١٠؛ يو ١٦/٨-١٧. وهنا الشهود هم سفر الأمثال ويوحنا وبولس.
١٦٤ راجع يو ٢٠/٢٠-٢٩.
١٦٥ يو ٢٦/٥.

ولا ينبغي قطعاً فهم هذه الجملة "كما أن الآب له"، كما لو أن الحياة هي في آخر، لأنه لا يجب علينا أن نعتقد البتة، أن الآب شيء، والحياة التي فيه شيء آخر، الواحد مالك والأخرى مملوكة، بل إن الآب نفسه هو حياة، دون أن يكون، نتيجة ذلك، مركباً. وكما أنه يملك، كذلك أعطى الابن أن يقتني، أي دون أن يكون مركّباً مثل الآب. انطلاقاً من هذا، يبدو واضحاً، أن الابن يملك الحياة مثل الآب، لكن ليس دون أن يكون مولوداً، بل دون أن يكون مركّباً، ويملكها هو، إذاً، في الجوهر، ودون أن يكون مركّباً مثل الآب. ومن ناحية أخرى، لمن الجلي، أن التشابه لا يمكنه أن يكون مطابقاً تماماً، لمن هو شبيه له، ومثالاً على ذلك ابن الله، الذي جُعل مشابهاً للإنسان، صار إنساناً، لكن دون أن يتماهى بالتمام مع الإنسان. "حققه في جسد يُشبه جسدنا الخاطئ"[١٦٦]: كان عرضة للشهوات والمشاعر، التي تُسبب سقوط الجسد -كالجوع والعطش والأشياء الأخرى-، ولكنه لم يتماهَ مع الجسد الخاطئ بالكلية. وهكذا تُعلن شهادة رسولية، مشابهة الابن بالآب حسب الجوهر.

في الواقع عندما صار الابن مشابهاً للإنسان، كان إنساناً، ولكن ليس في كل شيء. كان إنساناً لأنه اتخذ الجسد البشري، لأن "الكلمة صار جسداً"[١٦٧]. ولكنه لم يكن إنساناً، لأنه لم يولد مثل بقية البشر: فقد وُلد، في الواقع، من دون زرع ولا اتصال. هكذا أيضاً، إن الابن الكائن قبل الدهور هو الله، من حيث إنه ابن الله، كما أنه إنسان من حيث إنه ابن الإنسان. لكنه غير متماهٍ والله الآب الذي ولده، كما أنه غير متماهٍ والإنسان، لأنه وُلد، من حيث هو إله، من دون سيلان ولا آلام، كما أنه وُلد، من حيث هو إنسان، من دون زرع ولا لذة جماع. صار مشابهاً للجسد الخاطئ، لأنه كان فيه، عرضة للجوع والعطش والنعاس، أي عرضة للأهواء التي تدفع الأجساد نحو الخطيئة، وعلى الرغم من أنه خضع لشهوات الجسد هذه، إلا أنه لم يقترف أي خطيئة. هذا هو الابن، الذي هو ابن الله وفي صورة ومساوٍ لله[١٦٨]، وله صفات الألوهية كلها، فهو كان لاجسدياً في الجوهر، ومشابهاً للآب في الألوهية والربوبية واللامادية والفعل.

فكما أنه مشابه للجسد من حيث هو إنسان وخاضع للأهواء الجسدية، ولكنه غير متماهٍ معه، فكذلك هو مشابه لله من حيث هو إله، ولكنه ليس في صورة الإله، بل في

---

١٦٦ روم ٣/٨.
١٦٧ يو ١٤/١.
١٦٨ راجع فل ٦/٢.

www.old-criticism.blogspot.com

صورة الله، وليس مساوياً للإله، بل لله[١٦٩]. وهو يملك الألوهية منذ البدء مثل الآب. وكما أنه لم يُجَرَّ نحو الخطيئة كإنسان، لكنه سلك بطريقة مماثلة للإنسان في الفعل، كذلك "فما يفعله الآب، يفعله الابن على مثاله"[١٧٠]. وكما أنه هنا، حرّكته الأهواء الجسدية ليس على طريق الخطيئة، فكذلك إنه ليستحيل أن يكون مشابهاً للبشر، لنا نحن البشر حسب الطبيعة، وهذا مضاد للطبيعة بالنسبة إليه، هو الذي مرّ من حالة طبيعية، إلى أخرى غير طبيعية، أي من إله صار إنساناً. وألا يكون في مقام طبيعته، مشابهاً للآب حسب الطبيعة، وهو الإله المولود من إله. لذا فمن الواضح، أن الذين يرفضون أن يكون الابن مشابهاً للآب حسب الطبيعة، لا يعتبرونه ابناً بل مجرد خليقة، ولا يعتبرون الآب أباً بل خالقاً، بينما لا يحمل تصوّر شبيه إلى التماهي بين الآب والابن، بل إلى التشابه حسب الجوهر، وإلى حقيقة وواقعية ولادته، التي لا توصف من الآب من غير ألم. فكما أنه مشابه للإنسان وللجسد الخاطئ -وهنا نكرر دائماً ما قيل سابقاً-، فصار الابن ليس متماهياً مع الإنسان، بل مشابهاً له حسب جوهر الجسد، فكذلك لم يُصبح الابن، بما أنه مشابه للآب الذي ولده في الجوهر، متماهياً في الجوهر مع الآب، بل مشابهاً له.[١٧١]

١٦٩ التمييز بين الإله والله: يحدد إنجيل يوحنا المسيح "إله" من دون أداة التعريف، بينما يستخدم أداة التعريف، عندما يتكلم عن الآب فقط. وأراد باسيليوس، المترأس هذا المجمع، أن يشدد هنا على عدم التماهي التام بين الآب والابن.

١٧٠ يو ١٩/٥.

١٧١ أثارت صيغة سيرميوم الثانية، ذات الصفة الآريوسية، ردود فعل في الشرق والغرب. فقد استعادت الآريوسية الراديكالية الآنومية في الشرق، خاصة مع ايتيوس وافنوميوس وافذوكسيوس، قواها، وراحت تنتشر من جديد في الشرق. فقلق عدد وافر من أساقفة آسيا الصغرى وسوريا، من نشاط هؤلاء.
في هذه البيئة، وفي هذه الأجواء، كانت بداية تكوين تعاليم تبتعد عن الاومووسيوس النيقاوي، المُتهم بالمونارخية، وعن الآريوسية الراديكالية، وهي على خطى اوسابيوس القيصري، واوسابيوس الحمصي، وكيرلس الأورشليمي؛ لكنها صورة متطورة عن تعاليمهم.
ودفع نشر صيغة سيرميوم لعام ٣٥٧ رؤساء هذه المجموعة، إلى العمل السريع. فجمع باسيليوس الانقيري، على طلب من غريغوريوس اللاذقي، الذي انتقل من الآريوسية الراديكالية إلى مواقف معتدلة، مجمعاً لأساقفة آسيا في انقيرة، نحو فصح سنة ٣٥٨. وأصدر في ختامه رسالته المجمعية الشهيرة هذه.
تشكل رسالة مجمع أنقيرة (٣٥٨)، منشور الاوميووسية اللاهوتي الرسمي، من حيث إن عبارته المفارقة هي "اوميووسيوس" التي حلت مكان "اومووسيوس" النيقاوية، بمعنى أن الابن مشابه للآب في الجوهر. هنا اعتراف واضح بولادة الابن الحقيقية، وبأزليته، وبالتالي بألوهيته.
تابع الاوميووسيون من جهة ثانية، التعليم حول الأقانيم الثلاثة، ولكنهم لم يميّزوا بين "الاوسيا" و"الايبوستاسيس". باختصار، إنها تعاليم على خطى التقليد، وعلى خطى اللاهوت الإسكندري، ولكنها تتمعن أكثر في المسائل العقائدية، خصوصاً على ضوء النزاع الآريوسي، حيث يبدو واضحاً، أن ما يهمّ هو محاربة الآريوسية، وليس معارضة المونارخية.

٣٤

مقتطفات من رسالة مجمع سيرميوم الثالث (٣٥٩)

ظننا أن الكنيسة، بعد مجامع القسطنطينية[١٧٢]، وأنطاكية[١٧٣] وسرديقيا[١٧٤]، وسيرميوم[١٧٥]، قد نعمت بالسلام، لكن الشيطان زرع كفراً جديداً، واخترع عقيدة جديدة، ضد بنوة المخلص الحق. لذا فقد قرر الأساقفة المجتمعون، تحديد المفاهيم المتعلقة بالثالوث الأقدس، التي نجدها في قوانين إيمان مجامع أنطاكية (٣٤١)، وسرديقيا وسيرميوم...

تظهر عبارة الآب، أنه هو مبدأ مادة شبيهة به، بصرف النظر عن فكرة الخلق، لأن علاقة الآب بالابن مختلفة عن العلاقة الموجودة بين الخالق والمخلوق، وعلينا، في حال رفضنا القبول بمشابهته بالآب، أن نستبعد فكرة ولفظة "الابن". وإذا ما أقصينا كل الصفات الأخرى عن فكرة الابن، يبقى لدينا فكرة التشابه، التي تنطبق وحدها على الابن، في حال اعتباره كائناً روحياً. ويجب عدم الاعتراض على أن الكتب المقدسة، تدعو أيضاً أشخاصاً آخرين أبناء الله، على الرغم من أنهم لا يحملون أي شبه مع الله، لأن الكتب تتكلم في هذه الآيات، بالمعنى المجازي، بينما نقول إن الكلمة ابن الله بالمعنى الحرفي... فكذلك إن عبارة ابن الله، لا يمكن خلعها، بالمعنى الحصري، إلا على اللوغوس، ومع ذلك، فهي تُخلع على مخلوقات أخرى.

٣٥

رسالة البابا ليبيريوس إلى الشرقيين (٣٥٩)

يشهد الله والعالم على إيمانكم المقدس. إني لا أريد أن أدافع عن اثناسيوس، لكن سلفي كان قد استقبله، وأنا أعامله بالطريقة ذاتها. بَيد أني سارعت إلى الانضمام إلى حكمكم، عندما علمت أنكم أدنتموه عن حق، ووجهت إلى الإمبراطور كونستانس، رسالة بهذا الشأن، بواسطة فورتوناتيانوس أسقف اكويليا. وبما أن اثناسيوس قد قُطع من قِبلنا جميعاً، أعلن أني في سلام واتحاد مع جميعكم، ومع جميع الأساقفة الشرقيين،

١٧٢ أي مجمع القسطنطينية لسنة ٣٣٦، الذي حكم على مركلوس الانقيري.

١٧٣ أي مجمع أنطاكية للتدشين سنة ٣٤١.

١٧٤ تتكلم الرسالة هنا عن مجمع فيليبوبوليس لعام ٣٤٣.

١٧٥ أي مجمع سيرميوم الأول لعام ٣٥١، الذي حكم على فوتينوس.

www.old-criticism.blogspot.com

المتواجدين في جميع الأقاليم. وصرح لي ديموفيلوس، أسقف حلب، عن إيمانكم المستقيم، الذي حدده وتبناه الكثير من الاخوة، والزملاء في الأسقفية في سيرميوم. ولقد استقبلته بطيبة خاطر، ووافقت دون صعوبة على هذه التعاليم. وأسألكم الآن أن توحدوا جهودكم، لكي أنال العودة من منفاي، وليسمح لي باستعادة الكرسي الموكل إليّ من الله.

٣٦
قانون الإيمان المؤرخ (٣٥٩)

نؤمن بإله حقيقي واحد،
آب ضابط الكل،
خالق الأشياء كلها وفاعلها،
وبابن الله الوحيد،
المولود من الآب دون آلام،
قبل كل الدهور والبدء والأزمنة...،
الوحيد المولود،
إله من إله،
مشابه للآب الذي ولده في كل شيء، كما جاء في الكتب،
ولا أحد يعرف شيئاً عن ولادته، إلا الآب الذي ولده...

٣٧
قانون إيمان مجمع القسطنطينية (٣٦٠)

نؤمن بإله واحد آب ضابط الكل،
خالق كل شيء.
وبابن الله الوحيد،

المولود من الله قبل كل الدهور،
وقبل كل مبدأ،
الذي به كان كل شيء
ما يُرى وما لا يُرى.
وُلد ابناً وحيداً،
من الآب الواحد وحده،
إله من إله،
مشابه للآب الذي ولده، كما جاء في الكتب،
لا يعرف أحد ولادته، إلا الآب الذي ولده،
نزل من السماء فيما بيننا، كما كُتب،
ليُهلك الخطيئة والموت،
ووُلد بحسب الجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، كما كُتب.
وعاش مع التلاميذ، وحقق تدبير الفداء كله، حسب مشيئة الآب.
صُلب، ومات، ودُفن،
ونزل تحت الأرض [إلى الجحيم]، حتى إن الجحيم هابته،
وقام من بين الأموات في اليوم الثالث،
وظهر للتلاميذ. وصعد بعد أربعين يوماً إلى السماء،
ويجلس عن يمين الآب.
وسيأتي في يوم القيامة الأخير في المجد الأبوي، ليجازي كل امرؤ حسب أعماله.
نؤمن بالروح القدس، الذي وعد بإرساله ابن الله الوحيد، المسيح، ربنا وإلهنا، ليعزي الناس -كما كُتب-، روح الحق، الذي بعثه بعدما صعد إلى السماء.

أما فيما يخص لفظة جوهر، التي أدخلها الآباء بسذاجة، والتي تسبب الشكوك للشعب الذي يجهلها، ونظراً لأن الكتاب المقدس لا يستخدمها، فاتفقنا أن نزيلها من الاستعمال، من الآن فصاعداً، لأن الكتب المقدسة لا تُسمّي إطلاقاً، جوهر الآب وجوهر الابن، ولا ينبغي أيضاً التكلم عن أقنوم، عندما نتحدث عن الآب والابن والروح القدس.

نؤكد أن الابن مشابه للآب، كما تُعلم وتقول الكتب المقدسة. وندين الهرطقات كافة، سواء المُدانة سابقاً، أو الهرطقات الجديدة، التي تعارض اعتراف الإيمان هذا.

www.old-criticism.blogspot.com

٣٨
مقاطع من أعمال مركلوس الأنقيري

المقطع ٤٨

قبل أن ينزل ويولد من العذراء، لم يكن سوى كلمة. بالفعل، ماذا كان قبل أن يتخذ الجسد البشري، الذي "نزل في آخر الأيام"[١٧٦] كما كتب هو نفسه، ووُلد من العذراء. لم يكن سوى كلمة.

المقطع ٥٢

يُظهر الكتاب المقدس بقوله، "في البدء كان الكلمة"[١٧٧]، أن الكلمة كان بالقوة في الآب (مبدأ كل شيء مخلوق في الحقيقة هو الله، الذي منه يأتي كل شيء[١٧٨])، وبقوله، "الكلمة كان لدى الله"[١٧٩]، يُظهر أن الكلمة تفعل عند الله ("به كان كل شيء، وبدونه ما كان شيء مما كان"[١٨٠]). وبقوله، "الكلمة هو الله"[١٨١]، يُظهر عدم انفصال الألوهية، لأن الكلمة فيه وهو في الكلمة، فهو يقول، "إن الآب فيّ وأنا في الآب"[١٨٢].

المقطع ٧١

إذا أُفيض الروح فقط، فالابن بحق يبدو شيئاً واحداً مع الآب. ولكن إذا أخذنا بعين الاعتبار، أن الجسد يُضاف إلى المخلّص، فتظهر الألوهية تمتد بالفعل (نشاط). هكذا فقط تبقى الوحدانية غير منفصلة.

المقطع ١٢١

أؤمن حسب الكتاب المقدس، أن الله واحد، وأن كلمته منبثق من الآب، حتى تُخلق به كل الأشياء[١٨٣]، وأنه بعد الدينونة، وإخضاع كل شيء، وإبادة القوات المعادية

١٧٦ عب ١/٢.
١٧٧ يو ١/١.
١٧٨ راجع ١قور ٦/٨.
١٧٩ يو ١/١.
١٨٠ يو ٣/١.
١٨١ يو ١/١.
١٨٢ يو ٣٨/١٠.
١٨٣ يو ٣/١.

جميعها، عندئذ سيخضع لذاك الذي اخضع له كل شيء، أي لله الآب[١٨٤]، حتى يكون الكلمة هكذا في الله، مثلما كان قبل أن يكون العالم.

لأنه في الحقيقة، لم يكن هناك شيء قبل ذلك سوى الله وحده، وكل الأشياء خُلقت بالكلمة، عندما انبثق الكلمة مع قوة فاعلة، هذا الكلمة هو كلمة الآب.

٣٩
قانون إيمان الرسل

أؤمن بإله،
آب ضابط الكل،
خالق السماء والأرض.
وبيسوع المسيح،
ابنه الوحيد،
ربنا،
الذي حُبل به من الروح القدس،
ووُلد من مريم العذراء،
وتألم على عهد بيلاطس البنطي،
وصُلب ومات وقُبر،
ونزل إلى الجحيم،
وقام من بين الأموات في اليوم الثالث،
وصعد إلى السماء،
ويجلس عن يمين الله الآب الضابط الكل،
من حيث سيأتي ليدين الأحياء والأموات.

١٨٤ ١ قور ٢٨/١٥. ٢٤.

www.old-criticism.blogspot.com

أؤمن بالروح القدس،

وبالكنيسة المقدسة الجامعة،

وبشركة القديسين،

وبمغفرة الخطايا،

وبقيامة الجسد والحياة الأبدية.[١٨٥]

٤٠
قوانين الرسل القديسين

القانون الأول

يجب أن يشرطن الأسقف، أسقفان أو ثلاثة.

القانون الثاني

يقوم أسقف واحد بسيامة القس أو الشماس، أو غيرهما من الإكليريكيين.

القانون الثالث

كل أسقف أو كاهن، يقدّم على المذبح شيئاً آخر، غير ما فرضه الرب لأجل الذبيحة، كالعسل أو اللبن، أو مسكراً قوياً عوض الخمر، أو طيوراً أو حيوانات أو خضراً خلاف ما فُرض، ليسقط من مرتبته. ويُستثنى من ذلك، حبوب القمح المحصودة

١٨٥ كان هذا القانون مستخدماً في الغرب في القرن العاشر. وقد أدخله شارلمان في قوانين الإمبراطورية. يربطه تطابق جوهري، مع نص قاله سيزار أسقف آرل Césaire d'Arles († ٥٤٣) في إحدى عظاته، ومع نص وضعه مركلوس الانقيري سنة ٣٤٠. يسمح لنا التقليد الرسولي، الذي هو مجموعة ليتورجية وقانونية، من نهاية القرن الثاني، فيه اعتراف إيمان ثالوثي، يوضح نهاية إنجيل متى (٢٨/ ١٩). عرف كل من اغناطيوس الإنطاكي († بداية القرن الثاني)، ويوستينوس († ١٦٥)، وايريناوس († ٢٠٢) تطورات خريستولوجية، نستطيع ربطها بقانون إيمان ١كور ١٥/٣-٥.
كل مقولة حول الثالوث، وكل مقولة حول الخريستولوجيا، ستصبحان واحداً في رمز يتلوه المعمّدون، الذي هو بالنسبة إليهم، علامة المعرفة والاعتراف، والإقرار والوحدة وختم التزامهم.
يمكن أن نفهم أن امبروسيوس أسقف ميلانو (٣٤٠-٣٩٧)، قد سمى هذا الرمز "رسولي". ليس لأن الرسل صاغوه بعد الصعود، كما يقول تقليد قديم، بل لأن الحقائق التي يبشر بها، هي نفسها الإيمان المبشر به، من الرسل، منذ بداية الكنيسة.

حديثاً، والعنب في موسمه. ولا يُسمح بتقديم شيء منها، عند تقديم الذبيحة المقدسة على مذبح التقدمة، إلا البخور والزيت للمصابيح.

القانون الرابع

لتُرسل سائر أنواع الثمار إلى البيت، كبواكير الطبيعة للأساقفة والكهنة، وليس إلى المذبح، وعلى الأساقفة والقسوس بالطبع، أن يفرزوا منها حصصاً للشمامسة، ولسائر الإكليريكيين.

القانون الخامس

لا يجوز لأسقف أو قس أو شماس، أن يصرف عنه امرأته [يطلّقها] بحجة الورع. فإن أبعدها، فليُقطع من الشركة، وإن أصر على غيه فليُخلع.

القانون السادس

لا يجوز لأسقف أو قس أو شماس، أن ينهمك في مهمات عالمية، وكل من انصرف إلى ذلك، فليُخلع.

القانون السابع

أي أسقف أو قس أو شماس، يعيّد عيد الفصح المقدس، قبل الاعتدال الربيعي، مع اليهود، فليُسقَط.

القانون الثامن

أي أسقف أو قس أو شماس، أو أي إكليريكي، لا يتناول من القربان المقدس عندما يُقدَّم، فليُعلِن عذره. فإن كان العذر مقبولاً، فليُصفح عنه. وإلا فليُقطع من الشركة، لأنه سبّب شكاً ومعثرة للشعب، وجعل مقدّم الذبيحة تحت الشبهة، بأنه لم يقرّبها بالطريقة الصحيحة.

القانون التاسع

كل مؤمن يحضر إلى الكنيسة، ويصغي إلى فصول الكتاب المقدس، ولكنه لا يبقى لسماع الصلوات والمناولة المقدسة، يُحكم عليه بالقطع من الشركة، لما يسببه بمسلكه، من التشويش في الكنيسة.

القانون العاشر

كل من يصلّي، ولو في منزل خاص، مع شخص مقطوع من الشركة، فليُقطع هو أيضاً.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الحادي عشر

أي إكليريكي يشارك في الصلاة، إكليريكياً قد أُسقِط كأنه لم يسقط، فليُسقَط هو أيضاً.

القانون الثاني عشر

كل من كان مقطوعاً، إكليريكياً أم علمانياً، من الشركة، أو لم يُقبَل بعد في التوبة، سافر وقُبل في مدينة أخرى، بدون رسائل توصية، فليُقطع هو والذي قبله.

القانون الثالث عشر

وإذا كان مقطوعاً من الشركة، فلتُمدد مدة قطعه، لأنه كذب على كنيسة الله.

القانون الرابع عشر

لا يُسمح لأسقف أن يترك أبرشيته، وينتقل إلى أبرشية أخرى، حتى لو ألح عليه كثيرون، إلا عن اضطرار ولسببٍ مقبولٍ، كأن يكون في استطاعته، أن يؤدي منفعة أعظم لأبناء تلك الأبرشية، وعظاً وإرشاداً إلى العبادة الحسنة. وعلى كل، لا يجوز أن يقوم بذلك من تلقاء نفسه، بل بموجب حكم عدد من الأساقفة، وبإلحاح منهم.

القانون الخامس عشر

أي قس أو شماس أو إكليريكي، يهجر رعيته ويذهب إلى رعية أخرى، مُهمِلاً الأولى كل الإهمال، ويُقيم في الرعية الثانية بدون إذن أسقفه، فنحن نأمر ألا يُسمح له بعد، بإقامة الخدمة الإلهية، ولاسيما بعد إنذار أسقفه له، بوجوب الرجوع، وإصراره على مسلكه المخالف للنظام، وكذلك لا يجوز له الشركة كعلماني.

القانون السادس عشر

وإذا كان الأسقف، الذي يُقيم عنده أمثال هؤلاء الأشخاص، لا يحترم الأمر بوجوب منعهم عن الخِدَم الروحية، فليُقطع هو أيضاً من الشركة، لأنه متواطئ مع مخالفي النظام.

القانون السابع عشر

إن كل من تزوج مرتين بعد المعمودية، أو كل من ساكن خليلة، لا يجوز له أن يصير أسقفاً، أو كاهناً أو شماساً، أو قبوله في أي رتبة كهنوتية.

القانون الثامن عشر

لا يجوز لمن تزوج أرملة، أو مطلقة أو زانية، أو جارية أو ممثلة، أن يصير أسقفاً أو كاهناً أو شماساً، أو قبوله في أي رتبة كهنوتية.

القانون التاسع عشر

لا يجوز أن يصير إكليريكياً، كل من تزوج بأختين، أو بامرأة وبنت أختها أو بنت أخيها.

القانون العشرون

كل إكليريكي يُعطي كفالة، يُعزَل من وظيفته.

القانون الحادي والعشرون

يجوز أن يصير أسقفاً، الخصي الذي خصاه الناس قسراً، أو من فقد رجولته أثناء الاضطهاد، أو من وُلد خصياً، وكان من كل النواحي الأخرى مستحقاً.

القانون الثاني والعشرون

لا يجوز لمن خصى نفسه، أن يصير إكليريكياً، لأنه قاتل نفسه، وعدو خلقة الله.

القانون الثالث والعشرون

كل إكليريكي خصى نفسه، ليُعزل من وظيفته، لأنه قاتل نفسه.

القانون الرابع والعشرون

أي علماني خصى ذاته، فليُقطع من الشركة ثلاث سنوات، لأنه تآمر على حياته نفسها.

القانون الخامس والعشرون

أي أسقف أو كاهن أو شماس، اكتُشف في زنى أو قَسَم كاذب أو سرقة، فليُعزل من وظيفته، ولكنه لا يُقطع من الشركة، لأن الكتاب يقول، لا تفرض عقوبتين على ذنب واحد. وهكذا يُعامَل سائر الإكليريكيين.

القانون السادس والعشرون

إن الذين قُبلوا في السلك الإكليريكي، وهم غير متزوجين، نأمر ألا يُسمح لغير القراء والمرتلين منهم، بالزواج إذا شاؤوا.

القانون السابع والعشرون

أي أسقف أو كاهن أو شماس، يضرب أحد المؤمنين إذا أخطأ، وشخصاً من غير المؤمنين، إذا فعل شراً لإرهابه، فنأمر أن يُعزل من رتبته، لأن ربنا لم يعلّمنا أبداً أن نفعل

www.old-criticism.blogspot.com

هذا، بل بالعكس، عندما ضُرب لم يعاقب بالضرب، وعندما شُتم لم يشتم، وعندما تألم لم يتهدد ولم يتوعد[١٨٦].

القانون الثامن والعشرون

إن أي أسقف أو كاهن أو شماس، أُسقط بعدل، في محاكمة علنية، يجسر على القيام بشيء من الخِدَم الإلهية، التي كان قد أؤتمن عليها، فليُقطع من الكنيسة قطعاً تاماً.

القانون التاسع والعشرون

أي أسقف أو كاهن أو شماس، يحصل على درجته الكهنوتية بالمال، فليُفصل من الكهنوت، هو والذي سامه، وليُقطع من الشركة قطعاً باتاً، كما قطع [ت، أنا] بطرس سيمون الساحر[١٨٧].

القانون الثلاثون

كل أسقف يستولي على كنيسة بمساعدة السلطة الزمنية، فليُخلع وليُقطع من الشركة مع كل المشتركين معه.

القانون الحادي والثلاثون

كل كاهن يزدري أسقفه ويجمع حوله رعية منفصلة، ويقيم مذبحاً آخر، دون أن تكون هناك أسباب، تدعوه إلى إدانة أسقفه من جهة العقيدة أو الاستقامة، فليُفصل قصاصاً له على طموحه وتمرده، وهكذا يُفصل كل من انضم إليه من الإكليريكيين. أما العلمانيون الذين معه، فيُقطعون من الشركة، ولا يصدر هذا الحكم، إلا بعد أن يدعوه الأسقف أولاً وثانياً وثالثاً.

القانون الثاني والثلاثون

لا يجوز أن يقبل أسقف، أي كاهن أو شماس، قطعه أسقفه من الشركة، غير الذي قطعه، إلا إذا كان هذا قد مات.

القانون الثالث والثلاثون

لا يُقبَل أسقف أو قس أو شماس أجنبي، بدون رسالة توصية، ثم إنه بعد تقديم رسالة التوصية، يجب فحص مقدمها، فإذا كان ممن يعظون بحسن العبادة، فليُقبَل، وإلا فلتقدَّم له حاجاته، دون أن يُقبَل في الشركة، لأن أشياء كثيرة قد جرت خلسة.

---

١٨٦ راجع ١بط ٢/٢٣.
١٨٧ راجع عمل ٨/٢٠.

القانون الرابع والثلاثون

يجب أن يعرف أساقفة كل أمة، الأول فيما بينهم، ويعتبروه رئيساً لهم، ولا يُقدِموا على أمر خطير بدون رأيه، بل ليدبر كل أسقف منهم شؤون أبرشيته خاصة. ولا يقدمن الأول على شيء، بدون مشاورة الجميع، وبذلك يتم اجتماع الرأي، ويتمجد الله بالرب في الروح القدس.

القانون الخامس والثلاثون

لا يجسرن أسقف على القيام بسيامة خارج حدوده، في مدن وأماكن غير خاضعة له، فإذا ثبت عليه أنه أقدم على شيء من هذا، بدون إذن أصحاب السلطة، فليُسقَط هو والذين سامهم.

القانون السادس والثلاثون

الأسقف الذي يُشرطَن، ولا يؤدي واجبات خدمته، ولا يقوم برعاية الشعب الذي أؤتمن عليه، فليُقطع من الشركة، إلى أن يقوم بواجب رعايته، وبمثل هذا يُحكم على القس والشماس، ولكن إذا ذهب إلى شعبه، فتمردوا ولم يقبلوه، فهو يبقى أسقفاً، ويُقطع الإكليريكيون في تلك المدينة من الشركة، لتقصيرهم في تأديب الشعب العاصي.

القانون السابع والثلاثون

ليجتمع الأساقفة مرتين في السنة، وليفحصوا معاً أوامر الدين وحسن العبادة، وليفصلوا الخلافات الكنسية التي يمكن حدوثها. الاجتماع الأول، يُعقد في الأسبوع الرابع من أيام الخمسين[١٨٨]، والاجتماع الثاني، يُعقد في الثاني عشر من شهر تشرين الأول.

القانون الثامن والثلاثون

ليعتني الأسقف بأمتعة الكنيسة، وليدبرها بمراقبة الله، على أنه لا يجوز أن يتخذ شيئاً منها لنفسه، ولا أن يهب ما يخص الله لأقربائه. أما إذا كانوا فقراء، فليساعدهم بالإسعاف العام كسائر المحتاجين، ولا يؤذن له أن يتخذ ذلك حجة لبيع أمتعة الكنيسة.

القانون التاسع والثلاثون

لا يجوز للكهنة والشمامسة أن يفعلوا شيئاً، بدون إذن الأسقف، لأنه هو المؤتمن على شعب الرب، وهو المسؤول أن يقدّم حساباً عن نفوسهم.

---

١٨٨ أي في الأسبوع الرابع من الزمن الفصحي.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الأربعون

إذا كان للأسقف أملاك، فلتكن مميزة عن أملاك الرب، حتى يكون للأسقف، إمكانية أن يورث أملاكه الخاصة بعد موته، لمن يشاء وكما يشاء، ولا تضيع أملاكه الخاصة، بحجة أنها من أملاك الكنيسة، فقد يكون للأسقف امرأة وأولاد وأقرباء وخدام. ويقضي العدل أمام الله والناس، ألا تصاب الكنيسة بأي خسارة، لأن أملاك الأسقف الخاصة لم تكن معروفة، ولا أن يحيق الأذى بالأسقف وأقربائه، بحجة المحافظة على أملاك الكنيسة، ولا يقع أقرباء الأسقف في عَنَت وخصومات، فيصبّون اللوم على الأسقف بعد موته.

القانون الحادي والأربعون

إننا نأمر أن تكون أموال الكنيسة تحت ولاية الأسقف، لأنه إذا كان قد أؤتمن على نفوس الناس الثمينة، فمن باب أولى، أن يؤتمن على الأموال الوقتية، وعليه أن يدبرها كلها بموجب سلطته الخاصة، ويقدّم للمعوزين حاجاتهم، بواسطة الكهنة والشمامسة، بخوف الله وبكل ورع. وله أيضاً، إذا دعت الحاجة، أن يأخذ ما يسد حاجاته الضرورية، وحاجات الإخوة الذين في ضيافته[١٨٩]، لئلا يكون أو يكونوا في ضيق. فقد أمرت الشريعة الإلهية، أن الذي يخدم المذبح يأكل من المذبح[١٩٠]، ولا يمكن تجنيد جندي ضد الأعداء، والنفقة عليه.

القانون الثاني والأربعون

إذا كان الأسقف أو الكاهن أو الشماس، مدمناً لعب النرد أو شرب المسكر، فليكف عن ذلك أو فليُسقَط.

القانون الثالث والأربعون

إن الشماس الرسائلي أو القارئ، أو المرنم أو العلماني، الذي يدمن لعب النرد أو شرب الخمر، فليكف عن ذلك، أو فليُقطع من الشركة.

القانون الرابع والأربعون

كل أسقف أو كاهن أو شماس، يأخذ رباً ممن يقرضه، فليكف عن ذلك، وإلا فليُسقَط[١٩١].

١٨٩ راجع ١ طيم ٣/٢؛ تي ١/٨.
١٩٠ راجع ١كور ٩/٧ و ١٣-١٤.
١٩١ راجع تث ٢٣/١٩-٢٠؛ مز ١٤/٥.

القانون الخامس والأربعون

كل أسقف أو كاهن أو شماس، صلّى مع المبتدعين، فليُقطع من الشركة، أما إذا سمح لهم، أن يُقيموا أي خدمة في أي مرتبة إكليريكية، فليُسقَط.

القانون السادس والأربعون

إننا نأمر أن كل أسقف أو كاهن، يقبل معمودية أو ذبيحة المبتدعين، فليُسقَط، لأن "أي ائتلاف للمسيح مع بليعال، وأي حظ للمؤمن مع الكافر؟"[١٩٢].

القانون السابع والأربعون

أي أسقف أو كاهن، عمّد ثانية من كان قد اقتبل المعمودية الحقيقية، أو لم يعمد من كان قد تدنس بمعمودية الكفرة، فليُسقَط، لأنه مستهزئ بصليب الرب وموته، ولم يميز بين الكهنة الحقيقيين، والكهنة الدجالين.

القانون الثامن والأربعون

كل من طلق امرأته وتزوج أخرى، وكل من يتزوج مطلقة رجل آخر، فليُقطع من الشركة[١٩٣].

القانون التاسع والأربعون

كل أسقف أو قس، لا يعمّد باسم الآب والابن والروح القدس، كما أمر الرب، بل باسم ثلاثة أزليين، أو ثلاثة أبناء أو ثلاثة معزين، فليُسقَط.

القانون الخمسون

كل أسقف أو قس، لا يتمم سر المعمودية بثلاث غطسات، بل بغطسة واحدة لموت الرب، فليُسقَط، لأن الرب لم يقل عمّدوا لموتي، بل قال: "اذهبوا وتلمذوا كل الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس"[١٩٤].

القانون الحادي والخمسون

كل أسقف أو قس أو شماس، أو أي شخص آخر من السلك الكهنوتي، يمتنع عن الزيجة واللحم والخمر، ليس تنسكاً، بل لأنه يشمئز منها ويعتبرها نجسة، وقد نسي أن الله قد خلق كل الأشياء حسنة جداً[١٩٥]، وأنه خلق الإنسان ذكراً وأنثى[١٩٦]، فهو بمسلكه

١٩٢ ١ قور ١٦/١٥.
١٩٣ راجع متى ٥/٣٢، ١٩/٩؛ مر ١٠/١٢.
١٩٤ متى ٢٨/١٩.
١٩٥ راجع ١ طيم ٤/٤؛ تي ١/١٥؛ روم ١٤/١٤.

www.old-criticism.blogspot.com

هذا، يجدّف على عمل الخليقة، فليُصلح أمره، أو فليُخلع ويُطرد من الكنيسة، وبمثل ذلك يُعاقَب العلماني أيضاً.

القانون الثاني والخمسون

كل أسقف أو قس، لا يقبل من يرجع نادماً من الخطيئة، بل يرفضه، فليُسقَط، لأنه يُحزن المسيح القائل: "إنه يكون في السماء فرح بخاطئ واحد يتوب"[١٩٧].

القانون الثالث والخمسون

كل أسقف أو كاهن أو شماس، لا يأكل في أيام الأعياد لحماً، ولا يشرب خمراً، لا عن نسك، بل لأنه يشمئز منها، فليُسقَط، لأن ضميره مكوي، وصار معثرة لكثيرين.

القانون الرابع والخمسون

أي إكليريكي يأكل في حانة، فليُقطع من الشركة، إلا إذا كان مضطراً إلى النزول في فندق، أثناء السفر.

القانون الخامس والخمسون

أي إكليريكي يشتم أسقفاً، فليُسقَط، إذ قيل: "رئيس شعبك لا تلعنه"[١٩٨].

القانون السادس والخمسون

أي إكليريكي شتم كاهناً أو شماساً، فليُقطع من الشركة.

القانون السابع والخمسون

أي إكليريكي سخر من أعرج أو أصم، أو أعمى أو مُقعَد، فليُقطع من الشركة، وبمثل ذلك يُعاقَب العلماني أيضاً.

القانون الثامن والخمسون

كل أسقف أو كاهن، أهمل الإكليريكيين أو الشعب، ولم يدربهم في سبل التقوى، فليُقطع من الشركة، وإذا داوم على الإهمال والكسل، فليُسقط.

١٩٦ راجع متى ١٩/٤.
١٩٧ لو ١٥/٧؛ متى ٩/١٣.
١٩٨ خر ٢٢/٢٨.

القانون التاسع والخمسون

كل أسقف أو كاهن أو شماس، لا يقدّم لأحد الإكليريكيين، ما يحتاج إليه، عندما يكون في عوز، فليُقطع من الشركة، وإذا أصر على خطته، فليُسقَط، لأنه يكون كمن قتل أخاه.

القانون الستون

إذا قرأ أحد من الشعب في الكنيسة، كتباً لمؤلفين ملحدين، وقد أبدل لها عناوينها بعناوين كاذبة، كأنها من الكتب المقدسة، لتضليل الشعب والإكليريكيين، فليُخلع.

القانون الحادي والستون

إذا وقعت التهمة على أحد المؤمنين، بالفسق أو الزنى أو بأي عمل ممنوع، وحُكم عليه، فلا يُسمح له بالانخراط في السلك الإكليريكي.

القانون الثاني والستون

أي إكليريكي يجحد اسم المسيح، بسبب خوفه من الناس، من يهود أو وثنيين أو مبتدعين، فليُنبَذ خارجاً، وإذا جحد الاسم الإكليريكي، فليُسقَط، وإذا تاب فيُقبَل كعلماني.

القانون الثالث والستون

أي أسقف أو قس أو شماس، أو أي شخص من أعضاء السلك الكهنوتي، يأكل لحماً بدمه[١٩٩]، أو لحم فريسة حيوان، أو لحم فطيسة، فليُسقَط، لأن الشريعة تمنع كل هذا، وأما العامي فليُقطع من الشركة.

القانون الرابع والستون

أي إكليريكي أو عامي، يدخل إلى مجمع اليهود أو المبتدعين ليصلّي، فليُسقَط الأول، وليُقطع الثاني من الشركة.

القانون الخامس والستون

أي إكليريكي يضرب شخصاً، أثناء خصومة فيقتله بضربة واحدة، فليُسقط قصاصاً لشراسته، وإذا كان المذنب عامياً، فليُقطع من الشركة.

١٩٩ راجع تك ٩/٣و٤؛ عمل ١٥/٢٨-٢٩.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون السادس والستون

أي إكليريكي يصوم يوم الرب أو يوم السبت، ما عدا السبت الواحد، فليُسقَط. وأما العامي، فليُقطع من الشركة.

القانون السابع والستون

من يخطف عذراء غير مخطوبة، ويبقيها عنده، فليُقطع. ولا يجوز له أن يتخذ امرأة سواها، بل يجب أن يتخذ التي اختارها، ولو كانت فقيرة.

القانون الثامن والستون

أي أسقف أو قس أو شماس، يقبل إعادة سيامته، فليُسقَط هو والذي شرطنه، إلا إذا كان قد ظهر بالبراهين، أن سيامته الأولى قام بها أحد المبتدعين، لأن من ينال المعمودية أو السيامة من قِبل المبتدعين، لا يُعَد من المؤمنين، ولا من الإكليريكيين.

القانون التاسع والستون

أي أسقف أو قس أو شماس، أو قارئ أو مرتل، لا يصوم صوم الفصح الأربعيني المقدس، أو يومي الأربعاء والجمعة من كل أسبوع، إلا إذا أرغمته على ذلك علة جسدية، فليُسقَط. أما العلماني الذي لا يصوم، فيُقطع من الشركة.

القانون السبعون

أي أسقف أو قس أو شماس، أو أي إكليريكي يصوم أو يُعيّد مع اليهود، أو يقبل منهم أي نوع من هدايا العيد، كالخبز الفطير أو غيره، فليُسقط؛ وأما العلماني فليُقطع من الشركة.

القانون الحادي والسبعون

أي مسيحي يقدّم زيتاً إلى هيكل وثني، أو إلى مجمع يهودي في عيدهم، أو يوقد هناك مصباحاً، فليُقطع من الشركة.

القانون الثاني والسبعون

أي إكليريكي أو علماني، يأخذ من الكنيسة المقدسة زيتاً أو شيئاً آخر، فليُقطع من الشركة، وليرد ما أخذه وزيادة خمسه.

القانون الثالث والسبعون

لا يحوّلن أحد شيئاً من الأواني الذهبية، أو الفضية أو الأغطية، التي كُرست للخدمة في الكنيسة، لاستعماله الخاص خلافاً للشريعة، وكل من اشتهر بإقدامه على ذلك، فليُقطع من الشركة.

القانون الرابع والسبعون

أي أسقف اتُهم بزلة من قِبل قوم موثوق بصدقهم، يجب أن يستدعيه الأساقفة للنظر بأمره، فإذا حضر واعترف بزلته، أو وُجد مذنباً، فيُفرض عليه العقاب الملائم. ولكن إذا دُعي ولم يحضر، فليُدعَ ثانية بإرسال أسقفين إليه لهذه الغاية، وإذا أبى مع ذلك الحضور، فليُدعَ ثالثة بإرسال أسقفين أيضاً إليه، ولكن إذا أصر على إهمال الدعوة، ولم يحضر، فليلفظ المجمع الحكم، بحسب ما يراه واجباً، لئلا يظن أنه استفاد بعدم حضوره.

القانون الخامس والسبعون

لا يُقبَل مبتدع شاهداً ضد أسقف، ولا تُقبل شهادة مؤمن واحد، لأنه "على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة"[٢٠٠].

القانون السادس والسبعون

لا يجوز لأسقف، إكراماً لأخ أو ابن، أو أي ذي قرابة، أن يشرطن من يريده ذلك الشخص للدرجة الأسقفية، إذ ليس من العدل، أن يجعل ورثاء للأسقفية، واهباً ما يختص بالله، مندفعاً بالعاطفة البشرية، ولا يحسن أيضاً أن تخضع كنيسة الله للورثاء، فمن أقدم على شيء من هذا القبيل، فلتكن سيامته باطلة، وليُعاقَب بالقطع من الشركة.

القانون السابع والسبعون

أي شخص أعور أو أعرج، ولكنه مستحق من كل وجه آخر، أن يكون أسقفاً، فليُشرطَن لأن النقص الجسدي لا يدنس أحداً، بل دنس النفس[٢٠١].

القانون الثامن والسبعون

من كان أصم أو أعمى، لا يجوز أن يصير أسقفاً، ليس لأنه تدنس بسبب ذلك، بل لئلا تتعطل مصالح الكنيسة.

القانون التاسع والسبعون

كل من به شيطان، لا يجوز أن يصير إكليريكياً، ولا أن يصلّي مع المؤمنين، ولكنه إذا تحرر من الشيطان، فليُقبَل في الشركة، وإذا وُجد مستحقاً، فيجوز أن يُشرطَن.

---

٢٠٠ تث ٦/١٧؛ متى ١٦/١٨؛ ١طيم ١٩/٥.
٢٠١ راجع اح ١٨/٢١-٢٠.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الثمانون

لا يجوز لمن ارتد من الوثنية واعتمد، أو من رجع عن سيرة شريرة، أن يصبح حالاً أسقفاً، لأنه ليس من الصواب، أن من كان هو نفسه في حاجة إلى الإرشاد، أن يصبح معلماً للآخرين، ما لم يكن ذلك على أثر ظهور علامة في اختيار النعمة الإلهية له[٢٠٢].

القانون الحادي والثمانون

قلنا سابقاً إن الأسقف أو الكاهن، لا يجوز أن ينهمك في إدارة المصالح العالمية، بل يجب أن يتجرد لخدمة مصلحة الكنيسة، فإذا لم يقتنع بذلك، فليُعزل، لأن السيد قال: "لا يستطيع أحد أن يخدم ربين"[٢٠٣].

القانون الثاني والثمانون

لا يؤذن لأي عبد أن يُرقّى إلى رتبة إكليريكية، بدون رضى سيده، لما يسببه ذلك من الاضطراب في منزله، على أنه إذا وُجد أحد الأرقاء مستحقاً للسيامة، كما حدث في حادثة اونوسيموس، ووافق سيده على اعتاقه وإطلاق سبيله[٢٠٤]، فيجوز أن يُشرطَن.

القانون الثالث والثمانون

أي أسقف أو كاهن أو شماس، يذهب للخدمة في الجيش، ويحاول البقاء في الوظيفتين معاً: الرومانية (أي المدنية) والكهنوتية، فليُسقَط، لأن "ما لقيصر لقيصر، وما لله لله"[٢٠٥].

القانون الرابع والثمانون

كل من يشتم ملكاً أو حاكماً، خلافاً للحق والعدل، فليُعاقَب، أما الإكليريكي فبالعزل، وأما العامي، فبالقطع من الشركة.

القانون الخامس والثمانون

لتكن الكتب الآتية، محترمة ومقدسة عندكم جميعاً، من إكليريكيين وعلمانيين. في العهد القديم: أسفار موسى الخمسة: التكوين، والخروج، والأحبار، والعدد، وتثنية الاشتراع، ويشوع بن نون، والقضاة، وراعوت، وأسفار الملوك الأربعة، وأخبار الأيام،

٢٠٢ راجع عمل ١٩/١٠-١٦.
٢٠٣ لو ١٦/١٣.
٢٠٤ راجع ف ١٠-٢١.
٢٠٥ لو ٢٠/٢٥.

وعزرا، واستير، ويهوديت، وأسفار المكابيين الثلاثة، وأيوب، والمزامير، وأسفار سليمان الثلاثة، أي الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد، وأسفار الأنبياء الاثني عشر، واشعيا، وارميا، وحزقيال، ودانيال. وفيما عدا هذه الأسفار، نوصيكم أن تعلّموا أحداثكم، حكمة سيراخ الواسع الإطلاع.

أما كتبنا، أي كتب العهد الجديد، فهي: الأناجيل الأربعة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا، ورسائل بولس الأربع عشرة، ورسالتا بطرس، ورسائل يوحنا الثلاث، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورسالتان لاكليمنضوس[٢٠٦]، وأوامري أنا اكليمنضوس، الموجهة إلى الأساقفة في ثمانية كتب، وهذه لا ينبغي إشهارها للجميع، لما فيها من المواضيع السرية، وأعمالنا نحن الرسل.

٤١

رسالة مجمع إنطاكية (٢٦٨) إلى جميع الأساقفة ضد بولس السميساطي

إلى ديونيسيوس[٢٠٧] ومكسيموس[٢٠٨]، وإلى كل زملائنا، الأساقفة والكهنة والشمامسة، الخادمين في كل أنحاء العالم، وإلى كل الكنيسة الجامعة تحت السماء،

سلام للاخوة المحبوبين في الرب، من هيلينوس، وهمنايس، وثيوفيلوس، وثيوتكنوس، ومكسيموس، وبروكلوس، ونيكوماس، واليانوس، وبولس، وبولانوس، وبروتوجينيس، وهيراكس، وافتيخيوس، وثيودوروس، ولوكيوس وسائر الباقين، المقيمين معنا في المدن، والأمم المجاورة، من أساقفة وكهنة، وشمامسة كنائس الله.

لقد كتبنا أيضاً إلى أساقفة كثيرين، حتى من أماكن بعيدة، وحثثناهم على المجيء، ليساعدونا في إيجاد العلاج لهذه التعاليم المميتة، ومن بينهم ديونيسيوس السكندري، وفرمليانوس الكبادوكي الطوباويين: أما الأول، فإذ اعتبر منشئ هذه البدعة ورئيسها، غير جدير بأن يوجه إليه أي خطاب، ولا حتى إلقاء التحية عليه، بعث برسالة إلى إنطاكية، موجهة لا إليه، بل إلى كل الأبرشية، وقد أرفقنا نسخة عنها في نهاية الرسالة[٢٠٩].

٢٠٦ إنه اكليمنضوس أسقف روما.
٢٠٧ ديونيسيوس أسقف روما (٢٥٩-٢٦٨).
٢٠٨ مكسيموس أسقف الإسكندرية (٢٦٤-٢٨٢).
٢٠٩ هذه الرسالة مفقودة.

www.old-criticism.blogspot.com

وأما فرمليانوس فقد أتى مرتين، وشجب بدعته، كما نعرف ونشهد، نحن الذين كنا حاضرين، وكما يعرف آخرون كثيرون. ولكن بولس، إذ وعد بتعديل آرائه، صدّقه فرمليانوس، وأمل أن تُحل القضية حسب الأصول، ودون أن تُمس العقيدة بأي ضرر أو أذى. ولذلك أرجأ الأمر، إذ خدعه هذا الرجل، الذي أنكر حتى إلهه وربه[٢١٠]، ولم يحفظ الإيمان الذي كان يعتقده سابقاً.

وكان فرمليانوس في طريقه ثانية إلى إنطاكية، وقد وصل حتى طرسوس، لأنه علم بالاختبار شره وإنكاره لله، ولكنه توفي بينما كنا مجتمعين، ومنتظرين وصوله.

بما أنه [بولس] قد انحرف عن الجادة [الإيمان]، وارتد إلى تعاليم كاذبة وزائفة، فليس من الضروري -طالما كان قد أُخرج خارجاً- إصدار أي حكم على تصرفاته. ولا حتى إنه كان في الماضي فقيراً معدماً، لأنه لم يرث أي ثروة من آبائه، ولم يجنِ أي موارد من أي تجارة أو أي عمل آخر، إلا أنه الآن أصبح يمتلك ثروة طائلة بسبب شروره، وانتهاكه حرمة المعابد وسلبه للاخوة، وحرمان المظلومين من حقوقهم، ووعده لهم بمساعدتهم، نظير أجر معين مع أنه يضللهم، وينهب أولئك الذين في ضيقهم، يكونون مستعدين أن يُعطوا، ليصطلحوا مع ظالميهم، ظانين أن الدين تجارة[٢١١].

أو غطرسته وكبريائه وانتفاخه، وادعائه الكرامة العالمية[٢١٢]، مفضلاً أن يُدعى وكيل الملكة، على أن يُدعى أسقفاً. وكان يتمشى في الساحات العامة بزهو، قارئاً بعض الرسائل بصوت مسموع، وكان يرد عليها علناً بينما هو يسير، يحف به حرس بعدد وافر، بعضهم يتقدمه وبعضهم يتبعه، حتى أضحى الإيمان مكروهاً ومحسوداً، بسبب كبريائه وغطرسة قلبه. وكان يمارس في الاجتماعات الكنسية، الألاعيب السحرية الخداعة، مريداً تمجيد نفسه، وإذهال عقول البسطاء، واستثارة حماسة الآخرين بمثل هذه الأعمال. وأعد لنفسه مصطبة وعرشاً مرتفعين، الأمر الذي لا يليق به كتلميذ للمسيح، ومكتباً خاصاً كحكام العالم، ضارباً بيده على فخذه، وبقدميه على المصطبة، وكان يوبخ ويهين الذين لا يصفقون له، ولا يلوحون بمناديلهم كما يحدث في المسارح، ولا يصيحون ويقفزون كالرجال والنساء المحيطين به، الذين يصغون إليه بهذه الطريقة الشائنة، بل يصغون بوقار، كأنهم في بيت الله. وكان يُهاجم مهاجمة عنيفة علنية، مفسري الكلمة الذين غادروا هذه الحياة، وكان يعظم نفسه لا كأسقف، بل كفيلسوف ومشعوذ.

٢١٠ راجع يهو ٤.
٢١١ راجع ١ طيم ٦/٥.
٢١٢ راجع ١ طيم ٦/١٧.

وقد أبطل الترانيم الخاصة بإكرام ربنا يسوع المسيح، وكأنها اختراعات حديثة، أو كأنها لرجال معاصرين. وكان يدرب النسوة لإنشاد الترانيم لشخصه، وسط الكنيسة يوم عيد الفصح العظيم، مما تقشعر له الأبدان عند سماعهن. وقد سمح للأساقفة والكهنة، الذين يتملقونه بعظاتهم أمام الشعب، في الأرياف والمدن المجاورة، سمح لهؤلاء وحدهم بالتكلم.

وقد رفض الاعتراف معنا، أن ابن الله نزل من السماء، وهذا ما سنبينه فيما بعد. وليس هذا مجرد كلام، بل قامت عليه الأدلة الكثيرة، من الكتابات التي أرسلناها إليكم، والأدهى من هذا قوله، إن يسوع المسيح من أسفل. أما الذين يرنمون له ويمدحونه بين الشعب، فيقولون إن معلمهم الكافر ملاك نزل من السماء. ولم يأمر ذلك المتعجرف بمنع هذه، بل لا يستنكف حينما تُقال بحضوره.

وهناك النساء اللواتي يسميهن أهالي إنطاكية "أمينات الدار" المنتميات له، والكهنة والشمامسة الذين معه، وبالرغم من أنه يعرف هؤلاء الأشخاص، وأثبت عليهم جريمتهم، إلا أنه تستر على هذه الخطية وخطاياهم الأخرى الشنيعة، وحتى يكونوا مدينين له، ولكي لا يجرؤا على اتهامه بسبب أقواله وأفعاله الخبيثة، خوفاً على أنفسهم، على أنه قد جعلهم أيضاً أثرياء، لهذا أحبه الطامعون في هذا الثراء، واعجبوا به.

لماذا نحن نكتب هذه الأشياء؟ نحن نعلم، أيها الأحباء، أن الأسقف وكل الإكليروس، يجب أن يكونوا مثلاً[٢١٣] في كل الأعمال الصالحة[٢١٤]، ونحن لا نجهل كم من أشخاص، قد سقطوا بسبب النسوة اللاتي أسكنوهن عندهم؛ وكم من أشخاص شُككوا، من مثل هذه الأمور، لذلك وحتى لو افترضنا أنه لم يرتكب أي عمل خاطئ، إلا أنه كان يجب أن يتجنب التشكك الناشئ من أمر كهذا، لئلا يعثر أحداً، أو يدفع الآخرين للإقتداء به.

وكيف يستطيع توبيخ أو تحذير أي شخص آخر، من الاختلاط الكثير بالنساء، لئلا يسقط كما كُتب[٢١٥]، إن كان هو نفسه قد طرد واحدة، ومعه الآن اثنتان جميلتان في ريع الشباب، يأخذهما معه أينما ذهب، وهو يعيش في نفس الوقت في البذخ والتنعم؟

بسبب كل هذه الأمور يكتئب الجميع وينوحون. ولكنهم إذ يخشون ظلمه وبطشه، لا يجرؤون على اتهامه.

لكن، كما قلنا سابقاً، إذا كان يجوز للمرء استدعاء الرجل، لمحاسبته عن هذه التصرفات، لو كانت عقيدته سليمة، ولو كان معدوداً معنا، فإننا لا نراه من الضروري،

٢١٣ راجع ١ طيم ١٢/٤.
٢١٤ راجع ٢ طيم ٢٤/٢، ١٧/٣.
٢١٥ راجع سي ٢٥؛ ١ قور ١٢/١٠.

www.old-criticism.blogspot.com

أن نطلب منه تفسيراً لهذه الأمور، طالما كان قد أهان السر[٢١٦]، وطالما كان يتشدق مفاخراً بهرطقة ارتيماس (ولماذا علينا أن نبرهن على ما هو واضح، وهو أنه أبوه؟).

لقد اضطررنا، بعد أن حرمنا غريم الله، على الرغم من مقاومته ورفضه الطاعة، أن نقيم أسقفاً آخر للكنيسة الجامعة بدلاً منه. ونعتقد أننا بإرشاد إلهي، قد أقمنا دومنوس[٢١٧]، المتزين بكل الصفات اللائقة بالأسقف، وهو ابن ديمتريانوس المبارك، الذي سبق أن ترأس نفس الأبرشية بكيفية ممتازة. وقد أعلمناكم بهذا، لكي تكتبوا إليه، وتتقبلوا منه رسائل الشركة. وأما الآخر، فليكتب ذلك الرجل إلى ارتيماس، وليكتب إليه مشايعو ارتيماس.[٢١٨]

٤٢

مرسوم التسامح للإمبراطور غاليانوس (٢٦٠)

الإمبراطور قيصر بوبليوس ليكينيوس غاليانوس[٢١٩]، بيوس فيليكس اوغوسطوس، إلى ديونيسيوس وديمتريوس[٢٢٠]، والأساقفة الآخرين.

لقد أصدرت، أمري بإغداق هباتي على كل العالم، وبإخلاء أماكن العبادة، وبالتالي يمكنكم استخدام هذه الصورة من أمري، لكي لا يزعجكم أحد. وهذا الذي تستطيعون فعله الآن شرعاً، قد سبق أن منحته منذ زمن طويل[٢٢١]. لذلك فسيتولى تنفيذ أمري هذا الذي أعطيته، اوريليوس كويرينوس*، المتولي إدارة جميع الشؤون.

٢١٦ راجع ١طيم ١٦/٣.

٢١٧ على الرغم من أن دومنوس انتُخب سنة ٢٦٨، مكان بولس السميساطي، إلا أنه لم يتمكن من استلام كرسيه قبل سنة ٢٧١-٢٧٢، عندما استولى الرومان على إنطاكية مجدداً.

٢١٨ هذه رسالة مجمع إنطاكية، للحكم على بولس السميساطي، المنعقد سنة ٢٦٨.

٢١٩ غاليانوس قيصر كان إمبراطوراً من ٢٦٠-٢٦٨.

٢٢٠ ديونيسيوس أسقف الإسكندرية (٢٤٧-٢٦٤)، وديمتريوس أو بالأحرى ديمتريانوس أسقف إنطاكية (٢٥٣-٢٦٠).

٢٢١ يشير إلى الحرية التي يتمتعون بها، والتي قد أصدر بها أمراً منذ زمن طويل، بعد ارتقائه عرش الإمبراطورية مباشرة، ولكنها لم تنفذ في مصر في الحال، بسبب مكريانوس الوالي. ويعترف للمسيحية بحق الملكية.

* اوريليوس كويرينوس Aurélius Quirinus

٤٣

مرسوم اضطهاد مكسيمينوس دايا (٣٠٥)

ها إن قوة العقل البشري الضعيفة، قد تعافت أخيراً، فأزاحت وبددت كل ضباب مظلم، وكل ضلالة استأثرت قبل الآن، بحواس أناس غير كفرة بل تعساء، وأحاطتهم بظلمة الجهل المدمرة. أما الآن، فهم يعرفون أن عناية الآلهة الخالدة، تحكم وتثبت كل شيء. ومما يفوق التعبير، أن نصف لكم مقدار سرورنا ورضانا، وشكرنا بسبب ما قدمتموه لنا، من برهان على مشاعركم الورعة وثباتكم. لأن الجميع، منذ زمن طويل، يشهد لكم بما كنتم تظهرونه، من تقوى وورع نحو الآلهة الخالدة. لأنكم أظهرتم إيمانكم بهم، ليس بمجرد كلمات خاوية لا معنى لها، بل بالمواظبة على الأعمال المدهشة المجيدة.

لذلك يليق أن تُلقب مدينتكم بحق، كرسي الآلهة الخالدة ومقراً لها: وهي تبدو بوضوح -من علامات كثيرة- أنها تزدهر وتنمو، بفضل وجود الآلهة السماوية فيها. وها هي مدينتكم، عندما أدركت أن أصحاب تلك الضلالة الممقوتة، قد بدأوا ينتشرون ثانية، مثل محطبة خامدة ومنطفأة، بدأت جذوتها تشتعل مجدداً، فانبعثت منها نيران ملتهبة، سببت حرائق متأججة- ها هي مدينتكم، غضت الطرف عن مصالحها الخاصة وامتيازاتها، وأهملت مطالبها الخاصة السابقة، ولجأت للتو إلى قداستنا، كما إلى مركز كل الديانات، طالبة العلاج والمعونة.

وواضح أن الآلهة قد ألهمتكم هذا الفكرة الراجحة الخلاصية، بسبب إيمانكم وتقواكم. لذلك فإن جوبيتر[٢٢٢]، الإله العظيم المتعالي، الذي يرأس مدينتكم المزدهرة، والذي يصون آلهة أجدادكم، وزوجاتكم وأولادكم، ومساكنكم وبيوتكم، من كل وباء مهلك، قد غرس في نفوسكم تلك العزيمة السليمة، وأبان وبرهن، كم هو سامٍ ومجيد وشافٍ، ممارسة العبادة والشعائر المقدسة، للآلهة الخالدة بالاحترام اللائق.

لأنه من ذا الجاهل أو الخالي من كل فهم، الذي لا يدرك أنه بسبب عناية الآلهة، لا ترفض الأرض البذور التي تزرع فيها، ولا تخيّب رجاء الزارع. وأن الحروب الأثيمة، ليست محتمة على الأرض. وأن الأجساد البالية تنحدر إلى الموت، تحت تأثير الجو الفاسد. وأن البحر لا ينتفخ ويعلو بفعل الرياح العاتية، وأن الأعاصير المفاجئة، لا

٢٢٢ جوبيتر رئيس أو كبير الآلهة لدى الرومان، ويقابله عند اليونان زفس.

www.old-criticism.blogspot.com

تتسبب عنها العواصف المدمرة. وأن الأرض، مغذية الجميع وأمهم، لا تتزعزع أعماقها بفعل الزلازل الرهيبة. وأن الجبال التي عليها، لا تغوص في الثغرات العميقة. ولا يجهل أحد، أن كل هذه الشرور، وسواها مما هو أفظع منها وأشر، كثيراً ما حدثت في الماضي.

وقد حصلت كل هذه المصائب، بسبب الأخطاء المدمرة، المنبعثة من غرور هؤلاء الأشرار الذين لا شريعة لهم، عندما تملك هذا الضلال على نفوسهم، ونكاد نقول، إنه غطى كل الأرض بالخزي والعار.

فلينظروا الآن إلى السهول الفسيحة، حيث المحاصيل المزدهرة والسنابل المتمايلة، والمروج الزاهية بنباتها وأزهارها، بسبب الأمطار الغزيرة، واعتدال الجو وجماله.

وليفرح الجميع أيضاً لأن [الآلهة] قد رضيت عن تقوانا، واحتفالاتنا الدينية وتبجيلنا لها، فخففت من شدة الرياح القوية، ومنحتنا طقساً معتدلاً. وليسعد الجميع، وليتمتعوا إذاً بالسلام الكامل الثابت! وليغتبط أكثر الكل، الذين ابتعدوا عن تلك الضلالة وذلك العمى، وعادوا إلى التفكير السليم الصحيح، كمن قد نجا من عاصفة مباغتة، أو من مرض خطير، وليقطفوا ثمار السعادة، باقي أيام حياتهم.

أما إذا أصروا على البقاء في حماقتهم اللعينة، فاطردوهم وأبعدوهم عن مدينتكم وأراضيكم، كما طالبتم. فتستطيع مدينتكم -بعد أن تتحرر من كل دنس وكفر- ممارسة الشعائر المقدسة للآلهة الخالدة، بالإكرام اللائق بها، وفقاً لغيرتكم الممدوحة في هذا الأمر، ووفقاً لميولها الطبيعية.

وحتى تعرفوا، كيف كانت مطالبكم في هذا الموضوع، مقبولة لدينا، وحتى تعرفوا مقدار استعدادنا لإغداق الإحسانات طوعاً، بغض النظر عن التماساتكم وعن طلباتكم، فإننا نسمح لقداستكم، بأن تسألوا أي هبة -مهما عظُمت- مكافأة لكم على ميولكم الصالحة هذه.

أسأل الآن أن تستعدوا لتنالوا هذه الهبة[٢٢٣]، لأنكم ستحصلون عليها دونما إبطاء، وإذا ما مُنحت هذه الهبة لمدينتكم، فستُقدم دليلاً مستمراً على تقواكم، الثمين لدى الآلهة، نحو الآلهة الخالدة؛ وهي ستكون الدليل لأولادكم ولنسلكم، أنكم قد نلتم، من جودنا وكرمنا، مكافآت عادلة ومتناسبة مع مبادئ حياتكم.[٢٢٤]

٢٢٣ لا نعرف هبة أخرى غير إبادة الديانة المسيحية.

٢٢٤ صدر هذا الأمر عن الإمبراطور مكسيمينوس دايا عام ٣٠٥. وقد نُشر في كل المقاطعات، ونُقش على أعمدة من نحاس في المدن. وهذا النص موجه إلى مدينة صور.

٤٤

مرسوم مكسيمينوس الإمبراطور في مصلحة المسيحيين

الإمبراطور قيصر غايوس فاليريوس مكسيمينوس، جرمانيكوس سارماتيكوس، بيوس، فيليكس، انفيكتوس، اوغوسطوس[٢٢٥].

نعتقد أن أحداً لا يجهل المواضيع، بل بالأحرى من يتطلع إلى الماضي، يعلم ويدرك أننا في كل ناحية، اعتنينا دوماً بخير مواطنينا، ونتمنى أن نمدهم بكل ما يعود بالخير على الجميع، والنفع العام، وكل ما يؤدي إلى المصلحة العامة، ويتفق مع آراء كل واحد.

لذلك، فإنه عندما اتضح لنا في الماضي، أنه تحت ستار أوامر أبوينا الجليلين ديوكليسيانوس ومكسيميانوس، التي كانت تحرم عقد اجتماعات المسيحيين، ارتكب الموظفون عمليات سلب ونهب وحجز أملاك كثيرة، وأن تلك الشرور، كانت في تزايد مستمر لخراب مواطنينا، الذين نود دوماً أن نبذل معهم العناية الواجبة، وأن ممتلكاتهم كانت تتبدد نتيجة لهذا. لذلك أصدرت أوامر في العام الماضي، إلى حكام كل مقاطعة، أمرنا فيها السماح، لمن يريد تأدية أي نوع من الشعائر الدينية، بإتمام غايته من دون معاكسة، ويجب أن لا يعوقه أو يمنعه أي أحد، ويجب أن تمنح الحرية للجميع ليتصرفوا كما يريدون دون خوف أو شك. على أننا لا نطيق أن نرى بعض القضاة، ينتهكون أوامرنا، ويعطون شعبنا فرصة للشك في معنى تدابيرنا، ويجعلونهم يتلكأون بتأدية الشعائر الدينية التي يرتاحون لها. فلكي يتم انتزاع كل أثر للشك أو الخوف في المستقبل، أمرنا بإذاعة هذا الأمر الملكي، لكي يتضح للجميع، أن كل من أراد اعتناق هذا المذهب وهذه الديانة سُمح له، بناء على هبتنا هذه، وأن لكل الحق له باعتناق الديانة التي يختارها، وفقاً لعادته كما يريد، وكما يحلو له، ومصرح لهم كذلك ببناء كنائسهم.

ولكي تزداد هبتنا هذه عظمة، رأينا من المناسب، أن نأمر أيضاً أنه إن كانت هناك بيوت أو أراض تملكها المسيحيون شرعاً قبل الآن، ولكنها صارت ملكاً للحكومة، بناء على أمر أبوينا، أو صودرت في أي مدينة كانت، سواء كانت قد بيعت أو قدمت هدية لأي كان، وجب إعادتها إلى ملاكها الأصليين المسيحيين، لكي يعرف كل واحد في هذه أيضاً، تقوانا وعنايتنا.[٢٢٦]

٢٢٥ هذه الكلمات الأربع هي نعوت، كان الرومانيون يصفون بها أباطرتهم وملوكهم، وهي تعني "التقي والسعيد، والذي لا يُقهر والعظيم".

٢٢٦ أصدر الإمبراطور مكسيمينوس دايا هذا المرسوم عام ٣١٣، بعد هزيمته أمام ليكينيوس في المقطعات الشرقية، من الإمبراطورية الرومانية.

www.old-criticism.blogspot.com

٤٥

الأمر الملكي الصادر سنة ٣١١

الإمبراطور قيصر غاليريوس فاليريوس مكسيميانوس، انفيكتوس، اوغوسطوس، رئيس الكهنة الأعظم، قاهر الألمان، قاهر المصريين، قاهر أهل طيبة، قاهر السرماتيين خمس مرات، قاهر الفرس، قاهر أهل كربات مرتين، قاهر الأرمن ست مرات، قاهر الميديين، قاهر الاديابيين، المحامي عن حقوق الشعب للمرة العشرين، الإمبراطور للمرة التاسعة عشرة، الوالي للمرة الثامنة، أبو المملكة، الوالي.

والإمبراطور قيصر فلافيوس فاليريوس قسطنطين، بيوس، فيليكس، انفيكتوس، اوغوسطوس، رئيس الكهنة الأعظم، المحامي عن حقوق الشعب، الإمبراطور للمرة الخامسة، الوالي، أبو المملكة، الحاكم.

والإمبراطور قيصر فاليريوس ليكينيوس، بيوس، فيليكس، انفيكتوس، اوغوسطوس، رئيس الكهنة الأعظم، المحامي عن حقوق الشعب للمرة الرابعة، والإمبراطور للمرة الثالثة، الوالي، أبو المملكة، الحاكم.

إلى شعب بلادهم سلام.

لقد اتخذنا إجراءات للصالح العام، فأبدينا أولاً، الرغبة في رد كل شيء إلى الحالة اللائقة بالقوانين القديمة، ونظام الرومانيين العام، ولضمان رجوع المسيحيين، الذين هجروا ديانة أجدادهم إلى رشدهم.

ولكن ونتيجة تفكيرهم، قد استولى عليهم الكبرياء إلى حد كبير، حتى إنهم لم يتبعوا الفرائض القديمة، وما أسسه أجدادهم أنفسهم، بل أقاموا لأنفسهم قوانين، حسب أهوائهم، واتبعوها، واجتمعوا جماعات متفرقة في أماكن مختلفة.

ولما كنا قد أصدرنا مرسوماً، بوجوب رجوعهم إلى مؤسسات أجدادهم، فتحمّل عدد وافر منهم شتى أنواع العذاب والموت. خضع الكثيرون أمام الخطر، ولكن عدداً وفيراً جداً، تضايقوا وتحمّلوا كل أنواع الموت.

ونظراً لأن غالبيتهم استمرت في حماقتهم، ولاحظنا أنهم لا يقدّمون العبادة اللائقة، لا للآلهة السماوية، ولا لإله المسيحيين. فمراعاة لمحبتنا للبشر، وعادتنا الثابتة، التي اعتدنا بموجبها أن نعفو عن الجميع، اعتزمنا أن يشمل عفونا هذه الأمور أيضاً، حتى

يرجعوا إلى ديانتهم، ويُعيدوا بناء الأماكن التي اعتادوا الاجتماع فيها، شرط ألا يعملوا شيئاً يعكر النظام العام. وسوف نبين للولاة في رسالة أخرى، ما يجب عليهم إتباعه.

وبالمقابل، وبناء على هذا الصفح الذي أودعناه، عليهم أن يتضرعوا لإلههم من أجل سلامتنا، وسلامة الشعب وسلامتهم، ولكي تكون المصالح العامة والأعمال بحالة جيدة، وحتى يعيشوا في بيوتهم آمنين.[٢٢٧]

٤٦

مرسوم ميلانو (٣١٣)

إننا إذ أدركنا منذ عهد طويل، أن الحرية الدينية، يجب أن لا يُحرم منها أحد، بل ينبغي أن يُترك لحكم كل فرد ورغبته، الاهتمام بالأمور الإلهية وفق اختياره، لهذا سبق ودعونا المسيحيين، إلى الاحتفاظ بإيمانهم وبعقيدتهم وديانتهم[٢٢٨].

ولكن، نظراً أنه جرى إدخال بعض التغييرات، وبعض الشروط على هذا المرسوم، الذي بمقتضاه مُنحت الحرية لهؤلاء المسيحيين أنفسهم، فربما يكون قد حصل، أن مُنع بعضهم من ممارسة هذه العبادة.

وعندما حضرنا إلى ميلانو في ظروف طيبة، أنا قسطنطين اوغوسطوس، وأنا ليكينيوس اوغوسطوس، وفتشنا عما يؤول إلى الخير العام ورفاهية الشعب، بدا لنا أن من بين الأشياء، التي هي تفيد الجميع من نواحي عدة، فاعتزمنا أول كل شيء، أن نصدر الأوامر التي تحفظ احترام الألوهية وإكرامها، أي أننا قررنا منح المسيحيين، وكذا كل الناس، حرية اختيار الديانة التي يريدون، بحيث يكون كل من لديه إله أو قوة سماوية، خيّراً معنا ومع كل العائشين تحت سلطتنا.

لذلك قررنا، بقصد مستقيم ونوايا سليمة، ألا يُحرم أي واحد من حرية اختيار وإتباع ديانة المسيحيين. وأن تُعطى الحرية لكل واحد، لاعتناق الديانة التي يراها ملائمة لنفسه، لكي تظهر لنا الألوهية في كل المناسبات لطفها المعهود وعنايتها المعتادة.

---

٢٢٧ نُشر هذا الأمر في نيقوميديا في ٣٠ نيسان من عام ٣١١، وتوفي الإمبراطور غاليريوس في ٥ أيار من السنة ذاتها.

٢٢٨ راجع مرسوم غاليريوس سنة ٣١١.

www.old-criticism.blogspot.com

وقد رأينا مناسباً أن نصدر هـذا المرسوم، حتى تُلغى نهائياً تلك الحالات، التي تضمنتها رسالتنا السابق إرسالها إلى فطنتكم؛ فيسرنا إلغاء كل ما يبدو قاسياً جداً، وغير متفق مع لطفنا، ومن الآن فصاعداً، فإن من يريد إتباع ديانة المسيحيين، فليُسمح له بهذا بكل حرية وبساطة، ومن دون أي إزعاج. هذا ما قررناه، ونوكله بالكامل إلى رعايتكم، لكي تعرفوا أننا منحنا هؤلاء المسيحيين كامل الحرية، ودون أي عقبة، في أن يمارسوا فرائض ديانتهم. وطالما كنا منحناهم هذا الحق باختيارنا، ومن دون ضرورة، فمن ذلك تدرك فطنتكم، أن هذا الحق ممنوح أيضا للآخرين، الذين يريدون ممارسة فرائض ديانتهم، وهذا ما يتفق والهدوء الشامل في أيامنا: أن يكون لكل واحد حرية الاختيار، والانضمام إلى الديانة التي يريد. وهذا ما قررناه، لكي لا يُظن، بأي شكل من الأشكال، أننا متحاملون على أي طائفة أو ديانة.

وعلاوة على ذلك، هذا ما نقرّه، فيما يخص المسيحيين، بالنسبة إلى الأماكن التي اعتادوا الاجتماع فيها سابقاً، والتي سبق أن صدر عنها أمر مخالف[٢٢٩] لهذا، في رسالتنا السابق إرسالها إلى فطنتكم، فإذا ظهر أن أحداً اشتراها، إما من خزانتنا، أو من أي شخص آخر، وجب ردها لهؤلاء المسيحيين من غير إبطاء أو تردد، ودون مطالبتهم بثمنها، وإن كان أحد قد قبل تلك الأماكن، كهبة وجب ردها بأسرع ما يمكن لهؤلاء المسيحيين.

وليكن معلوماً، إن كان الذين اشتروا هذه الأماكن، أو الذين قبلوها هدية، يطلبون شيئاً من جودنا، فليذهبوا إلى قاضي الناحية، لكي يُعطوا شيئاً من قِبل كرمنا. ولترد كل هذه الممتلكات برعايتكم إلى جماعة المسيحيين بكاملها، وفي الحال وبدون إبطاء.

ونظراً لأنه معروف، بأن هؤلاء المسيحيين، لم يتملكوا فقط هذه الأماكن التي اعتادوا الاجتماع فيها، بل أماكن أخرى أيضاً، لم تكن ملكاً للأفراد، بل للجماعة كمؤسسة، أي لمؤسسة المسيحيين، فأصدر الأوامر برد هذه الأملاك أيضاً من دون إبطاء، وفقاً للأمر السابق ذكره، إلى هؤلاء المسيحيين، أي إلى مؤسستهم وهيئتهم، مع مراعاة الترتيبات السابق ذكرها بطبيعة الحال، أي أن الذين يردونها بدون ثمن، كما قدمنا، يصح أن يطالبوا بتعويض من جودنا.

وفي كل هذه الأمور، ومراعاة لمصلحة جماعة المسيحيين السابق ذكرهم، ابذلوا أقصى جهدكم، لإتمام أوامرنا بسرعة، ولكي يتوفر الهدوء والسلام في هذا أيضاً. لأنه بهذه الطريقة، كما قدمنا، تستمر رحمة الله معنا دوماً، الأمر الذي اختبرناه في كثير من الأمور.

٢٢٩ ربما يتكلم هنا عن مرسوم مكسيمينوس لسنة ٣١٢.

ولكي يعرف الجميع تفاصيل أوامرنا الرحيمة هذه وكرمنا، أرجو أن تنشروا مكتوبنا هذا في كل مكان، وتعلنوه للجميع، حتى لا تبقى أوامرنا الرحيمة هذه، مجهولة عند أي امرئ.

٤٧
مرسوم قسطنطين لصالح الكنيسة

تحية لك عزيزي انولينوس[٢٣٠]،

من عادة محبتنا، أيها العزيز انولينوس، أننا نريد، ليس فقط أن تبقى حقوق الآخرين دون مساس، بل أيضاً أن تُعاد إليهم.

لذلك نريد، حالما تصلك هذه الرسالة، إن كانت هناك أشياء كهذه، ملك لكنيسة المسيحيين الجامعة، في أي مدينة أو مكان آخر، ولكنها الآن في حوزة المواطنين أو غيرهم، وجب أن تأمر بردها حالاً إلى الكنائس. لأننا قررنا فعلاً، أنه يجب أن تُرد لهذه الكنائس تلك الأشياء، التي كانت تملكها سابقاً.

ونظراً لأن فطنتك تدرك، أن أمرنا هذا واضح كل الوضوح، فعجّل بأن ترد إلى تلك الكنائس، بأسرع ما يمكن، كل ما كانت تملكه سابقاً، سواء كانت حدائق أو مبانٍ، أو أي شيء آخر، حتى نعلم أنك أطعت أمرنا هذا، بكل حرص.

السلام لك يا عزيزي انولينوس، المحبوب جداً.

٤٨
رسالة الإمبراطور قسطنطين إلى البابا لعقد مجمع في روما

من قسطنطين اوغوسطوس، إلى ملتيادوس أسقف روما[٢٣١]، وإلى مرقس[٢٣٢]،

٢٣٠ انولينوس هو والي إفريقيا الروماني.
٢٣١ ملتيادوس بابا روما من سنة ٣١١ إلى ٣١٤.
٢٣٢ لا نعرف من هو مرقس هذا، هو الأرجح كاهن من روما، وربما أصبح هو نفسه، فيما بعد، أسقف روما سنة ٣٣٦.

www.old-criticism.blogspot.com

نظراً لأن انولينوس والي إفريقيا العظيم، قد أرسل إلي عدة رسائل، قيل فيها إن سيسيليانوس أسقف مدينة قرطاجة، وُجهت إليه تهم كثيرة من بعض زملائه في إفريقيا، ونظراً لأنه يبدو لي، إنه لأمر خطير جداً، أن يسلك الشعب -في تلك الأقطار التي عهدت إلي العناية الإلهية رعايتها، والتي يقطنها عدد وافر من السكان- طريقاً خاطئاً بسبب مسألة تافهة، وأن يكونوا منقسمين إلى أحزاب، وأن يكون الأساقفة مختلفين.

فأرى من المناسب، أن يُبحر سيسيليانوس نفسه، إلى روما ومعه عشرة من الأساقفة الذين يتهمونه، وعشرة آخرون ممن يراهم ملتزمين الدفاع عنه، لكي تسمع أقواله هناك، بوجودكم ووجود ريتيكيوس[٢٣٣] وماتيرنوس[٢٣٤] ومارينوس[٢٣٥]، زملائكم، الذين طلبت منهم الإسراع إلى روما لهذا الغرض، وهكذا يدافع عن نفسه، كما تعرف، وفق الشريعة العظيمة.

ومن جهة أخرى، كي تكون لديكم معرفة كاملة عن هذه الأمور، أرفقت برسالتي صور المستندات التي أرسلها إلى انولينوس، كما أرسلتها أيضاً إلى زملائكم المشار إليهم. وإذا ما اطلعتم عليها، استطعتم بحث هذه القضية بدقة، وحكمتم فيها بعدل. لأنه لا يغيب على فطنتكم، أنني أحترم الكنيسة الجامعة الشرعية احتراماً تاماً، لذا، أريدكما أن تكونوا حازمين، وأن لا تتركوا أي مجال للانشقاق، أو الانقسام في أي مكان.

ليحفظكم لاهوت الله العظيم، سنين كثيرة يا سيدي الموقرين.[٢٣٦]

٤٩

رسالة الإمبراطور قسطنطين إلى خريستوس لعقد مجمع

قسطنطين اوغوسطوس، إلى خريستوس أسقف سيراكوزا[٢٣٧]،

لما بدأ البعض يختلفون فيما بينهم بخبث، فيما يتعلق بالعبادة الطاهرة، والقوة السماوية، والعقيدة الجامعة، رأيت أن أضع حداً، لمثل هذه المنازعات الحاصلة بينهم،

٢٣٣ كان ريتيكيوس Réticius أسقفاً في بلاد الغال.
٢٣٤ كان ماتيرنوس Maternus أسقف كولونيا.
٢٣٥ كان مارينوس Marinus أسقف مدينة آرل.
٢٣٦ كتب قسطنطين هذه الرسالة سنة ٣١٣. وعلى أثرها عقد البابا ميليتيادوس مجمعاً محلياً في روما، حضره بالإضافة إلى الأساقفة الغاليين المذكورين في الرسالة، خمسة عشر أسقفاً إيطالياً، برئاسة البابا بالطبع؛ وحكم هذا المجمع على دوناتوس وأتباعه، وذلك في تشرين الأول من تلك السنة.
٢٣٧ خريستوس أسقف سيراكوزا (إيطاليا) Chrestus de Syracuse

فأصدرت الأوامر، بأن يقوم بعض الأساقفة من بلاد الغال، وأن يُستدعى من إفريقيا الطرفان المتخاصمان، اللذان كانا يتنازعان فيما بينهما باستمرار وعناد، لكي يُفحص بكل دقة، موضوع النزاع بحضورهم وحضور أسقف روما، فينال الجميع حلاً منصفاً للقضية!

ولكن، نظراً لأن البعض قد تناسى خلاصهم، والإكرام الخليق بالديانة المقدسة، لم يضعوا حداً للعداء، ولم يخضعوا للحكم السابق صدوره[٢٣٨]، زاعمين أن الذين أعطوا رأيهم وقرارهم، كانوا قليلي العدد، أو أنهم تسرعوا وتهوروا في إبداء حكمهم، قبل فحص كل الأمور، التي كان يتطلب الموقف فحصها بدقة.

من أجل كل ذلك، حدث أن الذين كان عليهم، أن يحتفظوا بعلاقات الأخوة والمودة بين بعضهم البعض، إنقسموا فيما بينهم، وهذا ما يدعو إلى الخزي والعار. فأعطوا بذلك فرصة وحجة للغرباء، عن هذه الديانة الطاهرة، للاستهزاء. لذلك رأيت من الضروري، أن يُوضع حد الآن، إذا كان ذلك ممكناً، وبوجود الكثيرين، لهذه المنازعات التي كان يجب أن تتلاشى فيما بينهم، وتزول بموافقتهم الحرة، بعد الحكم الصادر.

ونظراً لأننا من أجل هذا، قد أمرنا أن يجتمع عدد وافر من الأساقفة، من أماكن مختلفة في مدينة آرل[٢٣٩]، قبل أول شهر آب، وقد رأينا أن من المناسب، أن نكتب لك أيضاً، لكي تحصل من لاترونيانوس* العظيم، وقائد شرطة صقلية، على عربة عمومية، وتختار اثنين آخرين من الرتبة الثانية[٢٤٠] لتأخذهما معك، وتصطحب ثلاثة خدام لخدمتك في الطريق، حتى تصل إلى المكان المذكور، في اليوم المحدد.

لكي يتم، بحكمتك واتفاق ووحدة الآخرين المجتمعين، حسم هذا الانقسام الذي طال حتى الآن، بطريقة بائسة ومزرية، بسبب بعض المنازعات المخجلة، بعد أن يُستمع لكل ما يصرح به الطرفان المتنازعان، اللذان أمرناهما أيضاً بالحضور، فيستقر كل شيء، وفق ما يليق بالديانة والإيمان السليم، والوحدة الأخوية، وتعود الوحدة الأخوية، ولو تدريجياً.

ليحفظك الله القدير بصحة جيدة، سنين عديدة.

٢٣٨ يتكلم هنا عن مجمع روما لعام ٣١٣.
٢٣٩ آرل Arles ؛ مدينة في جنوب فرنسا، بقرب مصب نهر الرون.
* لاترونيانوس Latroninus
٢٤٠ أي كاهنين.

www.old-criticism.blogspot.com

٥٠

رسالة قسطنطين إلى سيسيليانوس القرطاجي في إعطاء أموال إلى الكنائس

قسطنطين اوغوسطوس، إلى سيسيليانوس أسقف قرطاجة،

يسرنا أن نمنح، في كل أقطار إفريقيا ونوميديا وموريتانيا، بعض الهبات، لبعض خدام الديانة المقدسة، المُعترف بها قانونياً، لتغطية نفقاتهم، لذا كتبت إلى اورسوس وزير مالية إفريقيا، وأمرته أن يدفع إلى فطنتكم، ثلاثة آلاف كيس[٢٤١]. ومتى استلمت المبلغ المشار إليه، أعطِ أمراً بأن تُوزع هذه الأموال، على جميع المذكورين في اللائحة، التي أرسلها إليك اوسيوس [أسقف قرطبة].

وإذا وجدت أنه ينقصك أي شيء، لإتمام غايتنا نحو جميع أولئك المذكورين، فاطلب بدون تردد من هيراكليديس *، أمين خزانتنا الخاصة، كل ما تراه ضرورياً. لأنني أمرته، عندما كان بطرفنا، أن يدفع إليك فوراً، ودون تردد، كل ما تطلبه منه.

ونظراً لأنني علمت أن بعض ذوي النوايا الخبيثة، يريدون أن يحولوا الشعب عن الكنيسة الجامعة المقدسة، نحو تعاليم مدنسة ومزيفة، اعلم أنني أمرت الوالي انولينوس، وكذلك نائب الوالي باتريكيوس، لما كانا حاضرين، أن يبذلا عناية فائقة، ليس فقط نحو الأمور الأخرى، بل أيضاً نحو هذا الأمر خاصة، وألا يغضا الطرف عنه.

لذا، فإذا رأيت أشخاصاً مثل هؤلاء مستمرين في هذا الجنون، فاذهب تواً وبدون تردد، إلى القاضيين المذكورين، واشرح لهما الأمر، كي يستطيعا ردع هؤلاء عن خطأهم، كما أمرتهما لما كانا هنا.

ليحفظك لاهوت الله العظيم، لسنين كثيرة.

٥١

رسالة قسطنطين إلى انولينوس، لإعفاء رؤساء الكنائس من الواجبات السياسية

السلام لك يا عزيزنا انولينوس،

٢٤١ الكيس Follis، وهي نوع من العملة الرومانية المستعملة آنذاك؛ ولا تُعرف بالتحديد قيمتها.

* هيراكليديس Héraclidis

نظراً لما اتضح لنا من معطيات كثيرة، بأنه لدى احتقار الديانة التي توفر الإكرام العظيم، للقوة السماوية المقدسة، تتعرض المصالح العامة لأخطار شديدة، ولكن، عندما تُتبع وتمارس حسناً، فهي تعود بالازدهار العام، والتقدم العظيم للاسم الروماني، والخير لكل مصالح البشر: هذه هي الخيرات التي يدبر صلاح الله.

وبالتالي بدا لي، أيها العزيز انولينوس، أنه من المناسب، أن الذين يقدمون، بالقداسة المفروض أن يمارسوها، وبمراعاة هذا القانون، خدماتهم الشخصية، من أجل هذه الديانة السماوية، أن يتلقوا التعويض المناسب عن أتعابهم.

فيسرني أن يتمم المقيمون في المقاطعة، التي أُوكل إليك أمر إدارتها، خدمتهم في الكنيسة الجامعة، التي يرأسها سيسيليانوس، نحو هذه الديانة المقدسة، وهم الذين يُدعون عادة "الإكليروس". لهذا أريد أن يُعفى هؤلاء نهائياً، من كل الوظائف العامة، حتى لا يتحولوا بسبب أي خطأ أو تدنيس الأشياء المقدسة، عن الخدمة الواجبة للألوهية، بل على عكس ذلك، ينبغي أن يطيعوا قانونهم الخاص بدون أي عائق. فإن هم قدموا العبادة لله العظيم، فهذا ينتج خيراً عظيماً للمصالح العامة.

سلام لك، أيها العزيز انولينوس والمحبوب.[٢٤٢]

٥٢

رسالة مجمع آرل (نحو سنة ٣١٤) إلى البابا سلفستروس وقوانينه

عزيزنا البابا سلفستروس،

مارينوس، اكراتيوس، ناتاليس، ثيودوروس، بروتيريوس، فوكيوس، فيروس، بروباتيوس، سيسيليانوس، فوستوس، سورجنتيوس، غريغوريوس، ريتيكيوس، امبيتوسوس، تيرماتيوس، ميروكلس، باردوس، ادلفيوس، ابيرنيوس، فورتوناتوس، اريسطاسيوس، لامباديوس، فيتاليس، ماتيرنوس، ليبيريوس، غريغوريوس، كريشينسيوس، افيتيانوس، دافنوس، اورانتاليس، كوينتاسيوس، فيكتور، فيكتور (ثان)، ابيكتيتوس، سلام في الرب إلى الأبد،

٢٤٢ صدر هذا المرسوم في ٣١٣/١٠/٣١. ولكن هذا الإعفاء أُعطي للإكليروس الإفريقي من ربيع ٣١٣، لأن جواب انولينوس مؤرخ في ٣١٣/٤/١٥.

www.old-criticism.blogspot.com

نحييك، أيها البابا المجيد، بالاحترام الذي تستحق، نحن المجتمعين في مدينة آرل، بإرادة الإمبراطور الكلي الورع، والمتحدين برباط المحبة المشتركة، ووثاق وحدة الكنيسة الجامعة الأم.

لقد مُنِيَ إيماننا وتقليدنا، بهجوم خطر وجسيم، من قبل أناس متهورين. ولكن تم دحرهم بسلطان الله الحاضر ، وبالتقليد وبقانون الحقيقة. فلم يبقَ لديهم أي حجة، ولا أي إمكانية للاتهام ولا للبرهان. لذا أُدين هؤلاء الرجال، وطُردوا بحكم الله، وحكم أمنا الكنيسة، التي تعرف أبناءها وتقبلهم.

حبذا لو قدّرت قيمة حضورك، أيها الأخ العزيز، لمشاهدة مشهد بهذه الأهمية. نعتقد، بالتأكيد، أنه لكان أعطى الحكم الصادر ضدهم وزناً أكبر، ولكان اجتماعنا ازداد بهجة، برؤيتك تحكم بتوافق الرأي معنا.

ولكن، بما أنك لم تتمكن من أن تترك مكان إقامة الرسل الدائمة، وحيث يشهد دمهم باستمرار، عن مجد الله...

وقد اعتبرنا، أيها الأخ العزيز، ألا نتدارس فقط، المواضيع التي من أجلها دُعينا، فقررنا أخذ التدابير التي تخصنا نحن بالذات. وإن اختلاف المقاطعات التي أتينا منها، تتناسب مع تنوع القوانين التي ارتأينا ضرورة حفظها.

بدا لنا مستحسناً، بحضور الروح القدس وملائكته، أن نُصدر أحكاماً، بخصوص النقاط المطروحة من كل واحد منا، كما لو كنت حاضراً. وبدا لنا محبذاً أيضاً، أن ننال موافقة رؤساء المقاطعات الأكثر أهمية، وأن تكون لك الأفضلية في إعلام الجميع بذلك.

وإليك ما قررنا، ملحقاً برسالتنا هذه.

القانون الأول

بما يخص قاعدة فصح الرب، فلنتبع جميعنا في كل أنحاء المعمورة، اليوم والزمن نفسه. وعليك أن توجه رسائل إلى الجميع، حسب العادة المتبعة.

القانون الثاني

على أعضاء الإكليروس، الذين سيموا خداماً لمكان معين، أن يبقوا في أماكنهم.

القانون الثالث

كل من رفض حمل السلاح زمن السلم، فليُقطع من الشركة.[٢٤٣]

٢٤٣ يدين هذا القانون من يرفض الخدمة العسكرية.

القانون الرابع

تقرر أن يبقى خارج الشركة، المعمد حوذي الألعاب في السيرك، طالما يمارس هذه المهنة.

القانون الخامس

تقرر أيضاً أن يبقى خارج الشركة، الممثل في المسرح، طالما يمارس هذه المهنة.

القانون السادس

تقرر أن توضع الأيدي على المرضى، الذين يرغبون باعتناق المسيحية.

القانون السابع

تقرر أن تُرسَل رسائل شركة كنسية، إلى الحكام المؤمنين والعاملين في الحقل الإداري، بشرط أن يراقبهم الأسقف المحليّ، حيثما يمارسون مهامهم، وأن يُقطعوا من الشركة، في حال ارتكابهم أعمالاً مخالفة للنظام [الكنسي].

القانون الثامن

بما يخص الأفارقة الذين يتبعون عرفاً خاصاً بهم، وهو إعادة المعمودية، فقد تقرر أن يُسأل المرتد من هرطقة إلى الكنيسة، عن قانون الإيمان، وفي حال التأكد من أنه تعمد باسم الآب والابن والروح القدس، فلتوضع الأيدي عليه فقط، ليأخذ الروح القدس. أما إذا لم يعترف، لدى سؤاله، بهذا الثالوث، فليُعمد.

القانون التاسع

تقرر أن تُمنح رسائل شركة، إلى أولئك الذين يحملون رسائل من معترفين، بعد أن تُسحب منهم هذه الرسائل، والرسائل المعطاة من آخرين.

القانون العاشر

تقرر أن يُنصح، على قدر المستطاع، أولئك الذين يفاجئون زوجاتهم في جُرم الزنى، وهم من المؤمنين الشبان، ويُمنع عليهم بالتالي أن يتزوجوا ثانية، ألا يأخذوا زوجة أخرى لهم، طالما زوجتهم حية، بالرغم من أنها زانية.

القانون الحادي عشر

تقرر أن تبقى خارج الشركة، لفترة من الزمن، الفتيات المؤمنات اللاتي يتزوجن بوثنيين.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الثاني عشر

تقرر أن يُقطع من الشركة، وفقاً لشريعة الله، رجال الإكليروس الذين يقرضون بالربا.

القانون الثالث عشر

فيما يخص الذين يُقال إنهم سلّموا الكتب المقدسة، والأواني المكرسة، أو أفشوا أسماء اخوتهم[٢٤٤]؛ قررنا أن أي شخص منهم، يُثبَت عليه ذلك رسمياً، وليس فقط بإبلاغ، يُصرف من مصف الإكليروس. وإذا ما تبين فيما بعد، أن هؤلاء قد ساموا، وكان ثمة أسباب لصالح من ساموهم، تقرر أن تكون هذه السيامة صحيحة.

ولأن كثر هم الذين نراهم يعارضون الكنيسة، ويظنون أنه يمكن قبولهم كمتهمين، بإحضارهم شهود زور، فهذا أمر غير مسموح به البتة. ويُقبل ذلك، كما ذُكر أعلاه، في حال تقديمهم مستندات رسمية.

القانون الرابع عشر

تقرر أن يُقطع من الشركة حتى الموت، كل من يتهم اخوته زوراً.

القانون الخامس عشر

تقرر أن يُمنع على الشمامسة، وقد علمنا أنهم يقدمون الذبائح للأصنام في أماكن كثيرة، من تقديم مثل هذه الأضاحي مجدداً.

القانون السادس عشر

تقرر أن الذين قُطعوا، لأخطاء ارتكبوها، أن يُعادوا إلى الشركة، حيث قُطعوا.

القانون السابع عشر

لا يتطاول أي أسقف، على حقوق الأساقفة الآخرين.

القانون الثامن عشر

لا يكن لشمامسة المدينة[٢٤٥] أطماع، ولكن، ليحافظوا على الاحترام الواجب للكهنة، فلا يُقدِمون على شيء من غير علمهم.

---

٢٤٤ أي أثناء الاضطهاد.
٢٤٥ المدينة تعني روما.

القانون التاسع عشر

تقرر أن يُعطى الأساقفة الغرباء الزائرين المدينة حسب العادات، مكاناً حتى يتمكنوا من تقديم الذبيحة.

القانون العشرون

تقرر أن لا يستأثر أحد من الأساقفة، حق سيامة أسقف منفرداً، ولكن، فلتتم السيامة باجتماع سبعة أساقفة. وفي حال عدم إمكانية ذلك، فلا يتجاسر أحد أن يقوم بالسيامة، ما لم يكونوا على الأقل ثلاثة.

القانون الحادي والعشرون

تقرر، بالنسبة للكهنة والشمامسة، الذين يهجرون الأبرشية المنتمين إليها، ويذهبون ليستقروا في أمكنة أخرى، أن يقوموا بخِدَمهم في أبرشياتهم فقط. وأما مخالفو هذا الأمر، فليُخلعوا.

القانون الثاني والعشرون

تقرر ألا تُمنح المناولة المقدسة، لأولئك الذين طلبوا المناولة بسبب مرضهم، وكانوا قد جحدوا، ولكنهم لم يعودوا إلى الكنيسة، ولم يندموا ويلتمسوا التوبة، ما لم يبرؤوا ويقدموا ثماراً لائقة بالتوبة.

٥٣

قوانين مجمع أنقيرة (نحو ٣١٤)

القانون الأول

كل كاهن يقدم الذبائح، ثم يتوب ويتابع الجهاد، ليس سطحياً (ظاهرياً) فقط بل حقيقة، يبقى متمتعاً بكرامات وظيفته. إنما لا يجوز له بعد، لا أن يقدم الذبيحة، ولا أن يعظ، ولا أن يقوم بأي وظيفة كهنوتية.

القانون الثاني

وكذلك الشمامسة، الذين ذبحوا وعادوا إلى الجهاد، يحتفظون بكرامات وظائفهم، إنما لا يجوز لهم من الآن فصاعداً، لا أن يقوموا بأي خدمة مقدسة، ولا أن يقدّموا الخبز

www.old-criticism.blogspot.com

والخمر[٢٤٦]، كما لا يحق لهم أن يعظوا. ويحق للأساقفة، إذا ما رأوا فيهم توبة حارة وتواضعاً، أن يزدادوا نحوهم، تساهلاً أو صرامة.

القانون الثالث

إن الذين كانوا قد هربوا من وجه الاضطهاد، ولكنهم اعتُقلوا، لخيانة من ذويهم، وتعرضوا بشدة لحجز ممتلكاتهم، واحتملوا العذابات والسجن، ومع ذلك، ظلوا يعلنون أنهم مسيحيون، ولكنهم تراجعوا فيما بعد، مرغمين من معذبيهم، الذين دسوا لهم البخور عنوة في أيديهم، أو شيئاً من لحم ذبائح الأوثان، ولكنهم بالرغم من كل ذلك، لم ينقطعوا عن الاعتراف بأنهم مسيحيون، وبرهنوا عن أسفهم عما حدث لهم، بانسحاقهم وتواضعهم. ولأن أولئك لم يرتكبوا أي خطأ، لذا لا يجوز أن يُحرموا شركة الكنيسة. وإذا كانوا قد تحمّلوا ذلك، بسبب قسوة أسقفهم أو جهله، فعليهم أن يُعادوا إلى الشركة حالاً. ينطبق هذا على الإكليروس، كما على العلمانيين. ويجب فحص قضية العلمانيين، الذين تعرضوا لعنف جسدي (أي الذين أُرغموا على تقدمة الذبائح بالتعذيب)، إن كان هناك إمكانية ترقيتهم في مصف الإكليروس. ونرسم أن باستطاعتهم أن يُرقّوا، على أساس أنهم لم يقترفوا أي خطأ (خلال تقديم الذبائح)، شرط أن تكون حياتهم الماضية خالية من العيب.

القانون الرابع

أما بالنسبة للذين أُرغموا على تقديم الذبائح، وأكلوا كذلك من اللحوم المكرسة للآلهة (أي الذين أُرغموا أن يشتركوا بمآدب الذبائح)، فإن المجمع يستن أن هؤلاء، على الرغم أنهم ذهبوا إلى الذبائح مجبرين، ولكنهم ذهبوا إلى هنالك فرحين، مرتدين أحسن ثياب لديهم، وبدون أي أسى (كما لو أنهم لم يميزوا بين هذه المأدبة وبين سواها) وأكلوا، فليبقوا سنة مع المستمعين، وثلاث سنوات مع الراكعين، ومن ثم، يشتركون في الصلوات مع المصلّين مدة سنتين، وأخيراً، يمكن قبولهم نهائياً في الشركة التامة.

القانون الخامس

إن الذين ذهبوا في ثياب حداد، وأكلوا وهم يبكون طوال المأدبة، فليبقوا ثلاث سنوات مع الراكعين، دون أن يشتركوا في التقدمة. وإن لم يأكلوا، فليقيموا مع الراكعين سنتين، وفي السنة الثالثة، يشتركون في الصلوات دون التقدمة، وفي السنة الرابعة، يمكن قبولهم نهائياً. يحق للأساقفة، بعد أن يختبروا سلوك كل منهم، أن يخففوا

٢٤٦ إلى المحتفل، أو إلى المتناولين.

العقوبات، أو أن يمددوا مدة التوبة. لكن يجب فحص ما سبق السقوط وما تلاه، والتصرف على أساس نتيجة هذا الفحص.

القانون السادس

أما بالنسبة لأولئك الذين ذبحوا للأوثان، تحت تهديد حجز ممتلكاتهم أو نفيهم فقط، ولم يتوبوا حتى اليوم، ولم يرتدوا، بل اغتنموا فرصة انعقاد هذا المجمع، وتقدموا مصممين على الارتداد والتوبة، فنرسم أن يبقوا مع السامعين، حتى العيد الكبير (الفصح)، وبعده فليبقوا مع الراكعين ثلاث سنوات، ثم سنتين مع المشتركين في الصلوات، دون أن يشتركوا في التقدمة، عندها فقط، يمكن قبولهم في الشركة التامة، بحيث أن يكون زمن توبتهم ستّ سنوات.

أما أولئك الذين قُبلوا في التوبة قبل هذا المجمع، فتُحسب لهم السنين الستّ، منذ بدء توبتهم. وإذا ما تعرضوا لخطر، أو كانت حياتهم مهددة بسبب مرض، أو إذا كان هناك أي سبب آخر خطير، فليقبلوا طبقاً للأنظمة.

القانون السابع

إن الذين اشتركوا في وليمة وثنية، وهم عارفون أن هذا المكان مخصص لمثل هذه الأمور، ولكنهم جلبوا معهم طعامهم وأكلوا منه، فليُقبلوا بعد أن يمضوا سنتين مع الراكعين. ويعود لكل أسقف قرار اشتراكهم في التقدمة، بعد أن يفحص سيرة كل فرد منهم.

القانون الثامن

إن الذين ذبحوا مرغمين مرتين أو ثلاث، فليبقوا أربع سنوات مع الراكعين، ثم سنتين مع المصلّين دون التقدمة، وليُقبلوا في الشركة بعد هذه السنوات الست.

القانون التاسع

إن الذين لم يكتفوا بجحد الإيمان، بل أصبحوا أعداء اخوتهم، بإكراههم على الجحود، أو كانوا سبب الضغط الممارس عليهم، فليبقوا ثلاث سنوات مع السامعين، ثم ست سنوات مع الراكعين، ثم سنة مع المصلّين دون الاشتراك في التقدمة. ولا يمكن قبولهم في شركة الإفخارستيا، إلا بعد انقضاء عشر سنوات في التوبة. ويجب فحص سيرتهم خلال هذه الفترة.

القانون العاشر

إذا صرح الشمامسة، وقت انتخابهم، أنهم لا يستطيعون العيش في العزوبية، وينوون الزواج، وإذا تزوجوا فعلياً، يمكنهم متابعة وظيفتهم، لأن أسقفهم سمح لهم

www.old-criticism.blogspot.com

بالزواج (وقت انتخابهم). أما إذا سكتوا وقت انتخابهم وقبلوا، لدى سيامتهم، العيش في العزوبية، وتزوجوا فيما بعد، فإنهم يفقدون درجتهم الشماسية.

القانون الحادي عشر

إن الفتيات المخطوبات، اللواتي يُخطفن من آخر، ينبغي إعادتهن إلى خطّابهن، ولو تعدى عليهن خاطفوهن.

القانون الثاني عشر

إن الذين ضحوا للأصنام الوثنية قبل معموديتهم، ومن ثم عُمدوا، يجوز قبولهم بالدرجات المقدسة، لأنهم تطهروا (بالمعمودية) من كل خطاياهم السابقة.

القانون الثالث عشر

يُمنع على الخور أساقفة من أن يشرطنوا الكهنة والشمامسة. ويُمنع أيضاً على خوارنة المدن [العمل] في أبرشيات غيرهم، بدون تفويض خطي من الأسقف المحلي.

القانون الرابع عشر

يجب أن يتذوق الكهنة والإكليروس، من اللحم الذي يمتنعون عن أكله، لكن باستطاعتهم فيما بعد، إذا ما أرادوا، أن يصوموا عنها. وإذا أنفوا منها، ولم يتناولوا حتى خضاراً مطبوخة مع اللحمة، فإنهم يعصون بذلك هذا القانون، فيجب خلعهم من مصف الإكليروس.

القانون الخامس عشر

إذا باع الكهنة، خلال شغور الكرسي الأسقفي، بعض الأشياء من أملاك الكنيسة، يجب أن تسترد. ويعود للأسقف بأن يقرر إعادة ما دفعه المشترون ساعة الشراء، لأنه غالباً ما توازي قيمة الانتفاع من الأشياء المباعة، سعر شرائها.

القانون السادس عشر

كل الذين يرتكبون أعمالاً شائنة مع الحيوانات، أو ما زالوا يقترفونها، ولم يبلغ عمرهم العشرين عاماً عندما اقترفوها، فليبقوا خمس عشرة سنة مع السامعين، وليُقبلوا فيما بعد مع المصلّين دون التقدمة، ويستطيعون بعد هذه المدة الاشتراك في الذبيحة. ويجب فحص سلوكهم، أثناء فترة توبتهم مع الراكعين، مع مراعاة الحياة التي يعيشون. أما الذين عاشوا في هذه الخطيئة بإفراط، فليبقوا لفترة طويلة مع الراكعين. أما الذين كان

سنهم يتجاوز العشرين وكانوا متزوجين، ومع ذلك سقطوا في هذه الخطيئة، فليُقيموا خمساً وعشرين سنة مع الراكعين، وخمس سنين مع المصلّين، يمكنهم بعدها الاشتراك بالذبيحة. أما الرجال المتزوجون، وفاق عمرهم الخامسة والعشرين عاماً، وسقطوا في هذه الخطيئة، فلن يُسمح لهم بقبول المناولة، إلا عند احتضارهم.

القانون السابع عشر

يأمر المجمع، أن يصلّي الأبرص الذي دنس نفسه مع البهائم، ونقل عدوى برصه إلى سواه، مع الواقفين خارج الكنيسة.

القانون الثامن عشر

إن من انتُخب أسقفاً، ولكن الأبرشية التي انتُخب لها لم تقبله، واندس في أبرشية أخرى، واعتدى على أسقفها الشرعي، وأثار الشغب ضده، فليُقطع. ولكن إذا أراد الأسقف، أن يقيم بصفة كاهن بسيط ، حيث كان كاهناً حتى انتخابه، فلا يفقد رتبته. وإذا أثار فتناً ضد الأسقف المحلي، فليُجرد من درجته الكهنوتية، وليُطرد من الكنيسة.

القانون التاسع عشر

إن كل الذين كرسوا بتوليتهم لله، ثم نكلوا عهدهم، فلتَسرِ عليهم المراسيم والقوانين الخاصة بذي الزوجتين. ونمنع أيضاً أن تعيش العذارى مع الرجال، كأخوات لهم.

القانون العشرون

يجب أن يبقى الرجال والنساء، الذين ارتكبوا الزنى، سبع سنوات في درجات التوبة المختلفة، ويُقبَلوا في نهايتها في الشركة.

القانون الحادي والعشرون

يرسم القانون القديم، أن تُقطع النساء اللواتي يتعهرن، واللواتي يجهضن الأجنة، واللواتي يسعين لإجهاضهن، إلى نهاية حياتهن. ولقد قررنا تخفيف هذا القانون: عليهن أن يقضين عشر سنوات، في درجات التوبة المختلفة.

القانون الثاني والعشرون

إن الذين يقتلون عمداً، فليبقوا مع الراكعين، ولا يُسمح لهم أن يُقبَلوا في الشركة، إلا في نهاية حياتهم.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الثالث والعشرون

أما الذين يقتلون عن غير عمد، فالقانون السابق، يحكم عليهم بالبقاء سبع سنوات في التوبة، قبل أن يُقبَلوا في الشركة، على أننا نجعل مدة العقاب في هذا القانون الثاني، خمسة أعوام.

القانون الرابع والعشرون

كل من يتنبأ بالمستقبل، ومن يتبع العادات الوثنية، ومن يأتي بالسحرة إلى منزله، ليكشفوا له عن تعويذات، أو للتكفير، فليبق خمس سنوات في التوبة، أي ثلاث سنوات مع الراكعين، وسنتين مع المصلّين دون تقدمة.

القانون الخامس والعشرون

إذا خطب شاب فتاة، وافتض بكارة أختها، فحبلت منه، ثم إنه تزوج خطيبته، وانتحرت أخت زوجته، فقد تقرر أن لا يُقبَل كل المشاركين في هذا الجرم، مع الواقفين خارجاً، إلا بعد عشر سنوات من التوبة.

٥٤

قوانين مجمع قيصرية الجديدة (٣١٥-٣٢٥؟)

القانون الأول

إذا تزوج كاهن، فليُقطع من الكهنوت. وإذا زنى فليُقطع، وليخضع للتوبة.

القانون الثاني

إذا تزوجت امرأة من أخوين، فلتُقطع حتى ساعة موتها. ولكن إذا ما تعهدت، في حال شفائها، أن تقطع هذه العلاقة غير الشرعية، يمكن عندئذ قبولها في التوبة، تطبيقاً لفعل الرحمة. أما إذا توفي الزوج أو الزوجة وما زالا مرتبطين، تكون التوبة للزوج الحي قاسية جداً.

القانون الثالث

إن زمن التوبة، المفروض على الذين تزوجوا عدة مرات معروف تماماً. ويساعد حسن سيرتهم، وصدق إيمانهم على اختصار هذه المدة.

القانون الرابع

إن الذي يشتهي امرأة، وينوي مساكنتها ولا يحقق نيته، فالظاهر أنه نجا بقوة النعمة.

القانون الخامس

إذا خطئ موعوظ، وقُبل في الكنيسة في مصاف الموعوظين، مع الراكعين، فليُقِم مع السامعين، إلى أن يكف عن الخطيئة. وإذا ارتكب خطيئة، وهو مع السامعين، فليُقطع نهائياً.

القانون السادس

يمكن أن تُعمد المرأة الحبلى حينما تشاء: لأن لا علاقة لجنينها بمعموديتها، نظراً لأن الإيمان أمر شخصي.

القانون السابع

لا يجوز للكاهن، أن يُشارك في وليمة عرس من يتزوج زيجة ثانية. لأن على من تزوج زيجة ثانية أن يخضع للتوبة. فما هو موقف الكاهن، الذي يكون قد وافق على هذا الزواج، بحضوره وليمة العرس؟

القانون الثامن

إذا خانت امرأة علماني الأمانة الزوجية، وإذا أُثبت ذنبها علانية، فلا يمكن قبول زوجها في الخدمة الكهنوتية. أما إذا خرقت شريعة الزواج، بعد سيامة زوجها، فعلى هذا أن يتخلى عنها. وإذا ما تابع العيش معها، بالرغم من كل ذلك، فلا يمكنه المحافظة على واجباته الكهنوتية.

القانون التاسع

إذا اقترف كاهن خطيئة زنى قبل سيامته، وأعترف بزلته، فلا يجوز أن يُقدّم الذبيحة. ولكن يمكنه، بسبب غيرته، أن يتابع بقية واجباته، لأن السيامة الكهنوتية تمحو الخطايا الأخرى، حسبما يؤكد الكثيرون. أما إذا لم يعترف، ولم يمكن إثبات ذلك، فتقدمتها يعود لضميره.

القانون العاشر

وليكن كذلك للشماس الذي ارتكب الخطيئة عينها، فلا يجوز له أن يقوم بعدئذ، إلا بواجبات الدرجة الأدنى.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الحادي عشر

لا يُسام أحد قبل بلوغه الثلاثين من عمره. وعليه الانتظار، حتى ولو كان مستحقاً، لأن ربنا يسوع المسيح، تعمد وبدأ رسالته، وهو في الثلاثين من عمره.

القانون الثاني عشر

لا يمكن للذي تعمد وهو مريض، أن يُصبح كاهناً، لأنه أقر بإيمانه وطلب المعمودية عن ضرورة، وليس عن اختيار حر. أما إذا برهن فيما بعد، عن غيرة كبيرة وإيمان حي، أو كان هناك نقص في الإكليروس، فيمكن سيامته.

القانون الثالث عشر

لا يجوز لكهنة الريف، أن يقدّموا الذبيحة في كنيسة المدينة (الكاتدرائية)، بحضور الأسقف أو كهنة المدينة، كما أنه لا يمكنهم توزيع المناولة المقدسة. أما إذا كان الأسقف وكهنته غائبين، ودُعي كاهن الريف إلى الاحتفال، عندها يجوز له ذلك.

القانون الرابع عشر

يمثل الخور أساقفة تلاميذ المسيح السبعين كمساعدين. وبسبب عنايتهم بالفقراء، يجوز لهم بهذه الصفة، تقديم الذبيحة الإلهية.

القانون الخامس عشر

يجب أن لا يتجاوز عدد الشمامسة السبعة، في المدن كلها، والدليل على ذلك، ما ذُكر في سفر أعمال الرسل.

٥٥

قوانين مجمع غنغرة (منتصف القرن الرابع)

القانون الأول

كل من يطعن في الزواج، ويحتقر ويبكّت امرأة مسيحية تقية، تعيش مع زوجها، وكأنها لا تستطيع أن تدخل ملكوت السماوات، فليُبسل.

القانون الثاني

كل من يدين الذي يأكل لحماً (وهو خال من لحم ذبائح الأصنام واللحم المخنوق)، وهو مسيحي تقي، كما لو أنه يفقد بهذا أي رجاء بالخلاص، فليُبسل.

القانون الثالث

كل من يُعلّم، بحجة التقوى، عبداً أن يحتقر سيده، ويرفض خدمته، عوض أن يبقى خادماً صالحاً ومحترماً، فليُبسل.

القانون الرابع

كل من يظن أنه لا يجوز الاشتراك في الذبيحة الإلهية، التي يحتفل بها كاهن متزوج، فليُبسل.

القانون الخامس

كل من يُعلّم ازدراء بيت الله، والاجتماعات التي تقام فيه، فليُبسل.

القانون السادس

كل من يُبعَد من الكنيسة، ويقيم اجتماعات خاصة، ويريد عن احتقار، أن يقيم ما هو من حق الكنيسة وحدها، وبدون حضور الكاهن المكلّف من الأسقف، فليُبسل.

القانون السابع

كل من يريد استلام الثمار المقدمة للكنيسة، وتوزيعها بمعزل عن الكنيسة، ودون موافقة الأسقف، أو الوكيل المعيّن لهذه الخدمة، أو يرفض أن يتقيّد برأيه، فليُبسل.

القانون الثامن

كل من يعطي أو يأخذ لذاته، من الثمار المقدمة للذبيحة، دون موافقة الأسقف، أو الوكيل المكلّف من الأسقف لإدارة الهبات، فليُبسل كلاهما على السواء.

القانون التاسع

كل من يعيش حافظاً العفة، أو ممتنعاً عن الزواج احتقاراً له، وليس بسبب جمال قداسة البتولية، فليُبسل.

القانون العاشر

كل من يمتنع عن الزواج إكراماً للرب، وينظر المتزوجين بعين الكبرياء، فليُبسل.

القانون الحادي عشر

كل من يحتقر الذين يقيمون موائد المحبة، إكراماً للرب بروح الإيمان، ويدعون إليها إخوتهم، فيرفض قبول هذه الدعوة ازدراء، فليُبسل.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الثاني عشر

إذا لبس رجل الجبة، بحجة التنسك والتقشف، مدّعياً أنه صار باراً بهذا العمل، وازدرى العائشين في التقوى، ويلبسون الثياب كعامة الشعب، فليُبسل.

القانون الثالث عشر

إذا بدلت امرأة ثيابها، بحجة التنسك والتقشف، وارتدت ملابس رجال، عوض ثياب النساء الملائمة لها، فلتُبسل.

القانون الرابع عشر

إذا تركت امرأة زوجها، وصممت على الانفصال عنه، إزدراء بالزواج، فلتُبسل.

القانون الخامس عشر

إذا هجر أحدهم أولاده، بحجة التنسك، ولم يُربِّهم، وإذا لم يُدرّبهم على التقوى المناسبة لهم، ما دام في استطاعته ذلك، فليُبسل.

القانون السادس عشر

إن الأولاد، خاصة أولاد الأهالي المسيحيين، الذين يودّون هجر والديهم بحجة التقوى، ولا يقدّمون لهم الإكرام الواجب، مدّعين أن تقواهم لا تفترض تقديم الإكرام للأهل، فليُبسلوا.

القانون السابع عشر

إذا قصّت امرأة، بحجة النسك، شعرها، الذي وهبه الله لها، ليذكّرها بخضوعها له، كما لتتملص من أمر هذا الخضوع، فلتُبسل.

القانون الثامن عشر

كل من يصوم أيام الآحاد بحجة النسك، فليُبسل.

القانون التاسع عشر

إذا لم يحافظ ناسك، دون ضرورة صحية، بل عن كبرياء، على الأصوام التقليدية التي تفرضها الكنيسة، مدّعياً أنه يملك ذكاء أسمى، فليُبسل.

القانون العشرون

كل من ينتقد بعجرفة، ويهين اجتماعات إكرام الشهداء، أو القداديس المقامة لأجلهم، أو تذكاراتهم، فليُبسل.

الخاتمة أو القانون الحادي والعشرون

نكتب هذا الكتاب، لا لنقطع من كنيسة الله، الذين يرغبون في الحياة النسكية، سائرين طِبق قوانين الكنيسة المقدسة، بل لنقطع أولئك الذين يدفعهم كبرياء نسكهم، إلى التعالي فوق الناس العاديين، ويريدون استحداث أمور متناقضة مع الكتاب المقدس وقوانين الكنيسة. نحن نُجلّ الحياة البتولية التي يرافقها التواضع، ونمدح العفة مع التقوى والرزانة. ونحن نتفهم أن يبتعد البعض بتواضع عن أمور العالم، كما نكرّم الزواج باعتباره حالة لائقة، ولا نزدري الغنى عندما يرافقه العدل والأعمال الصالحة. ونثني على بساطة الملابس، المحتشمة والخالية من البهرجة، التي تهدف إلى تغطية الجسد. ولكننا ننبذ الزي المخنث والبذخ فيها. نحن نحترم بيوت الله، ونرى الاجتماعات التي تقام فيها مقدسة ومفيدة، ولكننا لا نحصر التقوى فيها فقط. ونُجلّ كل مكان شُيّد لأجل عبادة الله. ونحبذ الخدمة الإلهية، المقامة بحضور جميع المؤمنين، المجتمعين في بيت الله، ونمدح الاخوة الذين يقومون بالأعمال الصالحة، نحو الفقراء بواسطة الكنيسة، طِبقاً للعادات. وباختصار، نرغب في المحافظة في الكنيسة، على ما هو مطابق للكتب المقدسة، والتقليد الرسولي.

٥٦
قوانين مجمع لاذقية فريجيا (٣٤١-٣٨١؟)

القانون الأول

قررنا، طِبقاً لقوانين الكنيسة، منح العفو وإعادة الشركة من جديد، بعد فترة من الزمن، إلى أولئك الذين تزوجوا زيجة ثانية حسب الشريعة، والذين لم يتزوجوا مرة أخرى سراً، وأظهروا نقاوة قلب وصفاء مشاعر، بالصلوات والأصوام.

القانون الثاني

يجب إعادة أولئك الخطأة، الذين سقطوا في خطايا مختلفة، وواظبوا على مشاعر ندامة وتوبة، وابتعدوا نهائياً عن الشر، على حسب رحمة الله وصلاحه، إلى الشركة من جديد. ويتم ذلك، بعد أن يُفرض عليهم زمن توبة متناسب وجسامة زلتهم.

القانون الثالث

لا يجوز ترقية المعمدين حديثاً، في الدرجات الإكليريكية.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الرابع

لا يجوز للإكليريكيين ممارسة الربا، ولا أن يأخذوا فوائد، ولا المال المدعو "النصف الزائد".

القانون الخامس

لا يجوز أن تُعطى السيامات الكنسية بحضور السامعين.

القانون السادس

يُمنع على الهراطقة، تجاوز عتبة بيت الله، طالما تمسّكوا بهرطقتهم.

القانون السابع

لا يجوز قبول المرتدين من الهراطقة، أي النوفاتيين، أو الفوتينيانيين، أو الأربعشريين، سواء كانوا فيها موعوظين أو من المؤمنين، قبل أن يبسلوا كل الهرطقات، وخاصة تلك التي خرجوا منها. يستطيع المدعوون "مؤمنين" في هذه الشيع، الاشتراك في السر المقدس، بعد أن يكونوا قد تعلّموا دستور الإيمان، ومُسحوا بالمسحة المقدسة.

القانون الثامن

يجب الاعتناء عناية شديدة، بتعليم المرتدين من هرطقة الفريجيين[٢٤٧]، كما يجب أن تتم معموديتهم، على يد أساقفة الكنيسة وكهنتها. ولتُطبّق هذه الفريضة، حتى على إكليروس هذه الهرطقة، وأعضائها الأكثر أهمية.

القانون التاسع

لا يُسمح للمسيحيين بالذهاب إلى مقابر الهراطقة، أو مزارات شهدائهم للصلاة، أو للاحتفال فيها بالذبيحة الإلهية. ويُقطع المؤمنون مخالفو هذا القانون لبعض الوقت. ويُعادون إلى الكنيسة بعد توبتهم، واعترافهم بأخطائهم.

القانون العاشر

يجب ألا يُزوّج أعضاء الكنيسة أولادهم، بدون تمييز، من هراطقة.

القانون الحادي عشر

لا يُسمح بسيامة الشيخات المتقدمات، أو الرئيسات من النساء في الكنيسة.

---

٢٤٧ أي مونتانيين.

القانون الثاني عشر

ينبغي أن تتم تولية الأساقفة لحكم الكنيسة، بعد قرار المتروبوليت والأساقفة المجاورين، وبعد التأكد من استقامة إيمانهم، وحسن أخلاقهم.

القانون الثالث عشر

يجب ألا تُترك قضية انتخاب الكهنة للشعب.

القانون الرابع عشر

لا يجوز إرسال الإفخارستيا، كبركة، إلى أبرشيات غريبة في عيد الفصح.

القانون الخامس عشر

يُمنع على الجميع الترتيل في الكنيسة، ويُسمح به فقط للمرتلين القانونيين، الذين يصعدون إلى الأمبون، ليرتلوا المزامير حسب الكتاب.

القانون السادس عشر

يجب قراءة الأناجيل، ومقاطع أخرى من الكتاب المقدس، علانية أيام السبت.

القانون السابع عشر

لا تُتلى المزامير في الكنيسة بطريقة متتابعة، بل فليُدرج نص بين الواحد والآخر.

القانون الثامن عشر

يجب أن تُتلى الصلوات نفسها في الساعة التاسعة، وفي صلاة الغروب.

القانون التاسع عشر

ينبغي أن تتم صلاة الموعوظين على حدة، بعد عظة الأسقف. وبعد مغادرة الموعوظين، تُتلى صلاة التائبين. وبعد أن يتلقى هؤلاء وضع الأيدي وينصرفوا، تُقال ثلاث صلوات للمؤمنين: الأولى بصوت منخفض، والثانية والثالثة بصوت عال. ثم يتم تبادل قبلة السلام. وبعد أن يتبادل الكهنة مع الأسقف قبلة السلام، يتبادلها العلمانيون أيضاً. بعدئذ تُقدّم الذبيحة، ولا يجوز إلا للإكليروس، الدنو من هيكل الذبيحة، والتناول داخله.

القانون العشرون

يُمنع على الشماس الجلوس بحضرة كاهن، إلا إذا دعاه إلى الجلوس. وكذلك على جميع الخدام والإكليروس، إحترام الشمامسة.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الحادي والعشرون

لا يُسمح للشماس الرسائلي، بالجلوس في مقام الشمامسة، كما يُمنع عليهم مسّ الأواني المقدسة.

القانون الثاني والعشرون

لا يجوز للشمامسة الرسائليين، لبس الأورياريون، ولا ترك مكانهم عند الأبواب.

القانون الثالث والعشرون

لا يجوز للقارئين ولا للمرنمين، لبس الأورياريون، بينما يقرأون أو يرتلون.

القانون الرابع والعشرون

يُمنع على أي من الإكليريكيين من كهنة وشمامسة، وكذلك من هم في السلك الكنسي من شمامسة رسائليين، وقارئين ومرتلين، ومعزّمين وبوابين، أو من النساك، الدخول إلى نُزل.

القانون الخامس والعشرون

يُمنع على الشمامسة الرسائليين، توزيع القرابين، ولا يُسمح لهم أن يباركوا الكأس.

القانون السادس والعشرون

يُمنع على أي كان، أن يستقسم في الكنيسة أو في البيوت، إلا الذي انتدبه الأسقف.

القانون السابع والعشرون

لا يجوز للإكليريكيين، من أي درجة كانوا، وللعلمانيين أيضاً، عندما يُدعون إلى موائد المحبة، أن يأخذوا شيئاً منها إلى بيوتهم، لأن هذا لا يُشرّف أعضاء الكنيسة.

القانون الثامن والعشرون

لا يجوز الاحتفال بموائد المحبة في بيوت الله وفي الكنائس، ولا يجوز الأكل والسكنى في بيت الله.

القانون التاسع والعشرون

لا يجوز للمسيحيين أن يتهوّدوا، وأن يبقوا بدون عمل يوم السبت، بل عليهم أن يشتغلوا في هذا اليوم. وعليهم تكريم يوم الرب، والامتناع عن العمل فيه قدر استطاعتهم. وكل من واصل التهويد، فليُبسل باسم المسيح.

القانون الثلاثون

لا يجوز أن يستحم الإكليريكيون والنساك، في حمام واحد مع النساء، لأن هذا أعظم انتقاد لدى الوثنيين.

القانون الحادي والثلاثون

لا يجوز عقد قران مع الهراطقة، أو مصاهرتهم بإعطائهم أبنائنا وبناتنا، إلا إذا وعدوا أن يصيروا مسيحيين.

القانون الثاني والثلاثون

لا يجوز أن نقبل بركات من الهراطقة، لأنها هي، بالأحرى، لعنات أكثر منها بركات.

القانون الثالث والثلاثون

لا يجوز الاشتراك في الصلوات، مع الهراطقة والمنشقين.

القانون الرابع والثلاثون

لا يجوز لأي مسيحي، التخلي عن شهداء المسيح، وإتباع الشهداء المزيفين، أي شهداء الهراطقة أو الهراطقة أنفسهم، لأنهم بعيدون عن الله. ومن ينتمي إليهم، فليُقطع.

القانون الخامس والثلاثون

لا يجوز للمسيحيين، التخلي عن كنيسة الله، ولا أن يتحولوا ويكرّموا الملائكة، ويُدخلوا عبادتهم. أما الذي يُذنب بعبادة الأصنام المستترة هذه، فليُبسل، لأنه يسلو ربنا يسوع المسيح ابن الله، وينضم إلى عبادة أصنام.

القانون السادس والثلاثون

لا يجوز للإكليروس من درجة عليا أو دنيا، أن يكونوا منجّمين أو سحرة، أو فلكيين أو قارئي غيب، وأن لا يعملوا تعاويذ، لأنها سلاسل لنفوسهم. والذين يحملون هذه التعويذات، فليُقطعوا.

القانون السابع والثلاثون

لا يجوز أن نقبل من اليهود والهراطقة، أي هدية عيد، ولا يجوز أن نحتفل بعيد معهم.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون الثامن والثلاثون

لا يجوز قبول خبز فطير من اليهود، ولا أن نشترك في رجسهم.

القانون التاسع والثلاثون

لا يجوز أن نشترك بأعياد الوثنيين، ولا مشاركتهم في كُفرهم.

القانون الأربعون

لا يجوز للأساقفة، عندما يُدعون إلى مجمع، أن يزدروا هذه الدعوة، بل عليهم أن يُلبّوها، ليُعلّموا ويتعلّموا ما يخدم بنيان الكنيسة والآخرين. وإذا تهاون أحدهم ولم يحضر، فهو يدين نفسه بفعله هذا، إلا إذا كان المانع ظرفاً قاهراً.

القانون الحادي والأربعون

لا يجوز لأحد من السلك الكهنوتي، أن يُسافر بدون رسائل قانونية.

القانون الثاني والأربعون

لا يجوز لأحد من السلك الكهنوتي، أن يُسافر بدون رخصة من الأسقف.

القانون الثالث والأربعون

لا يجوز للشمامسة الرسائليين، ترك الأبواب لبعض الوقت، حتى ولو كان للاشتراك في الصلاة.

القانون الرابع والأربعون

لا يجوز للنساء الاقتراب من الهيكل.

القانون الخامس والأربعون

لا يجوز قبول أحد للمعمودية، بعد الأسبوع الثاني من الصوم [الكبير].

القانون السادس والأربعون

ينبغي أن يحفظ المرشحون للمعمودية، قانون الإيمان غيباً، وعليهم أن يتلوه أمام الأسقف، أو أمام الكهنة يوم الخميس.

القانون السابع والأربعون

ينبغي أن يحفظ، مَن قَبلَ المعمودية وهو مريض، قانون الإيمان غيباً. وإذا ما شُفي، فليظهر أهلاً للهدية الإلهية التي أُعطيت له.

القانون الثامن والأربعون

على الذين تعمّدوا، أن يقبلوا مسحة الميرون السماوية بعد معموديتهم، فيصيرون مشاركين في ملكوت المسيح.

القانون التاسع والأربعون

لا يجوز تقديم الخبز أيام الصوم الكبير، إلا أيام السبوت والآحاد.

القانون الخمسون

لا يجوز حلّ الصيام يوم الخميس من الأسبوع العظيم، واحتقار الصوم الأربعيني بذلك، بل يجب أن نكتفي أيام الصيام الأربعيني، بأكل الأطعمة الجافة.

القانون الحادي والخمسون

لا يجوز خلال أيام الصوم الأربعيني، الاحتفال بأعياد ميلاد الشهداء، بل ينبغي أن نَذْكُرهم أيام السبوت والآحاد.

القانون الثاني والخمسون

لا يجوز أن تقام أعراس ولا أعياد ميلاد، خلال الصوم الأربعيني.

القانون الثالث والخمسون

لا يجوز للمسيحيين المشاركين في حفلة زفاف أن يرقصوا، بل عليهم أن يشاركوا في المآدب باحتشام، كما يليق بالمسيحيين.

القانون الرابع والخمسون

لا يجوز للإكليروس، المنتمي إلى درجة كبرى أو صغرى، عندما يشارك في حفل زفاف، أو في ولائم، أن يمكثوا لمشاهدة الألعاب، بل عليهم أن يُغادروا قبل بدء الألعاب.

القانون الخامس والخمسون

يُمنع على الإكليريكيين والعلمانيين، أن يجمعوا أموالاً مشتركة لإقامة حفلات.

القانون السادس والخمسون

لا يجوز للكهنة أن يدخلوا ويأخذوا أماكنهم في الهيكل، قبل أن يدخل الأسقف. يجب أن يدخلوا بعد الأسقف، إلا إذا كان هذا مريضاً أو مسافراً.

www.old-criticism.blogspot.com

القانون السابع والخمسون

لا يُنصّب أسقف في القرى والريف، بل يُقام لها وكلاء. أما الذين نُصّبوا سابقاً، فلا يجوز لهم أن يُقدِموا على أي شيء، قبل موافقة أسقف المدينة، وكذلك يجب أن لا يقوم الكهنة بأمر، إلا بعد موافقة الأسقف.

القانون الثامن والخمسون

لا يجوز للأساقفة والكهنة تقدمة الذبيحة في المنازل.

القانون التاسع والخمسون

لا يجوز قراءة مزامير، ولا كتب غير قانونية، ألّفها بعض الأفراد في الكنيسة، بل علينا أن نقرأ فقط الكتب القانونية، من العهدين القديم والجديد.

القانون الستون

هذه هي كتب العهد القديم التي أُجيز قراءتها: ١. التكوين، ٢. الخروج، ٣. الأحبار، ٤. العدد، ٥. تثنية الاشتراع، ٦. يشوع بن نون، ٧. القضاة وراعوت، ٨. استير، ٩. سفرا الملوك الأول والثاني، ١٠. سفرا الملوك الثالث والرابع، ١١. سفرا أخبار الأيام الأول والثاني، ١٢. سفرا عزرا الأول والثاني، ١٣. سفر المزامير المائة والخمسون، ١٤. أمثال سليمان، ١٥. الجامعة، ١٦. نشيد الأناشيد، ١٧. أيوب، ١٨. الأنبياء الاثنا عشر، ١٩. اشعيا، ٢٠. ارميا وباروخ والمراثي والرسائل، ٢١. حزقيال، ٢٢. دانيال.

أما كتب العهد الجديد، فهي التالية: الأناجيل الأربعة، حسب متى ومرقص ولوقا ويوحنا، وأعمال الرسل، الرسائل الجامعة السبعة، أي رسالة يعقوب، ورسالتي بطرس، ورسائل يوحنا الثلاث، ورسالة يهوذا، ورسائل بولس الأربع عشرة: واحدة إلى أهل روما، اثنتان إلى أهل كورنثس، واحدة إلى أهل غلاطية، واحدة إلى أهل افسس، وواحدة إلى أهل فيليبي، وواحدة إلى أهل كولوسي، واثنتان إلى أهل تسالونيكي، وواحدة إلى العبرانيين، وواحدة إلى تيموثاوس، وواحدة إلى تيطس ، وواحدة إلى فيلمون.

الإطار التاريخي لمجمع نيقيا

السنة	التاريخ	الحدث
٦/٥ ق.م		ولادة يسوع المسيح بحسب الجسد
١٤	٢٤ آب	وفاة اوغوسطوس قيصر؛ بداية حكم طيباريوس قيصر
نحو ٢٦		بيلاطس البنطي يصبح والي اليهودية
نحو ٢٧		بداية رسالة يسوع العلنية؛ قطع رأس يوحنا المعمدان بأمر من هيرودس
٣٠		آلام يسوع في أورشليم ليلة فصح اليهود وصلبه وموته وقيامته
٣١		مجمع رسولي لانتخاب متياس عوضاً من يهوذا
٣٦		استشهاد الشماس اسطفانوس، أول الشهداء
		بداية كرازة الرسل خارج اليهودية وفي أنطاكية حيث دُعي المؤمنون "مسيحيين" لأول مرة
٣٧	١٦ آذار	موت طيباريوس قيصر وبداية حكم غاليغولا قيصر
نحو ٤٠		انتخاب الشمامسة السبعة
٤١	٢٤ كانون الأول	موت غاليغولا قيصر، وحكم كلوديوس قيصر
٤٤		قطع رأس يعقوب الكبير، أخي الرسول يوحنا تحت حكم هيرودس اغريباس
٤٦/٤٥		رحلة القديس بولس الرسولية الأولى
٥٠/٤٩		مجمع أورشليم الرسولي
٥٢/٤٩		رحلة القديس بولس الرسولية الثانية

www.old-criticism.blogspot.com

٥٤	١٢ تشرين الأول	موت كلوديوس قيصر، وبداية حكم نيرون قيصر
٦٢		رجم القديس يعقوب أخي الرب، أسقف أورشليم
٦٤	تموز	حريق روما واضطهاد المسيحيين
		استشهاد القديسين الرسولين بطرس وبولس
٦٦	حزيران	بداية التمرد اليهودي الكبير على الرومانيين
٦٨	٩ حزيران	وفاة نيرون قيصر، وبداية حكم غالبا قيصر
٦٩	٢ كانون الأول	إعلان الجيش الجرماني فيتاليوس إمبراطوراً
	١٥ كانون الأول	اغتيال غالبا قيصر، واعتراف مجلس الشيوخ بـ اوتون إمبراطورا
	١٥ نيسان	انتحار اوتون قيصر، واستلام فيسباسيانوس قيصر الحكم في بداية شهر تموز
٧٠		تيطس يحتل أورشليم
٧٩		ثوران بركان فيزوف، ودمار بومبيي وهيكولانوم وستابيوس
٧٩		وفاة فيسباسيانوس قيصر، وخلفه ابنه تيطس قيصر
٧٠-٨٠		تحرير الأناجيل الإزائية وأعمال الرسل
نحو ٨٠		موت سيمون الساحر، من منشئي العرفان المسيحي
٨١		وفاة تيطس قيصر، بداية حكم دوميتيانوس قيصر
نحو ٩٥		تحرير إنجيل يوحنا ورؤيا يوحنا؛ نفي يوحنا الرسول إلى جزيرة بطموس
٩٦		اغتيال دوميتيانوس قيصر، وبداية حكم نيرفا قيصر
٩٨		وفاة نيرفا قيصر، وبداية حكم ترايانوس قيصر
نحو ١٠٠		وفاة القديس يوحنا الحبيب الرسول
نحو ١١٢		استشهاد القديس اغناطيوس أسقف أنطاكية في روما

١١٤		براءة ترايانوس: يجب إدانة المسيحيين عندما يُعرفوا، لكن دون ملاحقتهم بشكل منظم
١١٥	١٣ كانون الثاني	زلزال يضرب مدينة أنطاكية ويدمرها
١١٧		وفاة ترايانوس قيصر، وبداية حكم ادريانوس قيصر
نحو ١٢٥		براءة ادريانوس حول المسيحيين
١٣٢		تمرد اليهود في فلسطين أيام باركوكبا، المعتبر "ماسيا" إسرائيل
١٣٥		سحق التمرد اليهودي، ادريانوس يدمر أورشليم
١٣٠/١٤٠		ولادة القديس ايريناوس في آسيا الصغرى
١٣٨		وفاة ادريانوس قيصر، وبداية حكم انطونينوس قيصر
نحو ١٤٠		قدوم مركيون إلى روما؛ كذلك فالنتينوس الغنوصي المصري
١٥٤		بوليكربوس أسقف أزمير في روما: لحل النزاع حول موعد عيد الفصح
١٦١		وفاة انطونينوس قيصر، وبداية حكم ماركوس اوريليوس قيصر
نحو ١٦٥		استشهاد يوستينوس
نحو ١٦٧		استشهاد بوليكربوس، أسقف أزمير
١٧٢		بداية كرازة مونتانوس في فريجيا
نحو ١٧٥		مجمع في آسيا الصغرى ضد مونتانوس
١٧٦		ماركوس اوريليوس يمنع إدخال ديانات جديدة
١٧٧		شهداء ليون، ايريناوس يصبح أسقف ليون
١٨٠		بداية حكم كومودوس قيصر بعد وفاة ماركوس اوريليوس قيصر
١٨٥		ولادة اوريجانوس في مصر

www.old-criticism.blogspot.com

١٨٥		عدة مجامع محلية دعا إليها البابا فيكتور من أجل موضوع عيد الفصح
١٩٠		رسالة ايريناوس أسقف ليون إلى البابا فيكتور لتهدئة النزاع مع الأربعشريين
		تبشير ثيودوتوس البيزنطي بالمونارخية الديناميكية أو "التبنوية"
١٩٢		اغتيال كومودوس قيصر، حرب أهلية في روما. بداية حكم سبتيموس ساويروس قيصر
نحو ٢٠٠		بداية الفن المسيحي في الدياميس
٢٠٣/٢٠١		اضطهاد سبتيموس ساويروس: منع التبشير بالمسيحية
٢٠٣		استشهاد ليوندس، والد اوريجانوس
٢٠٤		استلام اوريجانوس إدارة مدرسة الإسكندرية
٢١١		وفاة سبتيموس ساويروس قيصر، وبداية حكم كاراكلا قيصر
٢١٢		كاراكلا يمنح الجنسية الرومانية لجميع قاطنيها
٢١٧		اغتيال كاراكلا قيصر
٢١٨		بداية حكم ايلاغابال قيصر، كاهن هيكل بعل في حمص
٢٢٢/٢١٨		مجمع قرطاجة الأول : بخصوص معمودية الهراطقة
نحو ٢٢٠		البابا كاليستوس الأول يدين "الشكلانية" ومبدعها صابيليوس
٢٢٢		اغتيال ايلاغابال قيصر، وبداية حكم الكسندروس ساويروس قيصر
٢٣٠		انتقال اوريجانوس من الإسكندرية إلى قيصرية فلسطين، مما يُفسّر التأثير الكبير الذي تركه اوريجانوس في اوسابيوس القيصري وسواه

٢٣٥/٢٣٠		مجمع ايقونيا: بطلان معمودية الهراطقة ولا سيما المونتانية
٢٣١		مجمع الإسكندرية: اوريجانوس غير أهل للتعليم
٢٣٢		مجمع الإسكندرية: خلع اوريجانوس عن كرامته الكهنوتية
٢٣٥		اغتيال الكسندروس ساويروس قيصر، وبداية حكم مكسيمينوس قيصر، واضطهاده للمسيحيين
٢٣٨		بداية حكم غورديانوس قيصر خلفاً لمكسيمينوس قيصر
٢٤٣		بداية حكم فيليبس العربي قيصر خلفاً لغورديانوس قيصر
٢٤٧		الاحتفال باليوبيل الألفي (ألف سنة) على تأسيس روما
٢٤٨		بداية حكم داكيوس قيصر خلفاً لفيليبس العربي قيصر
٢٥٠		اضطهاد الإمبراطور داكيوس
٢٥١		بداية انشقاق نوفاتيانوس
		بداية حكم غالوس قيصر خلفاً لداكيوس قيصر
		بداية حكم فولوسانيوس قيصر خلفاً لغالوس قيصر
٢٥٢		وباء الطاعون ينتشر في الإمبراطورية الرومانية
٢٥٣		بداية حكم فاليريانوس قيصر، بعد فولوسانيوس قيصر
نحو ٢٥٤		وفاة اوريجانوس
٢٥٦		مجمع قرطاجة: حول معمودية الهراطقة
٢٥٨		اضطهاد الإمبراطور فاليريانوس، واستشهاد كبريانوس أسقف قرطاجة

www.old-criticism.blogspot.com

٢٦٠		بداية حكم غاليانوس قيصر خلفاً لأبيه فاليريانوس قيصر
		مرسوم الإمبراطور غاليانوس بالتسامح مع المسيحيين
		بولس السميساطي أسقف أنطاكية. حيث بدأ ينشر تعاليمه حول المونارخية-التبنوية
٢٦٨		مجمع أنطاكية: الحكم على بولس السميساطي
٢٦٨		بداية حكم كلوديوس قيصر خلفاً لغاليانوس قيصر
٢٧٠		وفاة كلوديوس قيصر وبداية حكم اوريليانوس قيصر
٢٧٤		استعادة الإمبراطورية الرومانية لأجزاء منشقة: تدمر وبلاد الغال
		ولادة الإمبراطور قسطنطين الكبير
٢٧٥		اغتيال اوريليانوس قيصر وبداية حكم تاكيتوس قيصر
٢٧٦		بداية حكم بروبوس قيصر خلفاً لتاكيتوس قيصر
٢٨٢		بداية حكم كاروس قيصر خلفاً لبروبوس قيصر
٢٨٤		بداية حكم ديوكليسيانوس قيصر، بعد كاروس قيصر
٣٠٠		بطرس يصبح أسقف الإسكندرية
نحو ٣٠١		ارتداد أرمينيا إلى المسيحية رسمياً بتأثير من غريغوريوس المنوّر
٣٠٣	خريف	اضطهاد ديوكليسيانوس: إصدار ثلاثة مناشير متتابعة؛ هرب بطرس الإسكندري
٣٠٤	نيسان	منشور عام بالاضطهاد
٣٠٥		استقالة ديوكليسيانوس
		ظهور الدوناتية في أفريقيا
		شغور كرسي روما حتى سنة ٣٠٨

٣٠٦		قرار قسطنطين ومكسانس بالحرية الدينية على أراضيهما
٣٠٦		بدء انشقاق ملاتيوس أسقف ليكوبوليس في مصر
٣١١		منشور غاليريوس في الحرية الدينية
٣١٢		منشور مكسيمينوس دايا في الحرية الدينية
		موت لوكيانوس الأنطاكي شهيداً
	٢٨ تشرين الأول	انتصار قسطنطين الكبير على مكسانس في معركة جسر "ميلفيوس" على أبواب روما: قسطنطين الإمبراطور الوحيد في الغرب
٣١٣		ليكينيوس الإمبراطور الأوحد في الشرق بعد أن غلب مكسيمينوس دايا
	ربيع	إعفاء الإكليروس من الأعباء المدنية
	منتصف السنة	مرسوم ميلانو
	تشرين الأول	مجمع روما: الحكم على الدوناتيين
٣١٤	آب	مجمع آرل: إدانة الدوناتيين؛ رسالة مجمعية و٢٢ قانوناً
		قسطنطين يهدي البابا عقار اللاتران
نحو ٣١٨		بداية النزاع الآريوسي في الإسكندرية
٣١٨		منع إقامة الذبائح الخاصة عند الوثنيين
٣١٩		بداية أعمال تشييد بازيليك القديس بطرس في روما
٣٢١/٣٢٠		مجمع الإسكندرية: إدانة آريوس
٣٢١		لجوء آريوس إلى قيصرية ثم إلى نيقوميديا
٣٢١		تأليف آريوس كتاب "المائدة" ؛ قانون إيمان آريوس
٣٢٣		مجمع الإسكندرية: إصدار حكم ضد آريوس

www.old-criticism.blogspot.com

٣٢٤		قسطنطين الكبير الإمبراطور الأوحد بعدما هزم ليكينيوس
		قسطنطين يختار بيزنطية ليبني فيها عاصمته: القسطنطينية
	أواخر السنة	قسطنطين يدعو إلى مجمع مسكوني في نيقيا
٣٢٥		مجمع أنطاكية: إدانة آريوس
	٢٥ أيار	الجلسة الافتتاحية لمجمع نيقيا بعد وصول الإمبراطور قسطنطين؛ إدانة آريوس؛ تحرير قانون إيمان؛ ٢٠ قانون تنظيمي وإداري؛ موضوع تاريخ عيد الفصح؛ مسألة انشقاق ملاتيوس
	١٩ حزيران	ختام المجمع: نفي آريوس ومعه ثيوناس أسقف مرمريك وسيكوندوس أسقف بطوليمايس، لأنهما رفضا توقيع أعمال المجمع
٣٢٦	١٨ تشرين الثاني	البابا سلفستروس يدشن بازيليك القديس بطرس
٣٢٧		بناء كنيسة القيامة في أورشليم
٣٢٨	١٨ نيسان	موت الكسندروس أسقف الإسكندرية، ثم انتخاب اثناسيوس خلفا له
		سيامة اثناسيوس لفروميتيوس أسقفاً على إثيوبيا والحبشة
		عودة اوسابيوس النيقوميدي وثيوناس النيقاوي من المنفى
٣٢٩		ولادة غريغوريوس النزينزي وباسيليوس الكبير
٣٣٠		مجمع أنطاكية النصف-آريوسي: خلع افستاثيوس الأنطاكي، ونفيه إلى تراس
٣٣٠	١١ أيار	تدشين مدينة القسطنطينية "روما الجديدة"

٣٣٣	أواخر السنة	اتهام الملاتيوسيين لاثناسيوس أمام قسطنطين الكبير
٣٣٥	ربيع	عودة آريوس
٣٣٥	تموز	مجمع صور الآريوسي مع إقصاء أساقفة مصر؛ خلع اثناسيوس ونفيه فيما بعد إلى تريف مع غيره من الأساقفة النيقاويين انتقال المجمع إلى آورشليم لتدشين كنيسة القيامة المجمع يعلن أرثوذكسية آريوس
		مجمع القسطنطينية: تنصيب اوسابيوس النيقوميدي، عوضا عن بولس القسطنطيني المخلوع، على كرسي القسطنطينية
٣٣٦	عشية الفصح	موت آريوس قبل عودته إلى الشركة
٣٣٧		موت قسطنطين الكبير بعد عماده من اوسابيوس النيقوميدي؛ اقتسام الدولة بين أبنائه الثلاثة: قسطنطين الثاني في الغرب، قسطنديوس الأول في إيطاليا والايلليريكوم وأفريقيا الشمالي، وكونستانس الثاني في الشرق
	٢٣ تشرين الثاني	عودة اثناسيوس من المنفى
٣٣٨		مجمع الإسكندرية لصالح اثناسيوس
٣٣٩		مجمع صور ومجمع أورشليم: خلع اثناسيوس
٣٣٩		وفاة اوسابيوس القيصري المؤرخ الكنسي
٣٤٠	٩ نيسان	وفاة قسطنطين الثاني وحكم قسطنديوس على الغرب
	خريف	مجمع روما : اثناسيوس الأسقف الشرعي للإسكندرية؛ لكنه نفي للمرة الثانية. رسالة من البابا يوليوس إلى الشرقيين
٣٤١		مجمع أنطاكية التدشين: عرض أربع صيغ إيمانية غير هرطوقية، لكنها لا تحتوي على "الاوموسيوس"

www.old-criticism.blogspot.com

٣٤١		بداية انتشار الآريوسية بين البرابرة
٣٤٢		موت اوسابيوس النيقوميدي
٣٤٣	خريف	مجمع سرديقيا: وقّع الغربيون وثيقة عقائدية خالية من "الاوموسيوس" مما أدى إلى انسحاب أساقفة الطرف الشرقي بعد أن كتبوا رسالة فيها الصيغة الرابعة من مجمع أنطاكية (٣٤١)؛ رسالة مجمعية و٢١ قانونا تنظيميا
		انتصار كونستانس على الفرس
٣٤٥		مجمع ميلانو: حكم الغربيون على فوتينوس أسقف سيرميوم
٣٤٦	تشرين الأول	عودة اثناسيوس من المنفى
٣٥٠		موت قسطنديوس على يد ماغنثيوس المغتصب
٣٥١	شتاء	مجمع سيرميوم الآريوسي: الصيغة الأولى أي الرابعة من أنطاكية (٣٤١)، و٢٧ إبسالا
٣٥٣		كونستانس يصبح الإمبراطور الوحيد بعد أن قتل ماغنانس
	١٠ آب	مجمع آرل الآريوسي: يعيد قرارات سرديقيا ضد اثناسيوس
٣٥٣	أواخر السنة	نفي بولينوس أسقف تريف
٣٥٤	تشرين	ولادة القديس يوحنا الذهبي الفم
٣٥٤	١٣ تشرين الثاني	ولادة القديس اوغوسطينوس في طاجستا
٣٥٤		موت كونستانسيا ابنة الإمبراطور قسطنطين الكبير
٣٥٥		مجمع ميلانو الآريوسي: نفي الباب ليبيريوس لمساندته اثناسيوس إلى تراس ونفي اوسيوس وايلاريون
٣٥٦		نفي اثناسيوس للمرة الثالثة إلى طيبة

٣٥٧	صيف	مجمع سيرميوم الآريوسي: صيغة ثانية "أنومية" أي غير مشابه؛ رفض كلي للاوموسيوس والاوميووسيوس؛ وقع اوسيوس على القرار
٣٥٨	قبل الفصح	مجمع انقيرة: إدانة الشرقيين للانومية وإعلان الاوميووسيوس؛ محاولة تقرب من الأرثوذكسية
٣٥٩	٢٢ أيار	اعتراف إيمان مؤرَّخ: صيغة اومية تهدف التحضير لمجمع سلوقيا
	صيف	مجمع ريميني (الغربيون): أرثوذكسي؛ مصادقة على مجمع نيقيا ولكنه تبنى صيغة تسوية ذات طابع آريوسي (أومية)
	٢٧ أيلول	مجمع سلوقيا (الشرقيون): نزاع بين الأكاكيوسيين والاوميووسيين والأنوميين حول صيغ إيمان مختلفة
٣٦٠	كانون الثاني	مجمع القسطنطينية: تثبيت صيغة مجمع ريميني. انتصار اكاكيوس القيصري والآريوسيين على الأرثوذكسيين والاوميووسيين في أنطاكية
		افذوكسيوس الآريوسي أسقفاً على القسطنطينية
	صيف؟	مجمع باريس: ضد الآريوسيين
٣٦١		يوليانوس الجاحد إمبراطوراً بعد موت كونستانس

www.old-criticism.blogspot.com

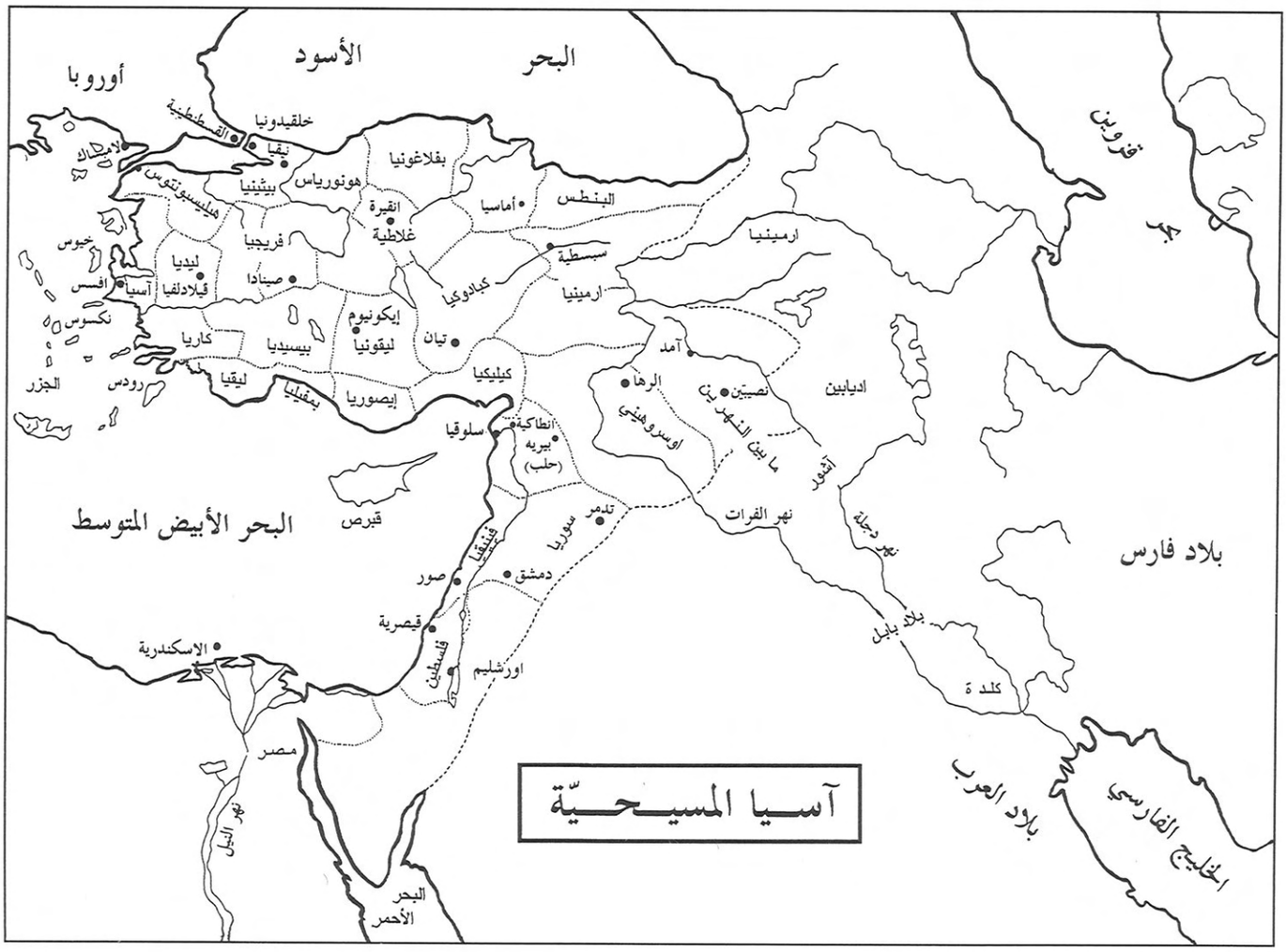

www.old-criticism.blogspot.com

المطبعة البولسية
جونيه - لبنان

www.old-criticism.blogspot.com

سلسلة

تاريخ المجامع المسكونية والكبرى

تهدف هذه السلسلة إلى أن تزوّد الناطقين بالضاد تاريخًا عامًا وموسعًا عن المجامع المسكونية والكبرى التي تقرّ بها الكنيسة الكاثوليكية. فتتناول كل مجمع على حدّة، وتفصّل الأسباب التي دعت إلى انعقاده؛ أين انعقد ومتى؛ من دعا إليه ومن أهم من حضره؛ ما هي المواضيع التي تدارسها وماذا جرى خلال جلساته؛ ما هي حصيلة المجمع ونتائجه القريبة والبعيدة؛ مع شرح القرارات والقوانين التي اتُخذت.

يتبع كل مجمع ملحق يتضمّن أهم الوثائق التي لها علاقة بالمجمع من رسائل ومناشير وكتابات وسواها. ولعل أهمّ ملحق هو القوانين والقرارات التي اتخذها المجمع والحرومات أو الإبسالات التي رشق بها أصحاب الهرطقات وأتباعهم.

٢ – الأبوان ميشال أبرص وأنطوان عرب: المجمع المسكوني الأول – نيقيا الأول (٣٢٥).

«المجمع المسكوني الأول»، «مجمع الآباء الثلاثمائة والثمانية عشر»، «مجمع دستور الإيمان»، كلها تسميات للمسمّى ذاته، ألا وهو مجمع نيقيا المنعقد عام ٣٢٥. فكان أول مجمع كنسي على المستوى العالمي أو الدولي، حيث تمثلت الكنيسة بمختلف فروعها. وشكّل هذا مجمع نقطة تحوّل هامة في مسار الكنيسة اللاهوتي والعقائدي، ودعامة لوحدتها.

يروي الكتاب هذا الحدث الضخم بكل تفاصيله وثناياه، فيتحدّث عن الخلافات الحاصلة آنذاك في قلب الكنيسة الجريح، الخارجة لتوها من الاضطهادات: نشوب النزاع الآريوسي في مصر والبلبلة الذي أنتجته في الوسط الكنسي (أنكر ألوهية المسيح)، والخلاف الناجم عن تحديد يوم عيد الفصح، وأسباب أخرى أقل شأنًا دفعت الإمبراطور قسطنطين الكبير، أوّل الملوك المسيحيين، إلى دعوة أساقفة العالم حوله، لحسم القضايا المتنازع عليها. ثم يسرد الكتاب كل ما جرى في المجمع، وما أقرّ فيه: دستور إيمان واحد قويم العقيدة، لا زالت الكنيسة الجامعة تعترف به حتى اليوم، وحرم العقائد الخاطئة، وتوافق الآباء على تحديد يوم موحّد لعيد الفصح، ومواضيع أخرى تهمّ الكنيسة في نظامها وإدارتها (كواقع امتيازات الكراسي الرسولية: روما والإسكندرية وأنطاكية، وعزوبية الكهنة...).

ويختم هذا المجلد، ملحق وثائقي يحوي أكثر من خمسين وثيقة رسمية أو شبه رسمية، تتعلق بالمجمع مباشرة أو غير مباشرة، وهي ذات أهمية كبرى للكنيسة، من دون أدنى شك، في الحقل اللاهوتي والحقوقي والإداري...

في السلسلة عينها

١ – الأبوان أبرص وعرب: مدخل إلى المجامع المسكونية.
٢ – الأبوان أبرص وعرب: المجمع المسكوني الأوّل – نيقيا الأوّل (٣٢٥).
٣ – الأبوان أبرص وعرب: المجمع المسكوني الثاني – القسطنطينية الأوّل (٣٨١).
٤ – الأبوان أبرص وعرب: المجمع المسكوني الثالث – أفسس (٤٣١).
٥ – الأبوان أبرص وعرب: المجمع المسكوني الرابع – خلقيدونيا (٤٥١).
٦ – الأبوان أبرص وعرب: المجمع المسكوني الخامس – القسطنطينية الثاني (٥٥٣).
٧ – الأبوان أبرص وعرب: المجمع المسكوني السادس – القسطنطينية الثالث (٦٨٠ – ٦٨١).
٨ – الأبوان أبرص وعرب: المجمع المسكوني السابع – نيقيا الثاني (٧٨٧).

توزيع المكتبة البولسيّة